غـــادة الســـمّان

القبيلة تستجوب القتيلة



منشورات غادة السمان

الأعمال غير الكاملة ١٢

مصارحة

١ - مع كل كتاب أخطه، أموت قليلاً.

وبين موت وآخر، تأتي وجوههم الأليفة. تأتي أصواتهم لتستجوب القتيلة. يعرفونها، ولا يعرفونها، تعرفهم ولا تعرفهم، ولكنها واثقة من أمرين: أنها تنتمي إليهم، وأنها لم تعد موؤودة. صار لها صوتها واستعادت حنجرتها المسكونة بعشرات الإيقاعات بما في ذلك حقها في اتهام القبيلة بين موت وآخر من ميتاتها.

٢ - حصيلة ذلك التفاعل المحرض الخلاق والزخم الحي نجد بعضه في هذا الكتاب. وهو الجزء الثاني عشر والأخير في سلسلة «الأعمال غير الكاملة». وبه أختتم جهداً كادحاً بدأته صيف ١٩٧٨ وانتهيت منه مع الأيام الأخيرة لعام ١٩٨٠.

٣ - يضم هذا الكتاب مختارات من الأحاديث الصحافية بين رفاق القلم وبيني. وقد صنفتها في خمسة أبواب وهي:

أ - أحاديث لم تحدث: الأحاديث الصحافية التي لم أدل بها ولم أكتبها ولم أكن على علم بمعظمها إلا مصادفة وبعد صدورها متحدثة باسمي! وهي ليست كما يتوقع الانسان رديئة. بعضها متقن التزوير ويحمل الطابع الخاص لأسلوبي وتوقيع بعض وكالات الأنباء.

وأنا لا أستطيع أن أنفي غضبي كلما فوجئت بها. ها أنا ما أزال حية، وها هم يقلدون صوتي ويخربون صدق الاستجواب. قد تكون الأجوبة التي يلصقونها على حنجرتي أفضل من أجوبتي، وقد تكون أسوأ، لكنها تخلو من الصدق الذي يمنح الفن مذاقه وقيمته. ومن هنا لا أحبذها بوجه عام.

ولعل أجمل نموذج للأحاديث التي لم أكتبها هو حواري مع الأديب الكبير غسان كنفاني، وله حكاية مختلفة.

فقد كان يومئذ يُراسل احدى المجلات المصرية. والذين عرفوا الشهيد

غسان كنفاني يذكرون موهبته الخارقة الممزوجة بروح النكتة العملية التي تروق لي. سألني حواراً صحافياً شفهياً فرفضت وأصريت على أن يكون الحوار مكتوباً، واستمهلته أسابيع لانشغالي يومئذ بروايتي «السقوط الى القمة» أشهر رواية عربية غير منشورة! فماذا فعل غسان؟ لقد ذهب وكتب الاسئلة، وكتب الأجوبة وجاءني بالحوار قائلاً: إني أعرف أفكارك، وأعرف أسلوبك، وها هو حوارنا!!.. وقرأت الحوار، وفوجئت بأنه كتب الأجوبة عني. ووافقت على نشره..

فقد كان منبثقاً من روح حواراتنا الشفهية، وكان أفضل ما كتبت وما لم أكتب من أحاديث في نظري.

ب - الفصل الثاني من الكتاب أسميته «**سيرة ذاتية**» وجمعت فيه الأحاديث التي تنصب مباشرة على حياتي الخاصة كإنسانة وعن علاقة ذلك بفني. هذا الفصل رتبته وفقاً للتسلسل الزمني ولكن بدءاً بالماضي وانتهاءً بالحاضر.. فقد أحسست وأنا أعيد قراءة أحاديثه انني أقرأ حياتي موجزة في سلسلة محاورات.. وان قراءتها بدءاً بالماضي وانتهاء بالحاضر له مذاق من يقرأ قصة مواطنة طموح، والناس تحب قراءة القصة، وأنا أحب خلق المذاق القصصي في كل ما أكتبه أو حتى أرتبه وأبوبه.

ج - هنالك صدفة بيولوجية - هي أنني ولدت أنثى - نجمت عنها اسئلة صحافية من نوع خاص تدور حول علاقة المرأة والرجل و «الثورة الجنسية» المعاصرة وتحرر المرأة.. لقد طرح عليَّ هذا النمط من الاسئلة أكثر مما طرح على أديب آخر ذكر. الفصل الثالث من الكتاب أسميته «**استجواب حول الجنس - المرأة - الرجل - التحرر**» وهو يضم مختارات من المحاورات التي تغطي رقعة من هذه الأفكار. وأنا أجد الحوار حول هذه الأمور مجدياً وراهناً وأتمنى على رفاق القلم طرح الاسئلة ذاتها على الأدباء (الذكور) أيضاً ليكون البحث شاملاً في مشاكل تخص مجتمعنا العربي ككل واحد. وقد رتبتها أيضاً بدءاً بالماضي وانتهاء بالحاضر لأن لها أيضاً مذاق القصة: قصة امرأة مع قمع معين.

د - الفصل الرابع من الكتاب اسميته «**استجواب حول قضايا أدبية**» وهو يضم مختارات من أحاديثي الصحافية التي تتعلق مباشرة بقضايا القصة

والرواية خاصة والأدب بوجه عام. وقد رتبتها كبعض فصول الكتاب وفقاً للتسلسل الزمني بدءاً بالحاضر وانتهاء بالماضي. والقارىء الذي يرغب في إلقاء نظرة سريعة على موقفي الراهن من قضايا فكرية تشغله، يستطيع أن يكتفي بمطالعة الصفحات الأولى من كل فصل. أما القارىء الأكثر فضولاً فيستطيع أن يقلب الصفحات، ومع كل صفحة يخطو الى ماضيّ الفكري ليرى تطور نمو الاشياء في وجداني، وبأي اتجاه كان ذلك يتم.

هـ - الفصل الخامس من الكتاب أسميته «**من كل بحر موجة**» وهو يضم محاورات حول قضايا متفرقة تأخذ من كل فن وعلم بطرف، أو كما يقول إخوان الصفا عن رسائلهم: فيها من كل فن بلا إشباع ولا كفاية. في هذا الفصل من الكتاب يتم استجوابي حول أمور شتى: شيء من السيرة الذاتية، وشيء عن قضية المرأة، وشيء عن الأدب والنقد، وسواها من القضايا. والطابع الغالب عليها هو الشمول، وهكذا لم يكن من الممكن إدراجها تحت باب دون الآخر من الأبواب السابقة.

٤ - هذه الأبواب في تقسيم الكتاب ليست قوالب جامدة. بمعنى أن القارىء قد يجد في حوار بالفصل الثالث (الخاص بقضايا المرأة بوجه عام) سؤالاً يتعلق بأمر آخر، وهذا طبيعي وبدهي. لقد تم تقسيم أبواب الكتاب وفقاً للطابع الغالب على الاسئلة بوجه عام.

٥ -، قد يجد القارىء اكثر من حوار صحافي مع (مُستجوب) واحد. وهذا يحدث مع أصدقاء واكبوا بداياتي ولديهم الاطلاع الوافي على مسيرتي، وبالتالي فان استجوابهم لي ينطلق من أرضية المعرفة الشاملة بإنتاجي، ولذا وجدته خطأ شكلياً اعتباطياً أن أقوم باختيار حوار واحد لكل محاور. فالمهم في النهاية هو المضمون. نجد أمثلة على ذلك في الأحاديث المنشورة في الصفحات ٥٦, ١٠٨, ١٢٨, ١٣١ وغيرها.

٦ - هنالك اسئلة تنبشنا من الداخل لأنها طرحت في اللحظة المناسبة، فنتفجر كتابة. وهنالك أسئلة قد تكون أقدر منها على تفجيرنا، لكنها قد تطرح علينا في لحظة نكون فيها مستغرقين بشيء آخر يشغلنا عن كل ما عداه. وهكذا فإن أفضل الأجوبة في هذا الكتاب ليست بالضرورة ملازمة لأفضل الاسئلة، والأنغام التي تصدرها أعماقي إثر ضربة السؤال لا ترتبط بمهارة العازف فحسب، بل بحالة آلة العزف، وأوتارها المشدودة أو المسترخية في لحظة معينة.

للسبب ذاته قد نجد اسئلة متشابهة لكنني لم أجب عليها بدرجة واحدة من العمق.

فالكومبيوتر هو الوحيد الذي يقدم لك الاجابة نفسها على السؤال نفسه في كل لحظة..
أما النفس البشرية، فلا.

٧ - هنالك أحاديث تبقى كوثيقة ثقافية وكشاهد على الكاتب وعصره. (كحواري المنشور في صفحة ١١٤ الذي ترجم إلى الانكليزية ونشر في كتاب صادر عن جامعة تكساس بالولايات المتحدة حول المرأة المسلمة في الشرق الأوسط، وختموا به الكتاب كأحد الشواهد المعاصرة على نظرة المرأة الكاتبة المسلمة لـ «الثورة الجنسية». وقد شهدنا مؤخراً وعي العرب بأهمية الحوار الصحافي كوثيقة: جبران. الريحاني.. الخ.

٨ - لقد التزمت الدقة العلمية وضرورات البحث الأكاديمي ما وسعني إلى ذلك سبيل. وهكذا عدت الى النسخة المصورة الـ (فوتوكوبي) الأصلية للحوار، وهو أمر يلجأ إليه الباحث عادة حينما يستخرج أعمال مؤلف ما - بعد موته - اذ يفتش عن النص الأصلي لدى أسرته بدلاً من النص كما نشر. فكل ما يدخل إلى (مطبخ الصحافة) يتعرض إلى حذف أو تعديل تتطلبه الضرورات الصحافية الآنية.

وقد اكتشفت ان معظم محاوراتي الصحافية تعرضت لذلك نظراً لضرورات الإخراج الفني (الميزامباج) أو لوجهة نظر المشرف على الصفحات الثقافية. واكتشفت أن يد التعديل طالما امتدت إلى الاسئلة ايضاً في عملية تشذيب هي في جوهرها تقتل لحقيقة الحوار. فالاسئلة ثم الأجوبة تشكل في نظري وحدة عضوية لا تتجزأ، وأي تبديل في صيغة السؤال وتفريغ له من نبرته الأصلية ونكهته - بعد أن اكون قد أجبت عليه - أو الجواب يشوه روح النص، وهذا ينسحب على تبديل التتابع الأصلي للأسئلة. ولكنني للأسف لا أحتفظ بنسخ مصورة (فوتوكوبيز) عن أحاديثي كلها، كما أن الذاكرة لم تسعفني إلا في مرات محدودة تذكرت فيها وجود تعديل رئيسي في الاسئلة ومناخها. وفي حال كهذه، لجأت إلى استبعاد الحوار بأكمله (لأنني ببساطة كنت قد أجبت عن أسئلة أخرى!).

٩ - هذا العمل الأكاديمي كان محدود الأثر جداً لافتقاري الى نسخ مصورة (فوتوكوبيز) ما قبل عام ١٩٧٦ التي احترق معظمها في الحرب اللبنانية من جهة، وسهوي عن استخراج صور (فوتوكوبيز) لبعض أحاديثي لضيق الوقت حينما يمر عملي بمراحل محمومة ومكثفة.

١٠ - الحوار الذي فاتتني فرصة الحصول عليه منشوراً ولم يزودني صاحبه به، نشرته عن النسخة المصورة الأصلية (الفوتوكوبي) بدون مقدمة - ما دمت لم أحصل عليها -

مع التاريخ التقريبي لكتابته بقدر ما أسعفتني الذاكرة.

١١ - كما أفردت فصلاً موجزاً لأحاديث لم تحدث، كذلك كنت أطمح إلى أن أفرد فصلاً للاسئلة التي لم أجب عليها، مع تحليل لجوهرها ومدلولها وبالتالي أسباب رفضي الإجابة عليها. لكن المجال لم يتسع لذلك في هذا الجزء الأول من الكتاب، وأطمح إلى تنفيذ ذلك في جزئه الثاني.

١٢ - لم أتمكن من استعادة أحاديثي في مرحلة الستينات إلا فيما ندر. وهكذا فالكتاب بمعظمه يغطي رقعة السبعينات. وانتهز هذه الفرصة لأوجه نداء إلى رفاق القلم لتزويدي بما قد يكون لديهم من محاورات في مرحلة الستينات التي بدأت الكتابة في أوائلها أو بنسخ مصورة عنها إلى صندوق بريد ١١١٨١٣ بيروت. وبالرغم من افتقار الكتاب إلى نماذج وافية من محاورات الستينات فانه قديساهم في التأريخ لأسلوب الصحافة في طرح الاسئلة وتطوره خلال عقدين من الزمن. إنه تأريخ لتطور الصحافة يعكس صورة لهذا التطور اكثر مما يعكس صورة لاختلاف النظرة اليَّ وتطورها.

١٣ - أحب أن أنوه بالمحاورات مع رفاق القلم باللغة الفرنسية، مع كتاب وكاتبات مبدعين اذكر بعضهم (بالتسلسل الأبجدي): ايرين موصللي - ايفلين مسعود - جميل جبر - كلير جبيلي - نهاد سلامة - كما أنوه بجواري مع المشرفة على الصفحات الثقافية في جريدة أيك والصادرة باللغة الأرمنية.

وقد تعذر نشر نماذج من محاوراتنا في هذا الجزء.

١٤ - لقد طرح عليَّ كل ما يمكن أن يخطر ببال الأطفال والفلاسفة من اسئلة..

أحدهم سألني «الى أين تذهب روحي بعد موتي؟» وهو السؤال نفسه الذي طرحه الصحافي جراهام فيشر على الأديب البريطاني الكبير جويس كاري.. مع فارق بسيط، وهو أن جويس كاري كان لحظتها يحتضر على فراش الموت وهو في سن الثامنة والستين وكانت مناسبة الحوار... موته!

وقلة نادرة من الصحافيين، كتبت حوارات موهومة معي، مخصصة للسخرية من شخصي والأذى والايلام، ولكن هذه القلة هي الشواذ الذي يؤكد القاعدة: الاهتمام المتدفق على عملي ككاتبة. والحنان المتدفق عليَّ بصورة اسئلة.

١٥ - هذا الكتاب الأخير من الأعمال غير الكاملة (الذي يقع في جزأين، وهذا جزأه

الأول) هو أقربها إلى قلبي. فهو أيضاً سجل انساني للحظات من الصدق المتبادل المكثف، المحرض والخلاق: لحظات الحوار.

كأن كل حوار صحافي ناجح حكاية حب بالمعنى الجوهري للكلمة: لغة مشتركة. لحظة تفرغ مطلق متبادلة. محاولة التقاء. محاولة معرفة.

وكل حوار صحافي ناجح هو كالحب: كسر للوحشة وتدمير للغربة وعلى الأقل خلال الفترة التي يستغرقها الحوار.

وبعد...

فالحوار الصحافي الحقيقي حكاية حب لا تعقبها المرارة وإنما ترفد الفن وتساهم في بلورة الإبداع.

غادة السمان

١٠/١٢/٨٠ الساعة ٥,٣٢ فجراً.

لحظة شك: الآن وقد أنجزت «الأعمال غير الكاملة» بأكملها أقول: لست واثقة من أنني اخترت الافضل من أعمالي... ولعل التي استبعدتها من دائرة النشر كانت أكثر دلالة وخصباً... ولكن....

إهـداء مـا

- أهـدي هـذا الكتـاب إلى المحـاور الأول: الصمت.

غادة

- ١ -

أحاديث لم تحدث

● الاوراق قد تحترق . لكن الكلمات
المسطرة عليها . . تطير !
– بن جوزف أكيبا (١٣٢ ميلادية)

شتاء ١٩٦٧

غسان كنفاني يستجوب

● إنني لا أكتب « المثالي » ولكن « الحقيقي »

تعتبر غادة السمان من أبرز الوجوه الأدبية في سوريا ولبنان اليوم، وقد أحدثت مجموعتها القصصية الأخيرة « ليل الغرباء » ضجة في الأوساط الأدبية ليس فقط لأنها استطاعت فيها أن تكون « أصابعها » الخاصة ولكن أيضاً، لأنها حققت فيها قفزة إلى الأمام تجاوزت فيها مجموعتيها السابقتين « عيناك قدري » و « لا بحر في بيروت »..

في هذا اللقاء مع غادة محاولة لاكتشافها، وسبر غور العقلية التي تحرك احداثها وأبطالها..

تعيش غادة السمان في شقة صغيرة تطل على البحر في « روشة » بيروت الشهيرة، وانت اذا زرتهافستعبر أولا في مدخل شرقي: صندوق من الخشب العتيق المصدف إلى اليمين، ثم قنديل نحاس مطروق ومفرغ معلق في الوسط، وابريق نحاسي شرقي في الزاوية وتحت ذلك كله، من جدار البيت الى الجدار سجادة واحدة في لون التراب المسقى حتى اذا ما اجتزت المدخل فاجأك شيء غير عادي اذ تحس بأنك عبرت من الجو الشرقي في المدخل الى صالون على الطراز الانجليزي الصارم.

ذلك يذكرك بشيء، بلا شك، قرأته في « ليل الغرباء » آخر انتاج غادة السمان حين ينتقل الابطال فجأة من جو دمشق الشرقي المحكوم بالتقاليد الى جو لندن، وأسأل:

● ان شيئاً أكبر وأعمق من المصادفة هذا الذي يحدث معك: ليس فقط معظم ابطالك يعبرون هذا « الباب » الشديد الوطأة بين « المدخل » الشرقي و « الصالون » الغربي ولكن أنت أيضاً تعيشين عملياً هذا الانتقال اليومي المرهق.. ما الذي يحدث؟

□ ما الذي يحدث؟ أنت تسأل وكأنك لا تعرف ان لا جواب. لو كان هناك أي جواب، أصغر جواب لما كان لـ « ليل الغرباء » أي مبرر، وهأنتذا تكتشف فجأة أن بيتي أيضاً

واحد من قصصي القصيرة. صدقني أنني لم الاحظ ذلك الا الآن وهذا يسعدني، فأنا لست مزيفة، لست مزيفة الى الحد الذي يتهمونني فيه على الأقل، ويبدو ان الموضوع كما قلت، أعمق من مجرد المصادفة..

• أي موضوع؟

▫ الموضوع الذي تسأل عنه! هأنتذا تحاول استدراجي مثلما يفعل أي صحافي مبتدىء مع أية أديبة ناشئة.. ولكن دعني أجبك على مهل مستغلة دقة ملاحظتك إلى أقصى حد. ما الذي قلته في قصصي من الناحية التي أثرتها الآن؟ انظر الى جيلنا الشاب: لقد نشأنا في بيوت تحكمها (وتربطها ايضاً) التقاليد الشرقية، هذه التقاليد التي انحدرت في عظامنا وعروقنا وباختيارنا ورغماً عنا قرناً وراء قرن. بإيجاز كانت كل شيء في ميولنا وفجأة ترانا نمر عبر هذا الباب فنقرأ كيتس ونتعرف على الغرباء وتدوخنا الصحف وتقهرنا بلا هوادة الرياح القادمة من كل الاتجاهات ونذهب الى أوروبا وتأتي اوروبا الينا ونتفرج على السينما ثم فجأة، وأنت كمن يحلم، تشاهد الميني جوب على الروشة.. اننا مخلوقات تستعصي على الاقتلاع ولذلك نظل نحترم أنفسنا ليس اكثر من اللازم ولكن في حدود الضرورة وهكذا نجد أنفسنا في دوامة: نفكر كما يريد سارتر ونتصرف كما أراد لنا آباؤنا وحين نكتشف نظامه المتناقض نتمرد، وبعد قليل من الوقت نعود فنعيد النظر من جديد.. اننا جيل تتنازعه الاتجاهات بعنف.. مثل الذي يصعد الى القطار ثم ينزل منه واحياناً يمشي في ممراته مع اتجاهه واحياناً عكس اتجاهه.

• ولكن أبطالك، ان كنت على صواب، يزدادون ارتباطاً بالشرق دون أن يتخلوا عن الذي اكتسبوه من الغرب، وبكلمة اخرى: انهم يستعملون أدوات العقل الغربي في اكتشاف فضائلهم الشرقية.

▫ تريد أن تقول ان الشرق ينتصر في النهاية؟ ببساطة، ربما لأنني أنا نفسي شرقية، وعلى قدر ما أعلم لست أشكو في هذه الناحية من عقدة نقص لأفضل الغرب بالاطلاق. ان اسخف ما سمعت من الأقوال ذلك الذي يتبجح: الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا. ان هذا المنطق صحيح بالنسبة لكيس بصل مقابل كيس بطاطا ولكن ليس صحيحاً بالنسبة للبشر، للناس، للتراث الانساني الحضاري والفكري، وأخشى أن تكون قصصي قد أوحت لك أن أبطالها يقفون في ساحة من ساحات لندن ويصرخون: نحن نرفض الغرب ونريد الشرق.

• ليس تماماً، ولكنهم يكتشفون فجأة شيئاً طيباً في حياة آبائهم له قيمته ويستحق

الانتساب في تقاليدهم واجوائهم الفقيرة المحافظة وفي اجوائهم المناضلة. لنقل انهم ميالون اكثر الى « العودة ». ألم تلاحظي - عفواً - أن أبطال قصصك جميعاً يحبون آباءهم بصورة هائلة؟

□ دعنا ندخل في التحديد، فحسب ما أذكر أن أبطال تلك القصص يرفضون ما هو غير انساني في حضارة الغرب. يرفضون تشيء الانسان وتحويله الى رقم او الى بلاطة صغيرة في جدران مطبخ حضارتهم البارد، وفي الوقت ذاته هم يرفضون - وربما بالمقدار نفسه - كل ما هو غير انساني في تقاليدنا. انهم ببساطة جيل يبحث عن موطىء قدمه في تيار التاريخ الذي لا يرحم، ومن هنا يأتي تمزقه وقلقه.

● .. وتأتي غربته؟

□ بالضبط انه مزدوج الانتساب وهذا يعادل تماماً عدم الانتساب.

ان الذي يوجد في مكانين في وقت واحد لا يوجد.

● ولكنك، حين يجد بطل من أبطال قصصك انتسابه، تسارعين الى تحطيمه كأنك تتعمدين « وصمه » بالاغتراب المطلق. خذي « حازم » مثلاً: انه شاب مناضل وله قضية يدفع في سبيلها عمره وتربطه الى أرضه وله فتاة يحبها وتحبه وفجأة تطوحين به الى لندن يعاقر الخمر ويسخر من كل شيء. لماذا؟ لأنه، في متاعبه النضالية، دهمه الشلل تحت وطأة التعذيب وحال ان تركوه، ترك الشرق برمته، وحبيبته، وجاء الى لندن لينسى كل شيء ويقطع خيوط انتساباته جميعاً.

□.. ثم تأتي أنت وتلومني أنا؟ كأنني أنا التي عذبت « حازم » واجبرته على فعل ما فعله؟ الا يحدث هذا كل يوم؟ اليس هذا واقعاً؟ اليس هو جزءاً من « قدر المرحلة » إن شئت - التي نمر فيها؟ انني افضل لو انك تناولت قصة حازم بالصورة الطبيعية. أنا لم اخترع مصيره، وهو لم يكن مخطئاً.. وعند ذلك يبقى أمامنا ان نستنتج ان الذين يلامون ويدانون هم الذين حطموا انتسابه في سجون التعذيب..

أترى؟ كلمة أخرى وسيقال إنني أكتب أدباً توجيهياً!

● ما أريد أن الاحظه ان الانتساب لا يحطم، حتى بهذه الصورة الشرسة، ليعزز النتيجة التي اخترتها لحازم. وحتى لو افترضنا صواب ذلك وجوازه، فانك اطلاقاً لم تختاري واحداً من اولئك الذين انتسبوا وظلوا أوفياء لالتزامهم ليكون بطلاً لقصة واحدة في مجموعاتك الثلاث.. لماذا؟

□ ليس، حتماً، لأنني محترفة « تغريب » الناس ان كان هذا ما قصدت اليه. ربما لأن هذا

هو بالذات ما يلفت نظري، كراصدة، اكثر من سواه. ربما لأنني أعيشه بصورة من الصور. لماذا لا تأخذ أبطالي على الصعيد الرمزي؟ كم كتاباً ينبغي أن أكتب قبل أن يصير من الطبيعي أن يقال إن « حازم » لا يمثل « شخصاً » ولكنه يمثل جيلاً؟ حسناً، لنقل إنه يمثل ظاهرة. يمثل تياراً، يمثل شريحة من الواقع..

انني - على أي حال - اكره ان اقف امام الناس كبائعة الالعاب يسألونني عما اذا كان لدي لعبة لدب أسمن قليلا او امرأة ذات شعر احمر. أنا لا أقدم دمى ولا ينبغي ان أحاسب على أساس « التشكيلة » التي حصلت عليها. انت مثلاً، سأسألك: لماذا تعتقد ان أبطال قصصي هم «كذلك» وليسوا « هكذا »؟

● لأنهم بورجوازيون.

□ ها نحن ندور دورة واسعة ثم نعود للنقطة المهمة: لماذا هم بورجوازيون؟ ألأن أحدهم يمتلك ثمن تذكرة سفر الى لندن؟

● ربما. وعلى أي حال فهذا ليس اتهاماً حين يكون الأمر متعلقاً بالعمل الفني وطالما ان البورجوازية متوفرة في مجتمعنا، واحياناً تحكمنا على جميع المستويات، فسيظل من الطبيعي والضروري والواجب ان نقرأ لها وعنها.. ولكنني حين قلت عن أبطالك انهم بورجوازيون كنت أقصد الحديث عن عقليتهم. ان مسألة الغربة، كما هي مطروحة في كتابك « ليل الغرباء » تبدو الى حد بعيد قضية أناس ليسوا تماماً من هنا. أعني لا يتعاملون مع المشاكل التي تشغل بال الناس..

□ لا. أنا لا أوافق على هذا المنطق الذي سيعود بنا الى الشعار المهترىء الذي يقول: هذه أفكار مستوردة! لقد احتجنا الى حوالى عشر سنوات لنصبح قادرين على السخرية من الساسة الذين كانوا يجمعون انفسهم عن طريق الصراخ بأن « تلك » المبادىء وهذه « الاتجاهات » أشياء مستوردة، فلماذا نكرر القصة على صعيد آخر؟ هل تريد ان تقول إننا كأبناء لا مشاكل لنا، ومشاكل عميقة، مع آبائنا؟ هل تريد أن تقول إن نساءنا لا لا يتمزقن في التناقض بين ما يردن، وما هن او ما يراد منهن؟ هل تريد أن تقول - ان شئت ان نتحدث بلغة الواقعية الاشتراكية - ان الفلاح الذي يجيء من الريف الى المدينة لا يحس بالاغتراب المادي والعقلي والعاطفي؟ لا. اننا جيل اكثر عمقاً مما يريدوننا ان نكون والغربة قدرنا مرحلياً. اننا نحاول سحقها وإلغاءها، وانت لاحظت أن أبطال قصصي يحاولون ذلك، ولكن هذا لا يعني اننا نستطيع التغلب على ذلك الواقع بتجاهله.

• نقلة صغيرة: لماذا تحرص بطلاتك جميعهن على طلب ما تسمينه « عاطفة بلا مقابل » انهن يكررن، في مجموعاتك الثلاث، البحث عن رجل يعطي ولا يأخذ.

□ ربما لأن المرأة الشرقية اعتادت منذ سنين لا يحصيها العد، ان تعطي فقط وتعطي دائماً. جارية. نوعاً من المتاع الذي يُطالَب بكل شيء ولا يطالِبُ بشيء. هذا جيل من النساء نعرفه وربما ما زلنا نراه يومياً ونتململ معه ويثير سخطنا. والرجل ذاته، في معظم الحالات، ما زال يرتاح لهذا الوضع ان الانسان ميال دائماً ليكون سيداً على حبيبته.

• صحيح ولكن هل تعنين ان ارتداد بطلاتك الى موقف: هات ولا تأخذ هو نوع من الانتقام؟ الا ترين انه خطأ من الجهة المقابلة؟ انت غيرت الأماكن فقط.

□ لماذا تصر على محاسبتي كمصلحة إجتماعية؟ لو كنت كذلك اذن لما أثرت كل هذه الاسئلة في رأسك. انني لا اكتب « المثالي » ولكن « الحقيقي »، وأنا ككاتبة لا استطيع ان أرى وجوب انطباق هاتين القيمتين على بعضهما.. هل ترى اذن ان بطلات قصصي ينتقمن حين يطالبن بعاطفة دون مقابل! ليكن. شيء سيء. شيء يدعو للأسف. شيء محزن. حقاً.. ولكن حتى يصبح غير حقيقي ماذا تستطيع أن تفعل؟

• وعنك أنت؟

□ أنا فخورة بحريتي تماماً بمقدار ثقتي بمقدرتي على تحمل مسؤولياتها. إنني لا اخاف من الرجل ولا أشعر أمامه بعقدة نقص ولذلك أعامله بطريقة اكتشف فيما بعد انها تثير غيظه. ليس غيظه فقط، بل ألسنة الناس ايضاً. كان ذلك يتعبني في البدء ولكن كان عليّ أن اختار بين ان احتفظ بنفسي او ان احتفظ بألسنة الناس. اعتقد ان المرء لا يتردد كثيراً بين هذين الاختيارين.

• وأيضاً؟

□ أنا ملول في العادة. لا اثبت على قرار. ولكنني حين انصرف الى العمل اكتشف انني جلود وجادة وحين اجلس الى الطاولة لأكتب تمر ساعات دون ان اتعب، انني اتفحص الناس اكثر بكثير مما اقرأ عنهم، ويذهلني دائماً الفرق بين ما يُكتب وما يجري. احياناً ألجأ الى ان اقرأ عنهم – عن كل الناس – لانه أوضح منهم.. وذلك اختراع بشري مرموق ورائع.. انني – أيضاً – فوضوية وهذا يتعبني كثيراً ولكنه يريحني اكثر. ويبدو انني ارتاح أحياناً لرفقة الناس، السوء من الناس، مسرفة، احب السفر، متسامحة ولكن شرسة حين أستغبى. احب الشمس اكثر من أي شيء آخر والسباحة

وأكره الشتاء.

● وماذا تفعلين الآن؟ يقال انك تكتبين روايتك الأولى؟

□ نعم، أضع الكلمات الأخيرة في رواية «السقوط الى القمة» انني اعمل فيها باستمرار. يبدو لي احياناً أن المرء لا يستطيع ان يعيش وان يكتب في وقت واحد الا على حساب قناعته بالعمل الادنى الذي يقوم به.

● أية فكرة تطرح روايتك؟

□ فكرة «السقوط الى القمة».. هل أحسست بشيء مثل هذا؟ بالطبع، جميعنا يحدث له ان يشعر بذلك النوع البراق من السقوط الفريد من نوعه، حسناً، أنا اكتب عنه.. ستحسب ان الفكرة معقدة، ربما ولكنها ليست غامضة وهذا هو في الواقع ما فكرت فيه اكثر من أي شيء آخر وأنا اكتبها: انني اريد ان اضعها في شكل فني بسيط. لقد مللت من التعقيد الذي اصبح يثير سخطي: فقد بات ستاراً يخفون تحته العجز والتشوش. ويبدو لي ان الاتجاه نحو الاحسن هو دائماً الاتجاه نحو مزج العمق بالبساطة. أنا لا أوافق على الفكرة الشائعة التي تقول ان العمق هو مرادف التعقيد. العكس هو الصحيح كما يبدو. يكتشف المرء فجأة انه يكتب للقارىء. مدهش! اذن لماذا لا يكتب له حقاً؟ وهكذا قررت ان اكتب ببساطة، ابتعد عن كل حذلقات الشكل وافتعالاته وأحاول ان اكتب مثلما يعيش الناس. أي بصورة مفهومة مهما بلغت تشوشات حياتهم وتعقيداتها.

● لماذا لم تجعلي صالونك على الطراز الشرقي والمدخل على الطراز الغربي؟

□ لأنه حدث ان دخلنا الى الغرب عن طريق الشرق. واذا قدر لنا ان نخرج فليس ثمة الا المخرج ذاته.

– ٢ –

استجواب حول سيرة ذاتية

● ليس أصعب على الفنان من كتابة سيرته الذاتية ، اذ ليس هنالك ما يجهله أكثر من جهله بنفسه .

– جون بيلينغز –

● الذين يكتبون سيرتهم الذاتية لا يكشفون عن شيء من مساوئهم ما عدا . . . سوء ذاكرتهم .

– فرانكلين جونز –

● حياة المبدع سلسلة مروعة من التعثر والضياع ، ريثما يجد الفنان نفسه منكباً على أداء ما كان يمليه عليه « لاوعيه » طوال الوقت .

– اندرو تورنبول –

صيف ١٩٦٩

عايدة باقي تستجوب

هل أنت سعيدة بضياعك؟

كل الناس يعرفون غادة السمان الأديبة، وكثير من النقاد كتبوا عن انتاجها الأدبي، وما زالت غادة حتى هذا اليوم تثير بنتاجها وحياتها وتصرفاتها الخاصة نقاشاً وحواراً في جميع الأوساط والمجتمعات العربية التي قرأت كتاباتها.

فقد كتب الدكتور محمود أمين العالم في «المصور» عنها قائلا: -« غادة السمان تكتب بانسانيتها لا بأنوثتها».

وفي «الاهرام» كتب عنها يوسف فرنسيس:

- «غادة السمان أديبة شقت طريقها ببطء وثقة وبلا فضائح، وأصبحت اليوم النجم اللامع في أدب بيروت وصحافتها العربية».

وفي جريدة «أخبار الكويت» كتب عنها الأديب صالح الخريبي:

- «حملة الدعاية التي تدعم غادة، مدعومة ايضاً بموهبة غادة الأصيلة، وعطائها الجيد، ومقدرتها الايحائية الفذة».

هذه الصورة لغادة الأديبة تعيش في ذهني واذهان الكثيرين ممن تتبعوا كتابتها، لكن قليلين من الناس يعرفون غادة الانسانة التي تدور حول حياتها الخاصة وتصرفاتها الشخصية مئة همسة وشائعة واتهام.

وهي في هذا الحديث تفتح قلبها، وتجيب بصراحة على عدد من الشائعات والاتهامات، وتضع الكثير من النقاط على الحروف.

قلت لغادة التي تربطني بها علاقة مودة قديمة، وأواصر قربى بعيدة انفصمت عراها بين دروب الحياة المتشعبة:

● اتمنى ان يكون الحديث بيننا حديث الصداقة قبل العمل، وأرجو ان تعطيني

صورة صادقة عن نفسك، فأنا كغيري من الناس الذي احبوك وتتبعوا انطلاقاتك بشوق الى سماع الكثير عن حقيقتك التي اضاعتها الشائعات، وأبعدتها المطارات، وجرفتها أمطار بيروت، وغيبتها سماء لندن الضبابية..

قالت وهي تتطلع الي بعينيها السوداوين: اكتبي وانت واثقة من صدق كلماتك.

● يقال انك امرأة غريبة الأطوار، غامضة، لا مبالية، ضائعة على شواطىء بيروت، مشردة بين مطارات العالم، لا يعرف اسرارك أحد، بل انت لا تعرفين حقيقة نفسك، فمن أنت بالضبط؟

قالت دون ان يتحرك لها جفن: تقال أشياء كثيرة، ليس مهماً أن أناقش مدى صحتها.. الأهم، هو أن نناقش من حيث المبدأ مدى صحة الاهتمام بها، وبالتالي الاعتماد عليها كمصدر لتقرير «حقيقة انسان ما»..

وهنا أحب ان الفت النظر الى ان ما يقال ليس بالضرورة عارياً من الصحة، وليس بالضرورة من نسج نفوس خبيثة او حاقدة..

لكنه حتى في اكثر حالاته صدقاً ونقاء وحسن نية لا يصح كمرآة تقرر على ضوء ما نراه فيها «حقيقة انسان ما».

هنالك طبيب حنجرة مشهور قال حينما وقف امام «الموناليزا» رائعة دافينتشي: «تعبير الوجه هو لامرأة تشكو من التهاب الحلق والحنجرة»! هذا كل ما رآه فيها..

أما فرويد، فقد قال في الموناليزا: «ليس فيها انوثة.. انها شاب متنكر في ثياب امرأة.. فيها دليل على ان راسمها كان منحرفاً جنسياً»!

ولكن الموناليزا تظل هي الموناليزا.. تظل شيئاً آخر..

الأقاويل؟ حسناً.

ربما ليس بينهم من هو كاذب عن سابق تصور وتصميم. ليس بينهم بالضرورة من يتعمد الاساءة.. كلهم يقول «الحقيقة» التي يعرفها وكما يفهمها.. وليس بينهم مع ذلك من يقول حقيقة الشيء الذي يحاولون فهمه وتلخيصه..

أية مهزلة هي الأقاويل إذن، وأية مهزلة ان يعيش الانسان فيها ولها..

وتضيف غادة:

– يقولون اني غامضة؟ ربما.. لم يخطر لي قط ان من واجبي اصدار نشرة عن مذكراتي توزع «الى من يهمه الأمر» في صالونات الثرثرة..

أنا غامضة حين يكون الوضوح تملقاً واستجداء للتأييد الاجتماعي.. وأنا غامضة لأحفظ للحزن او الفرح كبرياءهما.. نعم. لا أحد يعرف اسراري، وإلا لكفت عن أن تكون اسراراً..

تقولين انني لا اعرف حقيقة نفسي، وتسألينني من أنا؟.. اعرف على الاقل انني لا اعرف.. فمعرفة الذات الكاملة لا تتوفر الا للأنبياء وأنا لا ادعي ذلك.. قديماً قال الاغريق: «اعرف نفسك» وجعل سقراط من هذه المعرفة غاية في الوجود لا يصل اليها الا العباقرة..

وربما كان بعض الانبياء والفلاسفة من البشر القلائل الذين توصلوا الى عقد صلح ذاتي، صلح بين حقيقتهم وبين متطلبات المجتمع منهم وبالتالي الى ما يدعونه بالتكيف.. وبعد..

هذي أنا.. احاول ان احقق هذا «التعايش السلمي» بين حقيقتي وواقعي..

• يبدو لي أنك تعيشين ضياعاً بين الحقيقة والواقع، فهل انت سعيدة بذلك؟

– أنا لست ضائعة عن عالمي بقدر ما ألاحق عالماً ضاع عن نفسه.. «لا استقراري» الذي يفسر على انه ضياع ما هو الا رفض للضياع في اشكال وصور كثيرة اراها في هذا العالم حولي..

الاستقرار الجبان مثلا هو في نظري ضياع انساني مروع.. والتشرد بين مطارات العالم ليس بالضرورة «شرود» عن الذات، بقدر ما هو من بعض رحلة البحث عنها.. ومن بعض رحلة اكتشاف العالم الخارجي.. وهما من واجبي ككاتبة.

• يقال انك امرأة تعشعش فيها عشرات العقد، فهل انت كذلك؟

– من كان منا بلا «عقدة» فليرجم سواه بحجر او بطبيب نفساني و «خبر صحفي»..

• ويقال انك امرأة انانية وصولية تحبين نفسك فقط!

– الاستمرار والكفاح بلا هوادة من اجل «الوصول» الى هدف ليس «وصولية».. بل ان الفنان لا يستطيع ان يكون انانياً حتى ولو اراد، اليس في «وصوله» عطاء انساني كبير للجميع؟.. انه في ذروة انانيته لا يملك من نفسه ولنفسه شيئاً.. ذروة نرجسيته هي ان يمنح الآخرين..

الفنان مثل الملك ميداس في الاساطير الاغريقية.. يده تحول كل شيء تمسه الى ذهب.. حتى طعامه يعجز عن أكله.. حتى حبيبته تستحيل تمثالا من ذهب.. كلهم يستمتعون بعطائه إلا هو..

● ويقال انك بنيت شهرتك الأدبية على أكتاف عدد من الصحفيين، لم تلبثي ان هجرتهم بعدما استوفيت غرضك.. فما رأيك؟..

- احيلك عليهم ليقرروا فيما اذا كانوا قد وقفوا الى جانب «ادبي» ام الى جانب «أنوثتي»..

● ويقال ايضاً انك امرأة خطرة تهوي تعذيب الرجال، فهل هذا صحيح؟

وأجابت بانفعال:

- يقال.. ويقال.. اذا انا ابتعدت عنهم قيل: سادية.. واذا وقعت في حبهم وتعذبت قالوا: ماسوكية.. واذا تجنبتهم ووقفت في حذر قالوا: مترددة.. واذا لعبت كما يلعبون قالوا: «هيبية مودرن».

ولذا فان الانطلاق مما يقوله الناس لا يصح اساساً حتى لحوار صحافي. تلك حكاية كل انسان يسقط فريسة للاضواء مع الناس.

● اصدقاؤك المقربون يقولون.. ان غادة لن تتزوج ابداً فهل تكرهين الزواج؟

- ما يرعبني هو ان هذه الأقاويل تتحدث عن الرجال كما لو كانوا فئراناً في مختبري العاطفي.. والرجل في عالمي شيء آخر تماماً.. المرأة ليست «مضيفة زوجية» ولا آلة «تفقيس اطفال»، ولا «مؤسسة ضمان ضد الشيخوخة». الزواج بمعناه التقليدي هو الذي يرعبني..

ايجاد علاقة انسانية، هي المبرر الاساسي للزواج في نظري، واذا كان ذلك مستحيلاً بين رجل وامرأة في مجتمعنا الحالي الذي تسوده عقد «الرجل الحمش»، فان اصدقائي على حق..

أريد ان اتزوج من «رجلي» وليس من «فكرة الزواج»! أنا امرأة ككل النساء، لكنني - للاسف - اكثر جرأة على رفض انصاف الحلول.

● ألا تخشين الشيخوخة.. ألا تخافين مواجهة الحياة في المستقبل وحيدة وبيدين مرتجفتين؟

- اخشى الا اصل الى الشيخوخة..

وشعرت ان جواً من الكآبة سيطر علينا نحن الاثنتين، مما جعلني انتقل بسرعة الى جانب آخر من الحديث فقلت لها:

● أيهما يسعدك اكثر: رجل يطري جمالك أم رجل يطري أدبك؟

- يسعدني ان يطري «رجلي» جمالي.. وان يطري قارئي نتاجي.. فأنا لا أخلط بينهما.

• **ما هي حسناتك التي لا يعرفها الناس؟**

فأجابت بعصبية واصرار وتحد:

- حسناتي يعرفها الناس ويسميها «بعضهم» عيوبي.. هل عرفتها؟

• **هل عانيت الماً كبيراً في حياتك؟**

- وهل أملك الا أن أتألم، أنا التي أكتب؟..

• **هل شعرت مرة بأنك ترغبين الموت؟**

- اجل.. في لحظات سعيدة نادرة اتمنى ميتة كميتة اهل بومبي حيثما ثار بركان فيزوف وحجر المدينة كما هي، الى الابد.. اتمنى «فيزوفاً» يحجر تلك اللحظات لتجمد، لتدوم ابداً..

• **هل فكرت بالانتحار؟**

- يبدو انني لم افكر بالانتحار لأنني ما زلت أحيا.. وأنا عادة انفذ ما أؤمن بضرورته.

• **اذا أحسست بأن الحب يستعبدك، فهل تقتلين مثل هذا الحب؟**

- العلاقات الانسانية لا يمكن ابداً أن تكون عبودية إلا اذا اسأنا فهمها، واتهمنا الحب ظلماً وعدواناً بأنه سبب العبودية فيها.

الحب الحقيقي يحرر الانسان من الخوف، والظلمة، والحس بالذنب، والتواطؤ الضمني مع القيم الاجتماعية السائدة.. الحب كطوفان نوح، يغسل الانسان، ويعيده نقياً، حقيقياً، دامعاً، متعباً، نظيفاً كما لم يكن قط..

• **انت امرأة قوية الشخصية، فهل تشعرين انك امرأة ضعيفة امام الرجل الذي تحبين؟**

- لا يقع الزلزال الا في الأرض الصخرية الصلبة، الأرض الهشة لا تعرفه، الضعفاء لا يقاسون من ذلك لأنه لا يتهددهم.

• **اذا هجرك حبيبك.. فهل تحاولين استعادته اليك؟**

- أياً كانت مشاعري نحو الرجل الذي أحب، لا استطيع ابداً أن ابتذل عواطفي وانثرها تحت نافذته، او أرقّصها له على الرصيف كما يفعل مرقص القرود بقروده.

• **من هو الرجل الذي سبب لك الماً لا ينسى؟**

- انه طبيب اسناني!!

● انت ضد الموجة الحديثة التي تجتاح الشباب والفتيات في العالم.. انك تنتقدين في كتاباتك « الهيبز » و« البيتلز »، في الوقت الذي تعيشين حياة عصرية تكاد تكون متحررة من كل شيء، فما سر هذا التناقض بين حياتك وأدبك؟.

- ليس هنالك تناقض، بل على العكس من ذلك، أنا ضد أسلوب « الهيبيز » في التعبير عن ثورتهم، لكنني معهم في أكثر أسباب هذه الثورة!

ربيع ١٩٧٣

حنان الشيخ تستجوب

• الحياة مسيرة ارغامية في حقل ألغام، والزواج حدث بائس آخر من أحداثها!

بمزيد من الجرأة، بمزيد من اللوعة، بمزيد من الصدق، بمزيد من الغوص على الذات، تعود غادة السمان، كاتبة «لا بحر في بيروت»، الى قراء قصصها القصيرة بمجموعة جديدة عنوانها «رحيل المرافىء القديمة». وبضع من قصص هذه المجموعة يستوحي هزيمة حزيران ١٩٦٧. وكلها، دون ريب، تضع القارىء في مناخ شديد الحرارة ومرات ملتهب الحمى.

بعد زواجها قيل: سوف تهجر التأليف. وكالعنقاء قامت من رمادها. واذا بالزواج تجربة جديدة حولتها الكاتبة، بموهبتها الأكيدة، الى مركز إلهام اضافي. وها هي هنا، في حديثها الى «الملحق»، وبلغتها الجاذبة، تقول رأيها الصريح في مسائل عديدة وتخبرنا بين ما تخبر، انها ايضاً تكتب الشعر، وانها تخفي قصائدها. لكن ذلك لن يكون مفاجأة لقرائها. فهم عرفوا من زمان، عبر كل ما تكتبه، انها شاعرة. فهي حقاً شاعرة.

«الشاعر انسي الحاج المشرف على الملحق الثقافي لجريدة «النهار» يومئذ والذي قدم للحوار»

• كانت تركض خلفنا وفي يدها فرخ ثعبان اختطفته من صبيان الحارة. ولما رأت ذعرنا ركضت. شعرت بالخوف الحقيقي الذي علا وجوهنا فركضت اكثر. سمعت دقات قلوبنا واسعدها ذلك.

الثعبان في يدها، وضحكها متواصل لأنها استطاعت تخويفنا، والثعبان في يدها.. وها هي غادة السمان جالسة أمامي بلا ثعبان، على عينيها نظارتان سوداوان، وعلى شفتيها ابتسامة تنتظر حوارنا.

ذكرتها بالثعبان وقلت لها: «**كيف تجرأت وامسكت به؟ الا تخافين؟**»

- أنا لا اخاف الحيوانات. اخاف الانسان. عندما امسكت بذلك (الفرخ) شعر باني امسك به على طيبة وحب، لذلك استرخى (وفرد) نفسه واستسلم وما مسني بسوء. ذلك (الفرخ) فهم بسرعة اني اعامله بمحبة وكأنه ليس بثعبان. وبأني لست خائفة منه ولا أضمر له الشر..

● هل حديثنا سيكون صادقاً؟

- سؤالك يذكرني بقول سارتر «الفنان انسان مشبوه. يستطيع اي كان ان يستجوبه، ان يوقفه، ان يجره امام القضاء. انه يتمتع بمزايا كبيرة، لكن كل مواطن يملك بالمقابل الحق في طلب حسابات منه» سيدتي، احاديثي الصحافية السابقة كانت كلها صادقة في اللحظة التي دارت فيها. بمعنى آخر، كنت خلال قولي لها صادقة مع نفسي ومع مزاجي وصادقة في ردود فعلي نحو الاسئلة التي لا يثير بعضها في كثير من الأحيان الشهية الى الاعتراف. فقلب الفنان سلحفاة صدفتها الصمت. وهو ينسحب الى اقصى ركن معتم في صدفته حين يصدمه صقيع سؤال ما.

ليست كل الاسئلة قادرة على استفزاز الفنان، وايقاظ غريزة التحدي والقتال في دمه او العطاء. بعضها يلقى منه رداً لئياً هو ببساطة ارتداء مزيد من الاقنعة اللفظية المختارة، وهو لذلك يعاقب - بكل صدق - سائله. بهذا المعنى كنت دائماً صادقة في احاديثي الصحافية، كنت صادقة في «كذبي» وفي صمتي وفي رفضي المبطن. كنت صادقة في معاقبتي للسؤال. فالفنان متهم وجلاد في آن واحد. وقلبه لا يخلع صدفته الا لمن يعرف كيف يمس بتفهم أو بحنان جرح القلب لديه.

● سؤالي الان هو استفهام. انت الفتاة المتمردة، الثائرة، تزوجت وانجبت. الزواج بمفهوم البشرية كلها هو الاستقرار، فما هو بمفهومك انت؟

- لا علاقة بين الزواج والاستقرار، الاستقرار الحقيقي في نظري - والوحيد - يقع لكل انسان مرة واحدة، وذلك حين يمدد جسده في تابوت يدلونه الى حفرة ويتمتمون: «من التراب والى التراب، ومن الغبار والى الغبار، ومن الرماد والى الرماد» وهكذا.. فالحياة ليست سوى مسيرة ارغامية في حقل من الالغام تنتهي باستقرار ارغامي. اما الزواج فهو حدث بائس آخر، من احداث هذه المسيرة - وقلما يكون حدثاً مضيئاً. الزواج لا يحل مشاكل الوجود، مشاكل الانسان، الزواج قد يسكن اوجاعنا الازلية لأسابيع كأي كسر للروتين، ان لم يضف اليها اوجاعاً جديدة. هو لا يملك لها دواء على

صعيد العلاج النهائي. ومن هنا كانت خيبة امل الكثيرين بالزواج. انهم ينتظرون من هذه المؤسسة المهترئة الشيء الكثير، ويدهشهم انها لا تملك لهم غير تحميلهم مسؤوليات اضافية. العالم مسكون بالحزن، والزواج - في اكثر حالاته نجاحاً - رفقة في درب الأحزان وليس حلاً لها أو لمشاكل الوطن والوجود.

في بلادنا يعتبر الأهل الزواج استقراراً. ربما كان استقراراً لهم، وليس للفتاة صاحبة العلاقة. انهم يشيِّئون المرأة، ويعتبرون تزويجها عملية بيع نهائية يستطيعون النوم بعدها بسلام لأن احداً لن يسرق الشرف او يلوث كنزهم، ولأن (مسؤوليتها) انتهت بالنسبة اليهم.

● **لكنك تزوجت؟**

- بالنسبة إليّ، صيغة زواجي (غير التقليدية) لا تتعارض وتمردي، ولم يحدث ان واجهت لحظة ازدواجية في هذا المجال ولم ابدل اسلوب حياتي او كتابتي.

● **اذن كيف تعيشين الآن؟**

- اعيش مع زوجي في بيت واحد. أعمل في الصحافة حين لا اكتب قصة. انتظر الرحيل باستمرار. طفلي صار في الثانية والنصف من عمره، وقريباً يهجرني الى مدرسته وعالمه. أفكر في العودة الى اطروحة الدكتوراه في الادب الانكليزي والعمل عليها بعدما كنت قد تخليت عنها اثر «إصابتي» بالحمل والولادة. أفكر في العودة الى روايتي «السقوط الى القمة» واعادة كتابتها. افكر في العودة الى مخطوطاتي المهجورة. افكر في نشر الشعر الحر الذي اكتبه سراً منذ اكثر من عشرة اعوام. أفكر في اشياء كثيرة ثم أسقط في حزن مشلول. التفكير في خطط الغد يحمل معه المرض، الموت، الضجر، مرض الصمت، فقدان الحماسة لتحقيق أي شيء. السقوط في بئر الوعي بتفاهة كل ما نفعله وكل ما لا نفعله، ولا جدوى كل شيء ولا شيء. وأنا معرضة لذلك كله ومهيأة للإصابة به لأنني مسكونة بالشك ومجردة من لقاح الإيمان. لذا فان تفكيري في خطط المستقبل هو عادة امر مأساوي بالنسبة الي. الغد يملكنا اكثر مما نملكه والمفاجآت تحكم كل توقعاتنا.

نسيت ان اقول لك: اهم ما في حياتي انني اطالع كثيراً وبالانكليزية بصورة خاصة. اقرأ اكثر مما يحق لامرأة تحرص على جمال عينيها. اعشق السباحة صيفاً، حتى لأكاد أؤمن بأن اصل الانسان سمكة. الاعب ابني حازم وأدخل معه مجاهل الاستفهامات وأجيبه عنها. أهوى قيادة السيارات بسرعة، بأسرع من أنفاسي. اعشق لبنان

الجغرافي، فطبيعته جميلة، وطقسه خرافي. واركض في جباله وشطآنه حتى صرت اعرف ما يؤهلني للعمل كدليل سياحي. في روايات شكسبير الطبيعية الجغرافية امتداد وانعكاس للطبيعة البشرية واتمنى ذلك للطبيعة البشرية في لبنان.

● انك تجرينني الى سؤالين. الأول هو: الا تجرفك التفاصيل اليومية الحياتية معها، وتتغلب عليك وعلى الكتابة؟ السؤال الثاني: هل اقامتك في بيروت بدلتك؟

- تثقل عليَّ أحياناً تفاصيل الحياة اليومية، واشعر باني اتفتت ببطء فوق مئات التفاصيل الصغيرة التافهة مثل حجر رملي. في هذه الحالة انفق ما اكسبه من عملي في الصحافة لشراء الوقت. المال في نظري طاقة مدهشة لشراء الوقت، أي لشراء بعض من الحرية، وهكذا اذهب فاستأجر شقة مفروشة اعيش فيها فترة. وأنا عادة انتج في هذه الفترات اكثر من أي وقت آخر، وأذهب الى بيتي وأزوره كأي ضيفة. من المرعب ان الضيوف هم اكثر من يستمتع ببيوتنا.

وعن سؤالك الثاني اجيب: لا ادري اذا بدلتني بيروت، انك لا تستطيعين ان تقفي بحياد امام مرآة الماضي لتقولي كم وكيف بدلتك الأيام من الداخل خلال ستة أو سبعة اعوام. (جئت الى بيروت، إلى الجامعة الامريكية، عام ١٩٦٤ ولم اعد بعدها الى دمشق، وقضيت ما بين عامين وثلاثة اعوام في اوروبا). لقد كبرت تسعة أعوام، ولكن ذلك امر كان سيحدث لو كنت في أي مدينة اخرى.

● لكنك تزوجت، من لبناني واصبحت لبنانية، فما هو شعورك نحو بيروت ولبنان حالياً؟

- احب بيروت، لم أحبها ذلك الحب الصاعق من النظرة الاولى، ولكن مع الزمن اكتشفت انني احب فيها قدرتها على الاحتضان. بيروت تحتضن الجميع، تحتضن الناس القادمين اليها على اختلافهم. واحتضان الجميع بكل خطاياهم وعيوبهم من صفات الغانية او القديسة، وبيروت هكذا. اقدر فيها وفي لبنان ذلك الحس الرائع بالديموقراطية والحرية، وبالمعنى النسبي على الأقل. ما نستطيع قوله في بيروت لا نستطيع قوله في اي عاصمة عربية ونستطيع ان نعيش في لبنان كما لا نستطيع ان نعيش في اي مكان(من المحيط الى الخليج). نستطيع هنا ان نعيش متحررين من كثير من الضغوط الاجتماعية وحتماً القانونية. الحرية في نظري هي رئة الفن، وبهذا المعنى انا سعيدة لأنني تزوجت من لبناني ولأنني أنجبت طفلاً لبنانياً. قد تكون لدينا مآخذ لا تحصى على هذا البلد، ولكن، بالمنظار النسبي، وضع الحرية في لبنان بالنسبة الى

الأديب والمفكر والصحافي أفضل من وضعها حولنا. لبنان جزيرة الحرية أو سرابها، لكنه تذكير للمنطقة بالبديهيات الانسانية المنسية.

ويتوقف حوارنا. الشمس الزاحفة من خلف زجاج النافذة الخفيفة تعود بالكاتبة الى جبيل ونحن في الزورق مع صديقات. الزورق في وسط بحر لا حدود لعمقه. الكاتبة تقرب رأسها ووجهها من المياه المالحة وتقول: «أود أن أغطس كلي». تبدأ خلع ملابسها، والصديقات يحاولن ثنيها. «هذه البقعة من البحر لا احد يعرفها. حتى البحر يجهلها». وما اقتنعت. تحت ملابسها مايوه. وتقفز من الزورق الى البحر، تبلعط كالسمك، تضحك، وتترك شعرها يغوص في الملح بينما تمد وجهها وتمنحه الى الشمس. دقائق. ربع ساعة. نصف ساعة ونحن في الزورق، نطلب منها ان تقفز الينا حتى نعود الى الشاطىء وهي لا تسمع، بل تبلعط اكثر. وعندما اختفت الشمس كانت بيننا ثانية وقالت: «البحر، بحر».

تتذكر، وتتعجب: «كيف تغيرنا، كيف تزوجنا». وتعود تنبش الماضي، وتسيطر على جلستنا ألفة، وأجد نفسي اسألها عن الحميميات وهي تسترسل في سردها:

- في الصين، يحسب الناس عمر الانسان اعتباراً من اول يوم في الحمل «لا على طريقتنا اعتباراً من يوم مولده». وربما كانوا بذلك يقصدون التأكيد على أهمية الأيام التي يقضيها الجنين قاطناً أمه وتأثيرها على سلوكه وجهازه العصبي وصحته. ويبدو اني عشت تجربة الحمل على الطريقة الصينية، لأني منذ الأيام الاولى شعرت انني مستعمرة وان هناك كائناً غامضاً في احشائي يعطل لدي كل طاقاتي الفكرية. ولاحظت انني اتآمر على الفنانة في اعماقي لصالح هذا الكائن الغريب. لم تكن علاقتنا ودية، فأنا دوماً أثور على كل ما يحول دوني ودون تحقيق ذاتي ككاتبة، وقد ثرت على ذلك الكائن الطفيلي الذي يحتلني وينصب راياته في حواسي كلها، ثورة من نوع غريب لم آلفه. ثورة سكونية مستسلمة شبه ذليلة. لم أصب «بالوحام» بمعنى حب بعض الاطعمة او النفور منها، إنما اصبت بوحام فكري، اذ صرت اتجنب كل ما يمكنه ان يهزني فكرياً وأمقته. وتحاشيت اي عزف على اوتاري الفكرية والعاطفية، فيما كان ذلك الكائن الطفيلي ينمو بوحشية ويملأ الحارة. حين بدأ الكائن الغامض قرعه على جدران بطني، شعرت بأنه مثل السجين الذي يحاول ان يقول شيئاً لجاره بالقرع على الجدران. وكنت انا سجينة مثله، سجينته، وكانت حركاته داخلي وقرعاته، تثير فضولي. كنت افسرها مستعينة بغريزتي فاعتبرها احياناً احتجاجاً على طريقتي في تغذيته. ربما كان يريد ان يبوح لي

باسرار الحياة والموت التي لا يزال يعرفها وهو الكائن الممدود كالجسر بين الحياة والموت، القابع في وسط عالم المجهول الذي نبحث عبثاً عن كنهه، ووجدتني في تلك الفترة أؤمن كلياً بنظرية الشاعر«ووردثورث»عن كنه الشعر ورؤياه القائلة بأن الطفل حين ولادته يكون لا يزال عارفاً ومتذكراً لأسرار الموت والحياة والوجود، وانه بينما ينمو عاماً بعد عام ينساها بالتدريج، ثم ينساها نهائياً حين يقوى على الكلام والكتابة! وان الشاعر هو الذي تأتيه لحظات طفولة بمعنى تذكر حقائق الوجود، وانه القادر على ان يمد جذور وعيه الى طفولته الانسانية وعالم الاسرار ليعود إلينا ببصيص عن دقائق الانسانية الغامضة. كانت افكاري هذه تعذبني لأنني كنت شبه مرصودة للتفرغ لانتاجي (العضوي) وكان ذلك يعني الحكم على دماغي بالاعدام لصالح رحمي. لا ادري لماذا كانت هذه الفترة من اكثر فترات حياتي اضطراباً وعذاباً وقلقاً وقحطاً. لم أكتب شيئاً سوى مذكراتي ولم اقرأ كتاباً واحداً جيداً. وطوال تلك الفترة كنت حريصة على (تتفيه) نفسي. ربما اعتقدت خطأ ان الرحم والدماغ عضوان متضادان لا يمكن ان يعملا معاً بتناغم، ولا بد لأحدهما من الغلبة على حساب الآخر. وان التفاهة ضرورة صحية للأنوثة في مرحلة الحمل.

ومرحلة الحمل ما كانت الفترة الوحيدة التي فجرت بيني وبين الكتابة هوة، بل هناك فترة اخرى اسميها أزمة صمت استمرت ست سنوات، كانت هذه الفترة اكثر ايام حياتي تأزماً. سافرت الى لندن واقمت هناك وتشردت بين مختلف العواصم الاوروبية، وكنت وحيدة كما لم اكن قط. فقد توفي والدي، وكان حماية مادية ومعنوية وركيزة نفسية كبرى بالنسبة الي. وفقدت عملي في تلك الفترة. ثم حكم علي بالسجن في سوريا لأني تركت عملي فيها كأستاذة محاضرة وموظفة في الجامعة، كما حكم على جميع حملة الشهادات العالية الذين غادروا البلاد بلا إذن. (وبقيت هذه القضية عالقة حتى اصدر رئيس البلاد مرسوماً بالعفو عن هذه الجرائم). ووجدت نفسي فجأة وحيدة وبلا ايراد مادي. ووجدتني لا املك الا ان اتحدى. كان من المستحيل ان اعود الى سوريا لالعب دور الوارثة واسقط تحت سطوة الاسرة والمجتمع. للمرة الاولى وعيت قسوة الحرية ومسؤولياتها، لكنني برغم الثمن الذي دفعته لم اتراجع.

وصرت وحيدة. صرت أخاف الليل وربما كنت اخاف النوم وحيدة في غرفة، ثم فقدت القدرة نهائياً على النوم في الظلام، وصرت انام نهاراً وابقى طوال الليل مستيقظة، وهو وضع ما كان ليضايقني لو كنت راقصة مثلاً. ولكن المشكلة ان كل

الأعمال التي احسن القيام بها دوامها نهاري. ووجدت نفسي في حلقة مفرغة من الارهاق والضياع وتعب الاعصاب والهرب. وانعكس ذلك على نتاجي، صعقتني حقائق الغربة حتى وجدتني عاجزة عن الكتابة عنها حين ادركت معناها الحقيقي. فقدت القدرة على الكتابة المنتظمة. فقدت الرغبة في كتابة اشياء محددة، من مقال، أو قصة، أو رواية، أو شعر. وكل كتابات هذه الفترة - وما زلت احتفظ بها-هي كتابات لا إطار لها. مخطوطات لا اسم لصيغتها. أحياناً احاول سكبها في رواية او تقطيعها قصائد، لكنني عبثاً ابدل فيها. لقد ولدت هكذا، واحياناً اقرر نشرها كما هي، ثم اتراجع في آخر لحظة. شيء آخر اجهل سببه لكني واجهته: لقد فقدت شهيتي للنشر. كانت لدي رواية جاهزة للطبع في اواخر ١٩٦٦ سميتها «السقوط الى القمة» واتفقت مع الشاعر نزار قباني على طبعها في داره «منشورات نزار قباني» واعلن هو عن ذلك في مجلة «الآداب» وصحف اخرى. ولا ادري لماذا فقدت فجأة شهيتي للنشر كأني حكمت على نفسي سراً بالصمت..

الكلمات لا تجدي ولكن بالمقابل الصمت أيضاً لا يجدي.. تدريجياً عدت الى الكتابة شبه مهزومة امام لا مبالاة الكون بصمتنا، أو بثرثرتنا. ومع ذلك كانت هنالك ايام كثيرة اعي فيها بكثافة تلك الهوة بين الفكر واللغة وأصمت. وقد سبب لي هذا الوضع عذاباً لا حد له، وكان يؤلمني انه حتى اقرب صديقاتي المطلعات على ازمتي الفكرية، كان يحلو لها كل صباح ان تعذبني بسؤالها المقنّع بالاهتمام بي: ماذا كتبت البارحة؟ وفي عينيها تنطلق تلك الشرارة من الفرحة الهائلة حين تفهم كم أتعذب لصمتي وعنتي الفكريين. وآليت على نفسي منذ ذلك اليوم ألا ارتكب تلك الجريمة: سؤال فنان سقط في الصمت، ماذا يكتب؟ ولماذا لا يكتب؟ وانا عادة اتستر على الجرح، مثل حيوانات الغابة كلها، حينما تصاب بجرح تنسحب الى اوكارها وتهرب من الجميع ريثما يلتئم الجرح.

● قرأت مجموعة قصصك الجديدة «رحيل المرافىء القديمة» ولاحظت ان معظمها ارتكز على قصة وطنية. هل شعرت ان من واجبك ان تكون هذه القضية محور كتاباتك في هذا الوقت بالذات، أم جاءت الكتابة عنها عفوية؟

- لا ادري لماذا نتحدث عن القضايا الوطنية في الأدب كما لو كانت تهمة يجب ان يدفعها الانسان عن نفسه. السياسة تتحكم بحياتنا، في أدق تفاصيلها. تتحكم بطعامنا وسفرنا وحريتنا ومصير اطفالنا، وهذا التأثير لا بد وان ينعكس في سطور الكاتب بطريقة أو

بأخرى. قضية فلسطين مثلا ليست في نظري من اختصاص اهل السياسة وحدهم. حين يكون بيتي مهدداً وحياتي في خطر ومصير اطفالي غامضاً، لا استطيع ان ارمي بذلك كله من النافذة واخرج الى الكتابة كأنني ذاهبة الى صيد الفراشات.

• على ذكر الصيد. قصصك في هذه المجموعة فيها الكثير من الرعب، من الدماء، من العيون المقززة، وانا اعرف انك احياناً تعيشين هذه الأجواء في حياتك اليومية، هل تبحثين عنها حتى تكتبي عنها؟

– لا احد في حاجة الى البحث عن هذه الأجواء، فهي تحيط بنا في كل لحظة، إذا وعيناها. الخناجر موجودة في العيون حولنا. الرعب يتفجر من العلاقات الانسانية في كل دقيقة، ينزف من رحيل الاشياء الجميلة وذبول الفرح المعافى. العيون المقززة تطالعك في المقهى والشارع وفي المرآة حين تتطلعين الى وجهك وتجدينه. وما اكثر ما اتطلع الى وجهي في المرآة ولا ارى احداً. الحياة اليومية مزروعة بالخناجر ورائحة النزف الدامي والرعب المقهور. انا لا اخترعها انما اصورها، هذا كل ما في الأمر.

• كيف تكتبين القصة؟

– القصة عندي تبدأ باحساس كوني قلق ومضطرب، كأن في جوفي كوكباً من الحمم المضغوطة ما انفجر وتبلور بعد. بهذا الاحساس الغامض ابدأ دونما تخطيط مسبق. اكتب القصة القصيرة دفعة واحدة واذا حدث ان اضطرني امر لتركها قبل ان تنتهي ضاع مناخي النفسي وعجزت عن اتمامها. اتركها لأيام ثم أعود اليها، وغالباً لا اعدل شيئاً فيها. تقولين لي ان قصصي متقنة الصياغة؟ ربما كان هذا الأمر يحدث بشكل لا واع وهو في الوقت ذاته اقصى درجات الوعي لدى الكاتب كما يقول (شيللي) في نظريته عن الخلق الفني.

• ما هو الدافع النفسي لممارستك الكتابة، والكتابة بحزن وبلوعة في مجموعتك الجديدة؟

– بدأت القصة، قصتي مع الكتابة، منذ دهور عتيقة حتى لم اعد اذكر بالضبط. اشعر الآن وكأنك تسألين عجوزاً محنكة في التسعين عن شعورها بأول قبلة وأول رجل. ربما كانت مجموعتي الأخيرة شحنة من الحزن واللوعة اكثر كثافة مما سبقها، لا ادري السبب. ما أدريه هو أن قلبي حزين حتى الموت.

• وهل قلبك يحب الآن؟

– أجل، أنا دائماً في حالة حب بطريقة ما. تسألينني كيف يخلق الحب؟ أقول لك ان

الحب لا يخلق ، انه يخلقنا ، وعبره نعي وجودنا . كيف يختفي الحب؟ لو كنت اعرف اين يذهب البرق بعد توهجه لقلت لك كيف يختفي الحب. كالزلزال يأتي ، كاللصوص يرحل. كالوجع يستولي عليك. وكالحلم يفارقك بكل ما فيه لحظة اليقظة. كم اكره جلسات التفاهم بعد ان ينتهي الحب ، كم اكره الذين يقومون بجردة حسابات لحبهم ويستخرجون فواتيرهم العاطفية ويقضون اسابيع احتضار محاولين عبثاً اطالة عمر الحب . الحب لا يحتضر ، انه يموت دائماً بالسكتة ، والحب حينما يذهب ، لا يطلب تأشيرة خروج. ومع ذلك تظل في القلوب النبيلة ذات الطبيعة الفروسية جمرة صغيرة مشتعلة من شمس الحب الراحلة.. عذبة هي جمرة الذكرى في ليالي رياح خماسين الغربة.

• ما هو طيرك، فصلك، مدينتك، برجك، وحجرك؟

- اليوم طيري المفضل ، البوم هو ضحية السمعة السيئة ، نظرة واحدة جديدة بعين حيادية نلقيها عليه تجعله يدهشنا . انه اكثر جلالاً من الطاووس ومن الببغاء وحزن عينيه انساني شرس.

الخريف فصلي المفضل حين اكون في صحة جيدة. الصيف حين اكون مسافرة. الشتاء حين اكون عاشقة. والربيع حين اكون حبلى.

مدينتي لندن أولاً ، وثانياً وعاشراً. وكل مدينة اخرى لم أزرها بعد.

برجي هو العقرب. لا أؤمن بالأبراج برغم انتشار موضتها ، وضعفي عادة أمام الموضة. لدي اصدقاء لا يثقون بي لمجرد ان برجي العقرب ، وقد يكونون على حق في عدم ثقتهم ، ولكن برجي غير مسؤول عن ذلك.

حجري الكريم هو الصوان ، كل ضربة تجعله يطلق الشرر مثل القلب الحي . يدهشني انه حينما يشتم الناس إنساناً يتهمونه بأن قلبه مثل الصوان . ليت قلوب الناس كالصوان تضيء كل ما يحتك بها .

الكاتبة، اتذكرها منذ سنوات، ضجرة، تتسلى بالضجر، والضجر يسليها ، من مقهى الى آخر الى آخر، ومن ضجر الى ضجر آخر.

• غادة السمان الا تضجرين من الكتابة؟

- أضجر ، طبعاً ، أحياناً . احس باللاجدوى ، أن اكتب او لا اكتب ما الفرق؟ ولكني أحس برعب من مواجهة الحياة دون ان اطلق ولو صرخة احتجاج واحدة. احار بين الرغبة الشرسة في الكتابة وفي الصمت . على كل حال ، ما الفرق بين ان نتمدد في صمت قبرنا ونترك شاهدته صامتة بلا اسماء او كلمات ، وبين ان نسطر عليها الاف الكلمات قبل أن نسقط؟

٢٤ / ١ / ١٩٧٤

مفيد فوزي يستجوب

الوفاء كالديناصور: كلاهما انقرض!

قلت لغادة.. وزخات المطر خلف نافذة المقهى الزجاجية لها ايقاع غريب. «متهمة بالاستقرار بعد التشرد»!

تضحك غادة، وتخلع نظارتها لتمسحها ثم تعقص شعرها للخلف وتقول: «يبدو اني لم أنس بعد نكهة الغربة اللاذعة وطعم الليل في مدن نائية وسنوات من التشرد بين قارات الصقيع. لم انس لسع حقيبتي على أصابعي المتجلدة في مطارات رمادية مجهولة، والوحشة في غرف الفنادق المغسولة بالمطر والدمع والسعال، وغصة الاشياء العابرة والوجوه العابرة والعمر العابر فوق عمرك واللقاءات السريعة مثل سقوط ظل عابر سبيل فوق ظل آخر، لبرهة لا يلتقيان بعدها قط، والفجر الحزين الذي يصرعك كل صباح ويسقط فوق عنقك كالفأس حينما تبحث عن رسائل الاحباء ولا تجدها ثم تتذكر ان احداً لا يعرف عنوانك كي يبعث اليك برسالة! لم انس بعد انني ركضت طويلاً في هذا العالم المترامي كمشرحة كبيرة، ركضت طويلاً!.

قاطعت غادة متسللا: بحثاً عن ماذا؟

قالت وعيناها تلمعان: بحثاً عن يقين وعن يد كبيرة ودافئة وثابتة كسقف. وكنت دوماً كالفرس البرية، اريد يداً تحنو علي دون أن يعقب ذلك.. وضع اللجام والسرج، وبقية القيود وربما ختم اسم صاحبها بالنار فوق جلدي كالمواشي.. اجل! اعترف لك بأنني كنت دوماً محاطة بالاصدقاء والرفاق والفنانين والشعراء وربما بالحب، ولكن درجات السلم الموسيقي لا تصلح للاقامة، والسكنى صعبة داخل رسائل المعجبين، والنوم على سطور القصائد كالنوم فوق رصيف الشارع، والعيش داخل بيت شِعر كالعيش في مأتم.

واستطردت غادة تقول: وحينما تم ما يدعى رسمياً بزواجي وجدت السقف ولم اجد الاستقرار. حقائبي الضالة وجدت مكاناً.. أوراقي صار لها منضدة. رأسي صارت له

وسادة. ولكنه ظل يطفو فوق بحر الليل وحيداً كرأس مقطوع. مسكوناً بالهلع القديم والمخاوف والاشواق والجنون القديم نفسه. ولم يصدمني ذلك او يفاجئني، فأنا منذ البداية لم اتوقع من الزواج ان يكون حلا سحرياً لكل عذاباتي!

خطفت خيط الحديث من غادة لأسئلها: كيف تتصورين الزواج؟

قالت: انه رفقة صديقين في عالم معذب. منذ البداية لم أتوهم أنني أنا «الحل» لكل ما يؤرق زوجي على الصعيد السياسي أو العملي أو الاجتماعي ومنذ البداية كنا نعرف ان ارتباطنا - نحن المحكومان بالموت والألم لأننا بشر - سيجعل منفانا أقل برداً وكآبة وانتظارنا أقل قسوة. ولم يطلب احدنا من الآخر اكثر من ذلك. وما أكثر ذلك!.

قلت لغادة: الزواج حين يكون «صداقة» يفقد تدريجياً قيوده، وينطلق، ويبدو العالم بهيجاً، والمنفى عشاً، والوحدة تأملاً، والرفقة عشقاً!

قالت غادة: الذين ينتظرون من «الزواج» ان يكون حلا لمشاكل الوجود يطلبون من هذه المؤسسة المهترئة فوق ما تحمل ويطالبون ذواتهم ما ليس بطاقاتهم. الزواج رفقة طريق بين مشردين اثنين! الاستقرار الوحيد الحقيقي اسمه الموت وعنوانه القبر!

بائع صحف لبناني يزعق بطريقته: كيسنجر في أسوان.

غادة تقول: استشهد كيسنجر بمثل قديم «اللي فات مات». أنا لا اعتقد ان «اللي فات مات». ان العقل العربي تغير، وليس صحيحاً ان «ما فات مات»، وهناك أمثال أصدق تعبيراً عن واقعنا اليوم، ومنها «ما ضاع حق وراءه مطالب».

لا اعتقد أنه قد «فات ومات» كل من استشهد في الدفاع عن الحق العربي منذ عام ٤٨! والقدس. وكل ذرة تراب في فلسطين.. والدمار في شوارع دمشق. وجثث المقاتلين المشتولة في سيناء. هل يمكن ان تموت دون ان تنبت في الموسم القادم غابات من المقاتلين.

قلت لغادة: تأخذك كتابة القصص من عالمك.

قالت بفرح طفولي: حين اكتب قصصي اشعر بشيء من نشوة الخالق وربما عظمته، وافقد جوعي المزمن الى الحوار ومرايا الآخرين. لان في كتابة القصة مداً لجسري الكبير والاساسي الى عالم الناس واشباعاً كاملاً لحواسي كلها.

وصمتت غادة واشعلت لنفسها سيجارة، واستطردت تقول، يسبق حديثها زفير حاد: ذنبي الاول هو اني «ارتكب» الحياة باستمرار، واتعاطى العيش والحركة، ولأنني اتحرك كثيراً فلا بد من أن اخطيء كثيراً!.. وهذا النوع من الخطايا غير مسموح

به للمرأة العربية!

لاحظت ان غادة السمان «تلاطف» الكرسي الذي تجلس عليه. انها تعامله برفق. انه كرسي خشبي وذات مرة دعوتها الى مطعم في القاهرة تصادف ان كراسيه خشبية، فهتفت قائلة: «المكان يفتح ذراعيه.. لي»!

سألت غادة، وكان المطر قد توقف، والشمس - في غزلها مع السحب قد صرعتها فولت هاربة.. «ما حكايتك مع الكراسي الخشبية»؟.

قالت: اشعر بغربة كثيفة في بعض المقاهي العصرية ذات الجدران الالمينيوم والنوافذ التي تشبه نوافذ الغواصات وجوها مثل جو كبسولات الفضاء.. اشعر وأنا داخلها بما يشبه الخوف. كأنني في طريقي الى كوكب لن أصل اليه ابداً!

أحب المقاهي ذات الجدران الخشبية الدافئة اللون. احس بها تحتضنني. تردني الى الشجرة لا الى الآلة. الى دفء التراب لا الى برودة الصقيع..!

فجأة التفت غادة الي.. وقالت: انت تستخدم الاقلام الجافة؟

قلت وأنا ارسم خطوطاً تجريدية على الورق اثناء الحوار مع غادة: افضل القلم الجاف ربما لأني لا أطيق «فقد» قلم حبر ثمين لا لأنه ثمين، ولكن لأنه يعانق أصابعي طويلاً، ويقتلني هذا الفراق!

صرخت غادة: تصور، حين يجف قلمي وهو من النوع الذي لا يمتلىء ثانية اشعر بالحزن كأن انساناً عزيزاً لفظ انفاسه للتو على يدي. اتردد طويلاً قبل ان ارميه. لقد عايشني والتصق بداخلي كما لا أحد. فكيف ببساطة اقتنع بأنه مجرد قلم فارغ. لدي درج مليء بالاقلام الفارغة أتأملها بوله مجنون يحنط جثث احبائه السابقين ويحتفظ بها، عادة غريبة اليس كذلك؟

قلت: التي لديها معرض للبوم في بيتها، من السهل جداً أن تقيم معرضاً أو متحفاً للأقلام.. الفارغة!

فجأة سألتني غادة السمان: كيفها حنان ابنتك؟

قلت لها: عيناها، وحتى ابتسامتها، خبزي.

سألتها: كيف حال «حازم»؟ قالت غادة: الطفولة رادار التقاط هائل نفقده كلما كبرنا. وانت وأنا نرى في اطفالنا الأمل الذي تعصف به آلام الحياة.. اقترحت على غادة لو كتبت لإبنها خطابا ماذا تقول؟

قالت وهي تدخن بشراهة، سأقول له: «اني ارقبك تكبر جميلاً ورشيقاً مثل شجرة

حور دمشقية، لا يخطر ببالي قط أن اخطط لمستقبلك او حتى ان اتمنى ان تكون على غير ما يحلو لك ان تكون عليه. لن اكون لك قط قالباً او وعاء أو مقصاً أو راسمة خرائط لعمرك.. لا أحلم أبداً أن تكون شاعراً أو عاملاً أو فلاحاً أو مناضلاً أو مطرباً أو سجيناً. لا أحلم بأي شيء.

أتركك تنمو دون أن يكون لشمسي أو ظلي أي أثر. انت كائن مستقل تصادف ان كان رحمي عتبته الى العالم وانتهى الأمر. ليست لي عليك حقوق. لي فقط حق واحد، هو انني اتمنى لك ان تكون ما تشاء: جلاداً أو ضحية.. أو (هل هناك حل ثالث)؟

وصمتت غادة برهة، وعادت تقول: «يا عزيزي حازم، اتمنى الا تتألم كثيراً لأني أحبك كثيراً. ولأني احبك، أعتقك من الرق الشرقي المسمى بأسرة حيث الأب ديكتاتور والأم متسولة أو مبتزة أطفالها. حين تكبر قل لهم: أمي كان اسمها الحرية!

قلت لغادة والشمس تصدح في الطرقات.. ونحن نغادر المقهى الى الجبل.. في سيارتها:

● **ما تعريفك للصداقة.**

– قشرة موزة!

● **للنفاق؟**

– الطاولة المستديرة لفرسان المجتمع!

● **للأنوثة؟**

– في الشرق تهمة يطلقها رجل، وفي الغرب أمنية يحلم بها رجل.

● **والوفاء؟**

– كالديناصور، كلاهما انقرض.

● **والذكاء؟**

– هو ان تعرف ما تريد دون أن يبدو عليك ذلك!

● **والرجولة؟**

– خطأ في تاريخ الرجل سببه خطأ في جغرافيته «الجسدية»!

● **والانتهازية؟**

– كالجنس يمارسها الجميع وينكرون!

● **والفرح**

– ذبابة على نافذة افق الحزن الشاسعة!

• والأطفال؟

- فخ الطبيعة لتكرار اللعبة ذاتها!

• والريح؟

- صوت حبيب ضائع.

• والموت؟

- حكم بالاعدام يصدر لحظة الولادة!

• والزواج والطلاق؟

- اشارة استفهام تنتهي الى اشارة تعجب ثم الى نقطة في آخر السطر.

قلت لغادة السمان، الأديبة الدمشقية التي تعيش تحت سماء بيروت: من أنت؟

- أنا منطاد.. اطلقته يد اليقين والحب في الفراغ الشاسع وعبثاً تستعيده!!

٢٣ / ١٢ / ١٩٧٦

مريم أبو جودة تستجوب

- وحملت رشاشاً وذهبت أتدرب!
- وقفت مع الفجر الرمادي الحزين أمـام الأفران، وتساقـط أمـامي عشرات القتلى!

الغوص في أعماق غادة السمان صعب عبر الحوار التقليدي. فالحوار عندها اكذوبة!. صديقتي منذ زمن بعيد ومع هذا فهي لا تحكي جدياً.. لانها تحس الحياة نكتة غير مملة.. تعشق الكلمة لدرجة عدم قدرتها على الحوار دون مزاح.. شغلتها فقط ان تكتب ولا يتحرك رأسها الا حين تمسك القلم بيدها.. لذلك كتبت اسئلتي ووضعتها بين يديها وجلست احدق في وجهها وهي تكتب الأجوبة بخطها ثم غاصت بعيداً في بحرها « الهائج ابداً »! تصفر حيناً بالرصاصة المعلقة على صدرها.. وتأخذ نفساً حين تتطلع في « البوم » المزركش المتدلي على صدرها.. والغريب فعلاً أن طير البوم المعروف بطير الشؤم، تتفاءل به غادة لدرجة ان بيتها احترق كله ما عدا غرفتها المليئة « بالبوم »..

خمس ساعات استغرق الحوار المكتوب في غرفتها بأوتيل « فينر هاوس » حيث كتبت معظم أجزاء روايتها الأخيرة « كوابيس بيروت » وحيث تعمل الان في كتابين آخرين « اعتقال لحظة هاربة » و « السباحة في بحيرة الشيطان ». غادة التي تنسى نظارات الشمس على عينيها وسط الظلمة الدامسة، تتذكر ان حديثها « للصياد » جدي جداً لذلك فهي تضبط مزاجها، وسخريتها، وهي تكتب ثم يعود صوتها « السكسي » ليؤكد لك بأن غادة تغتصب الكلمة قبل ان تقرأها انت، واليك الدليل.

- **انتقلنا من الحرب الى السلم. ماذا قالت لك الحرب وأين صرت؟**

– لم ننتقل من الحرب الى السلام. لقد انتقلنا من الحرب الى الحرب. ارفعي جلد الغابات والثلوج والشواطىء وانهار العسل والنبيذ عن جسد لبنان، وحدقي جيداً...

انه الجرح هناك ساكن وحي كاللغم، شاسع كالليل. اقول لك: لقد انتقلنا من الحرب الى الحرب.

واذا تراءى ان حرب المتقاتلين انتهت فان حرب الكلمة بدأت.. حرب اكتشاف الحقيقة، والاعلان عنها في مناخ من الحوار لا تفوح من سطوره رائحة البارود.. الان ابتدأت مثلا حربنا ضد التوهم بأن كل ما دار كان سببه مجرد خلاف بين (محمد) و (عيسى).. ارى الآن محمداً وعيسى يضحكان من محاولة ارضائهما الساذجة ببث البرامج الدينية الاذاعية بالتساوي.. اراهما يتأملان ثيابهما الممزقة بالبارود والمطر يتسرب من شقوقها ويحلمان برغيف لا بموعظة..

والآن أيضاً ابتدأت حربنا (المستمرة) ضد الوجوه السياسية التقليدية التي تحول زيتوننا واخشاب سرير عرسنا الى توابيت لنا..

والآن أيضاً ابتدأت حربنا ضد مسببات هذه الحرب، وما دامت الاسباب قائمة فالحرب مستمرة مع (وقف التنفيذ) بين آن وآخر..

كي لا يكون ما كان احتضاراً بل ولادة، علينا أن نواجهه ونفهمه..

وهنا تبدأ حرب الكلمة كي يبدأ السلام الحقيقي.. وهنا تبدأ حرب الكتّاب مع ذاتهم لاجل تجاوز هذه الذات والقدرة على التحديق في جسد الوطن الجريح لا من نافذة مقهى رصيف بل من نافذة الافق المطلة على غابات السيد التاريخ اللامتناهية..

ومن الأفضل ان لا ننام على وسائد السلم المزيف كي لا نستيقظ من جديد على أصوات القذائف!

● لبنان كان يغرق تحت اطنان القنابل والصواريخ.. اين كنت في هذه المأساة التي دامت ١٩ شهراً بين الظلمة والنور؟..

– لبنان كان يغرق منذ زمن بعيد تحت اطنان من العوامل الموجعة والمحرقة والخطرة والمؤذية لا القنابل والصواريخ وحدها في الـ ١٩ شهراً الأخيرة فقط..

رأيت ذلك باستمرار.. كنت اسمع ايقاع البركان قبل انفجاره.. وكنت ارى الناس يمشون في الشوارع حاملين معهم موتهم السري واحسهم كالجثث التي لما يعلن عامود الوفيات في الصحف عن مصرعها: على مذبح اللاعدالة الاجتماعية – عدم تكافؤ الفرص – القهر الطبقي – الجهل – التخلف – الطائفية.. الى آخره (اي الى آخر المجلة مع اصدار ملحق خاص عن البؤس اللبناني السري الذي كان يتم دهنه اعلامياً ببعض الاغنيات عن مرقد العنزة الذهبي وملعب النجوم الفضائي الارزي!)..

هل احترقت الجنة؟ لو كانت جنة حقاً لما احترقت. لقد احترقت الضمادات الملفوفة بالسوليفان وورق الهدايا وشرائط الحرير الملونة، وخرج الجرح عارياً وقد ازداد عمقاً ونزفاً.. تسألين اين كنت أنا؟..

كنت باستمرار اصرخ في الراقصين والثملين: ايها الحمقى، اوقفوا الموسيقى وانصتوا الى قرع طبول الحرب القادمة من العاصفة.. وانصتوا الى صوتكم الداخلي الحقيقي..

لكن صوت الغناء كان عالياً.. واحترق الكاباريه وشبت النار في الراقصين ومع ذلك ما يزال هنالك من يتابع الرقص وسط غابة الرماد والدم!..

تسألين اين كنت؟ كنت مختبئة تحت الطاولة حتى احترقت، وتحت السرير حتى نسف، واخيراً اختبأت مع الجنادب تحت جحر. وكنت ما أزال احاول اقناع نفسي بأن المحبرة اكبر من القنبلة اليدوية وان القلم اكبر من الرصاصة واكتب واكتب.. وذات صباح خرجت من تحت الجحر وقررت ان المحبرة ليست دائماً اكبر من القنبلة اليدوية وانه علي ان اتعلم أبجدية اخرى..

وحملت رشاشاً وذهبت برفقة أبو أدهم اتدرب.. كان الأمر سهلا.. كان بوسعي ان اتدرب في الشارع العام او على شاطىء البحر او على الشرفة. في ذلك الزمن مشهد انسان يطلق النار من الشرفة لا يثير الاستغراب بقدر مشهد انسان جالس يكتب على الشرفة!..

واخترت شاطىء البحر.. بالضبط مكان يقع بين فندق الريفيرا والحمام العسكري.. هناك مارست علاقتي الاولى مع (الكلاشن). بعد الطلقة الأولى شعرت بألم في جسدي كله، كأنني اطلقتها على حاسة سرية في داخلي تقف ضد العنف، ولا مفر من قتلها قبل امتلاك المقدرة على استعمال السلاح..

كان هنالك برميل بين صخور الشاطىء تغسله الأمواج باستمرار. رأيته رجلا اسمه الطائفية والتخلف واللاعدالة والظلم.. وبدأت اطلق الرصاص عليه..

أذهلني ارتداد الرشاش نحو جسدي كلما اطلقت طلقة.. كأن الرصاص بطريقة ما يؤذي القاتل والقتيل معاً.. ضايقني طنين أذني بفعل صوت الانفجار.. كأن الرصاص يلغي الاصوات الهامسة التي هي غالباً أصوات الحقيقة والآلهة والصفاء..

ثم حدث شيء مرعب.. بعد الطلقات العشرين الاولى استولى علي جنون حيواني.. شيء شبيه بمفعول الخمرة والمخدرات.. لم يعد بوسعي ان اتوقف عن اطلاق النار..

شعرت بنشوة شريرة شرسة همجية، وكان ارتجاف جسد البرميل تحت رصاصي الذي يجلده يثير في نفسي قرع طبول مستشاره. . وحدقت في السماء الشاسعة وشعرت بالعظمة كما لو كنت اشارك في عملية تقرير الموت!..

اقول لك: لم يعد بوسعي ان اكف عن اطلاق الرصاص.. وحين انتهى (مخزن) الكلاشن الاخير شعرت برغبة في اطلاق النار من مدفع..

ان معاقرة السلاح امر يحتاج الى دراسة نفسية وسيكولوجية.

الآن، لا أستطيع أن أنام اذا لم يكن سلاحي الى جانبي. لقد عاهدت نفسي على الا استعمله الا في حالة الدفاع عن النفس ولكنني أعي ايضاً ضرورة دفاعي عن نفسي ضده هو.. ضد الانجراف مع سحره..

مع سلاح الكتابة الامر مختلف.. والقدرة على سماع الأصوات الداخلية متوفرة..

لقد اتقنت استعمال سلاح النار لكنني - حتى الآن - ما زلت افضل سلاح الكلمة.. فهاجسي هو البحث عن الحقيقة، ويخيل الي ان رأس القلم الدقيق يحفر في لحم المجهول اكثر مما تقوى عليه اية رصاصة مهما كانت متقنة التصويب.

تسألين اين كنت؟..

كنت طوال الوقت في بيروت.. وقفت في طوابير الناس العطشين امام الآبار.. وقفت مع الفجر الرمادي الحزين أمام الأفران.. غسلتني رائحة البارود ومرت بي عشرات القذائف وتساقط امامي عشرات القتلى والجرحى وتناثرت اعضاؤهم حولي وصفعتني ايديهم المقطوعة المتطايرة وغسلتني دماؤهم.. لقد شربت كأس الحرب حتى الثمالة، وعشتها لحظة بلحظة وقذيفة بقذيفة، واخرجت مخطوطة «كوابيس بيروت» من بين نيران الصاروخ الذي احرق بيتي وتشردت بها ومعها، وتابعت كتابتها في زوايا الشوارع التي تضيئها القذائف لا الكهرباء.. لقد عشت الحرب بالسلاح الوحيد الذي اتقن استعماله وأؤمن بجدواه رغم كل شيء: القلم..

والقلم يطلق باستمرار رصاصه كي تقف الحرب لا كي تبدأ. وكي تزال مسبباتها قبل وقوعها.. فالقلم لا يمكن ان يكون (ثري حرب) يستفيد من الحرب. القلم «ثري حب» لا «ثري حرب».

انك لا تستطيعين اعادة الحياة الى رجل اطلقت عليه النار، بممارسة (النقد الذاتي)!..

مع الكلمة، الأمر ممكن، الكلمة تسمح بالرجوع عن الخطأ أكثر مما تسمح القذيفة.

• لغة الكتابة توقفت والكتبة غابوا فلماذا هذه الهجرة الجماعية في ظل وطن مزقته التناقضات؟..

- لن أمارس (امتيازي) ككاتبة أقامت في حرائق بيروت وكتبت، لأدين الذين رحلوا أو الذين صمتوا.. هذا موقف سهل وسطحي بالاضافة الى انه غير عادل. يخيل الي أن التعميم هنا أمر خاطىء وخطر كما هو غالباً في شؤون الأدب والفكر.

بعض المبدعين صمتوا وبقوا.. صمتهم لا يعني انفصالهم عن النزف ولا يمثل بالضرورة موقف اللامبالاة.. بل انه قد يعني صمتاً مبدعاً لعملية خلق لما يحن وقت ولادتها..

فالابداع عمل فردي جداً مهما كانت مبرراته الاجتماعية، والسياسية الملحة.. بعض الكتاب يحتاج الابداع لديهم الى مرحلة (تعتيق) واختمار تطول اكثر من سواهم.. بل ان الفنان الواحد نفسه يجد أنه ينجز بعض أعماله في مدد متفاوتة لأنه لا قاعدة زمنية مع الابداع.

لكن اطالة زمن (الحمل الفني) لا تعني ايضاً بالضرورة ان الولادة ستكون ابداعية.. هنالك من يصمت دهراً ثم ينطق كفراً.. وهنالك من يقدر على الابداع في فترة زمنية قصيرة نسبياً.. وهو ايضاً أمر لا يستحق الثناء ولا الهجاء.. انه ببساطة امر (وصفي).. المهم في النهاية خلق عمل فني مبدع سواء استغرق ذلك ساعات ام سنوات..

اذن، صمت البعض ليس انهزاماً بل هو اسلوبهم الخاص في العمل.. كما ان صمت البعض الاخر قد يكون صمتاً انتهازياً بانتظار اكتشاف الغالب النهائي كي يتابعوا دورهم الحقير في مدح المنتصر اياً كان..

أما عن الذين رحلوا، فأنا ايضاً لا أدينهم جميعاً.. لقد رحل البعض لانه يرفض من حيث المبدأ السلاح كوسيلة لحل اية معضلة. وانه لبؤس مرير ان تعيش في مدينة يفترسها رصاص المقاتلين و (القتلة) دون ان تتقن استعمال اي سلاح غير الركض او الشتم على طريقة الحطيئة..

لكن البعض قد رحل لأنه شعر بأن ما يدور لا يعنيه حقاً. اولئك ادينهم. لقد كان تواصلهم مع الوطن فيما مضى مزيفاً، وكان الشعب لا يمثل في نظرهم اكثر من (تظاهرة معجبين)، ولم تكن علاقتهم بنبضه وزخمه وايقاعه جدية ولا حقيقية، ولذا فانهم انحسروا عن شاطئه حين توقفت الوليمة وانطفأت لمبات الفلاشات عن وجوههم.

اولئك اسقطتهم الحرب وكشفت عوراتهم الفكرية كما كشفت اشياء اخرى كثيرة بعد احتراق الاقنعة..

● كيف تفسرين عودتك الى الكتابة ومن اين يبدأ عالمك الجديد؟

- للوهلة الأولى يبدو ان سؤالك هو الذي يحتاج الى تفسير.. عودتي الى الكتابة؟ أنا التي جلدي القلق، ووسادتي الابجدية، ودمي الحبر.. وقبل اندلاع المأساة اللبنانية بشهر اصدرت روايتي «بيروت ٧٥» التي تحققت بعدها - للأسف - نبوءتي فيها بانفجار بيروت. وفي نيسان ١٩٧٦ والجميع يعلنون الحرب اطلقت صرختي من اجل الحب في كتابي «أعلنت عليك الحب».. واليوم اصدر روايتي الجديدة «كوابيس بيروت» في ظروف طباعية بالغة الصعوبة.. وتتحدثين عن (عودتي الى الكتابة)؟.

أجل للوهلة الأولى يبدو السؤال عجيباً غريباً.. لكنك ايضاً على حق.. بعد طوفان العنف والرصاص والموت ونسيان الناس للغة كوسيلة ممكنة للحوار، يصبح الإصرار على الكتابة قضية تحتاج الى (تفسير)! أجل يا عزيزتي لا استطيع ان افسر لك عودتي الى الكتابة كوسيلة للحرب وسط غابة القتل على الحواجز والقذائف العشوائية والدمار التي اسمها بيروت!..

من أين يبدأ عالمي الجديد؟ من كلمة: «اقرأ»!

● اذا اعتبرنا ان روايتك «كوابيس بيروت» هي «كوابيس الحرب الأخيرة» ماذا قدمت لنا من أطباق في كوابيس بيروت؟

- تتألف الرواية من ٢٠٧ كوابيس، وحلم واحد فقط يختم الرواية ... (لا يختمها بالضبط، وبعد عبارة «تمت» التقليدية التي تختم الرواية بها عادة، وضعت انا اشارة استفهام على النحو التالي «تمت؟»).

ما أطمح اليه هو ان ينمو الحلم ويتكاثر حتى يغطي منطقة الكابوس كما تنمو الزهور الربيعية وتفور بجنون العطاء الابيض لتغسل غصناً جافاً محروقاً.. هذا كل ما استطيع قوله عن روايتي، ولو كنت استطيع غير ذلك لما كتبتها!..

● العالم ضاق والاحلام تناثرت لكن الموت كان سيد الوطن.. ماذا فعلت في تجربتك الجديدة لنقل هذا العالم الينا؟..

- حاولت ان أقول ان العالم لم يضق بقدر ما توهمنا، وان القذائف التي حرمتنا من الجدران يمكن ان تكون سبيلنا الى تحديق جديد عميق بما حولنا وبالعالم الشاسع وبالأفق..

وان الأحلام لم تتناثر، بل انها تناسلت وحلت في أجساد جيل سيصير الحلم صناعته.. فكل الأعمال الكبيرة بدت قبل تحقيقها مجرد أحلام..

ارض الحلم ليست منفصلة عن ارض العمل في دنيا المبدعين الذين يرغبون في ابداع وطن.. الزواج بين الحلم والعمل هو وحده الذي يثمر ابداعاً سياسياً واجتماعياً وانسانياً..

وعراب هذا الزواج لا يمكن ان يكون اسمه غير «المحبة» حينئذ فقط تصير «الثورة فعل حب» ويصير الثائر عاشقاً كبيراً وحقيقياً..

١١ / ٩ / ١٩٧٧

فؤاد كحل يستجوب

• السباحة ضد التيار في مياه مثلجة.

في بيئة شامية مكبوتة، ومنذ تفتحها الاول ورحلتها الادراكية الاولى بدأت تسير بعكس التيار - كما توضح في أحد أجوبتها - ومنذ البداية اختارت الطريق الصعبة والشاقة وحاولت أن تبحث عن الخلاص نظرياً وسلوكياً بحيث كانت دائماً قدوة لابطالها. تقول ان ابطالها يفاجئونها أحياناً! ولكني أقول انها تفاجىءأبطالها دائماً. كانت نظرتها للحرية مرتبطة بمفهوم شامل وبشكل وثيق لحرية الاشياء كلها ابتداء من الذات وانتهاء بالعالم دون أن تفصل واحداً منها عن الآخر.

هذا الوعي الاجتماعي والرؤيا الواسعة الشاملة سلحا غادة السمان بتربة خصبة واعطياها مجالا للابداع، لا يمكن أن يتوفر إلا لمن يتسلح بهذه الرؤيا وهذا الوعي فكانت رحلتها طويلة وشاقة منذ «عيناك قدري» وحتى «اعتقال لحظة هاربة» مروراً بـ «لا بحر في بيروت» و «ليل الغرباء» و «رحيل المرافىءالقديمة» و «حب» و «بيروت ٧٥» و «أعلنت عليك الحب» و «السباحة في بحيرة الشيطان»، هذا الانتاج الغزير كان ينمو - وما يزال - في رحم ناضج الرؤية والرؤيا تجربة وممارسة وذهنية، أقول: ان غادة السمان انطلقت باتجاه الزرقة والبحر والخلاص والانسان وجعلت من نفسها الضحية الاولى قل الشهيدة الاولى، فاصطدمت بالواقع حيث وجدت أن لا مجال للخلاص الفردي ضمن المجموعة المضطهدة وهنا كانت محاولة تحررها الفردي انعكاساً غير إرادي لعملية التحرر الجماعي، والطريق طويلة ولذلك فهي تحتاج إلى تضحيات كثيرة... ومتى كان النضال نحو الحرية والانسانية والحقائق إلا من خلال التضحيات!؟ ولهذا ترسم شخصياتها بشكل مدروس ودقيق - ولو انها لا تعترف بذلك - وتحركهم على أرض واقعهم بشكل ديناميكي مرتبط بايديولوجيات شاملة منظمة لمجتمعاتهم بحيث تحاول أن تجعل من خيبتها على مستوى الواقع حياة رائعة تحيط بأبطالها القصصية والروائية والحياتية...

غادة السمان الماضية أكبر من أن تعرف ولكن غادة الحاضرة والمستقبلية بحاجة دائماً لسبر أغوارها وأعماقها والرحيل معها إلى شواطىء مرجانية جميلة لاكتشاف الاماكن المخفية فيها من أشجار وأمطار وحدود وأسوار وطقوس... الخ واكتشاف آرائها ووعيها السياسي من خلال تجربتها الفنية المميزة وخاصة على مستوى الأدب النسائي - وهنا أيضاً ترفض هذا التقسيم على مستوى الابداع - خاصة وان غادة تتوضح على المستوى الموضوعي بشكل واضح في روايتها «كوابيس بيروت» حيث يتضح انحيازها بشكل عفوي - وعلى المستوى الروائي - لجهة الثوريين والفقراء والمظلومين... أخيراً لنحاول أن نقدم موجة من بحار غادة السمان من خلال هذا الحوار:

• مفهوم الحرية الانسانية واضح وظاهر بشكل كبير، بحيث يشكل الرؤيا والمنطلق في انتاجك، فإلى أي مدى كانت شخصياتك الادبية ضمن أعمالك تنال وتمارس حريتها؟ ثم هل استطعت خلق عالم حر، بديل لواقع يغلف حياة أبطالك؟

- لم يحدث قط انني أمسكت بالقلم لاكتب قصة ما وأنا أعرف سلفاً خاتمتها.. منذ البداية، كانت القصة تكتب نفسها - بمعنى ما - وكان أبطالها يقررون الخاتمة بطريقة تصيبني بالدهشة أحياناً. في قصتي الاولى (أم الثانية).. الأصابع المتمردة، وهي قصة حلاق نساء رقيق النفس، ومتملق لاضطراره إلى مسايرة (الطبقة الراقية) التي يخدم سيداتها، هذا الحلاق كان والده جزاراً وخيل إلي حين بدأت كتابة قصته انه سوف يضرب عنق حبيبته السابقة سوسن بموسى الحلاقة كما كان يرى والده يضرب عنق الخراف حين يذبحها.. وانه سيتمرد وسيسمع صوت والده الذي طالما حاول أن يبدل من (رقة شمائله)... ولكن الحلاق لم يقتل سوسن كما خيل إلي انه سيفعل وانما أصيبت أصابعه بالشلل.. وفوت علي بذلك فرصة كتابة قصة (موجهة) حيث الحلاق (رمز الطبقة الفقيرة) يقتل الزوجة الارستقراطية (المحترمة) والعاهرة في حقيقتها (تمثل رمزاً للطبقة التي تمزج العهر المالي والاحتكاري مع العهر الجنسي)..

وقد فوجئت بان أصابعه الممسكة بالموسى تابعت تنفيذ أوامر (الست) وقص شعرها وصبغه وفقاً لأوامرها، أما تفجره الداخلي فقد تحول إلى شلل في يده.. كثيرة هي المرات التي فوجئت فيها بسلوك ابطال قصصي وتصرفاتهم.. بل انني بطريقة ما أحسهم أحياء حتى انني افتقدهم بعد انتهائي من كتابة القصة، بل وأشعر بوحشة لغيابهم تتحول أحياناً إلى غم يستمر أياماً!.. هل تريد أن تضحك قليلا؟... اسمع هذه الحكاية...

في أثناء كتابتي لرواية «كوابيس بيروت» - وكنت أعمل كل يوم منذ الخامسة صباحاً حتى السابعة مساء - دخلت صديقتي لتقول لي إن شاباً يطلبني على الهاتف واسمه أمين.. وللوهلة الأولى خيل الي انه أمين بطل القصة التي أكتبها..!! بل ودهشت لانه - حسب علمي - لم يكن في تلك اللحظة قادراً على الاتصال الهاتفي لان التلفون كان (مقطوعاً) في بيته ذلك الوقت - في الرواية! - لقد كان حياً في خاطري حتى تصورت لثانية انه يطلبني على الهاتف.. ولكني أيضاً اعترف لك انني أحياناً أشعر بالحاجة إلى أن أقول شيئاً محدداً (وجهة نظر سياسية مثلا) وأكون منفعلة إلى حد انني أقسر أحد أبطال قصصي على أن يقول ذلك.. واستعير حنجرته وأتكلم عبرها. أعرف كم ذلك سيء على الصعيد الفني وأعرف أن تدمير شخصية أحد أبطالي هو تدمير لعملي ولكنني بشر وككل البشر لست دوماً عادلة لا مع أصحابي ولا مع أبطال قصصي، وككل البشر أدفع ثمن غلطتي غالياً (لكنني أقر أنني استمتع باخطائي أثناء ممارستي لها!) هذا التدخل هو طبعاً نتيجة (لقصر النفس الفني) أحياناً بالاضافة إلى الانفعال وضيق الصدر بأحداث اجتماعية أو سياسية تشعر انك ستنفجر أمامها اذا لم تصرخ فوراً. وأيا كانت التبريرات فان القارىء غير مسؤول عن ظروف الفنان. إنه مسؤول عن المادة التي يقدمها له.. من هذه الزاوية أحاول دائماً استدراك هذا الخطأ الفني البغيض، ولعلي أفشل في ذلك أحياناً.

● من خلال الآراء الأدبية والنقدية والدراسات التي صدرت حولك، ندرك ان الابداع منسحب على أغلب أعمالك الأدبية، فإلى أي حد ينسحب هذا المفهوم على تجاربك الجديدة؟ اقصد «كوابيس بيروت» «واعتقال لحظة هاربة» و «السباحة في بحيرة الشيطان»؟..

- «كوابيس بيروت» صدرت منذ تسعة أشهر، وكما هي الحال مع أعمالي السابقة كلها، انقسمت آراء النقاد حولها.

«اعتقال لحظة هاربة» ستصدر قريباً وأيضاً «السباحة في بحيرة الشيطان» وكالعادة ستنقسم آراء النقاد حولها.

هذا من الخارج. (وان كنت استدرك فأقول: ان النقاد ليسوا دوماً «الخارج» وان بعضهم يمس اوتاراً حقيقية في داخلي ويخاطب قاع عطائي واتعلم عبره شيئاً جديداً ولكن ذلك يحدث نادراً).

من الداخل بالنسبة إلى غادة الكاتبة، لم اشعر يوما بانفصام حاد بين عمل واخر كأن كل عمل من أعمالي هو بطريقة عفوية امتداد للآخر على نحو ما. وحتى بالنسبة

لأعمالي التي تفصل بينها فترة زمنية طويلة (ليل الغرباء ١٩٦٦) ثم (رحيل المرافىء القديمة ١٩٧٣) لم أشعر من الداخل بأنني بدأت (صفحة جديدة) أو (بداية جديدة) أو انني أبدعت هذه المرة وأخفقت في المرة السابقة أو اللاحقة... يخيل إلي ان نتاجي كله ما صدر منه وما سيصدر هو بمثابة أمواج مختلفة لبحر واحد.

• العنصر الذاتي والوجداني له حجم كبير وواضح في أعمالك الأدبية فإلى أي حد استطعت أن تعممي ذاتك الاخاذة لتصبح جوهر العالم، ولتصبح ذات العالم جوهرك؟!

- هذه العبارة لـ «كورناي» أحبها: «ايها المجنون الذي يعتقد انني لست انت، حين أكتب عن نفسي، أحس انني أكتب عنك..»

ولو لم يكن ذلك صحيحاً، لشعرت بالغبن حينما أكتب القصة ويحيا أبطالي حياتهم الخاصة بهم من دوني، لكنني أشعر انني أحيا بحياتهم وليس العكس هو الذي يحدث، ويخيل إلي أن ما تدعوه بـ (ذاتيتي) هو قطرة متجانسة من بئر النفس البشرية وجزء من كل فرح انساني بالوجود والرغبة في تحقيق الذات المتفجرة والمتوهجة بالغضب أو الحب أو الرغبة في التبديل أو القهر، أو بهذه كلها في آن واحد (كما يحدث غالباً)..

• ما علاقة الحصار الذي يفرض على الكاتب بدءاً من ذاته وانتهاء بالعالم، كيف كان أثر هذا الحصار المفروض على «غادة السمان»، المرأة؟

- خلق آدم، وخلقوا له من ضلعه القيد، لا حواء فقط كما تقول الأساطير، من ضلع حواء أيضاً خلقوا له قيداً لها..

وكان الحصار منذ البداية ضد انسانية الانسان.. وأخطر وجوه هذا الحصار، هو ذلك الحصار الذي يحمل وجهاً مألوفاً متوارثاً بحيث لا تعيه ولا تلحظه اذ انه يصير روتينياً ويتحول الطفل في ظله تدريجياً إلى حيوان مدجن بينما هو يكبر وحين (يكبر) يكون قد (صغر) انسانياً وصار فرداً صالحاً في مجتمع غير صالح...

مأساة الانسان الفنان انه يعي الحصار، ويستعصي غالباً على التدجين (والا فقد موهبته وكف عن أن يكون فناناً)

في مواجهة الحصار، العمل الفردي وحده لا يجدي، والفنان الحقيقي هو القادر على أن يصب في سيل الرغبة بالتبديل دون ان يتحول إلى كاتب كليشيهات رديئة لحزب جيد المنطلقات والرؤيا. بالنسبة لي شخصياً عشت أهم سنوات حياتي في قرية الشامية (بين الهامة وعين الخضراء) في ضواحي دمشق. كان يخترق قرية الشامية نهر بردى، وهو

في تلك النقطة ينحدر بشدة بعد خروجه من شلالات توليد الكهرباء..

أذكر ان الماء كان مثلجاً والتيار سريعاً وعنيفاً وأساطير كثيرة تُروى عن جني الدوار الذي يبتلع المتجرئين عليه والسابحين في مياهه الخاصة... هناك علمني صبية القرية الفلاحون السباحة للمرة الأولى وكنت دون العاشرة من عمري، واكتشفت متعة أن تستطيع العوم وتترك التيار يقوم عنك بمهمة الدفع (إلى الأمام) ولكنني منذ البداية كنت أشعر ان التيار لا يدفعنا بالضرورة (إلى الأمام) وان (الامام) قد يكون في الجهة المعاكسة..

وأذكر جيداً انني صرت أجد متعة حقيقية في السباحة ضد التيار وكانت تنقضي ساعة قبل ان اتمكن من التقدم مقدار شجرة (كان المقياس هو الأشجار على الضفة) وأحياناً كانت تخور قواي ويجرفني الماء مع التيار لكنني كنت باستمرار مصممة على العودة للسباحة ضد التيار بعد ان استريح قليلا..

وبعد فترة وجيزة صارت السباحة ضد التيار متعتنا (عصابة الصبيان وانا)، وكنا نتبارى في درجة الأحتمال والقدرة على التقدم، اليوم، لا ادري اين هم (ربما كان يجب ان ابقى معهم او أعود اليهم)! وهل تابعوا السباحة ضد التيار كل في مجاله سواء الذي بقي منهم فلاحاً او من اختار درباً آخر. كل ما اعرفه هو انني ما زلت اسبح ضد التيار، لا ضد اي تيار! وليس لممارسة السباحة ضد التيار لمجرد السباحة ضد التيار (على وزن الفن للفن) ولكن التيارات التي تستوجب السباحة ضدها اكثر من ان تحصى، والمؤسسات المحنكة، التي تخدمها عتيقة وكثيرة. تعبت؟.. ليس بعد..! مررت بفترات كثيرة، واضطررت فيها للانسحاب الى الشاطىء ومداواة جراحي بصمت بين الأعشاب كأي حيوان وحيد جريح، ولكنني كنت اعود دوماً للسباحة ضد التيار... وما زلت...

المهم فك حصار التيارات التي تجرفنا منذ طفولتنا والمخططة سلفاً لتصب بنا في المستنقعات...

● السياسة - الدين - الجنس، ثالوث يحاصر ذات الكاتب - على ما أظن - فهل كان هذا الثالوث المؤثر الهام على انتاجك؟

- في قصتي «الدانوب الرمادي» يبرق رئيس التحرير إلى محررة تراسله لتكسب رزقها وتتابع دراستها في أوربا «تجنبي مواضيع الجنس والدين والسياسة» - صفحة ٢١ كتاب «رحيل المرافىء القديمة» أعتقد ان هذا التحذير سمعه آلاف المحررين والكتاب

والشعراء في أكثر الأقطار العربية. لماذا؟ . . لأن بعض التقاليد الموروثة حول الجنس والدين وغيرها من (المحرمات) تساهم في تخدير الانسان العربي وجعله في حالة (أفيونية) من انعدام الوزن مما يسهل على بعض الأنظمة غير الانسانية متابعة استغلالها له وانفاقها لأمواله في مجالات الهدر والعبث... وما دام المارد العربي مكبلا (بارادته أحياناً) بهذه المكرسات والموروثات، فلا خوف منه على جلاديه والكاتب الذي يقترب من هذه الموضوعات هو كمن يحوم حول سجين ليفك له قيوده ويخرجه من الكهف إلى الشمس وهو أمر خطير يتهدد مستغليهم ومن هنا جاء ذلك الحظر أحياناً ضد مس هذه (المقدسات) ومنع قلم الكاتب من التجول في هذه المنطقة الحرام..

هذا الثالوث لا مفر منه لمن هو جاد في ممارسة الكتابة كفعل ابداع حقيقي وكل تهرب من مواجهته يحول الفنان من ايقاع شرس حاد يفجر في الأذن صرخة وعي، إلى صوت خافت رخو في كورس المداحين. في الفترة التي عملت فيها بمجلة الحوادث، كان اسم عمودي الاسبوعي «كلمات لا تقال» اذ كنت أشعر بلا جدوى قول ما هو مرغوب بسماعه!...

● كيف يكون تحرر الجسد فاعلا في الثورة - العمل الثوري - ، وما هي انعكاساته على غادة السمان الكاتبة والمرأة؟

- تحرر الجسد هو جزء من تحرر الذات العربية ككل، وجزء من التحرر الفكري والسياسي والاقتصادي... ويجب أن ينظر اليه ضمن هذا الاطار، ويجب ان يتم كخطوة متناسقة مع بقية خطوات التحرر، والا تحول إلى أفيون جنسي ومن هذه الزاوية لا فرق في نظري بين (الكبت) وبين (الانفلات الجنسي) تحت ستار التحرر. كلاهما موقف واحد ضد الثورة الحقيقية التي هي بالدرجة الاولى وعي ومسؤولية وتوازن بين حاجات النفس كلها... بالنسبة إلي ككاتبة أحاول أن أمزق الشعور بالذنب لدينا لمجرد ان لنا أجساداً لها حاجاتها، ولكنني أيضاً أحاول أن أمزق الوهم بأن الحاجة الجنسية أكثر شراسة من الحاجات الأخرى العاطفية والفكرية والسياسية. بالنسبة لي كامرأة لم أتأزم فردياً على صعيد قضايا الجسد لأنني منذ البداية لم التصق بالقيم السائدة التي تناقض حقيقتي، ورفضتها منذ مراهقتي دون تأزم أو أزمة ضمير، ودفعت الثمن الاجتماعي لذلك دونما ندم. السباحة عارية ضد التيار أمر رائع، كردة فعل أولى على الأقل!.. ولكن الخلاص الفردي أمر غير ممكن، هذا ما يتضح فيما بعد مرحلة المراهقة، ومن هنا يأخذ النضال من أجل حرية الجسد أبعاداً جديدة غير فردية

وغير محصورة داخل حدود جسدامرأةواحدة بل يمتد ليشمل جسد الوطن والعالم . . .

● « رحيل المرافىء القديمة » يمثل مرحلة هامة في تطورك الأدبي ووعيك الايديولوجي بحيث ارتبط مفهوم الحرية للمرأة بمفهوم الحرية للرجل داخل وخارج حدود الجسد ، فهل انسحب هذا على أعمالك التالية ، وهذا الشيء يطرح سؤالا ثانياً: هل يمكن للمرأة أن تتمرد على الواقع منفصلة عنه؟

- أعتقد ان الخطأ الذي ترتكبه الجمعيات النسائية الهادفة إلى تحرير المرأة هو توهمها ان ذلك ممكن دون تحرير الرجل. اعتقد ان الجمعيات النسائية ، لا بد وان تلحظ الطريق المسدودة التي تكافح فيها وهي: ان تحرير المرأة غير ممكن إلا ضمن اطار الثورة الشاملة ، أي تحرير جميع الطبقات المستلبة والمظلومة. بعبارة أخرى لا يمكن تحرير طبقة المرأة دون تحرير طبقة الفقراء . لا يمكن تحرير المرأة دون تحرير العمال والفلاحين وسواهم من المسحوقين... ومن هنا اعتقد ان انفتاح الجمعيات النسائية على قضايا تحرير الشعوب ككل وشعبها بالذات هو المخرج من الدرب المسدود التي تقدم فيه خدمات كثيرة ومهدورة.. واعتقد ان تمرد المرأة على الواقع قد اتخذ شكلاً جماعياً منظماً وجيداً هو شكل الجمعيات النسائية ، لكن ذلك مقبول كمرحلة اولى فقط ، والخطوة الثانية هي في الألتحام مع بقية الكادحين والمظلومين في المجتمع والانفتاح على اوجاعهم لأن قضية التمرد لا تتجزأ.. لا يمكن تحرير الجسد وحده ولا المرأة وحدها ولا خلاص لأحد منا الا بالثورة الحقيقية الشاملة .

● يقول ناظم حكمت:

أجمل البحار التي لم نخضها بعد وأجمل النساء تلك التي لم نتعرف عليها بعد...
فهل نقول: أجمل الكتب وأهمها - لدى غادة السمان - تلك التي لم تصدر بعد؟!

- يخيل إلي أن هذا القول يلح على توكيد شهية الانسان المستمرة للحياة والمعرفة أكثر مما يؤكد ان (العشب أكثر خضرة في المرج الجاور لمرجنا..)

من هذا المنطلق ، من حبي المتنامي للمعرفة والصدق والعطاء أتمنى أن تكون مجاري المقبلة أكثر عمقاً وصفاء .

٣ / ٧ / ١٩٧٨

ياسين رفاعية يستجوب

ذات يوم
ذات ليلة
ذات جرح

نتركها تتحدث. ها هي الآن، بعد طول تشرد في بيتها الذي تمنته، بيتها الأنيق الجديد، المزين بلوحات رسمها لها فنانون، وبتماثيل صغيرة لأكبر مجموعة لطائر البوم. انها تقف مستندة الى الجدار حيناً، منتقلة في الصالون الزاهي احياناً، لكن، ما كانت تستطيع الكلام إلا عندما تتواصل نظراتها مع البحر القريب من شرفة البيت، ذلك الشيء العظيم الذي أحبته دائماً.

رحلة غادة السمان بدأت مع الكتابة منذ عام ١٩٦٠. كذلك رحلة التشرد، فالأدب عادة رحلة، وتشرد داخل الذات وخارجه. هذه المرحلة من حياة غادة عرفها كل الذين يتابعونها منذ لمع اسمها مع اول قصة نشرتها في دمشق بعنوان «ذبابتان». لكن غادة الخصوصية، غادة المغلقة، غادة الصدفة، غادة الاعماق. قلائل جداً الذي يعرفونها.

نتركها تتحدث، اسئلة كثيرة، طرحناها. وكانت تتدفق الأجوبة كنبع يتفجر للمرة الأولى.

نتركها تتحدث على سجيتها، بعفويتها، بصدقها، بنزقها، بحركتها الدائمة بين فمها والبحر، بين فمها والنجمة، بين فمها والكلمة.

• هل تتذكرين شيئاً من طفولتك؟

- نعم. اتذكر الكثير من طفولتي، ولأن الطفولة ليست سناً معينة، بقدر ما هي ذلك الموقف النقي من الوجود، استطيع ان اروي لك الكثير..

أتذكر جيداً أول طعنة، وآخر طعنة وما بينها. أتذكر اللهفة، وذلك الصدق الجاني والعطاء النقي، واتذكر طعم الدموع في حنجرة امرأة لا تعرف الدموع عينيها،

وتفجعني قدرتي على ان اكرر ذلك كله من جديد، وباستمرار.

طفولتي الزمنية؟..

وأيضاً أتذكر الكثير عنها.. اتذكر ما يكفي لاقول لك: أنا من جيل بلا طفولة، أنا من جيل محكوم بالوعي مع الاشغال (النفسية) الشاقة! أنا من جيل الزلزال الذي فتح عينيه على أغنية «أمجاد يا عرب أمجاد» لكنه وعى ظروفه الموضوعية المروعة بين التخلف والخيانة.. من السهل ان انسحب الى قوقعة الذات، وأدعي انني بلا طفولة، لأن أمي ماتت قبل أن أعيها.. ولكن ذلك غير صحيح.. واذا كانت الطفولة تعني حداً أدنى من الصدق، ومن ردود الفعل المطابقة لهذا الصدق، بعيداً عن ليالي الكرنفالات وعلاقات الأقنعة. بهذا المعنى أنا طفلة حتى الثمالة، وحين اكون بائسة وعاجزة عن ايصال صوتي عبر المسافة بين الحنجرة والشفتين، لا ابتلع شريط تسجيل اجتماعي لائق، وإنما انسحب ببساطة الى كهفي كأي كائن جريح في الغاب يشهر صمته.

● ما هي السمات البارزة في هذه الطفولة؟

- إذا كان لا بد لي من الحديث عن الطفولة الزمنية، اقول لك يا صديقي ياسين ان السمة البارزة في طفولتي هي: ضبط الذات، الارادة.

صفات غير طفولية، اليس كذلك؟.. لقد حدث الامر على هذا النحو، ولست بآسفة على زمن العبث الذي ضيعته في تعلم «اليوغا الروحية».

كنت دون العاشرة من عمري، والصديق الوحيد الذي يفترض ان العب وأياه، هو رئيس للجامعة السورية ووزير للتربية والتعليم بسورية: أبي..

أما رفاق الركض وراء الكرة والفراشة فكانوا رفاقه من اساتذة الجامعة، وسط هذا المناخ كبرت. وصحيح انني كنت اهرب من عالمهم احياناً لأمارس العاب الصبيان، كالامساك بالأفاعي والسباحة في نهر بردى، والقفز عن أعلى شجرة دلب على اعمق (دوار) في النهر، الا أن السمة الغالبة لتلك المرحلة، كانت علاقتي المذهلة مع والدي وعالمه.. عبره حفظت القرآن، قرأت التراث، وعيت اللااستقرار المروع: عالم الانقلابات العسكرية المتوالية في سورية. وعيت الخوف، القلق، التمزق، حتى قبل ان اكتشف جسدي بكثير.. وعبر رفقتي لوالدي، اكتشفت مزايا ذلك الجيل العربي العتيق: مزايا التقشف، القسوة على غرائز الذات والتحكم بها.

وباختصار، كانت طفولتي «يوغا» صحراوية، علمتني السيطرة على مساماتي، وكانت مدرسة وعي لموقعي من الموت والتراث والحب، اعني: مدى البعد عن الحب،

ومدى المواهب «اليوغية» التي يجب ان تتمتع بها المرأة لتتابع دربها في عالم قاحل من الحب، ويسخر التراث (خطأ) ضدها.. ومدى بعد الوطن عن تحقيق علاقة حب بين افراده ومع تاريخه ذاته.

• هناك قصة لغادة السمان اسمها «غجرية بلا مرفأ» تكاد تكون ملتصقة بها اكثر من أي شيء آخر. الغجرية التي تعني الانعتاق من كل شيء.. لكن لماذا بلا مرفأ؟

لنتركها تتحدث:

- لأن المرفأ مشغول بحب التملك: انه يطالبك بتسليم مرساك قبل أن يعني بجراح شراعك، انه يطالبك بتوقيع تعهد اقامة دون ان يلحظ الدم الذي يلطخ بقايا شراعك ودون أن يأبه لنزفك.

المرفأ الذي يفرض علي الاقامة الاجبارية ليس مرفأ، وإنما هو مجرد (محجر) روحي آخر.. المرفأ الذي يرمي سلاسله فوق روحي الهائمة لا يمزقني ،وانما يمزق امكانية أن أرسو إليه ولو لثانية..

ولكن المرافىء يا صديقي تطالبك بالثمن، حتى قبل أن تبدل اخشابك المكسرة: والثمن دائماً منعك من الرحيل دون إذن مسبق.. وأنا عاجزة عن طلب اذن مسبق أياً كانت الصيغة.

ذات يوم، ذات جرح، حكمتني أمي دمشق بالسجن لمدة ثلاثة اشهر لأنني تركت عملي فيها دون «اذن مسبق» وأنا من حملة الشهادات العالية!! ولولا ذلك العفو العام الذي صدر في السبعينات وشملني، لكان علي أن أرمى في السجن لو رميت بمرساتي في ذلك المرفأ الأول والأخير دمشق!..

لا تسلني عن المرافىء. بين الغجر والمرافىء عداوة مزمنة. المرافىء بأنواعها كلها: المدينة، صدره، اليقين. مقابل ذلك (الأمان) كله عليك ان تدفع الثمن: كتم أنفاس توقك للرحيل، أي للمعرفة، أي لانتظار المجهول.. عليك أن تختم زمنك بالشمع الأحمر، وتأتي صاغراً تائباً، وكيف أختم زمني بالشمع الأحمر، وأنا التي ما زلت أفتش عن زمن اليقين في مناخ اللاتوبة؟

النوم بلا وسادة

هل تريد أن تضحك قليلا؟ اسمع هذه الحكاية: يوم غادرت سورية في اوائل ١٩٦٤ للدراسة في الجامعة الاميركية، وجدت صعوبة في النوم ببيروت بسبب «تغيير مرقدي» وبالضبط بسبب تغير وسادتي، كنت قد ألفت وسادة معينة ذات ارتفاع معين، وطلبت

الوسادة من اسرتي فبعثوا بها الي في بيروت، وعاد النوم معها، ثم بدأت مرحلة التشرد من ١٩٦٧ حتى منتصف السبعينات. وجاءت أيام كنت لا أقضي خلالها اكثر من ليلة واحدة في الفندق ذاته.. وكانت لحظة وضع الرأس على الوسادة تعذبني وتوقظ في نفسي الحنين الى وسادتي العتيقة المحشوة بالطمأنينة والألفة. وذات ليلة رافقت فيها أخي من لندن إلى منزل صديقته في «كارسوس» بمقاطعة ويلز، وصلت منهكة بعد أن قدت السيارة طوال الليل، وحين حاولت النوم اذهلني ارتفاع الوسادة، كأنها كانت ترغمني على أن يظل رأسي عمودياً لا أفقياً وعلي ان أتابع لعبتي مع الصحو. ليلتها قررت: مشردة مثلي يجب أن تنام بلا وسادة. الوسادة رمز للاستقرار حيث يعود رأسك كل ليلة الى المكان ذاته لينام على الارتفاع ذاته. وهذا شيء أنا محرومة منه. ورميت بالوسادة على الارض. ونمت ليلتها بلا وسادة. منذ ذلك اليوم وأنا أنام بلا وسادة كما ينام الميت داخل تابوته (أم تراهم يضعون له وسادة؟ يجب ان اتحرى عن ذلك. الميت هو الوحيد الذي يجب ان ينام وتحت رأسه وسادة لأنه لن يبدلها ابداً). وهكذا صرت أنام في أي مكان ببساطة، وأرمي بالوسادة قبل ان تقودني الى عملية مراجعة تشردية ذاتية. وحين عدت الى وسادتي الدمشقية مزقتها وتركت صوفها يركض في الريح مثل قطيع اغنام شردت الى الأبد.

وحتى بعد زواجي، وما ازال الى اليوم أنام بلا وسادة. لقد اشتريت لبيتي الجديد كل شيء، لكنني لم اجرؤ على شراء وسادة. فأنا من الجيل المرصود للاحتمالات كلها، في وطن مكسر النوافذ، مزروع في المسافة بين الثورة والزلزال. التشرد عندي ليس ظاهرة فردية فقط. وإنما هو ايضاً انعكاس لبعض تأثيرات المرحلة على الذات العربية في بعض فترات حياتها وردود فعلها على تلك المؤثرات.

● **أنت رهينة مزاجك. هذا شيء مهم. لكن الي أي حد يساعدك مزاجك على الهروب من التقاليد الاجتماعية السائدة؟**

- لست رهينة مزاجي كما يبدو من الخارج، أنا رهينة «حقيقتي»، وليس في الدنيا من يقنعني بضرورة تزييف حقيقتي.

من الخارج، أبدو مجرد مزاجية اخرى. من الداخل، يخضع الامر لضوابط نفسية وروحية مفرطة الصرامة والدقة.

من الخارج لا تسمع غير صوتي يقول: «لا مزاج لي». من الداخل القضية اكثر ايلاماً وتعقيداً، فالكتابة محور حياتي. والكتابة ليست مجرد محبرة وقلماً وورقاً أبيض، ولا مجرد ماكياج صالوني إجتماعي، واداة بورجوازية للمباهاة كمعطف الفرو، بل هي ذلك

المناخ المفعم بآلاف المتطلبات. كي اكتب يجب ان اقرأ، يجب أن أفكر، أن أعي موقعي كعربية من عالم خطر يتآمر ضد وجودي العربي، ويلعب دور البطولة في المؤامرة بعض أبناء قومي!.

كي أكتب، يجب ان استمع الى الموسيقى، يجب ان اعايش الطيبين والبسطاء والفقراء البعيدين عن الاضواء، يجب أن اقضي أوقاتاً طويلة وأنا وحيدة، يجب ان اكون ذاتي حقاً. كي أكتب أنا بحاجة الى مواساة ذاتي وعلاقاتها «الانسانية» المنكسرة، وتعزيزها ببقية العلاقات (الكونية) المزدهرة. كي أكتب، علي أن اتعايش مع الجرح الأخير والطعنة الأخيرة والخيبة الأخيرة. وعلي ان ازداد التصاقاً بحنان جمال الطبيعة العفوي متدفق العطاء. علي ان امشي وحيدة في الغابات، أضم الى جسدي جذوع اجساد الاشجار، واتحسس تواضع العشب وملايين الأزهار الصغيرة التي لا اسم لها وعلي ان اتأمل طيران العصافير ومدارات رحيلها الغجري اللامتناهي وعلي ان اجدد رابطتي الغامضة مع الاصداف والاعشاب والرمال والصخور والاشواك البرية ذات الازهار مذهلة الجمال والاشواك مذهلة الحنان بعلنيتها، عليّ أن اعايش غروب الشمس وألحظ أن الشمس لا تغرب ابداً في مكان واحد مرتين (فلماذا علي ان أرسو انا فوق صخرة اكثر من مرة، وما دامت الصخرة صخرة لا تتبدل ما ذنبي انا اذا كنت غجرية؟).

الهروب من التقاليد الاجتماعية السائدة؟

ولكنني لم أعها قط بما فيه الكفاية لأهرب منها!! المجتمع بالنسبة لي مجرد رقم في شيك، رقم يكبر او يصغر، لكنه رقم. انهم يغفرون لك اي شيء ما دمت قادراً على دفع ثمن تمزيقه، ليس لدي اي احترام للقيم الاجتماعية السائدة، والاحترام الوحيد الحقيقي الذي اعيه هو لإمكانية وجود رجل (منعتق) من اللعبة الاجتماعية شرط ان يعيها ويتجاوزها!.. ووجود فئة من الناس فهمت بشاعة اللعبة وقررت تدميرها عبر التزام حزبي او فكري أي عبر عمل جماعي منظم.

مزاجي لا يساعدني على الهرب من التقاليد الاجتماعية السائدة، لسبب بسيط: لست بحاجة للهرب. اني اقف خارج تلك اللعبة المبتذلة، واني ارفض بركتها، وأرفض مقايضة روحي مقابلها.. لست فاوست، ولن ادفع روحي ثمناً لأي شيء مهما احببته، ولن أوقع بدمي صكاً لأحد.. فالحب علاقة متبادلة (مع رجل - مع مجتمع - مع رفيقة - مع مؤسسة...)، وأنت لا تدفع ثمناً لها، انك ببساطة تتلقاها بين يديك مثلما

الطفل يتلقى كرته.. انك ببساطة تصيرها وتكون معها مثلما الطفل وطائرته الورقية.

لا اهرب من التقاليد الاجتماعية السائدة لأنني ببساطة ارفضها واتحداها واغادر ملكوت عطائها الى بادية صدقي ونزفي.

لا أريد أن يمنحني احد شيئاً مقابل كذبة، وكذبة كبيرة هي أن أقول إنني مرتبطة بالتقاليد الاجتماعية السائدة. أنا مرتبطة بروح العلاقات الإنسانية، وأرفض وسائل التعبير السلفية عنها.

مع ذلك كله، أحب أن أعترف لك!.. أنا امرأة كاتبة أولاً وأخيراً..

وتمر بي فترات اشعر فيها بالعجز عن الكتابة، وأعي خلالها أن الصمت اكبر من اللغة، والحقيقة اكبر من اللغة، وحتى الجسد اكبر من اللغة، ويبدو الالتصاق بكائن آخر مذعور مثلي وكأنه الحقيقة الوحيدة.. (راجع قصتي ليلى والذئب في كتابي ليل الغرباء)..

في مثل هذه الفترات مروعة التمزق، أصير عاجزة عن التواصل مع الآخرين، أصير برية، شرسة، غير داجنة، بائسة، اهرب من الآخرين كي اخفي دمعة الخيبة بهم المعادلة لحاجتي اليهم، لكنني لا أفسر ولا اعترف.. وأبدو من الخارج مجرد مزاجية أخرى.. واحياناً أخسر المزيد من اصدقائي..

ثم، ثم تأتي الغيوم، ثم يتدفق المطر، ثم يمطرك شلال النجوم، ثم يتدفق عبر اصابعك ذلك العالم مدهش الألوان والصراخ.

ولكن، العلاقات الهشة تكون قد تكسرت، العلاقات الاجتماعية الاصطناعية تكون قد احتضرت، تزداد غربة - وبالاحرى وعياً بغربتك -، وأيضاً تتبدل..

اسمع يا صديقي ياسين..

أنا لست غادة نفسها قط. كل عام أنا امرأة جديدة.. كل يوم أنا امرأة جديدة. بعد كل جرح أنا امرأة جديدة.. بعد كل فراق أنا امرأة جديدة. بعد كل لقاء أنا امرأة جديدة. كل طعنة تبدل تضاريسي النفسية. كل لمسة حنان تبدل مغاور روحي. كل حلم يعيد اشعال اضوائي الملونة. كل خيبة تكسر كريستال قلبي - أنا في كل ثانية امرأة اخرى - اكثر قدرة على الحب وعلى التعاسة في آن معاً، ولكن، ماذا اقول لهم؟.. كيف تختصر الجرح والجنون واللغة المكهربة والتوق والخيبة وازدهار الامل كيف تختصر جرحك الملتصق بجرح الوطن وروحك النازفة مع نزفه المتعاظم.. و...

... وماذا سوى أن أقول لهم باختصار: آسفة، أنا مزاجية!..

وماذا لو قلت لهم: أنا بائسة لأن في قلبي صرخة كالروح لا تجد الحروف - الجسد التي تحل فيها احياناً لتصير ادباً؟

وماذا لو قلت لهم: أنا بائسة لأن في وطني ثورة يحاولون اجهاضها وقدرة على الابداع يمارسون لجمها، ولأن قلبي شهقة حب لم تجد الصدى عبر عمل جماعي منظم؟

وماذا، وماذا، وهل اقول لهم: أنا كاتبة تتعذب لتكتب ما لا يكتب، وامرأة تتعذب لتحب (تنظيماً) نادراً «كالخِلِّ الوفي»؟.. وماذا اقول سوى: أنا مزاجية؟!..

خذ قلبي، واشطره كالتفاحة بالسكين الى شطرين ماذا تجد؟ لا شيء!! لا شيء!..

كل شيء في الدماغ.. في ذلك الوعي المكتمل بأن عصر «الصالونات الأدبية» قد انتهى. الأدب اليوم مختبر علمي. ورشة عمال. ثقافة. مهنة. عليك ان تعمل لا ان تحاضر. عليك ان تقرأ لا ان تقف فوق منبرك المتقن النحت والشعارات. الأدب اليوم مهنة. عناء. عمل. كدح. عليك ان تقرأ كل ما سبق وقيل، وكل ما يقال في ارجاء هذا العالم الواسع وعليك ان لا تكرر بل أن تضيف وعليك ان تتذكر انه في كل ثلاث دقائق يصدر كتاب جديد في العالم يجب ان تقرأه!.. وعليك ايضاً وسط هذا الزحام ان تتقن الانسحاب الى ذاتك وان تتعلم كيف تكون وحيداً دون مصفقين لتفكر وتراجع الأمور وترتبها داخل مصنفات في أعماق روحك، لأن القراءة دون تأمل وهضم وتمثل هي مجرد استعراضية صالونية!..

خذ قلبي، واشطره كالتفاحة بالسكين الى شطرين، ماذا تجد؟ اشتاق مع وقف التنفيذ. أحب مع وقف التنفيذ. وأعي أن الفن ليس حكاية عابرة ولا لحظة هوى مجانية، وإنما هو عناء مستمر في حكاية حب بائسة مع الحقيقة.. من هنا ألمي الكبير، وطموحي الكبير، وطمعي الكبير في عطاء على مستوى احلامي الواعية.

● انت الآن أم.. اليس كذلك؟ هل تربكك الأمومة؟ هل تقيدك؟ هل تلجم توقك الى الهروب من جحيم العلاقات الاجتماعية؟

- أنا الآن أم لصبي لبناني عربي جميل اسمه حازم، كاسم بطل أحد أحب كتبي الى قلبي «ليل الغرباء». تربكني الأمومة؟ طبعاً. تربكني وتلجمني، ولكنني أحبه. تربكني لأنني منحت العذاب ضحية (محتملة) - أي أن طفلي هو إمكانية ضحية، لكنها ايضاً تسعدني لأن طفلي ككل الأطفال، هو امكانية ابداع يجعل العالم مكاناً أقل بشاعة: ابداع على الصعيد الفني او السياسي أو الزراعي.. لطفلي حرية اختيار حقله.

● لماذا بعد ولدك الأول.. لم تأت بآخر؟ ما هو شعورك إزاء ذلك؟

- لانك لا تستطيع ان تمتلك كل شيء مرة واحدة - لا تستطيع القبض على كل ما تحب بأصابعك والا لانزلق كل شيء. وأنا أعي ذلك حتى الثمالة. الكتابة هي هاجسي الأول. حقيقتي الأولى. استطيع ان اتدبر امري مع طفل واحد، لكنني عاجزة عن الكتابة لو (تضاعف) حازم.

أنا امرأة أنانية (كجميع الفنانين) لكنني لا اجد غضاضة في الاعتراف بذلك.

في عمر واحد، في بؤس واحد، في جنون واحد للكتابة، ليس بوسعي ان يكون لي اكثر من طفل واحد اغمره ببعض جنوني وبكثير من حبي!

● **القريبون إليك يدركون انك لست ست بيت بكل ما لهذه الكلمة من معنى. لست سيدة مطبخ ولا حتى فنجان قهوة. بل يبدو للقريبين لك ان كل شيء له علاقة بالمطبخ يحترق بين يديك. كيف توفقين اذن بين كونك ربة اسرة، وانك أديبة؟**

- تدهشني قدرة بعض الأديبات على التأكيد انهن أديبات و (ستات بيوت) في آن معاً.. بالنسبة لي هذا امر مخجل ومزيف كسائر النظريات التوفيقية التي تخسر فيها كل شيء!!.. أنا أؤمن بالوحدانية، لا بالدين فقط بل وفي السلوك الذاتي. أنا كاتبة. حياتي مكرسة لذلك. دماغي يعمل على هذه الموجة فقط. راداري يلتقط تلك النبضة وحدها... أنا عاجزة عن كتابة روائع الأدب العالمي داخل الطنجرة او بواسطة (حفارة الكوسا).. نعم.. أنا عاجزة عن غلي فنجان قهوة وأفتقر الى التركيز في كل ما له علاقة بالمطبخ. ليس هنالك كاتب في العالم يفتخر في أحاديثه الصحفية بأنه طباخ ماهر يسعد زوجته بطبخه البديع وقهوته المدهشة، ومع ذلك هنالك نساء بائسات يجدن ان من واجبهن الاعتذار عن موهبتهن الفنية بالتأكيد على « مواهبهن المطبخية »!!.. ويجدن ان من واجبهن التأكيد باستمرار على انهن يقمن بكل الواجبات المطبخية التقليدية قبل ان يمارسن (لعنة) الكتابة. أنا لا أريد أن أخدع أحداً. خذوني أو ارفضوني: هذه أنا عارية لشمس الصدق وريحها كأية نبتة في الحقل.

أستطيع ان اتقن الطبخ لو اردت، لكنني أفضل ألف مرة الاستماع الى سمفونية برامز الثالثة (كما أفعل الآن) على الاستماع لايقاع طنجرة البريستو..

هل تريد أن تضحك؟ البارحة قلت لزوجي: انني اجهل الطبخ لكنني اعرف كيف أفتح المعلبات (الكونسروة). وتدليلا على صدقي كنت افتح علبة لحوم حين جرحت يدي وتدفق الدم من اصبعي. من يدي لا أحد يستطيع ان يأكل وجبة مريحة تدفعه الى نوم (سييستا) بعد الظهر. على راحة يدي تستطيع ان تلعق الجرح وترتوي

بالنزيف.. وتسألني كيف أوفق بين كوني ربة اسرة، وأديبة؟ انني لا أوفّق بين (كوني ربة اسرة) وبين كوني (أديبة)..

انني مجرد كاتبة تصادف انها انثى، وأرفض أن أدفع أتاوة الانوثة بصورة عمل لا أحبه تحت ستار (ان لي اسرة). انني أعي جيداً ان لي اسرة، وأعي ان عشرات الاعتبارات النفسية والعاطفية تترتب على ذلك، لكنني أبداً لن اكتب على ايقاع طنجرة البريستو!.. ان حبي لأسرتي لن يزيفني.

ثم ان سؤالك هذا الذي يبدو شخصياً وبريئاً يحرك قضية عامة بدأ الوعي بها يتخذ شكل (تذمر) ولم يبلغ بعد درجة (العصيان)، وأعني بذلك قضية المرأة العاملة التي تعمل تماماً كزوجها خارج البيت ثم تعود الى البيت منهكة تماماً كزوجها، لكنها هي المطالبة بأداء جميع الأعمال المنزلية بالإضافة الى كل ما سبق، لمجرد انها هي الأنثى وهو الذكر. وهكذا فإنها كادحة الكادحين، وإرهاقها مركّب، وبالإضافة الى رب العمل في الخارج - الذي تقبض منه مرتباً على الأقل - هنالك رب البيت في الداخل الذي تخدمه دون مقابل يذكر غير الصدام غير المسلح غالباً.. والمرأة العاملة العربية بدأت تعي الظلم الواقع عليها وهي عاطفية وعذبة تكتفي بالمبالغة في شكر زوجها إذا تلطف وساعدها من آن الى آخر على أمل أن يدفع به اللطف الى مزيد من المشاركة والوعي بـ(لا عدالة) ما يدور.. ولكن هذا التذمر لا بد وان يبلغ مرحلة العصيان يوماً ما، ولا بد من أن يأتي يوم تصرخ المرأة العاملة في وجه زوجها: لك قميصك ولي قميصي.. أنت تكوي قميصك وأنا أكوي قميصي!..

● أنت تؤمنين بنعمة التشرد. ما هي أخبارك الأخيرة حوله؟

- ذات ليلة، ذات جرح.. ارتميت فوق حشائش (الهايد بارك) كان قلبي ينزف، أنفي ينزف، زمني ينزف، وكان الثلج شاسعاً والغروب يهبط فوق جسدي المتوجع دونما رحمة، وكنت أتخبط داخل صرختي الصامتة مثل طائر اغتالته رصاصة سرية.

ذات ليلة، ذاتَ جرح، وعيت ان الوجع فردي، والفقر فردي، والابداع ايضاً فردي.. ذات ليلة، ذات جرح، أغلقت أسوار «الهايد بارك» كما تغلق وقت الغروب ويمنع الدخول اليها البوليس ولا تفتح أبوابها إلا مع فجر اليوم التالي.. وكنت بجعة مطعونة تتقلب فوق العشب المتجلد وتنزف حزنها الأسود السري.. فقد كنت ثملة ولم ألحظ غياب الشمس ولم اتذكر القانون البريطاني إلا بعد فوات الأوان وكان علي أن أقضي بقية الليل مختبئة في الحديقة لأن ضبطي متلبسة بمحاولة القفز عن سورها معناه قضاء بقية الليل في مخفر الشرطة!

ذات ليلة، ذات جرح..

ناديت كل الذين أحبوني والذين كرهوني، وكل الذين احببتهم والذين هجرتهم.

ناديت أرواح أمي وأبي وأجدادي، ناديب ارواح المبرّد والجاحظ والأصفهاني والمتنبي وتشوسر ودانتي ودون الميتافيزيكي وشيللي وورد ثوورث وبايرون وبيرانديللو، وتلوت كلماتهم فيما يشبه النحيب فلم أسمع جواباً غير امعان الليل في الظلمة، والريح في العويل، والذكرى في الهرب داخل مرايا النسيان..

ذات ليلة، ذات جرح،

تقطعت الحبال، وانهارت الجسور، وتهاوى الدرج العتيق،

وانبلج الصبح الحزين شبه المعتم، الرمادي المطر، وكنت ما أزال حية اتقلب باستمرار - كي لا اتجمد برداً - فوق عشب «الهايد بارك» اللامتناهي، وأنتحب وتدريجياً يتحول انتحابي الى ضحك مكتوم، فضحك فاجر، فضحك شرس كضحك مهرج خلف الكواليس بعد اداء نمرته، فضحك مضرج بدم ليل الغرباء المشردين.. وخرجت ليلتها من الحديقة حية وقد حملت (دكتوراه في التشرد) بدرجة الامتياز!

تسألني عن نعمة التشرد؟..

إنها نعمة أن تتعلم كيف تنزف بصمت وتفكر وحيداً وتقرر بصمت وتنفذ بصمت. نعمة أن تتمزق ضاحكاً. تتقلب فوق خنجرك في رقصة الموت البديعة المتفجرة حياة ورفضاً..

هذه أنا. لا أحد يملك لي شيئاً. الليل ضمادة جرحي. الثلج ضمادة نزفي. الغربة ضمادة وحدتي، أحياناً أسافر كي تقل غربتي. أحياناً أحسني غريبة عن كل ما حولي الى حد مروع، فأسافر هرباً من غربة الوطن الى غربة الغربة الأقل إيلاماً..

ذات يوم.. ذات جرح.. سافرت كي أرى بوضوح. سافرت كي اعايش حقيقتي دون أقنعة. فانت لا تسافر حقاً أبداً ما دمت تحمل في داخلك كل ما أنت هارب منه.. اليوم طويل طويل.. والجرح أنا.. والليل هو الضمادة السوداء التي تخفي ما كان دون ان تبدل من حقيقته.. وانت حين تتشرد، تتشرد بين جرح وجرح في المسافة بين الذاكرة والوطن.

● دائماً تهربين الى بيوت مفروشة عندما ترغبين بالكتابة.. وتخرجين من اطارك العائلي تماماً.. كيف تعانقين هنا التجربة؟

□ مبنى بارادايس. مبنى بيكاديللي. مبنى مود هاوس. مبنى هاواي.. فينرهاوس.. وغيرها وغيرها..

عشرات الغرف المفروشة احتللتها، كتبت فيها. عريت جرحي لمراياها الصدئة.. وهربت منها.. دوماً أنا هكذا.. بحاجة الى أن أكون وحيدة لأركض فوق الورق الأبيض وأخلف فوقه أبجدية نزفي.. وبعدها أعي كم المرايا صدئة والجرح بعيد الغور فأهرب..

حين اكتب أصير برية، مفترسة، شرسة، غير صالحة لعلاقات البيوت الأليفة، فأهرب لأكتب. وبعد أن أكتب، أصير بريئة وحزينة وجائعة لخبز الحنان فأعود الى مدينة السراب وأظل أنوس بين مدينة الوهم ومدينة القسوة.. وإني أعاني من هذه التجربة ما يعانيه الجسد بعد الصلب... أصلب باستمرار في ليل الغرباء لكنني حين أعود الى (العالم الاجتماعي الداجن) أجد أنني أصلب من جديد في ليل المخدرين...

حتى اليوم لا أدري ما الذي أكرهه أكثر: عالم الشقق المفروشة بكل ما فيه من بقايا نفاق وغربة وصلات عابرة، ام عالم الشقق (المكرسة) الشرعية بكل ما فيها من بقايا تراث مهشم مشوه واحتيال على الأخلاق تحت ستار التقاليد، وكل ما فيها من علاقات عابرة تحت ستار الشرعية!!...

●أحس كأن الوطن يصغر داخل قبضة يدك. كأن - مثلا - هذا الحد السيفي الفاصل بين منطقتي بيروت الشرقية والغربية يعذبك... فكيف بالتشتت العجيب بين كل أنحاء الوطن الكبير؟

- يا لرعبي... ألا ترى تلك النسبة العكسية المروعة بين حجم أحلامنا وحجم امتدادنا العملي؟.. ألا ترى انه كلما ازدادت المحاضرات عن الوحدة العربية كلما ازداد الحصار؟ وكلما ازداد الحوار حول التضامن العربي كلما ازداد الشقاق؟ الفنان بائس. انه يرصد زمن الانهيار، لكنه عاجز عن إيقاف الزلزال! إنه العراف! يرى المأساة سلفاً، لكنه عاجز عن قطع خيوط اللعبة... قبل أعوام، كنا نحلم بالرحيل إلى أرجاء الوطن العربي كله عبر السكة الحديدية العتيقة الممدودة على شاطيء (سوريا الكبرى)، الا ترى معي اليوم اننا صرنا سجناء ما يدعى (بالمنطقة الغربية) من بيروت؟... قبل أعوام كانت أحلامنا تغطي قارتين، اليوم صار واقعنا لا يسمح لنا باجتياز أكثر من حي واحد أو حيين وشارعين!!...

● للبحر سحره الخاص في كل ما تكتبيه. كيف تفهمين هذا الرابط بين موج البحر وموج الحياة؟

- الجمال والقسوة، تلك هي العلاقة المشتركة، والاهم من ذلك كله: الغموض، غموض

امكان الاحتمالات كلها...

البحر.. ذلك الضياء كله... ذلك الموت المظلم كله في الأعماق... البحر، ذلك الصخب والضجيج والفقاعات كلها في السطح، وذلك الوقار الدامي الغامض في القاع...

البحر.. بحر الغزوات... بحر الصيادين الكادحين... بحر العشاق ويخوت اللامبالاة... بحر أسماك القرش.. بحر عرائس البحر.. بحر الانياب.. بحر الأساطير...

والحياة بذلك كله... صمت البحر المستمر الصراخ...

وصمت الحياة في خلايا الوجع المحكمة الاغلاق.. البحر.. وزحام السباحين ومباريات البطولة والانزلاق وتصفيق الحسناوات وفلاشات مصوري الالعاب الأولمبية، ثم لا شيء سوى موجة عالية بحجم الغربة، وأصابع اخطبوط أسود بحجم الرعب، والليل.

وأنت وحيد وحيد في قبضة الوحشة، وأنت وحيد وحيد حتى من ذكرى حكايا يوليسس وأنت وحيد وحيد، البحر هو الحياة... انه أعظم ملحمة شعرية دقها الزمن مجاناً على شاشة الأفق.. المهم أن تغمض عينيك جيداً كي ترى... وتسمع ما تقوله ثرثرة البحر..

أذكر بوضوح: كنت أهرب من فندق ألكسندر بالاشرفية الذي أقمت فيه فترة ببيروت... لأنام على شاطيء البحر وتوقظني السلاطعين عند الفجر..

وفي لندن،
كنت أنام وحيدة فوق حشائش الهايد بارك وبقية الحدائق العامة، وأتقن الاختباء من البرد ورجال الشرطة، وحين أغمض عيوني أحس انني ممدودة على رمال بحر ما، بحر الغربة، والصقيع، والوحشة... البحر الذي لم أعرف سواه...

واليوم، أقطن بيتاً يقع البحر على شاطئه... لكنني حينما أغمض عيوني على الظلام هرباً من الظلام، ويتسرب صراخ البحر عبر شقوق اذني وفمي والنوافذ، أحس أنني ما زلت تلك المشردة النائمة فوق رمال الأوزاعي أيام الهرب من القسم الداخلي بالجامعة (الهوستل)، ومن فندق ألكسندر، وتلك المزقة المشلوحة فوق ثلوج شاطىء الغربة بلندن..وكل صباح استيقظ، وفي فمي حفنة من الرمل المالح الدامي.. فيه طعم الماضي بالاضافة للحاضر.

• ما هو الجرح الذي يؤرقك هذه الأيام؟

- الجرح ذاته الذي ظل أبداً يؤرقني: الافتقار إلى الحب الصادق...

ذلك يتجلى اليوم على صعيد عام شاسع.. وطننا يتمزق، لكن أحداً لا يحس الجرح في خاصرته، ولا يرى الطوفان إلا إذا أغرق (موكيت) غرفة نومه - كي لا أقول جارسونييرته - ...

لقد سقط جنوب لبنان تحت الاحتلال الاسرائيلي، لا أعرف الصيغ التمويهية التي يخرج البعض بها، أو التسميات الديبلوماسية لما حدث.. ولكن، ألا ترى أن كل صرخات تحذير الفنانين والأدباء والفقراء قد تحققت؟..

ألا ترى ذلك الرعب: الفنان هو النبوءة، لكنه لا يملك لها دفعاً!.. انه جرس الموت المسبق، لكنه لا يملك العلاج... ما يزيد الجرح عمقاً هو عمق الرؤيا: الجنوب مرحلة... الانسان العربي هو الهدف. جنوب لبنان جغرافيا. الانسان العربي هو الهدف. انهم يمتصون تاريخنا العربي عبر تدميرهم لجغرافيتنا...

ألا ترى الفجيعة؟ انهم يرغموننا على شرب مطر الجنون والنسيان!... ألا ترى الفجيعة؟ لقد ربونا دون خجل على الإيمان بالمجد العربي واليوم يحاولون عبثاً ترويضنا على الذل العربي!... سنشرب ولن ننسى، ولن نسمح لأطفالنا بالنسيان... المسكين آدم أكل التفاحة وما زلنا نعاقبه منذ آلاف السنين، أما الذي أكل غزة وسيناء والجولان، فكيف نباركه عشية الغزو؟..

انه الافتقار إلى الحب الصادق. نحن لا نحب جسد الأرض. لا نحب جسد المحبوب. لا نحب غير السكين المغمدة في جنبنا.. نحن الجيل العربي الماسوكي سنظل ننحدر، حتى نتحول إلى جيل الثورة والقدر!...

• ما الذي يأكل أظافرك في غمرة ما نحن فيه من أوجاع قومية وانسانية؟

- أظافري؟ أكلتها منذ وعيت شهوتي للابداع. سلاميات أصابعي أكلتها منذ وعيت شهوتي المغدورة للحب الخرافي...

عظام ذراعي أكلتها منذ وعيت الانبعاث القومي البلاغي الذي نعيشه والموازي للسقوط العملي الذي نعيشه...

عظام صدري التهمتها كأظافر تلميذ مرتبك حين وعيت أية مأساة قومية عربية نعيشها... ما تبقى من قفصي العظمي تهشم على صخور ليل الخيبة.. بعد ذلك كله ولدت ولادتي الحقيقية، ووجدت ذاتي في قافلة تصر ارادتها على برنامج عملي يعيد للانسان

العربي المهدور كرامته، وللتاريخ العربي الهزلي الدونكشوتي زمنه الجاد!!

● هل بعد هذا كله تحبين الورد والليل والموسيقى. وصوت الموج الذي تلونه اشعاعات القمر؟

– بعد هذا كله أحب الليل والورد والقمر والموسيقى أكثر مما مضى....

بعد هذا الظلام النهاري كله سيأتي الليل خيمة محارب... وسينبت الورد محمراً بنزفنا العتيق... وسيطلع القمر على أغصان برق الألم... وستنفجر الموسيقى من لحظة انتصار للانسانية...

بعد هذه البشاعة كلها،
سنعرف طعم العذوبة،

بعد هذا القحط كله، سنغني للقمر... بعد هذا البؤس كله، سننشد لابتسامات الاطفال والمسحوقين والفقراء، بعد ظلمة الكوابيس هذه، سيطلع القمر كوجه نبي صحراوي، وستتفجر الموسيقى كما ضحكة العاشق...

وسنقول: ذات يوم، حلمنا بليلة حنان.. وذات جرح، حلمنا بلمسة عطاء...

وكان ما كان... يا لهول ما كان... يا لضياء ما كان...

● آه اكتبي شعراً الآن.. أي شيء يريحك ويريحنا من عناء الأجوبة والحوارات...

– إذا كان الشعر هو الحقيقة أقول لك: أفتقد العمل في الصحافة. لكنني أيضاً افتقد عملا أدبياً عجزت عن انهائه، وسأفعل. وريثما أفعل ها أنا أعاقب ذاتي، وامتنع عن الكتابة في الصحافة ريثما انجزه!

أنا العاشقة الصعبة، لا شيء يريحني من عناء طموحي للعطاء. كم افتقد الكتابة في الصحافة «عشيقي الأول» وبقدر افتقادها امتنع عنها، ربما لأرغم نفسي على متابعة مسيرتها في دربها المحتومة: درب العطاء الأدبي.

الآن لدي مخطوطة جاهزة للطبع منذ ٢٨ – ١ – ٧٧ واسمها «اعتقال لحظة هاربة» ولدي ٧ كتب تتضمن أعمالي المنتقاة مما كتبته في الصحافة، ولكن لدي سيمفونية غير منتهية: عمل أدبي يعاندني وأعانده، وقبل أن أسكبه في كلمات لا سلام لي مع نفسي ومع عشيقي: الصحافة..

ذات يوم.. ذات جرح، كانت هنالك قصة...
وسأكتبها...
وسيولد يوم جديد... وجرح جديد...

وسأكتب...
وحين لا أكتب سأعاقب ذاتي... وهكذا إلى ما لا نهاية؟...
ذات يوم، ذات جرح.. ذات حب...
سأكتب شعراً لم يكتب مثله...
سأكتبه بصمت، وبحبر سري..
سأكتبه بالطباشير البيض فوق الثلج الناصع...
سأكتبه بالحبر الأزرق فوق ماء البحر.. سأكتبه بالجمر فوق أفق الحريق...
سأكتبه بالصمت فوق مستنقعات الضوضاء..
سأكتبه بأبجدية الرضى... سأكتبه بالحنان السري...
أين؟ ومتى؟
آه ليتني أدري لأكف عن هذا الانتظار المحموم.

(ليلة ٥ - ٤ - ٧٨ الساعة ٣ فجراً. ليلة السيمفونية الثالثة لبرامز. ليلة الليل الحزين. ليلة البحر الشديد الانتحاب كأن رماله أسوار قلب دنيوي... ليلة البكاء على ما أعرفه، والجوع إلى ما لا أدريه).

خريف ١٩٧٧

أنور خطار يستجوب

• بعيداً عن صورتها الأدبية التي يعرفها كل الناس.

خلف سطوع وجهها الأدبي المتميز بحضوره الدائم، هناك وجه آخر تحرص غادة السمان على إبقائه في الظل: وجه الانسانة. همومها، يومياتها، طفولتها، أحلامها، مواقفها من ذاتها ومن الناس، من الحياة والحب والزمن... فأي وجه ذلك الذي تخبئه غادة... وأي سر تخشى أن تبوح به وهي التي باحت بكل الأسرار؟!

عبثاً تحاول الوصول إليها إلا عبر الطريق المحدد سلفاً، وعبثاً تحاول استراق نظرة غير مقررة، تلك انسانة محكومة بالدهشة والحب، بالخطوط المستقيمة وبالغرابة، بالجنون وبقانون أرخميدس.

نجحت أم فشلت؟ تتساءل وأنت تلملم أوراقك مودعاً غادة السمان، كل شيء فيها يمنعك عن اتخاذ قرار. فتبقى حائراً مثل رقاص ساعة الحائط محكوماً باستمرار القفز بين الضفتين. القرار يعني الغرق.

تلك الضحكة، الجرح، الصرخة، الصمت، الوجه، القناع، الدمعة التي كرجت منذ سنوات على خد دمشق لتستقر في قلب بيروت، تبقى لغزاً تمزق ستائره، تفضحه، تلج مداخله حاملاً فانوسك وجرأتك، لتخرج واللغز لم يزل في جيبك والدهشة في عينيك.

على مدار ساعتين من الحوار مع صاحبة «كوابيس بيروت» و «ليل الغرباء» و «أعلنت عليك الحب» و «لا بحر في بيروت». تنسى إذا كنت قاضي تحقيق، أم تلميذ مدرسة، أم رحالة زاده السراب. وتسائل نفسك: أي وجه ذلك الذي تخفيه غادة السمان وتحرص على إبقائه في الظل؟

تبتسم وتجيب بهدوء:

«لا أحرص» على إبقاء وجهي في الظل، لكنني لست «نجمة مجتمع» ولا أطيق

كرنفالات الرياء حيث الزي أهم من الروح والشائعة اكبر من الحقيقة وحب الظهور أكبر من الجرح الشخصي والعام. لذا فالظل يحب احتضان وجهي الحقيقي: أنامل الظل رطبة في نهار الشجارات المحمومة، أنامل الظل شفافة في ظهيرة سباق أحصنة المجد... أنامل الظل عذبة في أمسيات «أوسكار الوهم» بالانتصارات الهزلية. أنامل الظل رقيقة على جرح الانسان الذي أضاع نصفه، والوطن الذي أضاع نصفه.

لا أحرص على شيء. لا أفرط بشيء هذه هي أنا، هذا وجهي المشرع لصدق العتمة، وهذا اسمي المهاجر من أعمدة الصحف إلى زوايا الحنان المفقود، وهذه أنا: قطرة زئبق شاردة في ليل الوجع، وصرخة انذار، في ليل السكارى عن مأساة الذات والوطن.

• كلما نجح رجل فتشوا عن امرأة تقف خلفه. وغادة المرأة من كان وراءها، ومن دفعها لتصبح «غادة السمان» التي نعرفها أديباً فقط؟

- لا أحد أمامي. لا أحد ورائي. لا أحد في هذا القفر. أنا وحيدة مثل نقطة محاصرة داخل دائرة. وحيدة مثل صرخة في مغارة خاوية. وحيدة مثل شهقة الولادة، ووحيدة مثل شهقة الاحتضار في قلب عاشق مهجور... والنجاح لا يطيق الزحام رغم انهم يحيطونه فيما بعد بالزحام، فالنجاح يولد من جرح نزف طويلا وسراً وفي الظلمة!... النجاح فردي «النجاح أعزب»!! لا تصدق ان وراء كل رجل عظيم امرأة تقف خلفه. (وإذا وقفت خلفه فلكي تدفع به إلى الهوة أمامه! ولكي تدمره!)...

وإذا نجح فليس بفضلها وانما بالرغم منها. من ورائي؟ لا شيء سوى المجهول وصراخ الريح. أنا وحيدة كالنبضة الأخيرة في قلب محتضر، شرسة كالنبضة الأولى في قلب طفل، غريبة كالموجة لحظة الدخول من المحيط إلى حنان بحر مغلق، ومتمردة مثل حبر محبرة مكسورة، ومحاصرة مثل الجمرة وسط الموقد...

وبين بسمتها التي غرقت وتدفق بريق عينيها تضيف: «من دفعني لأصبح «غادة السمان» التي تعرفها أديباً؟ ... الجميع، ولا أحد... كلهم حملوا ممحاة القسوة وانهالوا على وجهي الطفل فمحوا الضحكة العفوية والفرح والعطاء والبراءة ورسموا بصماتهم الوحشية: الوجع. القسوة. الشراسة. الأظافر. الغضب. الجرح جعلني أنا، لا الحنان. الوجع هو النغمة الحلوة، في سطوري لا الاسترخاء.

أنا جنون العصر الحجري وأنا جنون العصور الحديثة. أنا جوع العصور الحجرية إلى الكهف الآمن وأنا جوع العصور الحديثة إلى أرصفة المطر والتشرد والغربة، أنا روبنسن كروزو الضياع والتوحد وأنا تواقة للاتحاد والالتصاق. أنا الرفض القاطع

كسكين، وأنا شهية الاتحاد بالنار كحبة كستناء في شتاء قارس.

لم يقف ورائي أحد إلا وحاول دفعي إلى الهاوية. أنا أقف على حافة الهاوية وأتابع رقصة الحياة لا بفضلهم، بل بالرغم منهم (صديقات وأصدقاء). من دفعني؟ كلهم دفعوا بجسدي النحيل كفراشة إلى الهاوية، وكفراشة أسطورية، لم تطل أبداً رقصتي لخبث الضوء المزيف: صرت قادرة على تمييز الشمس من نيون الاعلانات. اني هنا أقف وحيدة على شاطىء الصدق، وأعرف أن الشمس لا تملك إلا أن تشرق ولذا فانني لا أصدق مصابيح صيادي الوجع!... أنا الوجع، ومن يستطيع اختراع أصابع تدفع بي إلى هاوية الصمت أو صنارة اللذة؟...

تعرفني أدبياً فقط؟ قبل ذلك التاريخ، كنت طفلة حقيقية مسكونة بالصفاء، وكان علي أن اختار بين أن أموت بصمت كآلاف من نساء بلادي، أو أن أتعذب على أفق الصخب والضجيج... قررت أن فضح اللعبة خير من الموت المجاني.

أتمنى باخلاص: لو ان جسر العذاب الذي استطعت تجاوزه يصير صلباً وتعبر عليه آلاف العربيات (اللواتي عشن تجربتي) إلى أرض المواجهة والصرامة، اتمنى لو أن دموعي الطفلة العتيقة تتفجر أنهاراً يبحرن فوق مراكبها إلى شواطىء اثبات الذات ويخيمن تحت أشجار التحدي واليقين والثقة.

● لو قدر لك ان تعودي طفلة تكبر من جديد فهل تطمحين إلى أن تصبحي أيضاً ما أنت عليه؟

– ولماذا أعود طفلة من جديد؟ كي أزحف من جديد فوق حقل الزجاج المهشم وكي أتمزق من جديد فوق ذلك الرعب كله من قيم موروثة ومفاهيم سائدة لمجرد انها سلفية... ما جدوى أن أعود طفلة ما دام كل ما حولي لم يتبدل؟ كل العالم حولي ما زال عتيق المفاهيم، مهترىء الرؤيا، وكل ما حولي سوف يتابع ارغامه لي على المشي في درب الجلجلة نفسها وحمل صليبي ذاته، ولن أتراجع أو اتخلف... ومع ذلك تسألني: هل أطمح إلى ان أكون ما كنت عليه؟ وكيف اطمح إلى مصير آخر، ما دمت بذرة في تربة عصري، والتربة لم تتبدل؟ هل تريد مني أن أتبدل؟ أهرب؟ أصير هجينة؟ استعمل شهادتي الجامعية لأعمل في بلد غربي واتمزق بين انتمائي الحقيقي وانتماء مصالحي.

لو عدت طفلة، كيف يكون لي طموح آخر ما دام دم الصدق ذلك كله الذي سفحته على درب التمرد لم يغير من قواعد «اللعبة» شيئاً؟ ماذا سوى أن أقص من الزيتون العتيق صليباً جديداً أحمله وأركض به في درب التحدي السلمي النزق؟.. انك لا

تخيرني، لكنك تعيدني إلى شروط غير حضارية لم تتبدل.

ومن البديهي ان ارد عليها - كامرأة الغاب - بصدق بدائي لم يتبدل. ارجوك، لا تُعـدني طفلة فقد تعذبت بصدق، وكافحت بصدق، وقاتلت بشراسة، ولم اطمح قط إلى غير الصدق، والصدق سيملي علي ان أكرر مسرحية العذاب والتحدي نفسها من جديد...

● هل تخافين الزمن. العمر؟

- أنا كاتبة، لا «نجمة اعلان». إذا كان جسدي رشيقاً فتلك مصادفة لا بأس بها. وإذا كان وجهي جميلا فتلك أيضاً مصادفة مناسبة. اما في القاع، فالزمن معي وليس ضدي. أداتي دماغي لا وجهي أو جسدي. تزايد الخطوط والتجاعيد في التلافيف الدماغية دلالة قدرة على الذكاء والوعي الانساني (هذا ما يقوله على الأقل علماء البيولوجيا)... الكتابة حياتي الحقيقية الاساسية وفيها تكمن فعاليتي. اذن، التقدم في السن امنية، شرط ان يتضمن ذلك تقدماً موازياً في العلم والثقافة والتجربة، وهذا ما أحرص عليه.. ما لن احبه في التقدم بالسن هو المرض، وأنا ذلك الكائن البدائي المتفجر صحة مثل أي تمساح صغير سعيد يطارد ذنبه فوق شاطىء أفريقي.

لا أخاف الزمن. أخاف توقف الزمن.لا أريد أن أموت شابة. أريد أن أتمتع بمزايا التقدم في السن التي لا تعيها المرأة العربية لأنهم اقنعوها انها اداة لذة تولد في الخامسة عشر وتموت في الثلاثين وحرموها متعة استعمال دماغها وارغموها على توظيف (رحمها) فقط، وحين يكف رحم المرأة عن تقديم الخدمات يعلنون انتهاء حياتها!

● بماذا تشعرين في اللحظة التي تضيف إلى عمرك سنة جديدة؟

- السنون وحدات قياسية لا اتعامل بها. قل لي مثلا: جرح جديد يضاف إلى عمرك. خسارة جديدة. محبة جديدة. لمسة حنان جديدة. رفقة جديدة. كل انسان احبه هو عام في حياتي اؤرخ مولدي بمعرفته. كل صديقة اخسرها هي عام افقده من عمر خبرتي.

في النهاية يتبقى عمري الحقيقي! عمر الشهية إلى العطاء. إلى الابداع. عمر القدرة على التمزق وعلى الفرح في آن معاً.

بهذا المعنى انا امرأة الفرح لانني تمزقت كثيراً لكنني ما زلت قادرة على ان اتمزق من جديد في حكاية انسانية اعرف سلفاً انها قد تولد لي ألماً لا بأس به.

شيءٌ واحد يؤذيني فيما أنا عليه من «مكانة أدبية» وهو سقوطي في فخ صداقات غير حقيقية. يحدث مثلا ان تتقرب إلي صديقة وأتوهم ان العلاقة نقية كصداقة طفلتين

في الميتم، وبعد طعنة الغدر اعي انها كانت تصادق صورة «غادة السمان» لا غادة الحقيقية، وانها ربما لم تفكر انني (قابلة للألم) وتتوهم ان الشهرة هي التعويض الأكبر. هذا طبعاً غير صحيح.

• هل حاولت أو فكرت في الانتحار يوماً؟

- ولماذا افكر بالانتحار؟ الانتحار ترف لم تتح لي ممارسته. دوماً كان هناك من يسعى إلى قتلي (صديقة وفية! عاشق موله. مجتمع رافض لما امثله. نظام يرى في وجودي الثائر تهديداً لمقوماته).. دوماً كان هناك في الظلام خنجر حاد مشرع يلاحقني، يتابعني في شوارع الغربة وأزقة التشرد، دوماً كانت هناك يد تدعي احتضاني وكل اصبع فيها سكين، دوماً كان هناك سهم يطلق ليستقر في وسادتي،فأكثر الناس فيما يبدو يصيرون اعداء لك إذا لم تفشل مثلهم، ودوماً نهضت من فراش الحلم وجلست أمام مرآة الزمن لأصرخ في صورتي: ايتها المرأة، كم انت وحيدة... كم انت معشوقة وكم انت مكروهة في آن معاً.

الذين يفكرون بالانتحار هم الذين يمتلكون ترف تصديق كذبة الحياة الحلوة، أو ترف اليأس النهائي!.. أنا كنت دوماً مطاردة مثل أي ابن آوى بريء يفتش عن شجرته، كنت دوماً محسودة ومكروهة ومعشوقة مثل شجرة تين شاسعة، كنت دوماً حرة وملاحقة مثل فراشة في حقل...

محاولتي للنجاة من محاولات قتلي لم تترك لي وقتاً للتفكير فيما اذا كنت ارغب في الحياة أم لا، في الانتحار أم لا...

لقد دفعت ثمناً باهظاً لحياتي حين انتزعتها من فك الموت أكثر من مرة (موت الطفولة. موت البراءة. موت الفرح. موت الصداقة. موت الحب المجاني)، وبعد رحلة الهرب هذه كلها من أعوان الموت الارغامي (الغدر - الحقد - الحسد - الخيانة - التقاليد - القسوة - العدوانية)... هل تراني أفكر بالموت المتعمد؟... هل سمعت قط بهارب من عصابة ترغب في قتله ينتحر اثناء هربه المحموم؟!...

ومع ذلك اعترف لك انني فكرت ذات مرة في الانتحار وعمري ١٥ سنة. وكان «انتحاري» يومها من أجل الحياة واحتجاجاً على موتنا اليومي واحتجاجاً على مخططات تقليدية تجعل من حياتنا موتاً داخلياً! كنت ليلتها ادرس على شرفة بيتنا بساحة النجمة بدمشق وصدري يضج برغبات غامضة مجنونة مفعمة بالتوق إلى الرحيل. كانت ليلة ربيعية عذبة، تفجرت نجومها صرخات سرية ونداء إلى أكوان

يجب ان اكتشفها ومدارات يجب ان أعيشها... ووعيت في الوقت ذاته موقعي كفتاة من مجتمع يخطط لي سلفاً حياتي وحتى عدد أولادي؟... وشعرت بالرعب، ففي الشرفة المقابلة كانت الجارة تنتحب بصمت كعادتها وهي تنتظر زوجها اللامبالي والذي يدعمه المجتمع لمجرد انه «ذكر» وهي «انثى». وشعرت بالهلع: سنوات واتحول أنا إلى تلك المرأة على الشرفة المقابلة، ولن ابدع أي مصير آخر إذا استسلمت. شعرت بأن المرأة محكومة بالاعدام سلفاً منذ لحظة ولادتها، وغمرني غم مراهق لا حدود له وقررت في تلك اللحظة الانتحار وعلى الشرفة. ثم حدث شيء صغير بدل مجرى حياتي: مرت في السماء طائرة، كانت نائية وبلا صوت كالرؤيا، أو كرسالة من السماء، وكانت أنوارها الملونة تضيء وتنطفىء مثل شجرة العيد... وكان ميلاداً جديداً لي، وفهمت الرسالة: علي أن أخرج اجنحتي من مكانها السري وأطير. ومن يومها وأنا أطير!...

• انت متهمة دخول التجربة بحثاً عن الحقيقة. بعد كل تلك التجارب كيف تنظرين إلى الحياة؟ الرجل؟ المرأة؟

– نعم. أنا متهمة بدخول التجربة بحثاً عن الحقيقة، وبأن كل الذين عرفت هم مجرد فئران تجربة في مخابري الادبية الجهنمية... وذلك صحيح. انني لا انفي التهمة بل اوضحها وازودها بمزيد من الادلة: أعيش احياناً بعض التجارب بصفتي مجرد(مراقب) لا بصفتي احد اطرافها!... لكن ذلك لا ينفي امكانية وجود علاقات انسانية تنسيني لعبة الفن لتجرني إلى قاع الحياة (او قمتها) لا فرق. كيف انظر إلى الحياة؟ كما وصفها يونيسكو وجينيه وبيكيت: الكل عبث وقبض الريح... باطل الاباطيل... الرجل؟... اسطورة اله من ورق الكلينكس. المرأة؟... اذا كانت قد خلقت من ضلع الرجل، فمن ضلعها خلقت الخيبة والأسى..

• هل أحببت في حياتك؟

– نعم. وباستمرار. بصدق. وبغرابة. الحب يتدفق مني وأحياناً اخترع له اهدافاً بشرية انا ارسمها لأنني بحاجة لأن احب، لا لانها هي تستحق ذلك. وموضوع حبي لا يقتصر على البشر. احببت ايضاً رموز الابدية الشاسعة: البحر. تبدل الفصول. الطيران الليلي. المطر مجنون التدفق كالعشق المفاجىء. الاسماك بعيونها المدهوشة أبداً. نباتات الصخور. نباتات الرمال. الصحراء. الاحجار المشعة. الكائنات المكروهة تقليدياً كالبوم والاخطبوط والضفادع والسلاطعين والسحالي وقنديل البحر والسلاحف المسنة، واليعاسب المضيئة ليلا، وغيرها من كائنات الطبيعة العظيمة

الصحراوية والبحرية. أحببت الموسيقى والكتب والابتعاد عن « السهرات الاجتماعية » وحياتي الهادئة اجتماعياً وأحببت أيضاً صراخ العصافير عند الفجر في الربيع مثل صرخة خوف من الحب والتفجر، وأحببت نواح الحمام في فجر الصقيع بأوروبا كأنها نذير بيوم جديد من العذاب بين هباب المترو وثلج الزحام... احببت كفاح البسطاء والطيبين والفقراء من أجل لقمة الشبع في مدينة التخمة والبطر وما أزال أحب بكل طاقتي على العطاء والألم... فالحب هو الحياة.. لكنني أحب بهدوء وصمت، ولذا أبدو من الخارج مجرد لامبالية أخرى... ان احداً لا يستطيع أن يرصد نشوة روحي أمام زهرة برية نبتت في قلب الصخر أو لحظة غروب فوسفورية تفجر الفرح الكوني في أمسية بيروتية عابرة... أنا عاشقة سرية!!... مجنونة سرية!!... غجرية سرية...

• ما هي اهتماماتك خارج نطاق الشخصية الأدبية، وهل تتابعين هوايات معينة؟

- الشخصية الأدبية ليست قناعاً ارتديه وأطل به على الناس. وصحيح ان شخصيتي خارج ملكوت الابجدية أكثر ميلا إلى الضحك والعفوية والعبث حتى حدود الجنون ولكن لذلك ضوابط شديدة الصرامة حتى ليخيل إلي أحياناً ان وجهي الأدبي أكثر مرونة وعذوبة من وجهي الشخصي - اذا صح وجود انفصام بينهما - ...

في الحقيقة، أنا أنا. وجه واحد لحقيقة واحدة، تصورها الكاميرا حيناً وريشة فنان ما حيناً آخر، ولكن الوجه «كجوهر» هو نفسه، ولا يبدل من هذه الحقيقة ان تنظر إليها من زوايا متعددة في اضاءات مختلفة.

لكنني حينما اكتب انتشر حزناً شاسعاً على طول الأفق في لحظة بوح حقيقية لاشيء يحددها، وحين لا أكتب أحس ان من واجبي بذل ولو بعض الجهد كي لا أبدو من الخارج حزينة وشرسة وحائرة، وجائعة للحقيقة والصفاء بقدر ما أنا من الداخل...

وهكذا فان اهتماماتي هي نفسها! معرفة المزيد عن الحقيقة البشرية والوضع الانساني. أما عن هواياتي فأنا أحب تحريك الجسد كما أهوى اطلاق سراح الفكر. اعشق السباحة ويخيل إلي أحياناً والأسماك تلامسني وأنا أسبح (وأشعر بعذوبة فائقة في اللقاء) ان اصل الانسان سمكة. احب المشي عند الفجر أو الغروب أي في الأوقات غير الكرنفالية. أحب أن يكون لي شاطئي الخاص. احلم أحياناً بشاطىء شاسع لي وحدي أركض على رماله مثل أي فرس بري، وأصهل، وأتقلب فوق الأمواج ثم أعاود انطلاقي من حيث لا أدري وإلى حيث لا أدري. أحلى نزهاتي حين لا التقي بشخص يسألني عن

(اخبار الأدب) وحين أكون شديدة الالتصاق بتلك النباتات العجيبة الصبيرية الجذوع الليلكية الزهور، وحقول الأقحوان الأصفر على الشاطىء، وأحجار الصوان التي اقدحها ولا أرى شررها في الشمس فأكتفي بشمها للتأكد من انها التهبت بين أصابعي ولو لمرة، وإذا لقيت بعض الأصداف التي قذفها الشاطىء فتلك فرصة فرح حقيقية، أحب جنون الطبيعة وابتعاد الناس، أحب كائنات الطبيعة كلها، عقاربها فراشاتها وأفاعيها التي اقبض عليها بألفة، وأفضل تحاشي أقنعة الناس المتقنة التلوين... اقضي أكثر أوقاتي بعيداً عن الكرنفالات الاجتماعية. لا أبالي كثيراً بعتب أصدقائي لأن الزمن لا بد وان يعلمهم أن حبي للطبيعة والقراءة والحرية لا يتنافى وصداقتنا، ثم ان العلاقة التي تربطني بالبحر والشمس والكتب والموسيقى والتشرد «والاتوستوب النفسي» وعلاقات القطار والصخور والاعشاب أشد متانة وصدقاً.

في الصباح حين استيقظ، أطل على البحر كمن يبحث عن حبيبته وأرقب ألوانه المتجددة أبدا ورسالته الفكرية المحرضة دائماً بتلونها وخلقها الدائم. لا أطيق الرتابة، والطبيعة لا تعرف الرتابة... وحين أذهب إلى الشاطىء لا أجد ذرة رمل في المكان الذي كانته في الليلة السابقة، حتى الشمس تبدل كل يوم موضع شروقها وغروبها...

الحياة هوايتي. الحياة خارج الكرنفال الاجتماعي. الحياة وسط الطبيعة. الحياة وسط الناس الذين لا يرتدون الأقنعة. الحياة خارج الطبقة المهرّجة - التي ألفت صدأ اقنعتها - ... الحياة داخل الجرح حقيقي النزف بدلا من الحياة داخل مسرحية الرفاهية المزيفة في وطننا المعذب.

• **ما هي أفضل أوقات الكتابة لديك، وأين؟**

- انتهى زمن الطقوس والبخور والهياكل!.. من زمان حين كنت صغيرة، كان لا بد من الياسمين، والموسيقى، الليل، وعود البخور، وهيكل التوق الغامض.

اليوم صرت يا صديقي أكتب من أي مكان... صارت أعماقي المحترقة هي البخور، وذاكرتي الياسمين، ونبضي الموسيقى، ونزفي الليل... صرت أنا هيكل التوق الغامض وصارت شراييني انهاراً تسبح فيها أسماك الحلم الملونة.. وأفضل أوقات الكتابة لدي هي الكتابة داخل زمن الحب كما داخل زمن الفراق كما داخل زمن النسيان!!!..

أكتب أكتب.. من المغاور.. من قاع البئر. من فوهة البركان...

من الشريان الأبهر لأحبابي.. من الوريد المذبوح للذين غدروا بي أو غدرت بهم... من الفنادق مجهولة الأسماء في قرى أوروبية نائية لا أذكر اسمها.. من سيارات

الأوتوستوب.. من طائرات الكوابيس... من عالم الفنادق المكهربة الفخمة... من المطارات الحزينة لحظة وداع غادر من طرفي!.. من مدن الضباب وهباب المترو... من ليل الغرباء النازف كالنهر في شوارع مزينة بأضواء الميلاد...

أكتب أكتب، كما أتنفس. كما ينبض كل عرق في جسدي بالألم والنشوة معاً.. بالاخلاص والخيانة معاً... بالعطاء والغدر معاً... أكتب ما دمت أحيا.. من أي زمان ومكان.. من أي لحظة صدق أو لحظة انسحاب وضيعة. جسدي الابجدية ودمي الحبر!..

لكنني أيضاً اعترف لك انني أفضل الهدوء لحظة الكتابة.بعيداً عما أحبه أو أكرهه: رنين الهاتف. مفاجأة الأصدقاء بزيارة بلا موعد. أحياناً - وأنا أكتب - اتصرف دونما تهذيب اجتماعي. فإذا فاجأتني زائرة لا يحرجني ان يقال لها: انها تكتب وعاجزة عن استقبالك. والنتيجة أحياناً مقال هجومي إذا كانت الزائرة صحفية (حدث لي هذا منذ ٣ أشهر)! الزائر الوحيد الذي استقبله باستمرار دونما موعد وأعجز عن الاعتذار منه هو «الوحي» - لا أحب كثيراً هذه الكلمة لكنني في هذه اللحظة لم أجد بديلا عنها - وهو كائن يكره الزحام، وعليك باستمرار أن تكون مهيأ لاستقباله غير لاهٍ عنه تماماً بحب أعمق من حبك له. لذا الحب الكبير جداً قد يدمر الفن! انه أمر مخيف. وأيضاً، أحب وأنا أكتب أن يكون هنالك تشايكوفسكي ينتحب ويجن في خلفية موسيقية خافتة الصوت. جريك وليست وحتى برامز استطيع الكتابة في حضورهم.. كارل اورف أيضاً... ولكن مع بيتهوفن أعجز عن الكتابة. بيتهوفن عبقرية مذهلة الضخامة، وهي تحط فوق روحك كأجنحة نَسر خرافي وتضطر للتفرغ لها. أحب كثيراً آية موسيقى خافتة شرط أن تأتي من بعيد، من بناء مقابل ما... من غرفة لا أعرفها... شرط الا اسمعها جيداً وان تتقدم مني مثل موجة قادمة من بحر مجهول. وهكذا فأنا لست ضد «راديو الجيران»، ولعل السبب انني حينما أكتب انفصم عن العالم الخارجي إلى حد يخيفني شخصياً، وصوت قادم من (الجيران) يجعلني أحس ببعض الأنس.

● ماذا تطالعين اليوم؟

- اليوم بالذات تسلقت شجرة الذاكرة وأعدت قراءة أوراقها ومزقت أزهارها ثم تسلقت شجرة الحلم وقرأت جذورها بإمعان ثم قلبت صفحات مجلة الباري ماتش، وقبل أن أخط هذه السطور شعرت بشوق غامض لقراءة ابيات معينة في مسرحية هَمْلت

لشكسبير (والمهزلة انني احفظها غيباً لكنني أردت ان أقرأها في سطور الجدية، مثل عاشقة تتحسس وجه حبيبها وهي مغمضة العينين) ثم خرجت إلى الشاطىء وقرأت في دفتر الطبيعة آلاف الأزهار والأصداف والأشواك والأحجار والنباتات (بالمناسبة حجارة الصوان تسحرني كالأصداف تماماً. ولكثرة ما جمعت منها في بيتي صار البيت شبيهاً بكهف انسان من العصر الحجري. وحين اقدحها ليلا في الظلام ويتطاير الشرر اشعر ان الدنيا بخير واختراع النار لم يكن هو الآخر أكذوبة كاختراع الكهرباء والذرة)!.

من الشخصيات الأدبية تعجبني شخصية **الرب**، لا في أدب دانتي وملتون فحسب وإنما في التراث الشعبي أيضاً. تعجبني أيضاً شخصية المحبوب في صدر العاشقة أو العاشق، انها مرسومة بإتقان وملونة بحذق فائق يتجاوز كل ما في طاقة الفن على التزييف والتضخيم والخلق - الحب عمل فني مذهل!

لنعد إلى قراءاتي ولنتحدث ببساطة أكثر.

هنالك سر لا يعرفه أحد، وهو انني لا أمارس القراءات الجادة فقط لكنني ايضاً استمتع بقراءات عجيبة غريبة.

كي أنام مثلا، لا استطيع أن أقرأ بليخانوف أو ابن خلدون أو تروتسكي أو روزا لوكسمبوغ أو انطون سعادة. اولئك يوقظونني حتى ثمالة الوعي، ويحركون في روحي كل الأسئلة الباحثة بإلحاح عن أجوبة. قبل النوم أقرأ مجلات مضحكة مثل (ماد - كراكد - سيك - بالانكليزية)، واقرأ روايات بوليسية وحكايا رعب مصورة. (اعشق قصص الرعب، المتقن منها كالذي يكتبه ادغار آلن بو او التجاري المعاصر كالذي يكتبه آليستر ماكلين). اغاثا كريستي احببت رواياتها فترة ما، ثم كشفت اسلوبها الواحد الذي لا يتبدل، وصرت من الصفحات الاولى للرواية اعرف من هو القاتل وينتفي التشويق، والقاتل دوماً لدى اغاثا كريستي هو الشخص الوحيد الذي لا يرقى إليه الشك والذي يملك كل الأدلة الحسية والعاطفية الظاهرية لعدم القتل. انها كاتبة عظيمة لكنها تفتقر إلى التنوع في اسلوبها البوليسي وأحسها بذلك تنتمي إلى العصر الفيكتوري (فيكتوريان ايدج) ادبياً، رغم انها زمنياً معاصرة.

لدي رغبات مكبوتة لكتابة رواية بوليسية عربية! أرى في وطننا العربي اللامعقول الغامض كأزقة سرية، أرى فيه امكانية مدهشة لكتابة رواية بوليسية بمعنى جديد، حيث الرعب لا ينبع من العنف بقدر ما ينبع من استمرارية علاقات وتقاليد مشبعة

بالرعب لكننا لكثرة ما مارسناها وألفناها لم نعد نرى الرعب فيها. اطمح إلى كتابة رواية عنف بمعنى رسم القتل اليومي الذي تمارسه علينا مؤسسات التخلف دون ان نملك حتى صرخة احتجاج. اطمح إلى رسم الرعب على طريقة كافكا ولكن ضمن اطار عربي محلي معاصر.

أروع ما في القراءة هي انها تحرِّض لديك الكتابة. ولذا، حين أكون مكسورة الروح ابتعد قدر الامكان عن الفن الجاد: القراءة الجادة. الموسيقى العميقة. العلاقات الانسانية العميقة. فهي تفجر في الجرح مزيداً من النزف، وابحث عن السلام الموقت في علاقات لا تمس الجرح (ريثما يتولى الزمن شفاءه كما يحدث لي دائماً)!!

● **هل تحملين امنية في صدرك لم تتحقق وتطمحين إلى تحقيقها؟**

– أحمل في صدري هذه الأمنية المختصرة: ان يكف الانسان عن التطور من انسان إلى قرد. والعاشق عن التطور من حبيب إلى خنجر.

١٤ / ١٢ / ١٩٧٩

عبد الله الشيتي يستجوب

• كل حوار صحافي جيد هو قصة حب بمعنى ما.

كان الحوار سجالا بيني وبين غادة السمان، الأديبة الكبيرة والروائية العربية المشهورة، والانسانة الذكية الموهوبة التي استطاعت ان ترصد «كوابيس بيروت» بلا خوف ولا تردد، وان تختزن في حنايا القلب، وسنان القلم، فيضاً من مشاعر انسانية فريدة مذهلة.

وقد شاءت غادة، هذه المرة، ان تجيب على الاسئلة بخط اليد، ورعشة الأهداب وتمتمات الشفاه، لتكون اجاباتها المشوقة اكثر دقة وصدقاً والتحاماً مع نفسها وعباراتها «السمانية» المتميزة بالدفء والعذوبة وحنان المرأة الانسانة، لا الانثى فقط...

انها هناك فيلسوفة جميلة وعميقة و... صاحبة رأي، وموقف، وألم كبير، يصنع نفسها الكبيرة.

والآن الى حوار «السين جيم» مع غجرية الحروف الرمادية المثخنة بالجراح..

• أين انت الآن؟.. بل اين.. أنا؟

- اين انت الآن؟ أنت في هذه اللحظة مسترخ في مقعد شاسع خلف منصة.. تلعب دور القاضي، ودور المدعي العام ايضاً!.. انت الآن تستجوبني، هكذا فجأة تصرخ في وجهي، وأنا أجيب!..

أين أنا الآن؟ أنا أجلس فوق كومة هائلة من الاوراق تشبه التل. انها المحاورات الصحفية بيني وبين رفاق القلم على طول أثمن سنوات عمري.. ولأنك صديق حميم، اقول رغم جلستك الآن في منصة القضاة: أحياناً اتساءل، لماذا قبلت بأن أسأل؟ لماذا أجبت على مئات الاسئلة، المعقول منها وغير المعقول؟ أتخيل الآن الاسئلة كلها التي طرحت علي خلال هذه الاعوام كلها، مسجلة على شريط واحد بصوت محايد واحد، وأنا انصت الى الشريط، وهو حين ينتهي يعاود طرح الاسئلة من جديد، يتكرر دونما توقف او رحمة، تُرى هل كنت املك له سوى صمت مذهول مكسور، في قاعه تساؤل

طفولي: هل يهمهم امري حقاً؟.. أم تراني كنت أصرخ في الشريط الجهنمي: وأنت أيها الصوت ما شأنك بي؟ اخرج من جرحي، اخرج من جسدي، اخرج من شراييني، من احلامي، من عزلتي ايها الصوت المجسّد للعالم الخارجي..

واذا صمت الشريط وغادرني، ألن أشعر بالوحشة؟ هل هي الغربة المتأصّلة في أعماقي، تلك التي تجعلني أسيرة صوت القبيلة، ونزوات أسئلتها؟ هل يتضمن كل حوار صحفي حقيقي كسراً للغربة، ولو على الأقل خلال الساعات التي يستغرقها الحوار - صوتاً أو كتابة -؟..

الآن مثلاً، أنا لست وحيدة، أنا معك بكل ما هو أنا. ولا أشعر بالغربة ولا بالعزلة، وأنا مستغرقة في حوارنا تماماً، وكل ما تبقى، مرمي الآن خارج كوكب حوارنا، وخارج مداره.. تُرى هل كل حوار صحفي حقيقي هو نوع من تدمير الوحشة؟ وسلاح من أسلحة الفنان ضد قشعريرة الغربة؟ كأن كل حوار صحفي جيد، هو «قصة حب» بطريقة ما، ودونما تورط!

«قصة حب» حقيقية، تبدأ ببدء الحوار، وتنتهي مع آخر كلمة، دون ان تخلف غصة او حقداً، وفي «الحوار الصحفي» كل ما في «الحب» من صفات جوهرية: لغة مشتركة. لحظة تفرغ مطلقة متبادلة. محاولة التقاء. محاولة معرفة. محاولة انتماء حقيقية!!.

● **الألم، هل يسكنك أم أنك تسكنينه؟ هو احتمال عندك، أم اقتدار، أم فلسفة؟**

- الألم عندي ليس «هواية» ولا مكياجاً مسرحياً لتمثيل دور «كاتبة». نظرية «الألم للألم» أرفضها، كما أرفض لعبة «الفن للفن». لكن الألم نتيجة محتومة للوعي. الألم هو طفل الالتحام بين الحلم وبين العالم الموضوعي. الألم هو وليد الاحتكاك بين صدقك، وبشاعة الأشياء حولك، أو كآبتها، أو هشاشتها، أو كونها محكومة بالموت مهما كانت حلوة وعميقة!

الألم هو نتيجة مواجهة الذات بحقيقتها وحقيقة ما حولها. وأنا امرأة مواجهة، وكاتبة مواجهة. الألم عين تحدق، وقلب ينبض، وضمير يرفض ابتلاع أقراصه المنومة، وعقل يرفض رشوة المباهج الصغيرة اليومية!

طاقتي على إحتمال الألم، تعادل طاقتي على العمل. وهكذا فأنا لا أهرب من الألم الى العمل كما قد يبدو من الخارج، لكنني احاول «توظيف الألم» في خدمة العمل، من اجل كتابة الجدية اكثر عمقاً وصدى وجدوى.. الألم لدي، ليس فقط نتيجة لهزائمي

الشخصية الصغيرة، وخيباتي الروتينية، بل هنالك اولا الألم الكبير للوضع البشري ككل: هشاشة الاشياء الجميلة وظل الموت المتربص بنا متحالفاً والمرض والغربة والعزلة الداخلية. بالاضافة الى هزيمة الانسان امام كون شاسع الغموض، هنالك هزيمته امام مجتمع قهره، أو أمام نظام غدر به، أو يقين تخلى عنه، أو وثن اكتشفه إلهاً من التمر.

• الأمنية والحلم، من منهما تحقق، ومن فيهما احترق؟

– الأمنية والحلم. كلمتان شفافتان. تذكران بأول فراشة طاردها القلب الطفل؛ وبأول نجمة تأملتها عين، فضولها عشق كوني لا متناه..

الأمنية والحلم.. من تحقق.. من احترق؟ لا شيء تحقق. لا شيء احترق. الأمنيات يحرقها مجرد تحقيقها، والحلم عليه أن يظل حلماً كي يكون.

الأهم، ان طاقتي على الحلم لم تحترق. ورغبتي في تحقيق الأماني التي تتوالد دونما نهاية لما تخمد. ما زلت اشتعل جنوناً ورفضاً وغضباً كلحظة الكتابة الأولى. لم اتحول بعد الى «حرفية» ماهرة – ما زلت أهيم في وادي المعرفة، وأنبش الأرض والوجوه بأظافري بحثاً عن نبع يقين. بل ان بحر الكوابيس والأهوال الذي عبرته، زادني قدرة على استيعاب قيمة الحلم، الذي هو كالرجل المحبوب: علينا الا نحاول القاء القبض عليه، كي لا نفقده ويستحيل دخاناً..

أو حفنة رمل هاربة من بين الأصابع المريضة بحب الامتلاك.

• الشرقية فيك والغجرية، من قتلت الاخرى أو... أحيتها؟

– أنا لم أكن حقاً غجرية، ولم اكن حقاً شرقية. لقد كنت أفتش دوماً عن الحقيقة، عن «حقيقة ما»، عن «يقين ما»، عن «منارة ما».. وكنت على استعداد لاستعمال الوسائل كلها لذلك.. وحين اجد ان «الحياة الغجرية» قد تكون وسيلة لكشف المزيد من حقائق النفس الانسانية، أصير غجرية مؤقتاً، غجرية واعية، تشردها مدروس، «ولا وعيها» نتيجة وعي وتصميم!

...ولم اكن شرقية حقاً بالمعنى المتوارث، وإنما أسيء احياناً تفسير انطوائي ورفضي بصورة خاصة في فترات عزلتي اثناء كتابة عمل جديد ما.

أنا كاتبة. هذه حقيقتي الاولى والاصلية، وكل ما عداها مسخر لخدمة الكاتبة. لست غجرية. لست شرقية لست مجنونة ولا سجينة. لست مبالية. لست لا مبالية. انا اولاً كاتبة تفتش عن حقيقة ما، وكلما وجدت حرفاً منها أعلنته للناس بأي ثمن. ان احداً لم يقتل الآخر في ذاتي، لا الغجرية قتلت الشرقية ولا العكس ولا غير ذلك.

الكاتبة هي التي تقتل الجميع في ذاتي حين تشاء، وهي التي تستدعي الغجرية لاداء دورها حين تحتم مصلحة الكاتبة ذلك، وهي التي تستدعي بقية الشخصيات اللامتناهية المختزنة في ذاتي!

الكاتبة هي وحدها الحقيقية، والمطلقة السيادة على بحاري وشواطئي وغاباتي.. حتى اشعار آخر!.. هذا ما يتضح لي باستمرار. وأنساه أيضاً باستمرار!! (خصوصاً حينما أكون عاشقة!).

● حبك لهؤلاء صراحة ووضوحاً وحكماً لا يقبل استئنافاً ولا تمييزاً: الرجل؟ الحياة؟ الموت؟ الحرية؟ المرأة؟ الطفولة؟ الفن؟ الأدب والشعر؟ الليل والموسيقى؟ البحر والسراب؟ الصديق أبوك؟ والصديق زوجك؟ والصديق الذي لم تلتق به بعد، وأنت «مليونيرة» أصدقاء؟.

- يا عزيزي «القاضي»، لماذا تحرمني من حقي في التمييز والاستئناف؟ لك مني الصراحة والوضوح، ولكن اسمح لي بأن اكتشف حقائق جديدة في الحياة، قد تبدل وجهة نظري فيما بعد!

اذن، بصراحة ووضوح، وحتى اشعار آخر، ومع اصراري على حقي في التمييز والاستئناف، ضمن هذا الاطار، أقول لك مختارة اجاباتي من عناوين قصصي:

- الرجل: «عيناك قدري» أو «فزاع طيور آخر»!!
- الحياة: «اعتقال لحظة هاربة».
- الموت: «رحيل المرافىء القديمة».
- الحرية: «لا بحر في بيروت»
- المرأة: «أرملة الفرح»
- الطفولة: «حريق ذلك الصيف»
- الفن: «الاصابع المتمردة»
- الأدب والشعر: «بقعة ضوء على مسرح»
- الليل والموسيقى: «زمن الحب الآخر»
- البحر والسراب: «قتلته لأغني»
- الصديق أبوك: «ما وراء الحب»
- الصديق زوجك: «حب»
- الصديق الذي لم تلتقي به بعد: «أعلنت عليك الحب».

● السياسة، لِمَ لمْ تسكنك كما الآدب، كما الفن، كما العشق؟

- السياسة سكنت أدبي بالمعنى الجوهري للكلمة. فالانسان العربي المعاصر هو المحور

الاساسي الذي تنطلق منه بروقي ورعودي، من همه، من جرحه، من واقعه ومن تطلعاته، من هذه الارضية اكتب، ومن موقع المواطن (الـذي لا تلغي تاء التأنيث في اسمه مواطنيته في أمتـه) اكتب وأنزف.. السياسة تسكنني كأي فنان غير ملتزم حزبياً، لكنه ملتزم انسانياً بعشرات القضايا العادلة التي يؤمن بها، وملتزم بحقائق ينوء بعض الشعب العربي تحتها. اني ملتزمة بغضبي امام واقع عربي بحاجة الى تبديل اكثره، وملتزمة بكفاح فئات احس بأن انتائي اليها هو جزء من انتمائي «كفنانة» للصدق والحق والعدالة والحرية..

ولأن الفن الحقيقي لا يمكن أن يكون خارج قضايا الحياة، فانه لا يستطيع ان يكون خارج السياسة. كل ما في الأمر هو انني لست كاتبة شعارات. انا كاتبة حياة لا أقبض راتباً من أي حزب أو تجمع. ولائي هو للحقيقة، وفي احساسي بالاقتراب منها اجد المكافأة الكبرى.

● العد التنازلي في عمر المرأة أو... عمقها، متى؟

- العد التنازلي في عمر المرأة يبدأ حينما يتضارب سنها مع ما كرست نفسها لأجله. وهذا ايضاً ينطبق على الرجل. فالعد التنازلي لبطلة الجمباز يبدأ في سن ١٨ مثلا، والعد التنازلي لبطل الملاكمة يبدأ في سن الثلاثين، والعد التنازلي لممثلة أدوار المراهقة يبدأ في ما قبل الاربعين.. وهكذا.. أي ان العد التنازلي يبدأ بالنسبة للمرأة والرجل معاً انطلاقاً من هدفهما في الحياة.. «جوكي السباق» مثلا يخسر مع الزمن. العالم مثل «اينشتاين» يربح مع الزمن. بصورة عامة، الزمن ضد اصحاب المهن التي تتطلب نضارة «جسدية»، والزمن مع اصحاب المهن الـتي تتطلـب مهـارة عقليـة. ان تقـدم الراقصة العظيمة «ايزادورا دانكان» مثلا في السن كان كارثة دمرتها، لكن تقدم الكاتبة آجاثا كريستي في السن او برنارد شو مثلا أتاح لهما الفرصة لتقديم أضافات الى فنهما.

● التشاؤم في البوم تفاؤل عندك. كيف، يا لطيف؟

- أنا لا اتفاءل بالبوم ولا اتشاءم منه. انني ببساطة احبه! اجده جميلا، واكثر جمالا من بقية الطيور غـبية العيون. عيون البوم حزينة وشاسعة، والانسان يخافها لأنها بنظرتها الصامتة العميقة تذكره بآثامه. الناس يسقطون ذنوبهم على البوم.. بعضهم يتوهم ان

سبب موت طفله هو زيارة البوم، لا عدم زيارة الطبيب وعدم وجود الدواء!

بعض الناس يفضل الهرب من مواجهة الحقيقة، أي إلقاء المسؤولية على ما وراء الطبيعة، والاسم العام لذلك هو «التطير».

أنا اتشاءم من الكسل. اتشاءم من الحقد. اتشاءم من الجهل والتخلف والجرائم. اتشاءم من بعض الناس. أما البوم اللطيف، فهو مجرد مسكين آخر يكافح للحصول على رزقه، وهو حين يستيقظ ليلا ليصطاد، لا يقصد اخافة البشر، ولكن، ما ذنب البوم اذا كانت الطبيعة قد زودته بعينين لا تسمحان له بالصيد في ضوء الشمس للأكل واطعام صغاره؟.. كل الذين يمقتون البوم، لم يكلفوا انفسهم عناء قراءة كتاب في علم الحيوان، ليعرفوا ان البوم المسكين هو مجرد طير كادح آخر، يكافح لإطعام صغاره، وانه من اكثر الطيور حناناً!..

● **اخيراً غادة، ابرقي بكلمات قليلة الى دمشق/ بيروت/ اثينا/ روما/ لندن/ باريس/ الكويت.**

- الى سيدتي العظيمة دمشق: اخشى ذكراك، لأنك تذكرينني بقدرتي على الحنان والعذوبة والوفاء، وتعيدينني ياسمينة مطيعة الى حقول العطاء المنسية.

- الى بيروت: كل قتيل فيك هو أنا. كل جثة مجهولة الهوية هي جثتي أنا. عويل الريح في شوارعك هذه اللحظة هو صراخي الصامت أنا.

- الى أثينا: ابتسمي ايتها الشهية كأحلى النساء، يكفيك فخراً أن عشاقك كانوا: سقراط وأفلاطون وأرسطو!

- الى روما: مباركة أنت بين المدن، ففيك التقى شاعران عظيمان، وتعايشا في بيت واحد، هما «كيتس» و «شيللي»، دون ان يغار احدهما من مجد الآخر. على «السلم الاسباني» تحت نافذتها العتيقة أقف وعشاق الأرض نصلي للوفاء، واتساءل: لماذا يكره المبدعون بعضهم بعضاً في بلادي؟

- الى لندن: في ليلك، سقطت المرآة من يدي وانكسرت، وفي حطامها، شاهدت وجهي للمرة الأولى بوضوح..

- الى باريس: ما زال طعم ثلجك ورمادك في فمي، ونزفي وحيدة فوق صقيع ارصفة ليلك لكنني احبك، ففيك سقطت ولم يرفعني احد، ويومها تعلمت المشي للمرة الأولى، ووعيت كيف يصير الجرح عكازاً!

- الى الكويت: التقينا ثلاث مرات.. تبادلنا الود.. متى نتعارف حقاً؟..

١٥ / ٦ / ١٩٧٩

نعيم شقير يستجوب

• احتفظت دوماً في نفسي برقعة سرية لما يطأها إنسان

• كل فرد مستقل بذاته، وهذا مفهومي للتعاون الزوجي!

غادة السمان، او مدام داعوق، ضائعة بين زمنين، زمن الكتابة وزمن العائلة العريقة، لكنها في الحالتين ترفض ان تحاكم من هذه النظرة.

مع ذلك صممنا على محاكمتها وطرح اسئلة تدينها كقاصة تتعامل مع عالمها الكتابي بنرجسية مطلقة، وكزوجة ارتبط اسمها بالدكتور بشير الداعوق وبعائلته العريقة.

والكتابة عن غادة السمان هي الابحار في سفن الكلمات نحو مرافىء الأدب. والحديث عنها هو حديث الطير عن الفضاء والتحدث معها هو الأصغاء الى حفيف اوراق الشجر تحت ضوء القمر.

كورق الصفصاف تتحدث غادة السمان. هي الغارقة في اعماق الكلمة.

كثيرون كتبوا عن غادة السمان الأديبة. كثيرون غاصوا في تحليل ما كتبت. وقليلون قليلون هم الذين تناولوا النواحي الشخصية في حياة غادة.

• غادة السمان، او مدام داعوق. كيف توفقين بين التسميتين، ذلك ان فيهما تناقضاً جوهرياً. فهل دجنت عائلة الداعوق الكاتبة الحرة واتبعتها بتراثها العائلي العريق؟

- لا يمكن لأي تراث عائلي عريق ان يكون ضد الابداع فالتراث العائلي هو حصيلة عمل، والابداع عمل. ومن حيث الجوهر نجد نقاط الالتقاء اكثر من نقاط الفراق، والدليل ان زواجي كان من الزيجات النادرة في الوسط الأدبي التي لم تتم على حساب الكاتبة.

لقد اعتدنا نموذج الأديبة المتفجرة ثورة قبل الزواج، والتي تكف عن الكتابة بعد

الزواج نهائياً ، او تصدر كل خمسة اعوام كتاباً من اجل المحافظة على (اللقب الأدبي) وإضافته الى القابها (الصالونية) الاخرى.

اما انا فقد كتبت الراوية لأول مرة بعد زواجي. وعملت في الصحافة بعد زواجي كما قبله، ويوم تزوجت حملت معي الى آل الداعوق ثلاثة كتب فقط هي، (عيناك قدري – لا بحر في بيروت – ليل الغرباء) وبعد زواجي اصدرت حتى الآن، (رحيل المرافىء القديمة – حب – بيروت ٧٥ – اعلنت عليك الحب – كوابيس بيروت – زمن الحب الآخر – الجسد حقيبة سفر) اي سبعة كتب بالاضافة الى خمس طبعات من كل كتاب. اذن نظرية التدجين هذه سقطت، لا بإقامة الدليل النظري، وانما بالدليل العملي المحسوس.

• منذ زواجك من الدكتور بشير الداعوق سكنت قصراً. والقصر عادة يلهي بالشكليات الأجتماعية، ويقال انك اعتدت حياة القصور، والدليل انك حينما اسست بيتك المستقل عن القصر (بيتك الحالي في شارع فردان) جاء بطريقة ما لا يقل عن القصر بذخاً واثاثاً وفخامة.

– اذا صح ما تقول، اكون قد قمت بفتح مجيد في عالم الديكور. وسأقوم بتأليف كتاب اسمه (كيف تؤثث قصراً بنفقات تأثيث شاليه). او « البيان والتبيين في الديكور الرخيص والمكين ». وقد انصرف بعدها عن الأدب الى الديكور.

ولكن اسمح لي ان اسألك بدوري، هل هذا سؤال، ام بطاقة دعوة للسرقة؟

• تتغنين بالتعاون الزوجي، وحين تؤسسين داراً للنشر تنفصلين عملياً عن زوجك الذي يملك داراً للنشر!؟

– هذا هو التعاون الزوجي المثالي يا عزيزي. انه التعاون على احلال الوفاق في البيت بحيث يتم اللقاء حين يطيب، وذلك في ظل احتفاظ كل من الزوجين باستقلاله الفكري والعملي.

لمنشوراته خطها الفكري الخاص، له عالمه، افكاره التي احترمها، ولكن ذلك لا يعني بالضرورة ان اتبناها كلية او ان يكون اسلوبنا في العمل متشابهاً، ان « منشورات غادة السمان » مستقلة. لكنها تتعاون حالياً مع داره بموجب اتفاق رسمي، هنالك واقع انساني لا يستطيع اي انسان تجاهله، وهو ببساطة: كل فرد مستقل بذاته، والزواج لا يلغي هذه الحقيقة وليس مطلوباً منه ان يلغيها، والمطلوب منه ان يخفف من وقع الغربة الانسانية الداخلية التي هي حقيقة، والزواج لا يجعلنا شخصاً واحداً، لكنه يستطيع

ان يجعل حياتنا اقل غربة ووحشة وجحيمنا الذاتي اقل كآبة. وكوابيسنا اقل شراسة. استقلالي في العمل «منشورات غادة السمان» تكريس لهذه الحقيقة الانسانية، وكل ما يبنيه الانسان انطلاقاً من الصدق الداخلي لا من المجاملات المتوارثة، يدوم ويبقى، فالصدق صخر قد يخدش قليلا ولكنه يصلح اساساً متيناً للعلاقات المتبادلة.

الكذب ملح، لكنه ليس (ملح الرجال) انه الملح الذي يذوب مع اول زخة مطر حزن شتائية، وينهار بعدها البنيان.

• عارفوك الخلص يتهمونك بحياة سرية تصل في اقصى حالاتها الى رفضية تهدف الى تدمير الذات والعالم.

- اعترف لك بانني احتفظت دوماً في نفسي برقعة سرية لم يطأها انسان ولم تقع عليها عين. هنالك دائماً جزء من نفسي ظل عزيز المنال. نائياً سرياً وحراً. في تلك (المنطقة الحرة) النفسية ارمم جراح روحي وانكساراتها، والى كهوفها الجأ حينما تتكسر مصابيح الصداقة وينكس الحب راياته. في تلك الرقعة من ذاتي اركض من جبل الى اخر على رؤوس اصابعي ومن كوكب الى آخر.

تدمير الذات؟ هذه كلمة لا ترعبني، ان تدمير الذات هو الوجه الآخر لعملة حفظ الذات وغريزة البقاء. والظلمة هي وحدها التي تعطي الشمس معناها، وثنائية النفس البشرية انعكاس لثنائية الوجود، وفي اعماق كل انسان مقدار ما من تدمير الذات بنسب متفاوتة (مثل عملية تدخين سيجارة مثلا!)

على اية حال، همي لا ينصب على حفظ الذات لأن (دوام الحال من المحال) ولأن الحياة موت تدريجي مستمر، وضربات القلب هي ضربات الطبل الذي يرافقنا الى القبر خلال جنازة الحياة التي تطول او تقصر. وكل لحظة ولادة تعني بالضرورة لحظة وفاة اضافية على هذا الكوكب. لذا لست معنية كثيراً بلعبة الحرص على الذات. انا معنية بالدرجة الأولى بلعبة الحرص على فني وعطائي. وبقدر ما يتطلب عملي من بناء للذات غالباً وتدمير لها احياناً، فانني انصاع. فالكتابة هي المحرك الأساسي كما يبدو لي.

• قبل سنوات الحرب كانت غادة كثيرة الاسفار العلنية، والظهور في المجتمعات كامرأة لها حضور طاغ ادبياً وانثوياً، لكنها الآن كالاسطورة مختفية الا من حضورها الأبجدي.

- من زمان، حين كنت اقل شهرة. كنت اختفي من آن الى آخر (كما افعل الآن) لكن احداً لم يكن يهمه رصد سلوكي.

من زمان أيام كنت ما ازال اشق طريقي في عالم الكتابة، كانت تنقضي أشهر يغيب خلالها (حضوري الطاغي أدبياً وانثوياً) دون أن يصرخ صوت، اين غادة.. وكنت يومها اتابع سقوطي على سلالم اكتشاف حقيقتي وحقيقة الآخرين، وحيدة ونازفة ومنسية.

لقد كنت دوما احضر واغيب، لم يحدث أبداً ان كنت عضواً دائماً في صالون المجتمع المخملي. لم يحدث أبداً ان كنت فقاعة ملونة تطفو ببلاهة على سطح تيار الحياة الاجتماعية أياً كان مجراها، بين الثلوج الناصعة او المستنقعات الآسنة. لقد كنت دوماً «عابرة سبيل» في دنيا الحياة الاجتماعية (المخملية)، كنت متفرجة مسكونة بصقيع الحياد وجاسوسة تخفي قلمها المسنون كالسكين داخل «دانتيل» ابتسامتها وثيابها. لترصد ما يدور اكثر مما تشارك فيما يدور. وهكذا سأظل ابداً. لا شي نهائياً في سلوكي. لست منتمية نهائيا.لست رافضة نهائيا. اني اتابع البحث عن الحقيقة، لكنني، وقد سقطت نهائيا فريسة الأضواء، صار هناك من يتساءل بما يشبه الخشية، اين هي؟ تماماً كما نخشى غياب الذين لا ينتمون الينا حقا. ونحسهم في مكان ما يخططون مؤامرة لاغتيالنا، وهذا الاحساس في محله. اني في مكان ما..أتابع كتابة رفضي القاتل ،وأخطط لاغتيال القيم الزائفة، والممارسات اللا انسانية. حقدي عظيم، لكن سلاحي صغير واسمه القلم، وانا للأسف لا اتقن استعمال اي سلاح آخر.

سأظل دائما احضر وأغيب، انتمي ولا انتمي، وولائي العظيم لفني سيقودني دائما الى انتقاء اكثر المناخات نموا له، ومساهمة في تفجيره، وسأتنقل باستمرار بين المناخات كلها وسأختار صيغة حضوري كما يحلو لي، حضور ابجدي، حضور جسدي، لا حضور، حضور انثوي، حضور نثري، حضور خرافي، وهكذا الى ما لا نهاية..

لكنني لا اخفي غبطتي النرجسية، لأن اختفائي فترة ما صار قضية تستحق الرصد والتساؤل في المجلات!!...

● ولكن، كأنك صرت «مؤسسة سرية» اسمها الحركي «ام حازم». لا احد يعرف اين تتحركين، من تصادقين، اين تقعين. اهذا خضوع لواقع اجتماعي معين ام سعي لواقع «سماني» آخر فيه من الرفضية الشيء الكثير؟

- «الكتابة مهنة التوحّد والعزلة. الأسرة والأصدقاء، والمجتمع، هم الأعداء الطبيعيون للكاتب. انه بحاجة الى ان يكون وحيدا. لا يقطع احد عليه عمله.. وهو يصير متوحشاً بعض الشيء اذا ارغم على كبح جماح رغبته».

هذا القول للورنس كلارك باول يلخص ببساطة القضية كلها. ففي الفترات التي تسبق كتابة عمل ما، انتشر كغيمة، وانتقل في مختلف الأجواء من سهرة (راقية) الى سهرة في المقبرة، والتقط النماذج البشرية المختلفة وأقبض على الكهارب التي تبثها المدينة عبر اثير الليل في الأحياء كلها الثرية والمعدمة. ولكن، حين تأتي لحظة العمل. انسحب الى عزلتي وانشب اظافر الصمت في وجه اقرب الناس الي. واعمل... وأنا الآن أمر بمرحلة محمومة من هذه المراحل...

هذا هو جوهر سلوكي حالياً، ولكنني ايضا لا استطيع ان انفي تماماً ما ورد في سؤالك من اشارة ذكية الى العامل الاجتماعي. هذه ملاحظة دقيقة وفي محلها. ولا ريب في ان شيئا ما بداخلي قد تبدل بعد الحرب. لا أدري لماذا يسارع الناس عادة الى نفي انهم قد تبدلوا. اكثر الناس يصر على ان شيئا لم يتبدل في حياتهم. ويتوهمون ذلك دليل عافية. ولكن الحرب تزيد دائما في تسارع هذه العملية. لأنها تعري من الحقائق في ايام ما لا يعريه الزمن عادة في سنوات. فالانسان حالة حية ديناميكية. لا حالة سكونية ازلية كالمومياءات مثلاً.

أمسك كأس الماء الموجود أمامك على الطاولة. وارم به الى الأرض.سينكسر. حاول الآن لملمة الحطام والصاقها كما كانت.. مهما كنت ماهرا، فان الكوب لا يمكن له قط ان يعود كما كان. واذا كان ذلك شأننا مع كأس جامد من الماء. فماذا تقول عن ارواحنا التي تحطمت مئات المرات في موجة العنف والأحزان التي توالت على هذا الوطن المنكوب. ان شيئا لا يعود كما كان.. لبنان لا يمكن ان يعود كما كان.. سنشهد مولد لبنان جديد أسوأ مما كان او افضل مما كان. لكنه مختلف تماماً. من هنا اكره كثيرا العواطف اللفظية التي تتغنى بحلم العودة الى لبنان القديم، والموجات الفنية الاستهلاكية التي تغذي هذا الوهم السطحي (السنتيمنتالي). لم يعد بوسع احد متابعة حياته السابقة. لا بد من اعادة نظر في المفاهيم كلها كي لا يتكرر ما حدث في لبنان بصورة اشد شراسة (ما دمنا لم نتعلم شيئا بعد!).

عبارة «الحياة الاجتماعية» صارت اليوم تضحكني. عن اي «مجتمع» يتحدثون؟ عن مجتمع (المهجرين) على ارض وطنهم؟ عن مجتمع جنوب لبنان الذي بحت اصوات الكتاب وهم يصرخون منذ عشر سنوات صرخات الانذار والتحذير من التهام التمساح له قضمة اثر اخرى كما يحدث الآن؟ ام عن مجتمع الموت والأسر المفجوعة بأمواتها وضحاياها.

هل نتحدث عن نادي الروتاري والليونز والغولف وغيرها ام عن نادي « ايتام الحرب واراملها » الذي يفوق بعدده نجوم النوادي السابق ذكرها كلها. صرت اخشى ان يأتي يوم تصيبنا فيه عقدة الإحساس بالذنب فيما لو ضحكنا!!

هنالك واقع يجب ان نتفهمه جميعاً، ما زال الوطن مهدداً بالزلزال، ونحن جميعاً نسهم بطريقة ما في دماره. لا بريء بيننا على ارض هذا الوطن المهان، ومن واجبنا جميعاً ان نشعر بالألم والمذلة، (اصرخوا وانتحبوا! آه يا لكم رجالاً من حجارة! شكسبير).

• كتابك « الجسد حقيبة سفر » صدر هذا الاسبوع، ويبدو انك غارقة في مشروعك الذي اعلنت عنه، واسميته « الاعمال غير الكاملة ». ماذا صدر. سيصدر. متى تنتهين منه؟

- اتمنى ان انهي العمل في « الأعمال غير الكاملة » مع مطلع العام المقبل ١٩٨٠.
استطعت حتى الآن اصدار الكتب الآتية: زمن الحب الآخر - الجسد حقيبة سفر.

وتحت الطبع الآن، السباحة في بحيرة الشيطان - ختم الذاكرة بالشمع الأحمر.

بالإضافة الى الطبعات الخامسة لكتبي السابقة.

وأعمل حاليا على انجاز، مواطنة متلبسة بالقراءة - اعتقال لحظة هاربة - الرغيف ينبض كالقلب.

وبعدها اختم هذه السلسلة بمختارات من احاديثي الصحفية قد اسميه، ذات ليلة. ذات جرح.

هذا العمل الشاق يلتهم وقتي واعصابي لكنني مصممة على انجازه بأسرع وقت ممكن كي اعود الى عالمي واصدقائي وجنوني.

• ترفضين عروضاً كثيرة للكتابة الصحفية التي نجحت فيها. اهذا طلاق نهائي ام خناقة عشاق؟

- هل تظن انني سعيدة لخسارة علاقتي المباشرة الاسبوعية مع قرائي؟.. كل ما في الأمر انني صممت على اصدار « الأعمال غير الكاملة » ولن اسمح لأوراقي بالأحتراق ثانية كما حدث يوم احرقها الصاروخ في حربنا اللبنانية في العام ١٩٧٦.

لقد ضيعت عاماً من عمري وأنا اعيد جمعها. وها انا الآن احميها بتحويلها الى كتب لها في بيت كل قارىء ملجأ يحميها من الإبادة. ولعل استغراقي في العمل المضني لإصدار « الأعمال غير الكاملة » مبعثه رغبتي في العودة سريعاً الى الكتابات الطازجة

والى عالم الصحافة الذي افتقد نبضه وحيويته. واتوقع ان تكون عودتي مع مطلع العام ١٩٨٠.

• حياتك العائلية، اين، وسط دوامة العمل هذه؟ زوجك يتفهم جيداً وضعك كما يبدو. ولكن ابنك حازم، الا يطالب بحقوقه؟

- بدلاً من ان يتضايق هو من كتابتي للقصة-كما يتوقع الناس-اتضايق انا من كتابته لها. فمشكلتي مع ابني حازم (٨ سنوات ونصف السنة) معكوسة. فهو يكتب القصة. وولعه بذلك يشبه صبر الكبار. وانه يكتب حكايات عجيبة غريبة وأجدها شخصياً مثيرة للاهتمام. لكنها ايضا مليئة بالأخطاء الاملائية بالإضافة الى خطه الطفولي الرديء. وحينما احاول ردعه عن كتابة القصة اجده يجيب ببراءة طفولية: الخط غير مهم. خطك انت سيء أيضاً. اخطاء الاملاء تستطيع استاذتي اصلاحها. المهم هو الأفكار. والمعنى، وحبكة القصة.

مرات اقول له: أريد منك ان تصبح طبيباً. يؤكد هو لي أنه سيحقق لي رغبتي. لكنني اشعر بطريقة ما ان هذا الصبي الجميل قد يكون التقط مني جرثومة ذلك المرض الذي لا شفاء منه، الكتابة.!..

• غادة السمان، بماذا تشهدين لهذا الزمان الرديء؟

- اشهد ان لا حب الا حب الوطن. واشهد اني اعيش هذا الحب. وأعاني سكراته.

تموز (يوليو) ١٩٨٠

ماجد السامرائي يستجوب

- ولدت في واحدة من أقدم مدن التاريخ واكثرها عراقة.
- كنت طفلة عربية بمعاني الكلمة كلها: مقهورة، ومحصنة ضد قسوة الحياة بخبراتها المتوارثة.

لعل أهمية «غادة السمان» الأدبية تتمثل في انها بدأت.. وواصلت، وجاءت مواصلتها بمزيد من التطور.. فكأن الاستمرار أعطاها مزيداً من الدفع في طريق الخلق والإبداع - هاجسها الحقيقي. وعبر ذلك تكلمت بصوتها الفعلي، وكان هذا الصوت، منذ بدايته، ذا نبض خاص هو نبض الاحساس الذي جعل عندها من الكتابة قضية، ومن كثير من القضايا التي كانت تمثل «مناطق شبه محرمة» أرضاً تتجول فيها. وقد كان السبب بسيطاً: انها منحت نفسها الحرية.. ومن خلالها كتبت ما كتبت.

وأحسب أن الحديث مع «غادة السمان» يمثل سيراً في ذات الطريق.. فهي تتحدث بنفس الهاجس الفني.. وبنفس نبض القضايا التي تحملها وتدافع عنها.

إلا أن «غادة» حين تجد ان القضايا التي تُطرح امامها من نوع القضايا الجادة.. وان الحديث فيها يتطلب تأملا.. حين تجد هذا تفضل ان يكون «الحوار مكتوباً». وهكذا كان حديثي هذا معها. فما أن تحدثت معها في ما أود طرحه. أصرت على ان تكون اجاباتها مكتوبة..

وهكذا وضعت أسئلتي..

وهكذا كتبت هي بملء رغبتها. وانقل هنا اجاباتها كما شاءت لها ان تنقل للقارىء..

- **هل تتذكرين شيئاً عن البداية، في دمشق؟ أريد العودة بك الى الجذور الاولى:**

نستقصيها. ونتعرف على بذورها التي تكونت منها «غادة السمان» المبدعة.

- ليس سهلا أن اتذكر. أنا الساقطة في دوامة الحاضر، الراكضة في مدارات اللحظة الآتية لا الماضية بفعل جاذبية كوكب المستقبل..

ليس سهلا ان اخلع عن جلدي أصوات اللحظة وألوانها وروائحها ورغباتها، لأخلف جسدي على الاريكة هنا مكوماً فوق الساعة ٨,٢٥ من أمسية ١٩٧٩/٦/١٦، على شرفة بيتي البحرية ببيروت - حيث أخط اليك هذه السطور ممزوجة بكآبة مائية مالحة كالدمع، ربما هي مزيج من الريح البحرية الحارة التي تهب نحوي من الشاطىء، ومن داخلي - أقول: ليس سهلا أن اخلف جسدي هنا ومعه زمني الحالي وايقاعه وطبوله وسكاكينه وطموحه ومخاوفه واحلامه واشباحه، لأنسل داخل مغاور الماضي المطمورة في أعماقي كما المناجم المنهارة منذ دهور. اني ازحف في الظلمة وسط الجدران المتلاحقة والسقوف المتداعية تمطر فوق رأسي بعض الحصى والتراب، وتضيق أنفاسي. شيئاً فشيئاً يصير الزحف اكثر يسراً وإيلاماً في آن معاً، وثمة خيط من ضوء يأتي عبر نافذة ما، افتح النافذة الصدئة، وثمة صوت كالبكاء يهب من صريرها، ويمطرني الضوء دفعة واحدة قادماً من القارة أمامي، وفي المنتصف تماماً، كما بؤبؤ العين، وسط واحة اللون تنبسط دمشق ذلك الزمن..

وها هي «غادة» الطفلة تتحرك أمامنا، والضوء يغمر بوضوح جدائلها السود، وبوسعنا ان نراها جيداً: طفلة نحيلة كئيبة الوجه، قوية البنية، يميز جسدها أثر جرح في الطرف الايسر من ظهرها في الموضع المقابل تماماً لموضع القلب، وهي لا تذكر متى وكيف أصيبت بهذا الجرح - قبل ولادتها أم بعدها - ولا احد في أسرتها يذكر شيئاً عن رمح مرئي اخترقها، رغم ان أثر الندب واضح.. (أتحسس الآن أثر الجرح في ظهري. وأتساءل كعادتي: أكانت صرخة عذاب طفولية خرجت ذات ليلة من القلب ولم تكن قد اكتشفت بعد طريقها الى الحنجرة او الى الأبجدية فثقبت الجسد ولم يسمعها احد؟ وهل كانت صرخة استغاثة ام صرخة احتجاج؟ أم أن أثر الجرح هذا هو موضع جناح كان قد بدأ ينبت لي فاجتمعت نساء الحي وجئن بالساحرة فقصته لي في احتفال رَقَوْنَني خلاله بالبخور والادعية ودم التمساح وبيض الأفاعي المجففة المسحوقة؟ ام أن تلك الندبة ليست جرحاً، بل هي موضع اصابع أمي على جسدي يوم غمستني في نهر الوعي بألوانه المنصهرة النارية لتصفحني بالارادة ضد الألم - ولم تبلغه ماء النهر بسبب أصابعها الممسكة بي، كما حدث لأخيل يوم تعميده؟)...

آه، ليس سهلا أن اتذكر، أنا التي لم تنس شيئاً حقاً!!.. ولم تختم ذاكرتها بالشمع الأحمر حقاً!.. ولم.. ولم..

ومن هنا يأتي الألم: هذه الأعوام كلها تهب دفعة واحدة، وهذه الغصات كلها التي تجرعها القلب على مدى أعوام يعود مذاقها ليفور مرة واحدة داخل فمه.. الآن أتذكر كل شيء بوضوح مروع، وحتى الأصوات أتذكر لهجاتها والوجوه تأتيني وتقترب مني كالاقنعة وهي تطلق صرخات السخرية او همسات الحنان، وتتراكم الاحداث فوق صدري وأشعر بأنني أكاد اختنق وسوف اتوقف الآن عن الكتابة وأغطس رأسي بالماء البارد حتى لحظة الاختناق لأقوم بعملية غسل دماغ ذاتية.

أبشع ما في الحديث عن الذكريات - اذا كنت صادقاً حقاً مع نفسك - هو انك توقظ وحشاً هائجاً، والمرحلة الثانية الضرورية هي ان تروض هذا الوحش وتلجمه وتضع كمامة على صرخاته الملتاعة في البرية ثم تدخله فيما بعد الى المختبر وتتناول قلمك المعقم كالمبضع وتختار من صرخاته ما قد يكون له معنى بالنسبة للآخرين.. لقد أيقظت الوحش وانتهى الأمر، فلأهرب الآن الى الماء البارد كمجنون يداوي نفسه ذاتياً.

الآن أتابع الكتابة. الساعة تقارب الخامسة من فجر يوم الأحد ١٩٧٩/٦/١٧. استيقظت قبل دقائق على أنين غامض أظنه قادماً من داخلي. في البداية توهمت انه صوت أظافر تخمش خشب النافذة من الخارج وتحاول الدخول، لكنني حين نهضت وكشفت خشب النافذة لم اجد احداً سوى الفجر المضيء بصورة استثنائية، وفي القاع هنالك زبد فوق صفحة الموج، والعصافير تطلق صيحات غريبة كأنها مخلوقات اسطورية طائرة هرباً من عصور ما قبل التاريخ تحمل رسالة ما سرية - أم تراه هذا ما يشيرون اليه بعبارة «زقزقة الطيور»؟

لا أشعر الآن بالعذاب النفسي الذي انتابني ليلة البارحة. رأسي مسكون بالصفاء وبفرح خاص كما يحدث لي دوماً حينما استيقظ من النوم صباحاً، وأتذكر الآن بوضوح أنني ذات مرة قبلت بالإجابة عن اسئلة لها علاقة بنبش الماضي وانني تعذبت، يومئذ، عذاباً مشابهاً وأقسمت الا أكرر التجربة مجزأة بعد اليوم، والا أتحدث عن الماضي ثانية الا لحظة كتابة مذكراتي. مرة واحدة انتهي بها من الماضي الى الأبد (اذا كان ذلك ممكناً حقاً!) لكنني نسيت ذلك كله كما انسى دوماً بعض عذاباتي ويكون عقابي الاستمتاع بتكرارها!!.

لو أراد الانسان ان يكون دقيقاً مع ذكرياته. اليست كل ثانية دهراً من الحيوات لو

لاحقها الانسان باخلاص مطلق ورصدها عمقاً لا عرضاً وطولا فقط؟..

المشكلة هي ان عليك ان توقظ وحش الذاكرة. سواء كنت بحاجة لتتذكر حرفاً واحداً. أو أبجدية عمرك كلها. الجهود واحد، الآن تأتي لحظة الاختيار، فالجذور كثيرة والبذور متعددة.

والمعقول في حوار كهذا هو محاولة التقاط بعض البذور لمواجهاتي الاولى مع عدد من عناصر الحياة الاساسية، كالوحدة، الغربة، الألم، الأرض، القمع، الآخرين، الوطن.

حدث ذلك هناك في دمشق. حيث ولدت في واحدة من اقدم المدن في التاريخ واكثرها عراقة. ومما لا شك فيه ان كل خلية في نفسي حملت بصمات هذا التاريخ كله، وتجارب دمشق مع الفاتحين الذين طالما حاولوا امتلاكها وقهرها وطمس هويتها، وهذا الميراث الهائل من الخبرات ضد الاستلاب هو الرافد الاساسي لرفضي الدائم للقمع والقهر ولكل من يحاول طمس هويتي العربية والانسانية والفردية الذاتية. الحكايا الأولى التي سمعتها لم تكن قصصاً عن الجان والعفاريت، وإنما كانت حكايا أبي عن تحرير سوريا من الانتداب الفرنسي، وعن دوره ورفاقه في دحر المستعمر، وهكذا لم تكن تلك العبارات مناخاً غامضاً في عمري، وإنما وجدتها جزءاً من حقائق الحياة الاساسية التي تربيت عليها وشاغلا اساسياً.

اتذكر بوضوح عالمي في دمشق: الصديق الاول وشبه الوحيد أبي ورفاقه من اساتذة الجامعة، الكتب، كتب التراث العربي والكتب الفرنسية التي أتقنتها طفلة فالانكليزية التي تعلمتها فيما بعد بدءاً من سن العاشرة، بعد ان كنت قد حفظت القرآن بأمر من أبي.

كانت حياتنا الإجتماعية شبه منعدمة، لا لموت أمي فحسب، او لصعود أبي العصامي المكافح من طبقته الفقيرة الاصلية الى طبقة جديدة ما نزال نحس بالغربة عنها، رغم تقبلها النسبي لنا – منذ فتحت عيوني على الحياة، على الأقل – ولكن لأن عالمنا «الحقيقي» كان مختلفاً.

أتذكر بوضوح أول عيد ميلاد دعيت اليه في دمشق. كان ذلك في بيت اسرة رفيقي في المدرسة (ف. ص). الاضواء، الضحكات، الثراء، المرايا، لم اكن سعيدة. اتذكر بوضوح كم اكتأبت وكرهت لعبة الكراسي الموسيقية وبقية الألعاب التي زخر بها المكان. وكان ذلك اول لقاء لي مع اللعبة الاجتماعية واول رفض طفولي عفوي لها. كنت قد ألفت عالمي المتقشف الرحب الأكثر عمقاً وصدقاً وغنى مع أبي، وكان على المجتمع

البورجوازي الدمشقي، منذ ذلك الوقت، ان يكتشف في هذه الطفلة الكئيبة قنبلة موقوتة متحركة ستتنقل بين هذا النوع من أعياد الميلاد، لكنها ستنفجر ذات يوم في وجه رموز اللاعدالة الاجتماعية التي تحيط بها.

لقد ظل أبي دائماً ذلك الرجل الفقير البسيط العاشق للموسيقى وللفن، حتى بعد ان صار رئيساً للجامعة فوزيراً، ولا أذكر انه ركب سيارة الوزارة أبداً، بل كان يذهب الى مقر عمله مشياً على الاقدام - كما كان قبل عشرات الأعوام حين بدأ حياته العملية مؤذناً في جامع الخضيرية بحي الشاغور بدمشق كي يدفع، وأمه الكادحة الخياطة، نفقات دراسته - مناخ العمل وتقديسه، والمعرفة العلمية وعشقها كان هو المناخ الاساسي المسيطر على بيتنا الكئيب.

كان البطل الاول في حياتي هو القرية.. قرية الشامية في ضاحية دمشق التي يخترقها نهر بردى. وفي بيتنا الطيني هناك والأرض الصغيرة التي ابتاعها ابي عرفت روحي تفتحها، وولدت هناك رابطة خاصة بيني وبين الطبيعة تحولت مع الزمن الى علاقة عشق وحنان، لا الى علاقة (ديكورية).

كانت الأرض هناك خصبة، والطقس فاحش الحنان، والقرية المرمية على طرف الصحراء تفور بالماء والخضرة والطراوة.. وبين السلاطعين والسحالي وأنوف الارانب المرتجفة والقطط البرية والجراد أحمر الأجنحة والعقارب معتدلة الحجم نموت، ومعها تسلقت أشجار الجوز والصفصاف والدلب والحور المصنوع خصيصاً للانزلاق، وقفزت معها في السواقي الصغيرة، وشربت معها من الينابيع المتعددة التي كانت تتدفق من ذلك الجبل معتدل الارتفاع، ثم الوادي الذي يشطر النهر ويقع بيتنا الطيني فوق صخرة تتوسطه تقريباً كشبه جزيرة صغيرة. وفي تلك السن المبكرة وعيت معنى الألفة الحقيقية مع كائنات الطبيعة كلها، دونما كره سلفي للبوم ولسواه..

وكان حب حقيقي يفيض مني نحو كائنات الطبيعة والى جانبها أحس بتواصل عفوي أنيس، وبكهارب من الحب المتبادل تمتد بيننا، فنتفاهم دون الحاجة الى استعمال اللغة.. كائنات الطبيعة الصامتة مثلا لا تخيفني اكثر من التي تصدر صوتاً، الافعى الهامسة مثلا لا تخيفني اكثر من الكلب الذي يعوي معلناً عن مشاعره. ففي حالة الحب مع كائنات الطبيعة يستبدل (المخلوق) الصوت بالكهارب، واللغة بالتواصل التلباثي، وربما لذلك لم أخف الأفاعي قط، وكنت أمسك بها، ولم يحدث أبداً ان لدغتني أفعى - كما يفعل بنا بعض الاصدقاء عبر كلمات اللطف مثلا -!.

كنت أنام في غرفة لها نافذة منخفضة على ارتفاع سريري تماماً، وهكذا كنت كمن ينام في عراء زجاجي. وذات ليلة كان القمر مفترس الجمال، والريح تحرك الاشجار فتبدو عبر ظلالها وكأنها تركض في الحقل على رؤوس أصابعها، وفتحت نافذتي والأهل نيام، وقفزت منها الى الحقل لاشارك الاشجار رقصة الليل، وكانت أول مرة أمشي فيها وحيدة في الليل.. سرت طويلا، وتعودت غاراتي الليلية السرية هذه وتآلفت مع الخوف، وأصوات الليل العجيبة النباتية المائية الاثيرية، والتي لا تدري أهي حوار الاشجار مع التراب، أم الريح مع الينابيع، أو صوت النسغ الراكض في شرايين الخضرة، أم مع كائنات لا يراها البشر.. وتآلفت مع المجهول والغموض، وحينما قررت فيما بعد ذلك بوقت طويل أن أرحل وحيدة في هذا العالم الواسع من مدينة الى اخرى، كانت رحلاتي الليلية السرية بالقرية وأنا طفلة ذخيرتي الحقيقية في وجه الخوف والمجهول والمدن العدوانية المتحدية النائية.

أول صور التوحد والغربة وعيتها في تلك القرية ايضاً. فقد كنا نسمع ليلا صوت ابن آوى ونخشى منه على الدجاج وصغار الأغنام. ولكننا لم نلتق شخصياً، هو وأنا، إلا عبر صوته الغامض الصراخ.

ذات ليلة استيقظت من نومي وأنا اسمع نواح ابن آوى قريباً جداً كأنه في فراشي يصرخ داخل اذني. فتحت عيني، وتطلعت من النافذة، وفوجئت به نحيلا وجميلا ومهيباً وقد أقعى تحت النافذة ورفع رأسه نحو السماء مطلقاً ذلك الصوت الذي لا يجيبه أحد. (حينما يعوي كلب ما مثلا تجيبه بقية الكلاب، وحينما يصهل حصان يسارع الباقون الى تعزيته بصهيل مشترك).. وكان الزجاج فقط يفصل بيننا... وحينما التفت نحوي كنت جالسة في فراشي على أربع كجلسته، وصار كل منا يتأمل الآخر بصمت، ثم عاد فعوى، وسمعت الصوت قادماً من صدري أنا، واستحال الزجاج الى مرآة واحسست أنني أنظر الى صورتي داخل المرآة.. ومع الزمن تأكد لي هذا الانطباع: لقد ألقيت ليلتها بنظرة داخل مرآة القدر ولمحت قدري لثانية: ان اكون وحيدة ابداً. وأن يكون صوتي صرخة في ليل البرية الطويل..

في القرية ايضاً وعيت، لأول مرة، معنى فكرة القسوة والتعذيب، وأذهلني ما يستطيع ان يفعله بعض الاولاد من صبيان وبنات. لم يكن بوسعي ابداً أن أشارك في تعذيب الجراد بقصف احد اجنحتها، أو قصف رجل من أرجل السلطعان، أو قطع ذنب الحردون، أو شوي الضفادع فوق الجمر المعد لشوي الذرة. وحين كبرت واكتشفت

ان الانسان يمارس اشياء مشابهة مع اخيه الانسان وعيت كم عالمنا بحاجة الى الحنان، وكم نحن بحاجة الى المحبة كموقف من الكون نغرسه في صغارنا منذ الطفولة نحو كل ما يحيط بهم من مخلوقات ونباتات وشارات كونية تومي، باستمرار، نحو المحبة لا البغضاء والقسوة والتدمير.

في القرية ايضاً تعلمت اولى دروس النظام والعمل، واكتشفت ان الطبيعة نفسها تحب النظام. فقد قطع أبي الاشجار غير المثمرة في الدغل، وتم افتراس النباتات اللبلابية الاسطورية، وهربت أسراب الحشرات الحلوة والغامضة، وجاء المحراث فخرجت الافاعي من بيوتها وحدثت هجرة جماعية لقبيلتي الصغيرة.. ثم تم غرس شجيرات صغيرة على أبعاد هندسية منتظمة. وكرهتها فوراً وكان اسمها شجرة « الحور ». ولجأت الى منطقة (الدوار) حيث منعطف النهر، وسكنت شجرة الدلب العملاقة شبه المظلمة ورفاقي المطرودين من « جنة النظام »، وكنا مثل أطفال جحيميين.. وبعد اشهر فوجئت بالنمو الجميل لتلك الغرسات الرشيقة، وبعد أعوام صارت اشجار الحور غابة من الجمال والنظام فيها ما ينفع الناس ويمكث في الارض.. وتعلمت يومها وحدي وبصمت ان الجمال ليس بالضرورة نقيضاً للنظام، وان اجمل ما يمكن ان نصنعه هو وليد العمل المستمر الدؤوب والصبر الطويل..

استطيع أن أروي لك حكايا هذه المرحلة الى ما لا نهاية.. لكن المجال لا يسمح بأكثر من هذا المقدار: وقتي أنا، وصفحات مجلتكم أنتم.. وباختصار قسري أقول: انني كبرت في مزيج من المناخات بين القرية والمدينة، ومن ذلك المزيج من المناخات المتعددة التي هي الوجوه المتعددة لدمشق، خرجت أنا: صرخة بعشرات الايقاعات.. صرخة تحمل تراب القرية، وتحمل بصمات تلك الحضارة في مدينة مسكونة بالتاريخ والجوامع والكنائس والتكايا ومشانق الثوار.. لقد كنت طفلة عربية بمعاني الكلمة كلها: مقهورة ومحصنة ضد قسوة الحياة بمخزونها من تجارب القسوة والخبرات المتوارثة لمواجهة مختلف أنواع الرياح. أجل، من الوجوه المتعددة لدمشق خرجت انا: صرخة بعشرات الحناجر، وآلة موسيقية لا تخلو من تعقيدات الحضارة، ولكن يسري في أوتارها نغم الريف كايقاع خلفي دائم..

• لمن كان التأثير الأكبر عليك في حياتك الفنية والكتابية (الجو العائلي، الحياة الاجتماعية، المؤثرات الثقافية)؟.

- اعتقد ان التأثير الأكبر كان لأمرين داخليين ذاتيين هما: « حشرة التفكير السوداء »

و « سحر الابجدية ». أما حشرة التفكير السوداء فهو الاسم الذي اخترعته لذلك الاحساس المستمر بأن في روحك صوت ملح وخافت كالطنين الذي تصدره بعوضة خرافية، وهذا الصوت يحرمني متعة الاستسلام لمظاهر الاشياء والأقوال والأفعال ويجعلني، باستمرار، متحفزة ويلعب في روحي دور الوسواس غير الخناس. ويجعلني. باستمرار راكضة على حدود اليقظة الحادة كطرف الشفرة..

أما سحر الأبجدية، فأنا بطريقة ما أرى الاشياء والاصوات والروائح والانفعالات والهواجس بصورة (أبجدية) تسحرني وتستثيرني الى مزيد من المتابعة.

حينما كنت صغيرة، وكانوا يكتبون لي حجاباً عند الساحر، كنت افكه سراً لأتأمل الحروف والكتابات وتسحرني!.. اشعر بالخشوع امام الابجديات المحفورة في الصخر. فهمتها أم لم أفهمها. العلاقة بين الحرف وبيني فيها شيء من السحر والعشق. مرة قدموا لي، وأنا طفلة، حساء فيه معجنات لها شكل حروف، ومن الصحن الحار كان البخار يتصاعد وفي قعره تومض الحروف، وأحسستني أمام قدر الساحرة الذي يغلي وعجزت عن (أكل الأبجدية)، وبكيت بكاء مراً، كمن طبخوا له جسداً يقدسه. طبعاً كنت أصغر سناً من أن اجرؤ على التفسير لهم!

وهكذا، فان العوامل التي ذكرتها في سؤالك (الجو العائلي، الحياة الاجتماعية، المؤثرات الثقافية) كانت تتفاعل وحشرة التفكير السوداء في ذاتي وعشق الحروف، وكان التفاعل يتخذ، غالباً، شكلا حاداً. فحشرة التفكير السوداء كانت تقودني، باستمرار الى رفض الانفصام بين الفكر والممارسة! ومن هنا بدأت اولى متاعبي الاساسية مع الاسرة والمجتمع. وهكذا فان تأثير الاسرة هو ايجابي وسلبي في آن معاً. ووالدي الرائع الذي منحني الكثير، عاش معي لحظات جحيمية محيرة: فقد كنت احاول اقناعه فكرياً بصدق أفعالي واحتقاري للازدواجية، وكانت خشيته عليّ تتخذ احياناً صورة القمع (في نظري على الأقل).

أما عن علاقتي والمجتمع، فقد كان التأثير أيضاً ايجابياً وسلبياً في آن معاً. لقد كانت علاقتي الأساسية بدمشق هي علاقة حب، لكنها أيضاً كانت مبطنة ببعض الحرب، كما هي علاقات الحب الحقيقية العميقة في حياتنا. كانت تمر بي لحظات اشعر فيها ان كل شيء في مجتمع دمشق البورجوازي آنذاك (اوائل الستينات) هو مكرس لقولبتنا وتدجين أنبل ما فينا، وذلك كي لا ننمو، او، على الأقل، كي ننمو على نحو خاص وداخل قالب خاص. وكان الصدام بيننا رغم (عذوبتي الخارجية) لا يخلو من العنف

الذي كاد يتبلور في صيغ (بوليسية) لو لم اغادر دمشق الى بيروت اوائل عام ١٩٦٤ لدراسة الماجستير بالجامعة الاميركية، وكان ما كان.

اما المؤثرات الثقافية فقد كانت، باستمرار، تلعب دور (النفط) في القضية، وتسكب مواداً ملتهبة فوق المزيج المتفجر الذي هو صدامي مع المجتمع الدمشقي البورجوازي التقليدي يومئذٍ.. كنت اقرأ كثيراً، ومع القراءة تتغذى حشرة التفكير السوداء وتزداد اجديتي الصوانية شحذا لأسلحتها البدائية الماضية القاطعة، وكنت أعيش مرحلة تأكدت خلالها من ان السيف ليس اصدق انباء من الكتب، وان في حد الأبجدية المشحوذة على اسنان القهر على طول ليالي القمع امكانيات انفجارات ذرية داخلية من نوع التفاعلات التي يستتبع واحدها الآخر. وهي لا تقتصر على الفرد وحده، بل تمتد من انسان الى آخر وتسري كاللهب.. فحشرة التفكير السوداء ليست فقط شرسة، لكنها ايضا سريعة العدوى.. انها (العافية السارية) اكثر من (الأمراض السارية)..

لقد جاءت قراءاتي بأكثر من لغة ولأكثر من (مدرسة) لتدعم احاسيسي الداخلية بالرفض، ولتمنحها سندا في عذابات اخرى مشابهة.. وبدأت شيئاً فشيئاً اعي مجتمعي الحقيقي وانتمائي، وأدركت انني لست وحيدة، وان الألم ليس اختراعا فرديا لكنه إرث بشري هائل، هنالك من يحرص على ان نظل نرزح تحت ثقله كي يعتاش من استغلاله لنا ومن بيعه لنا ادويته الموهومة وافيوناته..

[هنا تكتب غادة السمان، في نص اجاباتها، ملحوظة تقول فيها: «توقفت عند هذا الحد من حوارنا، وانشغلت عن متابعة الرد على الاسئلة بالسفر والسباحة والعمل، واصدرت، في هذه الفترة، جزأين من سلسلة «الاعمال غير الكاملة» هما: «السباحة في بحيرة الشيطان» و«ختم الذاكرة بالشمع الأحمر»، وسلمت المطبعة الجزء الخامس منها وهو «اعتقال لحظة هاربة». وها انا اعود للإجابة على ما تبقى من الاسئلة، والساعة الآن السابعة من مساء يوم السبت (١) ايلول ١٩٧٩. (تراني مدينة لك بالاعتذار لهذا التأخير، أم تراك مدينا لي بالشكر لأنني اتابع؟].

يا عزيزي ماجد: الرجاء تثبيت هذه الملحوظة في موضعها هنا وكما هي. إنها الحقيقة، ومن حق القارىء عليَّ أن يعرف كل شيء بالضبط، ثم انني حين عدت واكتشفت المساحات الشاسعة لأجوبة السؤالين الأولين، قررت الايجاز فيا تبقى رأفة بك وبالمجلة وبالقراء... وبي..

- **وأية مهمة وضعتها لنفسك: هل هي المساهمة في تفسير العالم، ام في تغييره؟**

- لا أحب استعمال الكلمات الكبيرة مثل « تغيير العالم » و « تفسير العالم ». الفن لا يبدأ انطلاقا من وقفة مرتفعة على قمة جبل لشخص يصرخ في حانة الليل: ايها الكون جئت افسرك. ايتها الكرة الأرضية جئت ابدلك!

يبدأ الأمر بقمع صغير.. بحزن صغير.. بحلم صغير.. بجرح صغير.. بحس غامض بوجود خطأ ما في مكان ما. ويبدأ ذلك عادة حين يكون الانسان صغيرا، مليئا بأحاسيس متفجرة وتفسيرات متواضعة. ومع الزمن ينمو الحزن ويكاد يفترس الحلم ويزداد الوعي بالقمع، وتنمو القدرة على تفسير اسبابه وطبيعته المتشابكة، المعقدة والجدلية، ويلاحق الفكر جذوره، ويرقب بهلع انها متشابكة مع شرايينه في جديلة عذاب..

وتبدأ المعركة الأولى مع الذات في محاولة لقهر الازدواجية، وتلازمها المعركة التوأم مع العالم الخارجي.. هذا يحدث للناس جميعاً، لكن الفنان يسجل تاريخ المعركة، ويحصي رصاصاته المبتلة وغير المبتلة التي اصابت الهدف ويرسم خارطة جراحه وباروده واهدافه، وهو عبر هذا الرصد يكتسب مزيدا من الوعي.. ومزيدا من الايمان والأصرار. فالممارسة هي شجرة الفكر بعد تلقيحها بالواقع المعاش، وثمارها هي المحك الحقيقي للفكر المجرد. والفنان يمارس هذه المعركة ويرصدها في آن معاً، ومن هنا اهمية شهادته واستشهاده.

ومن موقع التواضع غير الذليل وغير المفتعل اقول لك: انني أولاً اجد تفسير العالم مرحلة ملازمة لمحاولة تبديله. فمحاولة التفسير هي بالنتيجة منهج للتغيير، وبوصلة لوجهة حرابنا. وانا لا اتصور امكانية وجود تفسير للعالم بارد ومحايد كجنس الملائكة، لكن اي تفسير هو بالنتيجة موقف، والموقف يستتبع انحيازا ما - ليس بالضرورة ان يكون مباشرا وشعائريا -

وثانياً: انني اطمع حقاً الى ان يكون وطني اقل بؤسا يوم اغادر الكرة الأرضية مما كان عليه يوم وصلتها، واطمح حقا الى ان اخلف لابني كوكباً افضل حالاً من ذلك الذي خلفه لي ابي.. وصحيح انني اعي حقيقتي كقطرة صغيرة في محيط هائل الخضم من الحيوات الانسانية والنباتية، وربما الحيوات غير المنظورة التي نعي كهاربها دون ان نتوصل علمياً - حتى الآن على الأقل - لتحديد ماهيتها، الا انني كقطرة صغيرة ومتواضعة اصر على ان أصب في المجرى الذي اختار، وبالاتجاه الذي أؤمن بأنه الأفضل من اجل ازدهار الحياة على شاطئيه، وان ضآلة حجم الانسان بالقياس الى

بؤس العالم ليس سببا للتهرب من الواجب، وانما هو سبب اضافي للهرب من الهدر والعبث. وضمن هذا المجرى اتمنى ان تتدفق حروفي. وان تساهم في غسل البشاعة والحزن عن وجه الكرة الأرضية، او (على الأكثر) عن وجه انسان معذب آخر.

● **ولهذا كان الانتقال من القصة القصيرة الى الرواية، لأنها الأكثر قدرة على تجسيد حالة الصراع؟**

- هذا هو، على الأرجح، التفسير المنطقي والصحيح. لكن الأمر لم يحدث لي على هذا النحو - بشكل واع على الأقل -. بعبارة اخرى: لم اجلس خريف ١٩٧٤ مع امرأة اخرى (هي انا) في غرفة المكتبة قبل كتابة روايتي الأولى «بيروت ٧٥» ولم أقل لها: ايتها المرأة، ما دامت مهمتك هي المساهمة في تغيير العالم، فان انتقالك من القصة القصيرة الى الرواية امر ضروري لأنها الأكثر قدرة على تجسيد الصراع. ولم تجبني هي بهدوء من يحيك مؤامرة: فليكن. سننتقل من (الخطة أ) الى (الخطة ب)..

ما حدث، وبدون ادعاءات فارغة، كان اقل جاذبية واكثر صدقا. ما حدث يوم كتبت روايتي الأولى كان شديد البساطة. جئت لأكتب، ولأن الأفكار هي التي تقرر الشكل، فقد اختارت الأفكار يومها قالب الرواية جسدا تحل فيه. هذا كل ما في الأمر!!.. ان المضمون هو الذي يقرر الشكل الفني، وهو الذي يستدعيه، واحيانا يبتكر لنفسه قوالب جديدة واشكالاً لم تكن مألوفة.

● **أريد ان اسألك: ما الذي يستطيع الروائي العربي ان يفعله امام واقعه، هذا الواقع المزدحم بإشكالات كثيرة؟ (أرجو ان يكون الحديث عنك انت..).**

- لا شيء، كل هذه الكلمات هي قرع بدائي على طبل عتيق من اجل ان لا يبتلع الحوت القمر! الكتاب والأدباء جنس منقرض لا حاجة إليهم في زمن التكنولوجيا، ولا علاقة له بهم! إنهم مقلقون. يفسدون استمتاع الناس بتناول سمومهم اليومية التي تجهزها بعض الأنظمة لهم، ويخرّبون بشغبهم عملية غسيل الدماغ الجماعية التي يتعرض لها سكان فندق الكرة الأرضية. الكتاب جنس منقرض يستعصي على التكيف مع المستقبل (الجميل) للانسان الذي نرى بركاته المسبغة على الفرد الاميركي مثلاً، وذات يوم سوف يتم جمعنا نحن الذين نكتب فناً غير داجن وسيتم ادخالنا في المصحات العقلية.

هذا ما احسه بصدق في بعض اللحظات، لكنها نادرة جدا لحسن الحظ (او لسوء الحظ؟). في اللحظات الأخرى الأكثر عافية (او جنوناً)، أطمح الى قدرة الفنان بأن يكون احد جيوب المقاومة. كل عمل ادبي جيد هو نواة مقاومة في وجه تعهير القيم

الانسانية. كل فن انساني جميل هو جرثومة لمرض ساري.. والأفكار تسري والعدوى تنتشر، وفي مناخ كهذا يشعر الفنان بان الحرف الذي يخطه في لحظة ما سيتحول الى صرخة تسمعها ملايين الآذان ذات يوم، وقد يؤثر ذلك في سلوكها اليومي المعاش: قد يصير احتضار الشهيد اقل ألماً وهو يعي مدلول موته، وقد يتحول السلوك السلبي الجبان لفرد ما الى شراسة ايجابية وتلاحم مع قافلة المعذبين امثاله..

هذا من حيث الحلم الاجتماعي..

لكن الفنان يشعر ايضا بعشق لا ينضب للحقيقة، وفي مجرد الالتزام بها والبحث عنها، والقاء القبض على بعض وجوهها، والاقتراب من ظل ماهيتها، عزاء جميل وفرحة حقيقية تنبع من الداخل وتشبه فرحة اكتشاف الطفل للشمس والبحر والألوان والأصوات والروائح..

اما عن الحس بالعجز امام الواقع العنكبوتي المزدحم بالـ «اشكالات»، كما وصفته، فهو امر مربك حقاً، الا ان ارتباط الفنان الحقيقي بالجوهر يجعله في مأمن نسبي من السقوط النهائي داخل شبكة الكلمات المتقاطعة للأحداث اليومية الآنية.

● هناك «محرمات اجتماعية» لم نألف كاتبة من قبل قد اقتربت منها.. بينما وجدنا انفسنا معك، منذ الستينات، وانت تخترقين جدارها البليد. فبأي احساس، وتحت ضغط اية فكرة كان ذلك؟

- كوني «كاتبة» لم يكن في اي يوم من الأيام مبعث ارباك لفكري، ولا مبعث فخر. الفكرة الاساسية التي تستولي علي هي انني «مواطنة»، وككل مواطن لي الحق في مناقشة مفهوم «المحرمات» وتمييز ما هو «حرمان» غير عادل لي من بعض حقوقي الانسانية البدهية، وحقوق سواي، وابراز الدور الارهابي الذي تلعبة (المحرمات) في حياتنا، وكيف ان اكثرها (اي المحرمات) موظف لدى قوى القمع وتحالفاتها العالمية، ووظيفته تفريغ الشخصية العربية من حرارة الروح والقلب، اي من الطاقة الثورية. هذا لا يعني ان (المحرمات) العربية التقليدية كلها بحاجة الى (تحليل)، ولكنه يعني ضرورة اعادة النظر في هذا الركام الهائل من مفاهيمنا حول (التابو) وغربلته ونبذ ما اسقطه الزمن وضرورات الحياة والتطور والتمسك بما يمكن ان يكون انساني الجوهر وعادلا وقادرا على تفجير طاقات الفرد العربي بدلاً من هدرها وتخديرها. انني لا ادعو الى نسف غبي شامل «للمحرمات الاجتماعية»، لكنني ادعو الى اعادة النظر فيها، وقص الشريط المكهرب الذي سورت به طيلة عصور..

• **هل تشعرين ان الكتابة تحررك؟**

- الكتابة تستبعدني.. وهي تحرمني من اي خلاص فردي، ومن أية حرية ذاتية. الكتابة هي التحامي بالآخرين، وهي، بالتالي، نوع من الرهبنة حيث يصير خلاص الفرد مرتبطاً بخلاص العالم..

ان الكتابة تحررني من العذاب اليومي الصغير بقدر ما تحرر الصرخة انساناً مربوطاً الى دولاب التعذيب!.. لكن الكتابة تمزجني بالعذاب الجماعي الكبير، وتنقلني باستمرار الى مركز النزف لأكون الجرح وصورة الجرح في آن معا، القتيل والشاهد في وقت واحد. تمر بي لحظات صغيرة من الندم لأنني اخترت هذه المهنة المرهقة التي لا اجازة منها حتى بالنوم، ثم اقول لنفسي: ايتها المرأة، انك لم تختاري شيئاً. الكتابة هي التي اختارتك.. هي التي تسكنك..

ثم انني لا اتقن مهنة اخرى، ولا اصلح لشيء آخر.

• **ومتى تتصورين ان المبدع ينتهي؟**

- يخيل الي ان المبدع يمشي في طريق النهاية حين يكف الخطأ عن استفزازه.. وحين تكف الحقيقة عن جذبه.. وحين ينطفىء في اعماقه ذلك الاحساس الغامض المضطرم ببركان صغير يريد أن ينفجر في داخله.. وحين يفقد القدرة على رؤية الكون بعين طفل وعلى رؤية الحاكم بعين ذلك الصبي الذي صرخ في الملك بينما الجميع يمتدح جمال حلته: ولكنك عار ايها الملك!..

هنالك من يتوهم ان الفنان ينتهي حين يكف عن الكتابة، او حين يكف عن الحياة. ولكن النهاية المفجعة حقا، هي ان لا يكف الكاتب عن الحياة وعن الكتابة، ولكن ان يكف عن الإبداع حين يقطع بنفسه الجذور الأساسية في تربة العطاء التي لا غنى عنها: عشق الحقيقة، وبالتالي تكريس الذات لها.

بعض الأدباء يتوهمون انهم انتهوا. ويبلغ بهم صدقهم مع ذاتهم الى حد اعلان ذلك على الملأ، ومجرد عمل شجاع كهذا هو، في جوهره ولاء للحقيقة كما رآها الفنان لحظة قالها. فنان كهذا هو على اعتاب بداية جديدة..

المأساة هي مع اولئك الذين لفظهم القلب قبل مقاييس الفن، وهم ما زالوا ينامون على وسائد امجادهم الموهومة ويتابعون صراخهم:انا الأعظم.

الفنان ينتهي حين يفقد صفة النسك الأولى في عالم الفن: التواضع امام الحقيقة، والوعي بان لكل دوره وصرخته في كورس العطاء.

٥ / ٩ / ١٩٨٠

ليلى الحر تستجوب

- **هل سمعت برجل ترك عمله لانه تزوج؟ فلماذا أترك أنا عملي؟....**
- **لي أخلاق السلحفاة..**

لم تستطع كاتبة عربية الاحتفاظ بحرارة جمهور القراء حولها - طيلة عقدين من الزمن - كما غادة السمان. فمنذ ان تركت دمشق في منتصف الستينات (عام ١٩٦٤) واستقرت في بيروت وهي في بحث دؤوب لا يكل ولا يمل عن كيفية اختراق جدران العقول والقلوب الصلدة والسكن هناك. وابدا هناك لهفة كي يكون « السكن » مقلقا بما فيه الكافية حتى لا يقضي الاستقرار على المتعة.. ومهما قيل في تقييم أدب غادة السمان وتصنيفه - من أقصى الترحيب الى الاتهام باللفظية المنمقة - فان احدا لم يجرؤ على حجب ضمها الى جيل النخبة من الادباء العرب الجادين الذين كان لهم فضل السبق في نقل الرواية والقصة العربيتين من خانة التقليد والنسخ (الخمسينات) الى خانة الابداع الاصيل...

غادة القاصة، غادة الصحافة الادبية، غادة الانسانة الجميلة العابثة القاطنة مطارات العالم وغيومها السوداء في رحلة تفتيش مرير عن معنى أوسع للحياة. غادة السجينة في درج مكتبها سنتان كاملتان تنجز سبعة كتب وتتسابق مع دار النشر والمكتبات الجائعة لمزيد من الطبعات وتفزع من أرقام التوزيع، غادة التي تنسى جسدها أياما بين البحر والشمس وتتواصل سنوات مع اصدقائها بالتليفون، وتجن بعشرات من تماثيل « البومة » المتصدرة كل أركان منزلها، غادة تتحدث « للمصباح » عن « الرهينة » و« الوطن » و« الانوثة »! و« الامل »!

- **من ١٨ سنة - اي منذ صدور كتابك الاول عيناك قدري - وانت ما زلت**

تحتلين كرسي الصدارة ان في الصفحات الثقافية للمجلات ام في واجهات المكتبات ام في أحاديث المثقفين العادية. وفي طول العالم العربي وعرضه ما زالت غادة السمان الرغبة في القراءة. فلو حاولت ان تكوني الناقدة، واستبعدت الموهبة الفنية قليلا، بماذا تبررين طول الاستمرار؟

- حينما يقدم انسان على اصدار كتاب أدبي، يكون قد قام بفعل التزام بالمعنى العميق للكلمة. يوم اصدرت كتابي الاول منذ ١٨ سنة كنت اعرف انني ادخل نهائيا في سلك رهبنة من نوع خاص.

لكنني استطيع ان افسر لك بعض الركائز التي تدعم (استمراري):

١ - القدرة على التخلي. انني اركض الى فعل الكتابة بيدين لا تقبضان على أي شيء آخر، وأكون مستعدة للخسارة، وللتخلي عن اي مغنم كالحب والصداقة والحياة الاجتماعية الاليفة والاستقرار وغيرها من الضمانات والمكاسب العذبة. انني أمسك بالكتابة وأفلت بكل ما تبقى اذا تطلبت ضرورات الكتابة ذلك.

٢ - اخلاق السلحفاة: كما في اية مهنة بائسة أخرى، نجد (النفس الطويل) ضرورة لاستمرار الكاتب. ان القفزات (الارنبية) من آن الى اخر لا تؤذيه. ولكن مثابرة السلحفاة الصامتة البعيدة عن الشكوى هي الخلفية الداخلية التي تحميه من نوبات الفتور ولحظات الخيبة وانكسار الروح والحلم. طموح النسر ضروري للفنان لكن اصرار السلحفاة الصامت المستمر هو خبز العطاء.

٣ - الحس بالانتماء: لقد نموت في مناخ المد القومي العربي الجميل، وتشبعت بحلم العنفوان الوحدوي وسكنني بعض يقين.. وارى في فعل الكتابة توكيدا لهذا اليقين العربي، وتتخذ الانكسارات التي نعانيها حجمها الحقيقي المحدود داخل الاطار العربي القومي الكبير. ان البحر يعاني من الجزر احيانا لكنه لا يجف. غبية هي الرمال التي تتوهم الجزر جفافا نهائيا للبحر.

٤ - يبدو ان طموح المرأة العربية يسكنني بشكل عفوي حتى لأكاد لا ألحظه. فأنا لا انادي بالمساواة بين الرجل والمرأة. انني ببساطة احققها في سلوكي الاقتصادي والعملي والعاطفي. اكدح كأي رجل. وبوسعي اعالة نفسي وطفلي كأي مواطن اخر... انني مجرد مواطن عربي اخر من حقه - بل من واجبه - ان يعمل ما يتقنه. ولم يدر بخلدي قط ان اكف عن الكتابة بعد زواجي: هل رأيت رجلاً (قدم استقالته) من العمل لانه تزوج؟

٥ - القدرة على الدهشة: ما زلت أرى كل شيء قابلا للتأمل والدهشة. وموضوعا جديدا يستحق الاكتشاف بعين جديدة. كل تفاحة هي تفاحة جديدة. الابجدية الكونية لا متناهية. ولا شيء يكرر نفسه حقا - حتى ولا التاريخ! - الكون متجدد ومثقل بالنضارة. المهم ايجاد التوافق بين ايقاعنا الداخلي البشري القابل للروتين. وايقاع الطبيعة المذهل التجدد. المفعم بلا مبالاة متفائلة. الغابة لا تبكي قتلاها الذين سقطوا في الشتاء وانما تنصرف الى تعويضهم في الربيع.

● غادة السمان ١٩٨٠ تصدر كل شهر طبعة جديدة من كتبها. وتكتب من جديد للصحافة، وتعيش بين مطارين. لو أرادت تحديد ما تريد الآن بالذات من نفسها ومن العالم، ماذا يكون؟

- اتمنى الاحتفاظ بذاكرتي العربية حية وبحلمي العربي نضرا. كثيرة هي القوى التي صارت مكرسة لغسيل دماغ الفرد العربي من تلك القيم الجميلة السامية التي يحاول زمن الخيانة والانكسارات قطع جذورها وابادة بذورها. من زمان كانوا يسمون الاراضي المحتلة بـ « اسرائيل المزعومة »، واليوم هنالك من يحاول دفعنا للدخول في نفق الخيانة لنخرج منه تحت اسم: « العرب المزعومون ».

● انت الكاتبة، وانت الانثى العربية. هل تدين الواحدة للاخرى بالشهرة؟

- لست معنية حقا بهذا الامر. ان أحدا لا يسأل يوسف ادريس عن اثر وسامته أو (رجولته) في نتاجه الفني. الشكل الخارجي للفنان وجنسه البيولوجي قضايا جانبية جدا، كأن نقول ان محمود درويش طويل القامة أو قصيرها وان جمال محمد احمد ابنوسي البشرة او أبيضها. ان كوني كاتبة لم (يعقدني) شخصيا - سلبا او ايجابا -، ولم يحدث ان تعثرت مرة بتاء التأنيث في اسمي كما لم يحدث ان توكأت عليها. ان حياتي الخاصة بعيدة عن الاستعراضية، ومن هنا فهي غير موظفة - مع أو ضد - عملي ككاتبة جادة.

واذا كان لا بد من (نظرة نسائية) الى وضعي كـ(انثى) عربية، فكل ما استطيع قوله هو ان نجاحي انتصار للمرأة العاملة العربية، وتوكيد لوجودها وطاقاتها كقوة ثورية حليفة لقوى التبديل العادل.

لكن كوني انثى ليس هو الاصل! وكان يمكن له ان يشعل الفضول في قارئي في السنة الاولى من عملي - او الثانية ايضا -، اما اليوم، وبعد ١٨ سنة من الاستمرار، فان جوهر القضية هو ببساطة انني يا عزيزتي مواطنة كادحة تدين بالشهرة لـ ٤٥١٧ صفحة

مطبوعة (هي مجموع صفحات كتبي الـ ١٨ التي اصدرتها خلال ١٨ سنة). والتي افخر بانتشارها في بيوت العالم العربي وقلوب قرائي.

- ٣ -

استجواب حول

الجنس - المرأة - الرجل - التحرر

- الحريـــة هـــي المسؤوليـــة . ولـــذا يكرهها عدد كبير من الناس .

- برنارد شو -

- الحريـــة هي الشيء الوحيـــد الذي لا تستطـــيع امتلاكـــه إلا إذا منحتـــه لسواك .

- ويليام آلن وايت -

- بـــدلاً مـــن أن تحبـــوا أعـــداءكم ، عاملوا اصدقاءكـــم بشكـــل أفضل قليلاً .

- إد هاو -

كانون أول (ديسمبر) ١٩٧٠

سمير صايغ يستجوب

• الثورة الجنسية والثورة الشاملة.

• كيف تفهمين « ثورة جنسية » تحدث في المجتمع العربي؟

- لا أستطيع ان أفهم قيام « ثورة جنسية » بمعزل عن ثورة انسانية شاملة على كل صعيد: اقتصادية، فكرية، سياسية، اجتماعية. « الثورة الجنسية » في نظري، جزء من ثورة الفرد العربي على كل ما يستلب انسانيته من قوى ومؤسسات (اقتصادية، سياسية، أخلاقيات متوارثة...)

الثورة الجنسية بالتالي هي جزء من ثورته لانتزاع حريته الانسانية ككل.

انني هنا أميز بين « ثورة جنسية » و « فورة اباحية ». أميز بين الثورة من أجل « أنسنة الجنس » والتحريض على تظاهرة « مواء شباطي »، ترفع خلاله لافتات المطالبة بتعاطي التخدير الجسدي واستعمال الطرف الاخر كحقنة أفيون اضافية نتلهى بها عن الاستلاب القائم لانسانيتنا على الصعيد السياسي المحلي والخارجي...

اذن، بالنسبة الي، لا يمكن ان توجد « ثورة جنسية » في المطلق، أو خارج اطار ثورة الانسان العربي ضد كل ما يتآمر على إنسانية علاقته مع الرغيف والمكتبة والبندقية والسرير.

• ماذا ترفضين من المفاهيم السائدة حول الجنس؟

- يوم قامت بالثورة في أكثر من قطر عربي فئة من الشبان (الثوريين) أذهلني مثلا ان يصدروا قانوناً لتأميم الملكية دون ان تخطر لهم ضرورة اصدار قانون جديد للأحوال

ترجم هذا الحوار الى الانكليزية ونشر كفصل الختام الاخير في كتاب صادر عن مطبوعات جامعة تكساس واسمه:
MIDDLE EASTERN MUSLEM WOMEN SPEAK. EDITED BY ELIZABETH WARNOCK FERNEA AND BASIMA QATTAN BEZIRGAN UNIVERSITY OF TEXAS PRESS-AUSTIN AND LONDON 1977.

الشخصية (يؤمون) فيه الحرية للمواطنين بغض النظر عن تاء التأنيث في تذكرة هوية المواطنات كالغاء الاسباب المخففة فيا يدعونه بجرائم الشرف وغسل العار، مثلا. لذا فأنا اعتقد ان الثورية العربية ما تزال عرجاء، ما دامت تهادن كثيرا من القوى الرجعية والقيود المتوارثة التي نشأت ضمن اطار اقتصادي لعصر معين، وانقضى العصر، وتبدل الوضع الاقتصادي، وبقيت تلك العادات والاخلاقية المتوارثة تكبل جسد الثورة ككفن - قفص! وأبرز ما تتجلى فيه هذه المهادنة تجاوز (الثورة) لأهمية تحرير المواطن من انثى وذكر واعتاقه ولو رسمياً - كخطوة أولى - من تشريعات تثير التقزز - كأن تضطر امرأة مثقفة وتعيل نفسها (استاذة جامعة مثلا) إلى احضار شقيقها - الذي قد يكون معتوهاً وأمياً وهي التي تنفق عليه - إلى دوائر الأمن كي تمنحها السلطات المختصة اذناً بالسفر باعتباره ولياً شرعياً عليها! في ظروف رسمية واجتماعية وفكرية كهذه، يستحيل نشوء علاقة انسانية وبناءة بين رجل وامرأة خارج السرير وداخله. تظل العلاقات أفيونية تجارية استغلالية تشيء كلا من الطرفين.

• اذن ماذا تقبلين من المفاهيم السائدة حول الجنس في مجتمعنا؟

- طبعاً لا شيء ما دامت نقطة الانطلاق خاطئة. ما دامت نظرة كل من الطرفين إلى الآخر خاطئة، وما دام المجتمع الرسمي يكرس هذه النظرة الخاطئة. ومن الضروري أن ألفت النظر إلى انني هنا لا أندب «حقوق المرأة» فتلك نظرة جزئية وسطحية وسنتيمنتالية و (مصروسينمائية) للقضية. فالثورة من أجل انسنة الجنس ضرورية للرجل بقدر ما هي ضرورية للمرأة... علاقتها المزيفة غير الانسانية تهدر من الرجل بقدر ما تهدر من طاقات المرأة.. وتنحر ملكاته الابداعية بقدر ما تنحر ملكاتها. وحينما أطالب (بالمساواة) فانني أطالب ضمناً بحق الرجل والمرأة على السواء بعلاقات معافاة.

ولذا فالثورة الجنسية ضرورية من أجل المواطن، ومن أجل ان تكون الثورة ثورة حقاً. والمحرك لها ليس مرارة نوعية انثوية فردية وانما غضبة يفترض ان تتفجر في أعماق أي ثوري حقيقي. انها ثورة للمطالبة بحقوق الرجل الثوري وليست ثورة للمطالبة بحرية الجارية في اختيار سيدها!

• ماذا تقترحين من مفاهيم وعلاقات جديدة؟

- ان السماح في بريطانيا بزواج رجل مع آخر - رغم ما يثيره من هلع في أوساطنا - يعبر عن فكرة نسيناها تماماً فيما نسينا خلال عصور «الانحطاط الجنسي»... وغير

الجنسي. يذكرنا بأن شراكة الفراش بالمعنى الانساني هي أولا نتيجة للقاء انسانين على صعيد فكري وروحي قبل ان تكون الغاية من اللقاء مجرد تفقيس أطفال لحفظ البقاء،الأمر الذي يمكن ان يوفره في عصرنا التلقيح الاصطناعي وأنابيب الاختبار دون الحاجة إلى استعباد أحد الطرفين لهذه الغاية!

أقترح:

١ – تذكير الانسان العربي بأنه مريض « بالزهري الفكري » فيما يتعلق بقضاياه الجنسية، ما دام الشرط الاساسي « المشاركة » مفقوداً في العلاقة، والمشاركة تفترض المساواة. من مظاهر هذا « الزهري الفكري » هو استعمال كل من الطرفين للآخر على انه سلعة استهلاكية كأية سلعة أخرى، ما دام مبدأ الاستعباد قائماً...

٢ – الكف عن معالجة قضية « الثورة الجنسية » على صعيد الاثارة فذلك نوع آخر من الاتجار بالجنس، وتحويله إلى سلعة استهلاكية.

٣ – تحرير الفرد العربي من مفهومه الخاطىء حول تخلف المرأة النوعي، ذلك المفهوم الذي ترسب في لاوعيه طيلة عصور، والذي كرسته – يا للأسف – عصور وعصور – فالأديان والفلسفات القديمة والتشريعات البدائية قد كرست تبعية المرأة. وحتى الفلسفة الاغريقية لم تخل من تلك الوصمة (فيثاغورس: يميز بين « مبدأ الخير الذي خلق النظام والنور والرجل، ومبدأ الشر الذي خلق الفوضى والظلمات والمرأة » أبقراط: « المرأة هي في خدمة البطن ». ارسطو: « الأنثى انثى بسبب نقص معين لديها في الصفات »). في العصور الوسطى كانت المرأة ملكاً للرجل وجزءاً من الاقطاعية، وكان من حق الفارس ضماناً لوفائها حبسها في « حزام العفة » اذا اضطر للسفر.

وفي مجتمعنا العربي المعاصر نجد « حزام العفة » مفروضاً على المرأة، بالضبط، نجده مفروضاً على (فكرها) اكثر مما هو مفروض على (جسدها)...

المرأة التي تبيح لنفسها (حرية التفكير) تواجه قسوة (الرأي العام) أكثر من (المومس)،أي التي تستنكف عن التفكير والمواجهة!

٤ – مساعدة الثوري العربي على تجاوز الهوة القائمة بين (افكاره التقدمية) و (سلوكه الرجعي)، أي ثورة الثوري على (الازدواجية) في ذاته، ومحاولة تحقيق التطابق بين أفكاره ومواقفه العملية.. ذلك وحده ينقذ « الثورة الجنسية » من أن تتحول إلى « ثورة خطابية » حماسية.

وذلك كله لا يمكن ان يتحقق ضمن الشروط الاجتماعية القائمة حيث سيف التقاليد

الموروثة والتخلف والجهل مسلط، وانما يمكن تحقيقها فقط عبر « الفداء ». وكما كان « الفدائي العسكري » هو الحل البديل لتخلف المؤسسات الرسمية عن مواجهة تحدي العصر في ساحة الحرب، وكما كان « الفدائي الفكري » في حقل الفكر الحل الأوحد لتخليصنا من مأساة فرن الزيات وابن أبي دؤاد التي ما تزال تتكرر حتى في ظل بعض أنظمتنا (التقدمية جداً)، فان « الفدائي الجنسي » هو الحل. وأعني « بالفدائي الجنسي » ذلك الثوري الذي لا يكتفي باعتناق قناعات وآراء تقدمية في هذا المجال، وانما يعمل بها دونما خوف من مقصلة الجماهير غير المستعدة بعد لتقبل الافكار الثورية على أي صعيد، وبصورة خاصة على صعيد ما يسمى (العرض)، اذ انه حتى اليوم ما يزال يوسف وهبي فيلسوف العرب الأكبر على الصعيد الجنسي ملخصاً فلسفته العظيمة في صيحته المشهورة: « شرف البنت زي عود الكبريت »، وما يزال هذا الشعار العظيم يطغى على أية صيحة تذكر بشرف الأرض، وبكرامة الوطن.

● كيف تنظرين إلى الوفاء المتبادل بين زوجين؟

- كيف أتحدث عن (الوفاء الزوجي) والزواج في نظري بصورته القائمة مؤسسة فاسدة؟ كيف نطالب بالوفاء الزوجي حينما يكون ذلك الوفاء مناقضاً لوفاء الانسان لانسانيته ولذاته؟ الزواج في بلادي هو غالباً نوع من العهر الانساني المزود بشاهدين ووثيقة رسمية، ويتمتع بحماية المؤسسات المتعفنة القائمة لأنه بفساده وبتأطيره للانسان، وبالتالي قتله البطيء لابداع الفرد وثوريته، يضمن بقاء هذه المؤسسات واستمرار استنزافها للانسان.

اذن فعدم الوفاء الزوجي عندنا هو غالباً نتيجة لوفاء أحد الزوجين لحقيقته! الخطأ ليس في أن أحدهما قد خان. الخطأ في ان المؤسسة بصورتها القائمة هي بحد ذاتها خيانة لأصالة النفس البشرية وحقيقة مشاعرها.

● هل تؤيدين قيام علاقات جنسية كاملة قبل الزواج؟

- ماذا تعني بـ (كاملة)؟ هل تعني بها التحام جسدين كما يحدث لذكور وإناث الحيوانات جميعاً؟ هل تعني بـ (كاملة) عدداً من السنتيميرات في جزء من جسد المرأة يتوغل فيه الرجل لدقائق؟

بالنسبة إلي، العلاقة الجنسية الكاملة لا يمكن ان تكون (كاملة) إلا إذا كانت علاقة التحام انساني كلي يبدأ من الرأس، وغوص متبادل في الأعماق آخر وحدة قياسية له هو التقييم العشري (كما هي الحال في قياس المسافات المسطحة).

وهكذا، ففي حال نشوء علاقة جنسية (كاملة) بالمفهوم الذي ذكرت أنا، فان تلك العلاقة لا يمكن ان تقوم قبل الزواج او بعده... انها بحد ذاتها زواج (مع الاعتذار من المأذون ودوائر الطابو والطوابع الأميرية)...

• إلى أي حد تربطين مفاهيم الجنس بالمفاهيم الاخلاقية؟

- ذلك يتوقف على ما نعنيه (بالمفاهيم الاخلاقية). هل نعني بها الاخلاقية التي فتحنا أعيننا ووجدناها (جاهزة)، ورثناها من عصر آخر، فضفاضة تعرقل حرية حركتنا وانطلاقنا، أو ضيقة لا تستوعب خطانا؟ ان (المفاهيم الاخلاقية) - في نظري - ترتبط بل تنتج - عن عصر معين له ظروفه الاقتصادية والتاريخية المعينة، ولذا فانه من الخطأ اعطاء (المفاهيم الاخلاقية) لمرحلة ما، صفة المطلق! هذا أولا (مثال تقليدي ومعروف: أن يقدم زوج من الأسكيمو زوجته لتضاجع ضيفه هو أمر يتفق والمفاهيم الاخلاقية السائدة هناك. أن تتزوج فرعونية من شقيقها أمر بديهي ومستحب أخلاقياً...) هذا يدلنا على نسبية المفاهيم الاخلاقية، ولكن لا يقودنا بالضرورة إلى نفي امكانية وجود حد أدنى من (الاخلاقية المطلقة) في بعض المبادىء (الاخلاقية) الانسانية الاساسية.. وهي في نظري تنتج غالباً عن البديهيات الانسانية القليلة جداً (بعبارة أخرى، عن الحقائق الانسانية الأكيدة والتي تحصى على الأصابع كالموت والولادة والشيخوخة والألم والجوع).

وهناك شبه تعايش سلمي تفرضه أنانية الانسان وضعفه ومساواته أمام هذه القضايا... (قتل أسد بطولة، قتل حيوان من فصيلة الانسان جريمة لانه يشكل خرقاً للتعايش السلمي المبني على تضامن الضعف البشري). ايماناً مني بما أسلفت، وحتى أجد يقيناً يكون سبيله إلي، القناعة العقلانية الحيادية (بقدر ما في طاقة الانسان من الحياد) لا القناعة العقلانية الحيادية الناتجة عن إيثار السلامة، أرى أن الربط بين مفاهيم الجنس والمفاهيم الاخلاقية بالمعنى التقليدي للأخلاق أمر خاطىء وموقف غير فعال في الحياة، انه موقف (المفعول به) وليس (الفاعل)... انه موقف مريح راحة كبش ينساق مع القطيع... وهو بالتالي موقف غير ثوري وغير مبدع، وصاحبه كائن داجن، والمجتمعات الداجنة تنتهي في اصطبل احدى الامبراطوريات، والاسم التاريخي لاصطبلات المجتمعات الداجنة هو مستعمرة (او غيرها من التسميات الحديثة مثل قاعدة حربية...)..

وهكذا، بقدر ما تكون المفاهيم الأخلاقية لمجتمع ما قادرة على استيعاب حقيقة

الانسان (مع ادنى حد ممكن من الزيف) تكون هذه المفاهيم الأخلاقية أقرب إلى الكمال والمطلق...

ولكن ما هي « حقيقة الانسان؟ تلك هي الحلقة المفرغة. هل هو انسان الاديان؟ انسان العالم القديم؟ انسان ماركس؟ انسان داروين؟ انسان دوركهايم؟ انسان بيكيت ويونيسكو؟ أم انه هؤلاء جميعاً؟ تراها حلقة مفرغة، أم سلسلة لم تشهد الانسانية أكثر من ألفي حلقة من حلقاتها وهو عمر ضئيل ضئيل في أزلية الوجود؟ لا أدري. بالضبط لا يمكن لأحد أن يدري. لو كان هنالك من يدري لما كان هنالك من يطرح مثل هذه الاسئلة، ولما كان هنالك من يحاول الاجابة.

● إلى أي حد يقاس مدى التقدم والتحرر في المجتمع بمدى التقدم في التحرر الجنسي؟ ولماذا؟

– التقدم نحو ماذا؟ التقدم ليس في مفهومي مرتبطاً بالضرورة بالتقدم نحو القمر أو المريخ! احياناً أشعر انه كان في حضارات العالم القديم وربما بعض الأقوام البدائية (رقي انساني) يعادل – ان لم أقل يفوق – ما نشهده في أكثر البلدان الصناعية و(الراقية) بمفاهيم عصرنا القائم (عصر الذرة، وهيروشيما، وفييتنام)... اذن يجب أن نتفاهم على مدلول الكلمات قبل أن نستعملها.

التقدم في نظري هو (التقدم نحو مزيد من اكتشاف الحقيقة الانسانية في الجنس البشري)، والتحرر في نظري هو تحرر الافراد والجماعات من أي استلاب ضد انسانيتها.

اذن، حينما نفهم من الجنس (ممارسة بهيمية شرطها الوحيد هو حرية لاواعية مراهقة)، في مثل هذه الحالة يكون التحرر في ممارسة (جنس غير انساني) تخلفاً وليس تقدماً. المجتمعات (المتقدمة) في مفهومنا المعاصر أمر يثير حذري. بعبارة أخرى، رغم ان منطق الدبابة ينتصر طبعاً على منطق الجمل، فان ذلك في نظري لا يعني بالضرورة ان عصر الدبابة هو أكثر تقدماً (على الصعيد الانساني) من عصر الجمل، كما انه لا يعني العكس. باختصار، أحب أن اذكر هنا ببديهية تكاد تصير شبه منسية في عصر التكنولوجية: بديهية اسمها الانسان. بديهية تقول ان الأمر الواقع ليس بالضرورة الحقيقة. ولكن ما هي الحقيقة المطلقة، وهل هي موجودة؟ ما مدى قدرتنا على الاقتراب منها؟ هذه كلها أسئلة ما تزال بلا أجوبة، لكن افتقارنا إلى جواب أكيد ونهائي وقاطع بشأنها لا يعني انتصار المنطق الآخر. وانما يعني ان معركة مرعبة كهذه:

معركة اكتشاف الحقيقة (أو اكتشاف عدم وجودها)، أمر لا يمكن ان يتم في عدد محدود من الجولات على طول ألفي سنة فقط من التاريخ...

وهكذا، وحتى إشعار آخر، كل ما أملك أن أقوله في هذا المجال ان (تابو) الجنس لا يجوز أن يظل في ملكوته المقدس حيث الصمت يسكن الشفاه، ولكن من الضروري تخليصنا - على الأقل - مما لحق به من أوهام ومفاهيم خاطئة طيلة عصور.

شتاء ١٩٧٣

عفيف حنا يستجوب

• هل هناك « زراعة نسائية » حتى نقول هناك « أدب نسائي »؟

اين أصبح الأدب النسائي. أو أدب المرأة؟ هذا السؤال حاولت أن أطرحه على عدد من الأديبات البارزات في طليعتهن الأديبة والكاتبة غادة السمان. وأضفت إلى هذا التساؤل، سؤالين اخرين: لماذا يعلو صوت الأدب النسائي تارة، حتى يبلغ الذروة، ثم لا يلبث ان ينطفىء، وهل استطاع الأدب النسائي ان يواكب حركة الشعب والجماهير، أم انه تخلف عن ذلك، او ابتعد عن هذه الحركة في احيان كثيرة. وربما حملت صياغتي لهذه الأسئلة بعض (الحدة). وربما كان القصد هو استثارة اديباتنا من أجل ان يقلن كل شيء. وفيما يلي اجابة الأديبة الكبيرة غادة السمان التي اتخذت صيغة احتجاج على الأسئلة.

ماذا يكون شعورك إذا فتحت ذات يوم احدى المجلات ووجدت فيها تحقيقاً بالعنوان التالي: « الزراعة النسائية العربية » (على وزن الأدب النسائي العربي!)... ثم اسئلة مطروحة على بعض الفلاحات حول ما يسميه المحرر « الزراعة النسائية » وأسباب ازدهارها أو ركودها أو تخلفها عن مكافحة « دودة القطن » مثلا... ردة الفعل البديهية ستكون طبعاً: إذا فرضنا ان هنالك تخلفاً في الريف العربي في مكافحة الأمراض الزراعية فالمسؤول الأساسي عنه لن يكون حتماً الفارق (البيولوجي) بين الفلاحة والفلاح. ولا بد من أن يكون التخلف في قضية (الزراعة) واحداً ومشتركاً بين الفلاح والفلاحة ما دامت التربية الحضارية واحدة والتخلف والامراض واحدة، وبيولوجية المرأة حتماً ليست « المرض الزراعي » الأول، وهنا ستشعر ان اي تحقيق بعنوان مشكلات « الزراعة النسائية في البلاد العربية » هو تحقيق مفتعل،الغرض منه نشر صور بعض الفلاحات أو دغدغة المشكلة بشكل جانبي جداً وسطحي جداً...

كان هذا هو شعوري حينما طرحت علي اسئلة هذا التحقيق... حينما قرأتها

تساءلت فوراً: لماذا لم يذهب محرر مرة إلى الريف ليكتب تحقيقاً حول « الزراعة النسائية » ولماذا لا ينقضي شهر إلا ونقرأ تحقيقاً حول « الأدب النسائي »؟... لماذا هذا الطرح الخاطىء والمفتعل لقضية « الأدب »؟ ثم لماذا تطرح هذه الأسئلة على الأديبات فقط ولا تطرح على أديبات وأدباء أو على أدباء كما لو كانت قضية « الأدب النسائي » بمفهوم كاتب الأسئلة أو المحرض على كتابتها (الأستاذ غسان شرارة؟) قضية بيولوجية بحتة مثل قضية الحمل والولادة ومشاكل الرضاع و ... و ...!

أعرف، يستطيع كاتب الأسئلة، ان يرد علي ببساطة قائلا: انني أسأل عن « الأدب النسائي» لأن هنالك تعبيراً مطروحاً متداولاً في عالم الصحافة اسمه «الأدب النسائي» ولست أنا الذي ابتكر هذه التسمية. هذا صحيح... بل اننا لكثرة ما قرأنا عن « الأدب النسائي » كدنا نألف هذه الطريقة في الحديث عن الأدب وكدنا نعتمد هذه التسمية ونعمدها نهائياً ونضمها إلى قائمة مفاهيمنا الخاطئة لأمور أخرى كثيرة من الضروري إعادة النظر في منطلقاتها جميعاً...

ماذا نقصد « بالأدب النسائي » ولماذا يوجد مثل هذا التعبير ولا يوجد تعبير « الزراعة النسائية » مثلاً؟

ان الأسئلة الثلاثة لكاتب التحقيق تدعوني إلى طرح اسئلة كثيرة حول هذه (الأسئلة)...

أولها: ماذا يعني بالضبط بكلمة الأدب النسائي؟...

إذا كان من بعض تعريفه له (اللفظة المغالية الجريئة، والفكرة العارية المرتبطة بالذات والجسد - هذا كما ورد في سؤاله الأول) فالواقع ان هذا الوصف ينطبق على كثير من الأدب الذي كتبه أيضاً عدد كبير من الرجال... وتعداد اسمائهم لا يغني البحث الذي أحب إثارته وانما ينقله إلى مستوى المهاترات ولذا احجم عن ذلك، ولكن يكفي ان يبحث كل قارىء في ركن ذاكرته عن اسماء لكتاب ذكور تنطبق على نتاجهم المواصفات المذكورة. هل يعني ذلك ان تحليلا علمياً لدمهم ستكون نتيجته وجود هرمونات مؤنثة عالية النسبة، تزداد نسبتها بقدر ما تزداد نسبة (اللفظة المغالية الجريئة والفكرة العارية المرتبطة بالذات والجسد)؟...

أعود إلى مثال الفلاحة والأديبة، والسؤال الذي يوجه إلى الأديبة ولا يوجه إلى الفلاحة...

ترى هل هو احتجاج يتخذ شكل السؤال؟...

احتجاج على استخدام المرأة أحياناً لسلاح أنوثتها من أجل ترويج كلماتها في مجتمع

كبته الحالي والتاريخي هو شبه ضمانة لمثل هذا السلاح؟...

حسناً. إذا فرضنا جدلا ان مثل هذا الاستغلال غير المشروع للأنوثة قائم، ففي اعتقادي انه من الضروري طرح القضية ضمن إطار الحديث عن مختلف اشكال استغلال «النفوذ» لترويج الأدب وغيره... اي ضمن اطار الحديث عن الموظف الكبير الذي يستغل مركزه الوظيفي لاغتصاب لقب شاعر، أو الثري الذي يشتري بدفتر شيكاته لقب أديب أو غير ذلك من انماط السلوك الذي لا تتفرد المرأة به. لماذا لا نرى الخطأ إلا حينما تمارسه ساقان حريميتان؟ ولماذا لا نحس بالغضب أمام كل انماط الاستغلال لانسانيتنا التي نعاني منها في كافة مرافق حياتنا وكرامتنا بل وأرضنا، ونبدي حساسية فائقة (رائعة) تجاه اي تجاوز تقوم به «تاء تأنيث» ما؟...

ان التخلف الذي يدفع بجندي عربي إلى الهرب من الجيش للحاق باخته وقتلها لأسباب تتعلق بالعرض هي في رأيي الأسباب نفسها التي تدفع باجوائنا الأدبية والصحفية إلى التهرب من قضايا الأدب الحقيقية (كقضية حرية الكلمة في بلادنا العربية ومواقف مختلف الأنظمة منها مثلا) للاهتمام (ببعض) المشاكل الطفيفة نسبياً التي قد تسببها بعض (النساء) بوسائلهن الأنثوية للرشوة كما قد يسببها بعض الرجال بوسائلهم الأخرى للرشوة. لكن المبدأ واحد.

في سؤالك الثالث مثلا تتعرض لقضية أدب المرأة والجماهير. ولماذا لا تتحدث عن قضية الأدب والجماهير، بل عن قضية الكتاب العربي والجماهير العربية. ان قضية ما تنشره المرأة من كتب والجماهير هي مجرد قضية فرعية من مأساة كبيرة هي مأساة الكتاب العربي والجماهير التي تواجه كثيراً من العقبات ابرزها هزال كمية المطبوع من الكتاب الواحد - ٣٠٠٠ نسخة تقريباً، بينما عدد سكان العالم العربي هو ١١٠ ملايين. والسبب هو (انتشار الأمية بنسبة ثمانين في المئة بين العرب المعاصرين بالاضافة إلى أمية المثقفين - عن دراسة لمنير بعلبكي عن الكتاب العربي ومشكلات النشر والتوزيع) ان كل حديث عن الطلاق بين (ادب الحريم) والجماهير ليس إلا فرعاً من الحديث عن الطلاق بين الكتاب والجماهير العربية.

وبعد، فانني اتمنى كثيراً ان نطرح قضايا الأدب في حوار بناء، وان نطرح قضايا المرأة في حوار بناء، ولكن لا ان نخرج بمزيج سطحي من الغناء في طاحون التخلف العربية على نغمة «الأدب الحريمي».

ما أود قوله باختصار: هو ان هذا النوع من الأسئلة التي ألفنا طرحها تنطلق من

المنطلقات نفسها التي هي أساس العلة التي تحاول انت - بطرحك هذه الأسئلة - ان تداويها!

باختصار أكثر: فسد الملح، بعبارة عصرية أكثر: عقاقيرك محملة بجراثيم الداء الذي تحاول ان تداويه.

بصورة عملية أكثر:

قبل ان تكون بيننا لغة مشتركة، أي ان نتفق على ما تعنيه أنت بـ « الأدب النسائي » و « الأدب الجماهيري » و « ضمور الأدب » و « فوران الأدب » وقبل ان أفهم على أية دراسة علمية موضوعية بنيت مسلمات سؤالك الأول (الذي بدا لي مثل سؤالك لي: بما ان الأرض مسطحة، ما هي في رأيك الوسائل كي لا تصاب الجماهير العربية بمرض الدوار الحريمي حينما تحاول الالتفاف من سطح الأرض الأول إلى سطحها الثاني). قبل ان يكون هنالك وضوح، وهدف بناء من حوارنا، لن يكون هنالك حوار، وسيظل كل ما تنشره المجلات حول « الأدب النسائي » مجرد ثرثرة تقليدية مسلية من ذلك النوع من النكات التي تطلقها المجلات حول « سلوكية المرأة في مجتمعات البورجوازية الصغيرة » أي سيظل الحديث عن الأدب النسائي تافهاً ومسلياً وطريفاً طرافة الحديث عن « قضية المرأة ومعطف الفرو » أو « المرأة الوزيرة التي تخاف من الفئران » أو الصور الكاريكاتورية لنائبة المجلس النيابي الحامل، وللزوجة الأزلية في انتظارها الأزلي خلف الباب والمراوة في يدها والزوج الأزلي الراجع بعد منتصف الليل على رؤوس أصابعه الخ... الخ...

وكي لا نتابع حلقة جديدة من ثرثرتنا على أدب الحريم،

أتمنى طرحاً جاداً محدد المعالم لهذه القضايا اذا كان الغرض من طرحها جاداً.

وإن لا، اكتفي بهذا المقدار لتسلية القراء.

صيف ١٩٧٣

رائدة نصار تستجوب

• لماذا يعترض الزوج على ما تكتبه زوجته ما دام المقال موقعاً باسمها هي لا باسمه؟

كلما قرأت كلماتها شعرت انك تغوص في لجة من النشوة. شراعها القلم.. سفينتها الصفحة.. صوتها الريح...

ترمح صدر الصفحات وتنتزع من نفسك الاعجاب... والتلذذ.

متجددة أبداً. على صفحاتها وفي حياتها.

متجددة أبداً.. هي المرأة الشرقية. هي الغجرية التي ترصع دمشق باسمها.

غادة السمان.

غادة.. العذبة دائماً. المرحة دائماً. الناهضة الى جانب الحق.

كسرت اغلال الجواري وتوضحت... «انثى» تنثر مظلتها الزهرية في حوار تشدك لأن تتفيأ ظله:

• كيف تكتبين قصصك؟

- كما أتنفس أكتب. وانت لا تستطيعين سؤال احد: كيف يتنفس. انه لا يملك إلا أن يمارس ذلك. وهذا كل ما في الأمر..

وصحيح ان التنفس عملية لا ارادية وعفوية ولكنها في الوقت ذاته عملية معقدة تشترك فيها عشرات الأجهزة الداخلية وعوامل المناخ الخارجي.. وكذلك الكتابة...

ففي (فعل الكتابة) تتشابك عشرات العوامل من مناخ خارجي (الحرية مثلا

اوكسجين الكتابة) وموقف انساني داخلي (الثقافة مثلا هي رئة الفن، والمصاب بفقر الدم الفكري اوبسل الغرور هو كمن يحاول ان يتنفس برئة مثقوبة).

الكتابة بذلك هي ذروة استخراج اللاوعي وعفوية العقل الباطن متحدة مع ذروة الوعي والتصميم وارادة العطاء..

● **بصفتك امرأة أديبة ماذا اعطيت المرأة، ككل، في المجتمع؟**

- صفة (امرأة أديبة) لم احسها قط، أحسست دائماً انني فرد في هذا المجتمع يكتب.

قلمي لا يفرز هرمونات مؤنثة فقط. وإذا كنت قد كتبت مرات عن حرية المرأة في بلادي فما ذلك الا جزء من دفاعي عن حرية الفرد العربي ذكراً وانثى، كشرط أساسي لتفجر طاقاته البناءة المكبوتة.. وجزء من اعتقادي ان انتزاع الفرد العربي لحرياته السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية هو الخطوة الأولى في درب الثورة الحقة.. وان مقارعة استعمار التخلف في أعماق كل منا هو الشرط الأساسي لمقارعة الاستعمار الخارجي المحدق ببلادنا والطامع بثرواتنا.

لا ادري بالضبط ماذا اعطيت مجتمعنا كأديبة، وهل ستُقرأ كتبي وقصصي بعد عشرات الأعوام وتظل تهز أوتار قارئها، ولكنني - في اسوأ الحالات كنت على الأقل دعوة الى الجرأة والفداء الفكري والخروج عن منطق القطيع ورفض ارتداء الأقنعة والكمامات بكل انواعها من سياسي واجتماعي وعاطفي وديني... ودعوة الى اعادة النظر في كل المفاهيم السائدة، وانتزاع بعضها من اعماقنا او اعادة غرس البعض الآخر وتجديد تبنينا له بوعي قانع لا بحكم الببغائية الاجتماعية المتوارثة.

● **كيف تتصورين السعادة؟**

- مفهوم السعادة في نظري يتبدل من لحظة الى اخرى...

في هذه اللحظة اشعر ان السعادة هي القدرة على ردم الهوة بين صدق الانسان الداخلي وبين سلوكه الخارجي... القدرة على تحقيق التطابق بين ما نحس به ونبطنه، وبين ما نعلنه ونبديه ونحيا من اجله.. السعادة هي ذلك السلام الداخلي، حينما يكف الانسان عن حربه مع صدقه ويبدأ حربه الجدية ضد القوى التي تحول بينه وبين تحقيقه لانسانيته.

ببساطة اكثر، لنقل ان السعادة، بصورة عامة، هي الصحة الجيدة والذاكرة السيئة......

● حدثينا عن طفولتك؟

– اية طفولة منهم؟ طفولتي الزمنية الماضية ام الطفولة النفسية التي ترافق كل انسان حتى شيخوخته، متمثلة في ذلك التوق الدائم الى النقيضين: الحنان والعبث؟ اما عن الطفولة (الزمنية) فانني لم اعرفها لأنني لم اعرف امي... واما عن الطفولة الأخرى المستمرة فانني امارسها بشراهة غارقة ابدا في نهر الحنان والعبث...

● كيف تفسرين جمال المرأة؟

– جمال المرأة لا يفسر. لا مقاييس له. انه ذلك المزيج الآسر من الانتشاء بالحياة والثقة بالذات، والرغبة في مد جسر الى عالم الآخرين. هذه كلها تطلق كهارب مثل الأشعة فوق البنفسجية، لا يمكن تحديدها وانما يمكن رصد اثرها على كل ما تمر به ومن تمر به....

المرأة الجميلة هي التي تخلف في بصيرة الرجل قبل بصره صورتها محفورة بخطوط لا تمحى، كوشم من جمر...

المرأة الجميلة جداً هي التي تخلف في الرجل خفقانا عقليا لا مجرد خفقان قلبي او جسدي.

● تحدثي عن نفسك عندما تكوني: قوية... ضعيفة؟

– ككل البشر، انا ضعيفة في ذروة لحظات صدقي وعطائي.. فالعطاء خروج من صدفتنا والسلحفاة التي تخرج من صدفتها تصير عرضة لأذى العالم الخارجي.

وانا قوية في ذروة لحظات انانيتي التي تعقب دوماً غدر الأصدقاء والأحباء لأنني بعدها انزوي بالعزلة.. بالصمت، وارتدي لامبالاتي بزة حديدية مثل ثياب محاربي القرون الوسطى.. انها المأساة:

ان يستغل الآخرون صدقنا ليحولوه ضعفاً بدلاً من أن يشربوا من نبعه، فنحتمي منهم بقوة العزلة المترفعة رغم كل ما فيها من كف عن الأخذ والعطاء.

● اما من جديد في اعمالك الأدبية؟

– لدي مخطوطات عديدة سأدفع بها الى الطبع قريباً – اذا لم يمرض طفلي من جديد – فأنا رغم كل تحرري من اكثر الواجبات الزوجية، لا أملك إلا ان انسى كل شيء حينما يمرض طفلي واعنى به بنفسي... وعامي الأخير لم يكن سعيدا جداً من هذه الزاوية، المهم هو ان اكتب. اما النشر فيمكن ان يتم في اي يوم، ولن يضايقني ان يتولاه (الورثة) بعد موتي.

• **عندما تكتبين هل تعرضين« كتاباتك »على زوجك قبل نشرها؟**

- طبعا لا.. ولم يخطر ببالي من قبل ولا بباله.. ولماذا اعرضها عليه؟ انه زوجي وليس موظفاً في مراقبة المطبوعات. ولا مخفر حراسة على افكاري.. ولا حتى رئيس تحرير المجلة التي اكتب فيها..

فقط. حينما افكر بنشر مقال في مجلته (دراسات عربية) يكون علي ان اعرض عليه المقال قبل نشره، وليس في اية حالة اخرى على الاطلاق.

• **اذا انتقد « فقرة » وطلب تغييرها هل تفعلين؟**

- لم يحدث ذلك من قبل لأنه أصلاً لا يقرأ ما اكتب الا بعد نشره.. اذا وجد الوقت لذلك اصلاً..

ثم لماذا يطلب اي زوج تغيير فقرة في مقال لزوجته ما دام المقال موقعاً باسمها وليس باسمه، وما دامت حياتها الفكرية مستقلة حقاً وما دامت تحمل مسؤولية ما تكتب دون ان تختبىء وراء حماية لقبها الزوجي.

• **بنظرك ما هي مشكلة المرأة المثقفة.. المتوسطة الثقافة.. الأمية؟**

- هي نفسها مشكلات الرجل العربي المثقف والمتوسط الثقافة والأمي. المشكلة الأساسية التي نواجهها في بلادنا هي الأميين من الدكاترة وحملة الشهادات وما يلحقوه بنا من أذى.

• **هل نجحت في حياتك كزوجة وأم؟**

- بالمفهوم التقليدي لكلمة - زوجة وأم - انا غير موجودة أصلا، وزواجي لم ين على منطلقات كهذه..

كان زواجي التقاء عاطفياً فكريا وجسدياً بيني وبين انسان اخر.. وكان كل ما يهمنا من الزواج هو ان يتصعد ذلك اللقاء الانساني ويغتني على مر الأيام ويزداد عمقاً ومتانة... كان زواجنا ارتباطا فكريا بالدرجة الأولى.. عرفني كما انا وقبل بي كما أنا...

فأنا مثلا اجهل الطبخ واكرهه واعتبره هدرا للوقت واجهل تدبير المنزل والواجبات الاجتماعية وادوار سيدة المجتمع.. واضيق بأداء التفاصيل الصغيرة في تربية الأولاد التي يستطيع سواي تأديتها (كالغسيل والكوي الخ...).

انني اعمل في حقل اخر وتشغلني امور اخرى كثيرة تعارف الناس على انها من اختصاص الرجال واحتكارهم وحدهم....

وعلى آية حال ليس من الضروري كي اكون ناجحة ان أنال شهادة تزكية عامة، ان زوجي راض بي وفي موضوع الزواج تكفي شهادة تزكية واحدة من الزوج، صاحب العلاقة...

وأشعر أحياناً ان زوجي يحبني من اجل «عيوبي» هذه بالذات... انه يحبني لأنني ما ازال حبيبته كما عرفها...

● **بعد ان اصبحت «أماً» ما معنى ان تحمل انسانة هذا اللقب؟**

- معناه انها استطاعت ان تلعب الدور الذي تؤديه القطة اربع مرات كل عام.... فالقطط تلد اربعة جِرَاء على الأقل دفعة واحدة.... والأرانب.. والفئران.. وحدها المرأة من دون بقية الحيوانات اللبونة كلها تستطيع ان تجعل من هذا اللقب شيئاً انسانياً وتكسبه بعداً ومعنى، اذا وعت ان مهمتها لا تنتهي بانجاب صبي او بنت وانما تبدأ.. وان ليس من المهم ان تطعمه وتغني له في فراشه، الأهم ان تهيئه ليلعب الدور الذي تفرضه علينا حتمية المرحلة التاريخية التي تمر بها بلادنا العربية ومآزقها الكثيرة.. انني انتظر حتى يتعلم طفلي الأبجدية لأقول له اشياء كثيرة وازرع في اعماقه الغاماً كثيرة.

● **حب.. مال.. شهرة.. ماذا تفضلين؟**

- أريد (الثلاثة) وبالترتيب الذي جاء في سؤالك - الحب اولا، كثيراً من الحب، والمال ثانياً ليزدهر الحب (فالمال يعني شراء الزمن وامتلاك الوقت للحب)... اما الشهرة فهي لو جاءت وحدها (كارثة)..

الشهرة بلا حب ترمي بالانسان في صقيع من الوحشة والغربة.. تحوله الى سلعة استهلاكية موجودة في كل البيوت مثل صابون الغسيل والمكنسة الكهربائية والراديو... والانسان بحاجة الى قلب يشرنقه ويحبه، والاقامة في كل القلوب وكل البيوت هي كالإقامة على رصيف الشارع.. لأنه حينما يمرض الانسان المشهور او يحتضر يجد نفسه وحيداً بينما يقرأ الآلاف الخبر في الصحف بعيداً عنه... ثم يرمون بصحفهم ويتابعون مشاغلهم اليومية وينسون كل شيء عنه....

● **كيف تفسرين الوقت... الموت؟**

- الوقت هو شاطىء الرمل الذي نظن اننا نمتلكه كله الى الأبد.. ولكن ما ان تجيء لحظة نريد ان نقبض عليها حتى نعي كم نحن بؤساء لأن من يحاول الإمساك (بالوقت) هو كمن يحاول الامساك بحفنة رمل.. كلما شد عليها اصابعه كلما انزلقت من بينها هاربة..

مأساة الوقت اننا نشعر بوجوده حين لا نكون بحاجة الى وجوده: اي في لحظات الضجر.. وحين نحاول امتلاكه يهرب كسراب حكاية حبّ... الوقت ظل هارب عبثاً ندق فيه مسامير توسلاتنا..

اما الموت فهو فقدان القدرة على ان نحب، وعلى ان نتجدد مرات كثيرة بعد ان نموت مرات كثيرة، فنحن نموت مع كل حكاية حب وكل كتاب وكل مشروع ونبعث احياء مع الحكاية الأخرى التي تتبعها، والموت هو ان نقدم استقالتنا الى الحياة فيصير جسدنا تابوتاً متحركاً نحمله وندور به في مسرح الدمى...

الموت هو ان نكف عن القدرة على الموت المستمر..

انه التحنط النفسي.

شتاء ١٩٧٥

ليلى الحر تستجوب

- **قضية تحرير المرأة جزء من تحرير الفرد العربي.**
- **الحريـة الحقيقيـة للمرأة لا تتوفر إلا بالنضال ضد بعض التقاليد المتخلفة.**

عندما أطلقن كلمتهن الأولى في كتاب يحمل اسمهن وصورتهن، كانت الضجة انهن نساء، ويكتبن. وكان التحدي: من يصمد بمرور الزمن؟ المرأة أم الأديبة؟ واليوم، وبعد أكثر من عشر سنوات يبدو ان التساؤل حظي بالتعادل: فالمرأة بقيت، والأديبة نضجت... وصار الاستفهام: ماذا أضاف الأدب للمرأة، وما أضافت المرأة للأدب؟ استفهام لا يكتمل إلا بأجوبة صريحة... جريئة...

● **بعد إثنتي عشرة سنة من الانخراط بعالم الأدباء، ماذا أضافت كتبك إلى غادة السمان المرأة؟**

إلى غادة السمان الفنانة؟

إلى حرية غادة السمان العامة؟

– ذات مساء كنت وحيدة وحزينة وكانت السماء تمطر، ودخلت إلى سينما اديسون وضجرت وخرجت وكانت ما تزال تمطر. توقفت قليلا أمام المكتبة الملاصقة للسينما احتمي من المطر وكانت الشوارع خاوية كأعماقي، وفي الضوء الشاحب شاهدت خلف الواجهة التي يغسلها المطر كتبي كلها وقد عرضها صاحب المكتبة على طول رف... كنت امرأة حزينة وكانت كتبي تحدق في وجهي بما يشبه السخرية، وشعرت بما يشبه الحقد!...

«ان ما ينتظرنا، نحن الفنانين، هي تلك التسوية الفرحة التي نتوصل إليها عن

طريق الفن، مع كل ما جرحنا وخذلنا في الحياة اليومية - لورانس داريل »، وهذا صحيح إلى أبعد حد، ولكنه لا يكفي، ففي قعر ليلة مقفرة كبئر، هنالك لسان ساخر يمتد كالمثقب من أعماق القلب ليقول ببساطة: لا عزاء... في النهاية، لا شيء يجدي.

تسألينني ماذا أضافت كتبي إلى حريتي العامة؟...

أقول لك بدون تواضع كاذب ان كتبي لم تضف شيئاً إلى حريتي العامة ولم تنتقص منها، ولكنها أضافت شيئاً إلى الحرية العامة لسواي... فأنا صرخة حرية سواء شئت أم أبيت. ولدت هكذا، كأجنحة طير لا فضل لها في ان تضرب القفص. الحرية تتفجر في داخلي كما الموج في البحر، ولو ان ظروفي لم تتح لي تعلم القراءة والكتابة لعبرت عن نفسي بصورة أخرى... لو عشت في زمن الكهف لرسمت على الجدران بأظافري... فحاسة الحرية هي الحاسة الأساسية النامية لدي... وكتبي لم تضف إلى ذلك شيئاً، كل ما في الأمر انها عبرت عن ذلك... ولم يحدث قط ان احتميت خلف كتبي واتخذت منها دروعاً لممارسة حريتي... بل انني اتخذت منها بوقاً تنطلق منه صرختي: الحرية مناخ. الحرية حالة وعي جماعية. لا يستطيع الفرد ان يكون حراً في مجتمع غير حر... عشت في أوروبا، وطبعاً كنت امتلك حريتي الفردية، وكنت اعمل هناك وأكسب رزقي، وكنت استطيع ان أبقى... لكن الانتماء حقيقة، وحرية الهرب بلا متعة... ووجدتني اترك عملي بلندن لأعود إلى وطني (أي وطن عربي - اخترت لبنان) ولأتابع الكتابة بالتزام شبه واع. اني أرفض حرية الهرب. أريد الحرية سماء وشمساً للجميع. أريد ان يكون مسموحاً لنا جميعاً فتح صدورنا كالنوافذ لاحتضان الأفق الرحب والمعرفة بلا قيود. وهكذا فأكثر كتاباتي هي في جوهرها صرخة من أجل حرية الفرد العربي (لا المرأة العربية فحسب). أنا لا أريد أن أمارس حريتي كما لو كنت أقدم (نمرة) منفردة في سيرك الحياة الاجتماعية للأمة العربية، وإنما أحاول المساهمة في تهديم ولو سياجاً واحداً من السياجات الفكرية العربية.. من هنا، فان كتبي لم تزد او تنقص من اسلوبي في ممارسة حياتي الشخصية، ولكنني اردت لها ان تكون إضافة في درب التحرير للمرأة العربية ولسواها. وأنا أؤمن بأن الحرية الحقيقية للمرأة لا تتوفر إلا بالنضال ضد بعض التقاليد المتخلفة، وبالنضال ضد المفهوم البورجوازي الشكلي للحرية... (والاباحية هي في نظري عملية اسقاط خاطىء، حيث ينغمس الفرد بالجنس هرباً من النضال على صعيد آخر)... أؤمن أيضاً بأن تحرير المرأة لا يتم إلا بتحرير المجتمع من الاستغلال بكافة صوره، اي ان قضية تحرير المرأة هي في نظري جزء لا يتجزأ من تحرير الفرد العربي

من كل قوى الاستلاب الاقتصادية والسياسية والفكرية والعاطفية التي تشوهه!..

واعتقد ان اية حركة لا تضع في رأس مهاتها تنظيم المرأة العاملة وتهيئتها للنضال القومي لن تستطيع التصدي لتحرير المجتمع العربي. وانه دون تحرير المرأة لا يمكن نجاح وتحقيق أي تبديل.

كم هو محرض سؤالك... ها أنا استعرض اثنتي عشرة سنة من عمري اكلت من مراهقتي وشبابي الأول واتساءل: ماذا اضافت كتبي إلي؟.. كان حرياً بك ان تسأليني: ماذا سرقت منك؟.. اني اتذكر نصف ضاحكة - نصف حزينة، رجالا كان يمكن ان يلعبوا في حياتي دوراً يغنيها، لولا خوفهم من كتبي... كانوا يعتقدون ان غادة المرأة هي الفخ الذي تنصبه غادة الأديبة... وان دور الرجال في حياتي هو كدور ارانب التجارب في مختبر عالم مجنون... وانهم ليسوا أكثر من مادة خام لقصصي. (تراهم على حق؟ لا أدري تماماً!..).

● كتبت عن الحب كثيراً، وأشيع انك عبدت فيه الجنس والرجل والصبابة والشوق الذي لا ينتهي؟ غادة، هل صنعة الأديبة اعطتك «قفزة» ما في مجال ممارسة العشق حسب الهوس النواسي؟

- انك تطرحين هذا السؤال كما لو انه تهمة... ومثل مدع عام حاذق تسبغين على الأمر أوصافاً تجعله يبدو كتهمة «الصبابة والشوق»، «العشق حسب الطريقة النواسية»، «عبدت الجنس».

ولكن الأمر ما يزال يبدو لي كمهمة مقدسة تستحق الفخر.

نعم. كتبت كثيراً عن الحب وسأكتب المزيد... فالحب مهدد في عصرنا بخطرين: خطر عالمي أوروبي سببه فقدان الايمان بكل القيم الروحية بما فيها الله والدين والحب، وانتقال العدوى الينا على طريقة الموضة، كأن من صفات الرجل العصري الديناميكي «الكومبيوتري» الأجواء عدم الايمان بالحب. والخطر الثاني هو سوء التفاهم الواقع بين الفرد العربي الثوري والحب، حيث يسود نوع من الوهم الخاطىء بأن الأمرين متناقضان. هنالك تناقض بين الثورية وبين الحب على طريقة غالبية السينما العربية والسينما المصرية خاصة الميلودرامية ولكن لا تناقض بين الثورية والحب المعافى بل ان كلا منهما يكمل الآخر.

الحب ليس نقيضاً للجدية في مواجهة قضايا الحياة. وليس نقيضاً للحس بالمسؤولية. كل ثوار العالم الذين نسمع بهم لا يمكن ان يكونوا (نذروا العفة). ملايين الرجال الذين

قتلوا في الحروب لا نستطيع اتهامهم (بالعجز) والاعراض عن الحب. وقد استطاع اجدادنا ان يفهموا نموذج عنترة المقاتل والعاشق ولم يوجهوا إليه تهمة الخيانة العظمى، ولم يرجموه لأنه حمل في عينيه صورة حبيبته إلى ساحات الوغى.

اني أكتب كثيراً عن الحب لأنني اؤمن بأن الدعوة إلى الحب جزء من الدعوة إلى تحرير النفس العربية مما علق بها من مفاهيم مغلوطة تشوه انسانيتها وتعوق تفجير طاقاتها... وعلينا ان نتذكر دائماً ان جميع المقاتلين العظماء كانوا عشاقاً عظماء...

يقول جان فريفيل في (الاشتراكية والمرأة): الحب، ذلك التفتح الرائع للشخص الانساني مهدد بخطر مزدوج، اجتماعي وفردي: العبوديات الخارجية النابعة من علاقات الانتاج، ونداءات الغريزة الغاشمة. وفي كل المجتمعات الطبقية التي توالت على مر العصور، اضطهدت المرأة واستغلت وسحق الحب واضطهد، وضرب عليه التحريم».

ويقول أريك فروم الفيلسوف التقدمي: الحب هو طفل الحرية. الحب هو فعل ايمان... ويقول الدكتور الأب بشارة صارجي في كتابه الرائع، «العلاقات الجنسية والدين»: ان علاقة الرجل بالمرأة المعطية للحياة، هي، الى جانب الموت، واحدة من خاصتين ملازمتين لكل وجود انساني...

وهكذا فالحب ليس من اختراعي (للأسف!)، ولا من اختراع أبي نواس، ولسنا اول من اكتشفه وليس الفلاسفة التقدميون الغربيون اول من فتح بصيرة العرب عليه، وعودة بسيطة الى كتب التراث العربي تكشف لنا ان الحب صناعة عربية قديمة وان جولييت الشكسبيرية هي طفلة في بحر الحب امام قدرة العربيات على العطاء منذ دهور، وأن روميو ليس الا صورة تتضاءل امام عشرات العشاق العرب المحيطين بنا العائدين بأصولهم الى التراث العربي الثري بالعشق الغابر... وكتب التراث مليئة بالشواهد كأغاني الأصفهاني واماني القالي وخزانة ابي عمر البغدادي ورسائل ابن سينا وغيرها من التي اخذ عنها الغرب الشيء الكثير.. والأوروبي اندريس الذي كتب باللاتينية في القرن الثالث عشر كتاباً عن الحب كان اقل شأناً مما سبق للعرب ان سطروه في هذا المجال (راجع دراسة الحب بين تراثين - ناجية عاقل مراني - الآداب ١١/٨).

وهكذا فان كتابي «حب» وبقية كتاباتي عن الحب ليست مجرد ردة فعل على الرياء البورجوازي الأخلاقي، ولا مجرد غنائيات للنزوات الجنسية، بل هو صيحة جزئية من مجموعة صيحاتي من اجل الحرية وتفجير الطاقات الانسانية للعطاء. وهنالك ملحوظة

هامة احب ان اسوقها وهي ان كتابي « حب » يأخذ معناه الحقيقي حين يقرأ ضمن إطار نتاجي القصصي ككل. وحين يفسر مضمونه على ضوء روح أعمالي وكتاباتي بمجموعها.

- انت كاتبة شهيرة. ومبيعات كتبك تفوق مبيعات اكثر الأدباء. هل وصلت الى نقطة الاكتفاء؟؟

- لا اكتمك انني غير راضية! بل ومصدومة... ففي الفترة الأولى من حياتي الأدبية ركزت تركيزا قوياً على الناحية الدعائية لنتاجي، وهدرت الكثير من نفسي ووقتي لأجل ذلك. كنت اتوهم انه يكفي لانتشار الكتاب انتشارا واسعاً ان يكون الكتاب جيدا وان يدري الناس به... ففي اوروبا واميركا تبلغ مبيعات الكتب الناجحة ملايين النسخ، وانا من امة تعدادها مئة مليون لغتها العربية الفصحى التي اكتب بها... وحلمت بانني سأبيع ملايين النسخ. وبدأت حقائق الحياة العربية تصدمني: ان اي كتاب عربي مهما بلغ من الشهرة لا يمكن لتوزيعه ان يفوق الـ ٥٠ الف نسخة في كل العالم العربي! تصوري هذا الرقم الحقير. الأسباب التي تحول دون انتشار الكتاب العربي انتشارا حقيقياً كثيرة اذكر منها: ١ - الأمية... ان ٨٠ بالمئة من الشعب العربي تفترسه الأمية ويعجز عن القراءة والكتابة.

٢ - الفقر. حتى الـ ٢٠ بالمئة الذين نجوا من الأمية، اكثرهم لم ينج من الفقر. ومن الطبيعي ان يشتري رغيفاً بدل الكتاب.

٣ - ارتفاع اسعار الورق مما صار يحول بين اكثر الطبقات المتوسطة وبين الكتاب.

٤ - مصاعب التوزيع، ومآسي الرقابة العربية على الكتب!.. والممنوع اكثر من المسموح.

٥ - كل المآسي السابقة التعداد تهون امام المأساة التي سأذكرها: وهي ان المثقف العربي لا يقرأ... وان فعل فإنه يقرأ نتاجه وحده ويطرب به ويتلوه على من حوله فينصتون مرغمين... كل المآسي السابقة لها مبررات تاريخية ولا بد للزمن من حلها، اما مشكلة المثقف العربي الذي لا يقرأ فهي امر يثير الغيظ ويدعو إلى المطالبة بتطبيق القانون الاسباني: السجن مع الأشغال الشاقة لكل ناقد يثبت انه نقد أثراً لم يقرأه!.. (وهو أمر يحدث عندنا كثيراً)... ومن الضروري تعميم هذا القانون على كل مؤلف أو مثقف لا يطلع على ما يدور حوله... أكثر الذين يشتغلون بالفكر عندنا لا علاقة لهم بالكتاب إلا إذا اهدي إليهم! انهم يشترون الأحذية وربطات عنق بيير كاردان

وويسكي بلاك ليبل وحبوب منع الحمل لكنهم لا يشترون كتاباً! ومن هنا كانت طريق الأديب الناشىء صعبة. ومن هنا كان لجوء الكثيرين في بدء حياتهم الأدبية إلى إثارة فضيحة اجتماعية لعل النقاد الكبار يقرأون نتاجهم مجذوبين إلى الفكر بالفضيحة!... المطلوب عبور فكري للمثقفين إلى عالم الكتاب.

• لماذا هذا الهوس المجنون بالسفر؟ قلت مرة: لا أعيش إلا بين طائرة وأخرى وبين حقيبة سفر ووسادة فندق: ماذا يعطيك الترحال؟

- يعطيني الرحيل مزيداً من الاقتراب من العناصر الأساسية في النفس الانسانية... ذاتي... والآخرين... الرحيل يعريني من مخدرات الحياة اليومية المستقرة الآمنة، يعيدني حقيقية. الرحيل يفقأ بالونات الوهم في الرأس ويستعيد الانسان حجمه الحقيقي في مواجهة الوجود...

الرؤية في صالات الترانزيت المغبشة بالفجر الرمادي والنعاس والتعب ودخان الطائرات أكثر وضوحاً من الرؤية من خلف حماية مكاتبنا والقابنا واركاننا المألوفة ووجوه معارفنا... السفر قفزة إلى الحقيقة دونما طوق نجاة وهمي... كل الفنانين الجيدين كانوا رحالين جيدين لأنهم كانوا لا يخافون مزيداً من مواجهة حقيقتهم وحقيقة العالم.

ربما لذلك، كانت لي في كل مدينة أوروبية غرفة متواضعة وعملاً، أي عمل بسيط وشريف، وأشهر أقضيها، وحين ألحظ ان شرنقة من الصداقات والعادات والروتينات تكاد تتكون حولي، كنت أترك كل شيء راحلة إلى مدينة جديدة لأبدأ من جديد. فعلت هذا في باريس وجنيف وزوريخ واخيراً... لندن... الآن بعد زواجي لم يعد بوسعي ممارسة الرحيل إلى هذا الحد دائماً، واكتفيت هذا الصيف برحلة وقوف على الأطلال!..

• عندما تتفلسفين، ماذا تكتبين؟

- أكتب:

ما دام لا مفر من الموت فالمأساة الحقيقية هي ان يكون موتنا مجرداً من أي معنى، وان لا تضيف حياتنا شيئاً إلى الانسانية.

• انت لا تتوقفين عند التفاصيل. دائماً يقودك التفصيل إلى عموميات فمواقف؟ هذا بالرغم من كونك تؤمنين بان تركيب العالم قائم على سلسلة تفاصيل وصدف عبثية؟؟

- أتوقف عند التفاصيل كي افهم المزيد عن العالم، لكنني لا أقف عند اي من التفاصيل وقفة نهائية لأنها كما تقولين بالنتيجة مجرد صدف عبثية!... التفصيل مهم عندي بقدر تعبيره عن حياة الناس ومشاعرهم. التفصيل مهم عندي من ناحية تحريضه لي على استنباط القوانين الكونية التي تخطط لحياتنا (ان وجدت!). ولكن ليس في الحياة (تفصيل) يستحق ان يسحقني نهائياً... (التفاصيل) أو الأحداث اليومية تؤلمني أحياناً ككل البشر، لكنها لا تقتلني... بالأحرى لم أجد بعد (الصدفة) التي تستحق ان امنحها ما هو اثمن من حياتي: موتي!..

صيف ١٩٧٥

سونيا بيروتي تستجوب

• المرأة هي مظلومة المظلومين

• انتِ أديبة مشهورة، ورغم المقابلات الصحافية الكثيرة التي اجريت معك، لم يأتِ اي تطرق الى طفولتك، ولا ادري ان كان هذا تعتيماً على صفحات قديمة لا تريدين كشفها، فحدّثينا عن هذه المرحلة وكيف يمكن أن تؤثر طفولة الأديب على أدبه، وكيف أثرت على ادبك بالذات؟

- فلنترك الماضي غارقاً في اكفانه، حتى إشعار آخر، أو بالأحرى حتى انتهي من كتابة مذكراتي. ولكن المأساة هي أن الماضي، هو الميت الوحيد الذي يلازمنا على مائدة الحاضر ويطاردنا حتى شطآن المستقبل... ولعل كتابة المذكرات محاولة للاغتسال من الماضي بصابون الاعتراف. ولكن الماضي يسكن تحت جلدنا...

لا اخفي عنك انني لا اطرب كثيراً للحديث عن طفولتي. ربما لأنني أشعر بأن الامر ليس هاما، وطفولتي مجرَّد طفولة أخرى اكثر بؤساً أو أقل بؤساً من بِقيّة « طفولات » جيلي التي هي بصورة عامة غير مضيئة، فعالمنا العربي لا يزال يجهل الطفولة او يتجاهلها...

باختصار أقول لك إن مأساة الفنان مع الطفولة هي انه لا يتخطى طفولته قط. انه في كل لحظة طفل وعجوز ومراهق ومحتضر.

• تصرين دائما على انك اديبة سورية. وتكتبين كثيرا عن الغربة والاغتراب، وروايتك الاخيرة « بيروت ٧٥ » تظهر بيروت كمدينة عاهرة؟ فهل غربتك هذه بعض انتقالك من وطنك سورية؟

- انا اكتب باللغة العربية، وهي ليست لغة سورية وحدها بل لغة ١٤٠ مليون انسان في الاقطار المختلفة لوطننا العربي الكبير. إني اصر على انني « اديبة عربية »، ولا أوافق على تسميتي أديبة « لبنانية » او « سورية »؛ هذه التسميات لم تكن موجودة اصلاً في ادبنا العربي. فالمتنبي، مثلا، اديب عربي لا اديب سوري، وكذلك ابو فراس الحمداني؛

وحين نتحدث عن ابي نواس لا نقول: « الشاعر العراقي » بل « الشاعر العربي ». ولذا فإن الفنان العربي هو من طلائع الوحدة العربية المحتومة، وهو الدليل على انها حقيقة نفسية وجماهيرية نتوق الى يوم تنفيذها. اما عن غربتي، فأنا يا سيدتي غريبة عن كوكب الأرض كله، ابحث عن كوكب « الامير الصغير » لارحل معه الى هناك!...

● في السوق ٦ كتب لغادة السمان، وقد تناولها الكثيرون بالنقد، فهل تعتبرين أنك اخذتِ حقّكِ من النقد، ام انتِ مع الصرخات القائلة بأن هناك كتّاباً وليس لدينا نقاد؟

- لا شكوى لديّ. لقد اهتمَّ النقاد بنتاجي منذ البداية سلباً وايجاباً. ولكن الكاتب لا « يأخذ حقه » من النقد، بل من القراء. من الالوف الطيبين الذين لا يعرف اسمهم ولا يسمع صوتهم، وخفقات قلوبهم مجانية وغير موقعة.

● كاتب معروف كتب منذ مدة، دون ان يعلّل، أن امرأة كاتبة تساوي مئة رجل كاتب في وطننا العربي، فما رأيك؟ وهل كان قطع الطريق شاقّاً وشائكاً بالنسبة اليك؟

- نعم كان شاقاً (وما زال) ولكنه لم يكن يوماً فوق طاقتي على الاحتمال. هنالك لحظات أشعر فيها بأن اعصابي شبكة مهترئة اكلتها عضات السمك في إبحارها الطويل. وامضي بسيارتي وحيدة الى الجبال، وحين اصل الى الغابات المقفرة افتح نوافذها واصرخ واصرخ واصرخ، بينما تتطلع الطيور والحراذين والتوت البري اليّ بدهشة. الغابات هي عيادة طبيبي النفسي، وقليل من الصراخ المنفرد من وقت الى آخر ينعش قلب الانسان الوحيد.

● كثيرات من الاديبات العربيات اعتكفن مدة طويلة عن الكتابة بعد الزواج وانجاب الاطفال اما انت فظل استمرارك بعد الزواج وبعد ابنك حازم متواصلاً ومتزايداً، فكيف تعللين حالتهن، وكيف تعللين حالتك؟

- الكتابة حقيقتي. إنها الصوت الأقوى في داخلي، و « أعلى » الاصوات المنبعثة من اعماقي. الكتابة عندي، اثمن من اشياء الحياة الجميلة كلها: كالسفر والحب والمال والراحة والجنس.

واذا كان الناس يصحون في قبورهم بعد انصراف المشيِّعين، فسأتابع أنا الكتابة على جدران تابوتي وحتى فوق هيكلي العظمي! وسأوصي بدفن قلم ودفتر فارغ معي. هذا بالنسبة اليّ، اما بالنسبة الى بعض الاديبات الباقيات فخفوت نتاجهن بعد الزواج

هو في نظري مجرد مصادفة وحتى لو لم يتزوَّجن لكان هنالك شيء آخر « يلهيهن » عن متابعة العطاء، وهو امر تشترك فيه المرأة والرجل على السواء. هنالك مثلا ادباء كثيرون كفوا عن العطاء لغرقهم في « الوظيفة » او « العمل » او « البطالة »! ولكن المهم هو انهم انصرفوا عن العطاء الى امور اخرى، ولكن كونهم « رجالا » يجعلنا لا نذكر الزواج كعامل من عوامل كفّهم عن العطاء. (ثم ان الزواج للمرأة في بلادنا هو مهنة: طبخ وتنظيف وتربية اولاد فقط لا غير).

انا أعتقد أنه حين تكون الكتابة أعلى الاصوات الداخلية واصدقها، فإن شيئاً لا يحول بينها وبين الاستمرار. ونجد الدَّليل في استمرار عدد من الكاتبات بعد زواجهن، كالمرحومة سميرة عزام وديزي الأمير وليلى الحر وكلثوم عرابي وانصاف الأعور معضاد وسلوى صافي وليلى عسيران؛ وفي طبع بعضهن لنتاجهن الاول بعد الزواج ايضا كنهى سمارة وحنان الشيخ وامل جراح وغيرهن.

• في ذهن الكاتب قراء معيَّنون يتوجه اليهم، أو يحب التوجه اليهم واسماعهم كلمته، فمن هم هؤلاء القراء بالنسبة اليك؟

– انا اكتب لكل من يعرف كيف يقرأني.

• البعض يصور « نزول الادباء والشعراء الى الصحافة » ازمة، والبعض الآخر يقول ان هذا في صالح الاديب والشاعر والقراء، فما رأيكِ وأنتِ تحترفين الصحافة والادب؟

– لست من رأي طه حسين الذي يعتقد ان الصحافة تفسد الاديب. الافراط في اي شيء يفسد الاديب. الافراط في الكحول او المخدرات او الصحافة او حب الوجاهة الاجتماعية... وكما يقول لورانس داريل: « كل افراط يتحول الى خطيئة ». وهكذا فالصحافة شأنها شأن اية « وظيفة » اخرى يمكن أن تفسد الأديب في حال غرقه بها. القضية في النهاية هي قضية توازن. الفنان الذي يعرف كيف يتوازن، يستطيع ان يحول كل ما يمر به الى مادَّة روائية خلاقة. المهم ان تكون موهبته اكبر من كل ما يعيشه.

بالنسبة اليّ، كان العمل الصحفي رافداً مذهلاً لفني الروائي، وذلك لما تفرضه طبيعة العمل الصحفي من معايشة يومية مع الجماهير والاحداث.

• يظهر بوضوح في كتابيك الأخيرين « رحيل المرافىء القديمة » و « بيروت ٧٥ »، خروجك من ذات غادة السمان المرأة وفرديتها وازماتها الى الواقع العربي المعاش، فما الذي جركِ الى فتح نوافذك على العالم؟

– لم تكن نوافذي موصدة في اي يوم. كل ما في الأمر هو أن العالم دخل الى قلبي من

نوافذي اكثر مما كان ذلك ممكن الحدوث من قبل، حين كنت اصغر سنا ووعيا واقل تجربة، وكنت مشغولة باكتشاف حقولي وجبالي الذاتية قبل ان اباشر اكتشاف ما حولي وعلاقتي الحقيقية والعميقة مع ما حولي، ما دام الشريان الذي يصب في قلبي ينبع من قلوبهم، ثم يعاود دورته مني الى عروقهم من جديد.

• تحبين السفر وتسافرين كثيراً، فماذا أفاد السفر ادبك، وكيف طوّره؟

- السفر يعلّم الانسان التواضع، لأنه حين يرى آلاف الوجوه الغريبة تركض على عينيه، يتذكّر ان عدد سكان العالم ٤٠٠ مليون مليون (بليون) شخص.

السفر يعرّي الانسان من «انتصاراته الصغيرة» في قريته الصغيرة، ويقذف به عارياً من أوهام مجده واقنعته الى شوارع الحقيقة ومواجهة الذات في مرايا الغربة.

والتواضع ومواجهة الذات وثقب بالونات الأوهام ضرورة مستمرة للفنان.

ثم إن الرحيل يوسع آفاق الكاتب ويطلعه على ما لا يخطر له ببال ويعيد الى قلبه الدهشة والذهول وربما الفرح في عصر احتضار الرقة والعذوبة.

• تنشرين الشعر (أو ما يسمَّى القصيدة المنثورة)، فما علاقتكِ بالشعر، وهل كنتِ تتمنين أن تكوني شاعرة؟

- اتمنّى؟ ولماذا اتمنّى ما دمتُ اكتب ما أشاء؟ وهل تهمُّ التسميات؟ سواء اطلق عليّ لقب «كاتبة قصة» أو «روائية» أو «شاعرة»، فإنني اظلّ انا انا، ابنة العاصفة الحرة التي تخمش وجه الصخر متى تشاء...

• عند كل انسان مهنة يتوق الى ممارستها، ويتمنّى لو عاد من جديد الى الحياة ليمارسها، فماذا تختارين؟

- اتمنّى لو أعود الى الحياة كلّما متُّ لأمارس كلّ المهن، لاعيش كل الاجواء، كل اللحظات النفسية الممكنة، كل العصور... واذا متُّ قَتْلاً فإنني اتمنى أن ابعث في جسد قاتلي لاعرف ماذا يحسُّ. أتمنى ان اعيش الادوار كلها: الجلاد والضحية. اتمنى الا امارس «مهن» البشر فقط، بل ابعث في طائر الليل واسماك النهار لأعرف ولأرى ولأفهم بعضاً من اسرار هذا الكون اللامتناهي... أن اصير برقاً وصخرةً وشجرةً وفراشةً وذئباً، فقد يشفي ذلك غليلي من غابات شارات الاستفهام المتربصة بنا عند كل منعطف صباحي.

• هل ترين المرأة الكاتبة قادرةً على تصوير واقع المرأة العربية اكثر من الكاتب الرجل وكيف؟

- كل فنان اصيل قادر على تصوير المناخات كلها ، وبهذا المعنى أعتقد أن المرأة الكاتبة الموهوبة قادرة على تصوير واقع الرجل العربي اكثر من كاتب « مذكر » نصف موهوب.

الكاتب يقف ضد الظلم اينما وُجِد. ولمّا كانت المرأة في مجتمعاتنا هي مظلومة المظلومين ، فمن الطبيعي أن تتصدى الكاتبات العربيات للدفاع عن طبقة المرأة العربية المسحوقة أسوةً بدفاعهن عن المسحوقين من البشر جميعا.

خريف ١٩٧٥

عبلة خوري تستجوب

• بعض الرجال منجم عطاء لا ينضب

من أية زوايا ادخل الى نفس الانسان، الرجل لأضعه أمام «جلادة» الأحاسيس، غادة السمان وكان ان غامرت، وتخطيت غالبية اعماقه فقلت لغادة: اتحكين عن الرجل؟ أجابت: عظيم، انه درب متسع وشاق.

ورحت بدوري اشق الطريق الى نفس غادة السمان، اعرف ذاتي بها، قبل ان اتعرف على الرجل من خلال معرفتها هي به، فهل نجحت امام الانسانين معاً؟ المرأة غادة السمان (حواء) والرجل الانسان «الآدم».

• هل تفضلين الرجل الانسان على المرأة وكيف؟

- من حيث المبدأ، لا يمكن ان افضل انسانا على آخر انطلاقا من المواصفات الجسدية بما فيها (الذكورة) و (الأنوثة).

من حيث التجربة لا استطيع الانكار بأنني صرت اميل الى مصادقة الرجال اكثر من النساء. لا أظن إن ذلك مرده الى صفات فطرية في الرجل تجعله اكثر انسانية وعمقاً، وانما الى صفات مكتسبة... فالرجل بحكم كونه جزءا من الحياة العملية وبحكم اهتماماته السياسية والفكرية، هو اكثر خبرة بالحياة من المرأة التي عالمها المطبخ وغرفة النوم فقط، وانا كامرأة عاملة اشعر بعجز عن التفاهم مع النساء اللواتي لم يطلعن على درب الزجاج المكسر والدمع والدم المفروش على أرصفة العالم الخارجي... أحزاني نائية عن تصوراتهن... وربما لذلك ليست لدي اي صديقة انثى غير عاملة، ولا صلة لي بمجتمع «النسوان»... اذن فاعتراضي ليس على المرأة، بل اعتراضي على ذلك النموذج المسترخي الراضي المستسلم الذي تشكل نساء بلادي نسبة كبيرة من قطيعه... ويشكل الرجال بقيته...

اعتراضي هو ان يرضى الانسان بفقدان انسانيته، او لا يعي فقده لهذه الانسانية، امرأة او رجلاً.

• والانسان يوم كان بدائياً، حجريا، هل اختلف عنه اليوم؟

- انسان عصر القمر هو نفسه انسان عصر الحجر... كل ما في الأمر هو انه صنع لنفسه خوذة وعربة فضائية وأنبوبة اوكسيجين ولكن الاسئلة العتيقة المنحوتة على جدران الكهوف منذ ملايين السنين لا تزال نفسها قائمة كما هي دون اية كلمة اضافية في درب الحل: من أنا؟ من أين جئت؟ والى اين؟ ولماذا؟

• «نيتشه» الفيلسوف «وآلان ديلون» ما الفرق بينهما؟

- مهرج حي خير من «فيلسوف» ميت! هذا شعوري في هذا الصباح الخريفي الجميل والبحر مجنون النداء للحياة والحب،ولو رددت عليّ اسئلتك عند المساء في اضاءة اخرى، فلربما قلت شيئا آخر.

• لمن تطربين من الرجال؟

- أطرب للرجل الذي لا يتعمد اطرابي، ولا يقدم لكل امرأة يلقاها استعراضا لعضلاته الفكرية، ويقيم في كل مناسبة وصلة «ستربتيز» نفسية عن منجزاته العظيمة وضرورته لتاريخ البشرية، وامكانية سقوط الكرة الأرضية في الفراغ اذا رفع يده عنها.

أطرب للرجل الحقيقي، العفوي، الأصيل، الذي لا يبتذل نفسه لتسول رضى المتفرجين، ولا يمثل دور العدوانية والشراسة كاسلوب لا قتحامي او اثارة فضولي، كل شيء مفتعل امقته، كل تخطيط مدروس في العلاقات الانسانية ينفرني سواء كان الاسلوب مفاجأتي بالعدوانية، اسلوب «الادهاش» من «فوق»،او المبالغة في المديح اسلوب الادهاش من تحت.

• ومن منهم تحدثين؟

- احدث الجميع... فانا كاتبة قصة ومن واجبي ان استمع الى الناس لأتعرف الى المزيد من النماذج البشرية... ولكن، نادرة هي الكلمات التي تخترقني كصاعقة وتبقى في نفسي الى الأبد كوشم من جمر.

• من اية نوافذ تطلين على الرجل؟

- لا أطل عليهم من نافذة... لا انظر اليهم كما لو كانوا فئران اختبار في مختبر عالم مجنون... ولا أراهم بهيئة وثن.أنا لم اعرف رجالا انبياء او قديسين، ولا مدانين ملعونين، لقد عرفت رجالا بشراً جعلتني الظروف اصطدم مع نقاط ضعف بعضهم او تسببت في احتكاكي بالزوايا الجميلة في البعض الآخر.

الرجل في حياتي لم يكن قط مشهدا اطل عليه من النافذة: اخشاه او اعبده، ولم أر

الرجل قط في صورة الرجل - الوثن،او الرجل - الاسطورة ، منذ طفولتي سمحت للرجل بالا يكون قديسا ولم اثقل عليه بمطلب الكمال. جميع الرجال الذين عرفت ، أبي واخي واصدقائي واحبائي تقبلت نقاط ضعفهم بالحنان نفسه الذي قطفت به ثمار عطائهم...

الرجل لم يكن قط في نظري قديسا او وغداً او فصيلة حيوانية اخرى غير فصيلة المرأة... ومن هنا فان علاقتي بالرجل كانت دوما وعلى كل صعيد علاقة رفيقين في عالم قاس ، وليست علاقة التعبد له او الرغبة في استعباده.

• هذا الشمول في اعماق الفكر الانساني جعلني اضع الكاتبة والأديبة أمام الرجل السياسي قلت: أين تضعينهم، رجال السياسة، من نفسك؟-

- لا مكان لرجال السياسة اللبنانية في نفسي ، انني ارفضهم جملة وتفصيلا... بينهم من هو جذاب الشكل ويحسن السباحة والرقص « وتدبيل العيون » للكاميرا والصيد وربما تلاوة مقاطع من شعر الغزل الفرنسي الرومانتيكي ولكنني لست نجمة مجتمع لتسحرني هذه « المواهب ».

انهم بصورة عامة رجال في غاية البعد عن الحياة الحقيقية للشعب وهمومه اليومية كما انهم في غاية البعد عن الهموم الانسانية والفكرية ، وبعدهم هذا ينم عن عالم داخلي فقير بالثراء الانساني ومليء بثراء القشور الدنيوي الذي لا يخطف اهتمامي.

أفقهم لا يمتد الى ابعد من اسطبلات خيولهم في حدائق قصورهم ، وخيالهم لا يطال اكثر من ارقام حساباتهم في البنوك... ولا أظن ان بينهم من يخفق قلبه لموت طفل او زهرة او نجمة او مناضل... رجال السياسة اللبنانية بغرقهم في تفاهات مطامحهم البوجوازية وبعدهم عن الشهب هم صورة للرجال الذين وصفهم « دي سانت اكزوبري » في كتابه « الأمير الصغير » بقوله: « ان من لم يشم زهرة قط ، ولم يتأمل نجمة ، ولم يفعل شيئاً غير احصاء النقود ليس انسانا.انه طحلب »...

مثل هذا النوع من البشر لا يجذبني وأرفضه،رجال السياسة في لبنان ليسوا« رجال محبة » ولا علاقة لهم « بالسياسة »الا بمفهوم مصالحهم الشخصية...فكيف يمكن ان تنشأ علاقة انسانية مع اشخاص لا توجد بينهم وبين حتى انفسهم علاقة انسانية؟

• لو اعطيت مجموعة من الرجال تصقلينهم، تدربينهم، تجعلين منهم « سوبر رجال » فكيف تبدأين ومن أية زوايا؟

- ولكن لماذا الـ « سوبر رجال»؟ كل رجل كائن مختلف ونادر وكل ما هو مطلوب منه هو

أن يعي الطبيعة البشرية ويحبها ويحياها.. لسنا بحاجة إلى « سوبر رجال »... نحن بحاجة إلى رجال اكثر انسانية واكثر اعترافاً بالطبيعة البشرية بكل ما فيها من ضعف وقوة واكثر التصاقاً بالله في ذواتهم أي بقيم الخير والجمال والعدالة في داخلهم..

● لسان الرجل يجذبك ام أنامله؟

- لا لسانه ولا انامله، المهم سلوكه، سلوكه هو الذي يجعل الكلمات تخرج من حيز العزف المطرب إلى الحقيقة الواقعة... وسلوكه هو الذي يجعل أصابعه معاول في صخر لامبالاتي.

في العلاقات الانسانية منطق الشعر وحده لا يكفي، ولا منطق الجسد... المهم صلابة الحقيقة التي يشف عنها السلوك اليومي في ادق التفاصيل.

● اذا اردت تقسيم الرجال لفئات: زوج، رفيق روح، عشيق، سيد عمل فلأي منها يصلح الرجل اكثر وكيف؟

- الرجل يصلح لكل هذه الأدوار... بعض الرجال منجم عطاء، المهم معرفة كيفية الدخول اليه والأخذ من كنوزه والا انهار المنجم بأكمله على رأس المرأة التي تريد سرقة الغنيمة دون المبالاة بالاسلوب... بعبارة اخرى، الرجل منجم لكن الأخذ منه لا يمكن الا بعطائه في ذات الوقت: أي بحب...

ترويض الرجل في كل الحالات (كزوج - عشيق - رفيق...) أمر خاطىء... فالعلاقات الانسانية لا تنمو في جو شبيه بجو ترويض الحيوانات في السيرك.

والمحبة لا تطلق اغانيها في اجواء فرقعة السياط...

الرجل كالمرأة، يصلحان لكل شيء ولكن بالمحبة وباحترام كل منهما لانسانية الآخر واستقلاله الداخلي...

وبدا لي ان غادة ترفض التصور بان الرجل ضعيف لذا سألتها:

● انصياع الرجل للمرأة متى يبدأ وكيف ينتهي؟

- « الانصياع » هو بداية النهاية في كل علاقة او هو على الأقل نهاية العلاقة في مرحلتها الصحية « المعافاة » وايذان بدخول العلاقة في مرحلة المرض والانحراف... والعلاقات المريضة والمنحرفة هي غالبا شديدة العنف ولكنها لا تؤدي الى الغنى الداخلي الذي يفترض في الحب توليده، وانما تؤدي الى الدمار النفسي غير المجدي.

« الانصياع » في العلاقات ليس دليل حب بل هو دليل « وقوع في الحب » بدلاً من

« وقوف واع على ارض الحب » وأنا ضد السقوط في « الحب » ومع « الوقوف في الحب ».

التفاهم ، الحوار ، المشاركة ، هذه كلها كلمات تنتمي الى عالم الحب الواعي الخلاق المضيء... أما الانصياع فهو الدليل على انكسار بوصلة الوعي الداخلي في قارب الحب.

● **وآدم هل ترينه انصاع؟**

- من قال ان آدم لا يحب اكل التفاح؟

● **وقصة شهريار كيف تحكينها؟**

- قصة شهريار هي ببساطة : كان ياما كان ملك نصف جسده الأسفل يعمل بنشاط كأكثر الرجال ونصفه الأعلى مشلول... ثم جاءت امرأة هي شهرزاد جعلته يكتشف ان له رأسا فوق كتفيه.

وان ملذات الرأس لا تقل سحراً عن ملذات ما تبقى.

رواية اخرى لقصة شهريار : كان ياما كان ملك التقى امرأة هي شهرزاد تحب الثرثرة أكثر مما تحب الجنس... وهكذا قضيا شهر العسل في الفراش وهي تثرثر وهو ينتظر وحين انتهت حكاياها كان هو قد اصيب بالعجز فاحتفظ بها.

● **من أين - بنظرك - تمر المرأة الى اعماق الرجل؟**

- ذلك يتوقف على نوعية الرجل!... وعلى « العضو » الأساسي في وجوده. فالرجل - المعدة ، من البديهي ان يكون الطريق الى نفسه يمر بالمطبخ ، الرجل - الجنسي ، الطريق الى داخله مزروع بالملابس الداخلية.

الرجل - نجم المجتمع ، الطريق الى اعماقه يكون بوجه امرأة فوتوجينيك وطلة « بريزانتابل » Présentable

الرجل - عاشق الثراء ، الطريق الى اعماقه يكون عن طريق المصرف المركزي. اما الرجل الانسان الحقيقي ، فالدرب الوحيد الى اعماقه هو درب الصدق والمحبة والوفاء والعطاء ، وهي قيم لا تبالي بها عادة فئات الرجال الأخرى...

● **قوة الرجل ، اين تكمن في حفظ الجنس البشري ، أم في هياكل بعلبك؟**

- قوة الرجل تكمن في وعيه بضعفه : ضعفه أمام قوى ما وراء الطبيعة وأسرارها

وضآلته في هذا الكون الشاسع المرعب حيث لا يمثل (مهما كانت مكانته السياسية) اكثر من حبة رمل على شاطىء الأزلية، قوة الرجل تكمن ايضا في وعيه لقوته بعد اعترافه بتواضعه امام الوجود الكبير، وهذا ضروري لصنع لوحة الحب الكونية التي بتوحدها مع بقية عناصر الكون ترسم صورة الرب الذي هو الحق والخير والجمال والحب والعدل والمطلق.. الرجل ضئيل أو عملاق انطلاقاً من وعيه بموقعه الحقيقي من هذا الكون.

● ومن ينتصر في ذاتك، قلت للأديبة، الرجل الأرنب اللاهث ام الرجل السلحفاة؟

- ينتصر الرجل الذي يعرف متى يكون ارنبا ومتى يكون سلحفاة ومتى يكون نمرا ومتى يكون كنارا او غزالا او سمكة او نسرا... ومتى يكون طفلاً... أعظم ما في الرجل انه يستطيع ان يكون حيوانات الغابة كلها ويتقمصها تباعاً وهو لذلك سيدها جميعاً.

● اناقة الرجل «المرئية» أناقته «المحكية» اي الميزتين تجذبك اكثر؟

- أناقة الرجل المرئية (الكرافات - القفازات - الأحذية) لا تعني لي شيئاً ولا أراها... أرى الرجال كما يرى الطفل ذلك الملك الاسطوري عارياً من ثيابه التي تمتدحها الحاشية.

● هل عرف الرجل الحب قبل ان يعرف الجنس؟

- طبعاً لا... فالحب الحقيقي لا يكتمل الا بممارسة الجنس، الحب النظري او الشفهي جميل كبداية كمقبلات فاتحة للشهية، ولكن اللقاء الجسدي هو التتويج الحقيقي لكل علاقة ناضجة بين رجل وامرأة، بل وهي ايضا المحك لمدى صدق حبهما...

كثيرون هم الذين يخلطون بين «الحب» وبين «شهوة التملك الجسدي» لشخص آخر، ولذا تفتر علاقتهما بعد ممارسة الجنس.. وغالباً ما يتوهمون ان الجنس يقتل الحب بدليل فتور العلاقة بعد ممارسة الجنس، هذا ليس صحيحاً... والتفسير لفتور العلاقة هو انها لم تكن أصلا حباً وإنما مجرد اشتهاء جسدي تحقق وانتهى، ورغبة امتلاك اشبعت. في حالات الحب الحقيقي الجنس لا يطفىء العلاقة وإنما ينضجها ويجعلها كاملة ورائعة.. ولكن، كم من الجرائم ترتكب باسم الحب، كم هو مظلوم ذلك الشخص الذي اسمه الحب. لو جاء ذات يوم إلى المدينة متأبطاً يد «بابا نويل» مثلاً لبصق علينا جميعاً ولهرب باكياً من مهازلنا..

ولكن: اغفر لهم يا سيدي الحب فانهم لا يعرفون ما يفعلون!!

* * *

تمنيت ان يقرأ الناس كل الناس ما تكتب غادة السمان ان يحبوا الحرف سبيل

الفكر الى الحياة كما تحبه، ان يضعوا امام اولادهم صغارا كانوا او كبارا كلمات قصيرة مما تكتب لأن غادة السمان « محطة » فكرية لكل جيل وعصر، وهي من بعد بعض عزيز من ثقافة القرن العشرين في الوطن الكبير الذي ينتمي اليه، فلها من المرأة قبل الرجل تحية في مسيرتها الواعية مع الكلمة والفكرة معاً، ومع الأصالة الصافية التي تواجه بها الحياة.

نيسان (ابريل) ١٩٧٥

ليلى ناشد تستجوب

• اللجوء الى الرجل «خوفاً» هو غير الاستئناس به «حباً».

• يقال ان المرأة مهما كانت ناجحة ومشهورة تلجأ دوماً الى الرجل ليقف إلى جانبها. حتى في عملها، فهل هذا صحيح؟ وما سببه؟

– هنالك نوعان من «اللجوء» الى الرجل. «لجوء إتكالي» و «لجوء عاطفي متبادل».

اللجوء الاتكالي هو بقية من بقايا عصور عبودية المرأة، ما زالت كامنة في لا وعيها... ونلحظ هذا الموقف لدى عدد كبير من النساء الناجحات وقويات الشخصية، فهن قد اقنعن العالم بمساواتهن مع الرجل فكرياً وعملياً، ولكن بقي ان يقنعن أنفسهن بذلك!!.... نجدهن رغم نجاحهن يتوهمن الحاجة الى رجل (يتكلن) عليه.. وهن تماماً مثل شخص كان مصاباً بالشلل في الساقين معتمداً على عكازيه، وحين شفي ظل مصراً على استعمال العكازين لعدم ثقته بشفائه! هذا «اللجوء الاتكالي» اكرهه وارفضه. إنه نوع من انواع الخوف العتيق والسلبية الجبانة.. من الطبيعي لدى المرأة والرجل أن «يسكن» كل منهما الى الآخر ويألفه ويشاطره متاعبه العملية والنفسية... هذا النوع من المصارحة والأنس والرقة المتبادلة احبذه ولا ارى فيه اتكالية من قبل اي من الطرفين...

في مرحلة الانتقال التي تمر بها المرأة حالياً من جارية الى شريكة من الضروري التحذير من المبالغة في «نبذ الرجل» والتوهم انه من شروط التحرر «الاستغناء» عن الجنس الآخر... المهم باستمرار استلهام انسانيتنا، وانسانية كل من المرأة والرجل لا بد وأن تقود كل منهما نحو الآخر... المهم عدم الخلط بين «الحب» وبين «الخوف». فاللجوء الى الرجل «خوفاً» هو غير الاستئناس به «حباً».

• الرجل حين يبلغ الخمسين أو الستين من عمره يظل نشيطاً يثير اهتمام مستمعيه بحيويته واطلاعه واقباله على الحياة بينما تهرم المرأة ابتداءً من سن الاربعين. فلماذا؟

- فيزيولوجياً، تهرم خلايا المرأة بقدر ما تهرم خلايا الرجل في سن واحدة.. فالشمس تشرق وتغرب بمقدار متساو بالنسبة الى المرأة والرجل.. والقمر يطلع ويخبو على الكرة الارضية بمقدار واحد، ويدور حول شرفات النساء والرجال.

هرم المرأة العربية المبكر سببه نفسي واجتماعي وتاريخي...

ففي (مجتمع الذكور) التقليدي، الانثى تولد بالنسبة اليهم في سن البلوغ وتموت في الاربعين... اي ان قيمتها لديهم تعادل ما تقدر على تقديمه من خدمات في الفراش أولاً ثم تحال الى المعاش أو المطبخ!...

والمروع تَقَبُّل المرأة لهذا «الحسم» من حصتها في الحياة. المجتمع (يحسم) عليها حوالى نصف عمرها وهي تتقبل ذلك راضية بل وتسهم في ذلك... بل انه ليس اقسى من المرأة على المرأة. هل جلست مرة بين مجموعة من النساء واستمعت اليهن كيف ينتقدن اية انثى تعلن عصيانها على «موت الاربعين» وتصر على ان تظل شابة وعاملة وعاشقة وحية وفعالة ما دامت حية؟ وحتى المرأة العاملة، فإنها للاسف لا تزال تسهم في تكريس جسدها ونفسها للموت بعد الاربعين...

المرأة العربية بحاجة الى حملة توعية شاملة في هذا المجال لتستفيد من سنها تلك المحكوم عليها بالاعدام على «الكرسي الهزاز» غير الكهربائي!

فالمرأة في بلادنا طاقة مهدورة عاطفيا وعملياً وسياسياً وجنسياً (بعد سن الاربعين) إلا في ما ندر...

والمطلوب التوعية كي تجرؤ المرأة على مكافحة الهرم في داخلها. وعلى مواجهة اكذوبة «شيخوخة الاربعين»... المهم المحافظة على نضارة النفس والرغبة في العطاء، لأن البشرة الملساء وحدها لا تصنع شباباً، كما ان عدة تجاعيد في البشرة ليست نعوة لحياة المرأة وقدرتها على الأخذ والعطاء.

شتاء ١٩٧٥

رائدة ادريس تستجوب

• كيف تقبلت البيئة التي نشأت فيها وضعك وعملك كأديبة وكاتبة؟

- الحقيقة، لم الاحظ ماذا كانت ردود فعل البيئة التي كنت فيها، لأني كنت فعلاً مستغرقة في العمل الأدبي، وكان اهتمامي منصباً على الإبداع. وآخر ما كان يخطر ببالي ردود الفعل سواء القبول او الرفض، مثل كل الناس الذين يؤمنون بشيء ويسعون اليه، كانت عيناي شاخصتين الى الهدف الذي اسعى اليه وكنت مستعدة ان اتقبل اي ألم وأي ترحاب.

• ما هو رأيك بالمرأة في الشرق العربي ولبنان خاصة؟

- من الصعب ان أرى المرأة بجلاء لأني أنا جزء من القضية وجزء من المشكلة. ولكن انطلاقا من معاناتي الفردية، اي من حيث المبدأ، المرأة في العالم كله تمثل طبقة مظلومة اكثر من الظلم الواقع على الرجل. وبعبارة ثانية، الانسان في لبنان والعالم العربي وحتى في العالم كله ينوء تحت الظلم والاستعباد. فالمرأة تعاني من هذه الظروف الاجتماعية التي تضطهد الرجل بالإضافة الى اضطهاد داخلي لأنها امرأة. واعتقد أن وضع المرأة في لبنان يشبه وضعها في البلاد العربية سوى ان لها في لبنان قشرة من التحرر خارجية، ولكن ليس لها سلام داخلي.

• أفهم من كلامك انك بصفتك أديبة تحاولين أن تحرضي المرأة على الثورة!

- لا أحاول ان احرض المرأة بالذات على الثورة فحسب، بل أحاول ان أحرض كل فرد في المجتمع على الثورة ضد أي ظلم واضطهاد بما فيه المرأة.

• هناك سؤال ما زال يشغل بعض القراء وهو انك بصفتك أنثى، كيف تحررت من سيطرة أهلك؟ هل حاولت أن تقنعي أهلك بأن لك استقلالاً خاصاً؟

- الخطوة الأولى والأساسية للتحرر هي التحرر الاقتصادي. لقد تعلمت وعملت وبالتالي كوني اعمل جعلني بكل بساطة حرة اكثر من اي فتاة لاتعمل وتعتمد اقتصاديا

على أهلها. طبعاً هناك عوامل كثيرة تكبل المرأة خصوصاً المرأة العربية، لكن الخطوة الأولى والأساسية في التحرر هي العلم والعمل.

• لماذا تحررت المرأة الغربية بينما على العكس ما زالت المرأة الشرقية مقيدة؟

- السؤال في حد ذاته يحمل شبه خطأ. لم تتحرر في نظري المرأة ولا حتى الرجل في الغرب. الانسانية كلها ترزح تحت اعباء ومفاهيم خاطئة ونظم اجتماعية فاسدة، والحرية الحقيقية التي تعطي الانسان الكرامة والخير لا توجد في نظري ولا في قطر من اقطار العالم في عصرنا الحاضر. اذن من حيث المبدأ وفي المعنى المطلق السؤال ليس وارداً. ولكن بشكل نسبي المرأة في الغرب، بدون شك، تمارس فعاليتها اكثر من المرأة في الشرق وذلك يعود إلى أسباب تاريخية وعصور انحطاط سقطنا فيها ولكن يجب ان نأخذ بعين الاعتبار الخطوات السريعة التي قطعتها المرأة العربية في الأعوام الخمسين الأخيرة في درب انتزاع حريتها ومشاركة الرجل الكفاح ضد المجتمع الفاسد..

• في السنتين الأخيرتين برزت كامرأة بصفتك الكاتبة الأولى في العالم العربي فهل يرضيك هذا التمييز ام لا؟

- لا يضايقني ولا يسعدني. ليست لدي عقدة بسبب كوني « انثى »، ولكنني اعتقد ان هذا النوع من التصنيف خاطىء بحق « الأدب » لا بحق « الأنوثة ». فالإبداع ليس مؤنثاً ولا مذكراً، وبالتالي فان تصنيف الكتاب والكاتبات يجب الا يخضع لتمييز (جسدي) وانما لتمييز (فكري).. لذا لا يضيرني ان يقال انني الكاتبة الأولى ولكن من الصواب ان يقال انني من طليعة الكتاب العرب دونما مبالاة بتاء التأنيث في اسمي.

• هل تعتقدين ان لأدب المرأة العربية مزايا خاصة؟

- هنالك مزايا خاصة في كل عمل ادبي مبدع، ولا اتقبل نقدياً حكاية « ادب الحريم ».

• كيف كان تأثير الزواج عليك ككاتبة؟

- كان للزواج تأثير خلاق على نتاجي الأدبي. وهذه ليست رشوة اقدمها لزوجي على صفحات مجلتكم!.. ما اود قوله هو ان الزواج شأنه شأن أية علاقة انسانية اخرى: سلاح ذو حدين.

والزواج بالمعنى التقليدي القائم في بلادنا (كصفقة) غير صالح لاحتضان اي عطاء خلاق على الصعيد الانساني والفني. وزواجي لم يكن تقليديا، واهم ما فيه الصداقة العميقة التي تربطني وزوجي كانسانين لكل منهما شخصيته المستقلة المختلفة، وعلاقتنا التي لا تحول كلا منا من انسان الى « أداة » للآخر او وسيلة. الزواج رفقة في درب

الحياة المليئة بالأوجاع، ومن المروع تحويله الى وجع اضافي!...

• ما هي مشاريعك المقبلة!

- لا أدري. مستسلمة لعفوية اعماقي استسلام طاحونة الهواء للريح. علمني الزمن ألا اخطط، فالإبداع الحقيقي يفرض نفسه. انه كالزلازل لا يطالب تأشيرة دخول، وكالولادة مستحيل اعتراض سبيله او تأجيله او مراعاة (الاعتبارات الاجتماعية) لدى حدوثه!...

كل ما أملكة هو تهيئة المناخ الصالح لاحتضانه حين يجيء...

لقد خططت منذ تسعة اعوام لكتابة رواية اسمها «السقوط الى القمة» وحتى اليوم لم انجزها بينما انجزت كتبا اخرى لم يخطط لها عقلي الواعي وانما نمت في اعماقي السرية التي قد اجهلها حتى انا.. يبدو ان العطاء الأدبي كجبل الجليد، تسعة اعشاره (اكثر قليلا او اقل قليلا) تحت الماء وما يطفو على السطح اقل بكثير مما يختفي في القاع.

• هل كان للصحافة تأثير سلبي ام إيجابي على انتاجك؟

- لست من رأي طه حسين الذي يعتقد ان الصحافة تفسد الأدب. اعتقد ان اي افراط يفسد الأدب. الافراط في ماء النار أو حب الوجاهة او التسكع او الاستقرار او الأكل او الجنس او الوظيفة او البطالة...

المهم باستمرار ان يعرف الأديب كيف يحفظ توازنه. وان يأخذ من الصحافة، ما يكفي لإنعاشه دون ان يفقد صوابه.

بهذا المعنى ارى ان العمل الصحفي رافداً هاماً للفنان لأنه يجعله اكثر التصاقاً بشعبه. ومعايشته اليومية للأحداث تكسر عنه قضبان برجه العاجي، فيصير كما يجب ان يكون: حنجرة الجماهير وبوصلتها في آن واحد.

• كيف ابتدأت حياتك الأدبية؟

- (تضحك وتجيب): لم ابدأها بعد.

١٦ / ٢ / ١٩٧٦

ياسين رفاعية يستجوب

• المرأة قد تكون بائسة، لكنها ليست كائناً مرصوداً للبؤس.

• يبدو لي أن الكتابة عندك، ليست عملية نقل عواطف الذات، بقدر ما هي معاناة.. هل هذا صحيح؟

– في البداية تكون الذات هي المرجل. وتكون الكتابة انشابا للاظافر في الحبال الملتفة على العنق.. ولذا نجد في العمل الادبي الاول بصمات الذات واضحة.. وفي هذه المرحلة يكون الفنان مجرما صغيرا وغير خطير، وبريئا كبراءة فراشة اكتشفت سقوطها المروع في كمين عنكبوت القدر المحنكة.

تأتي المرحلة الثانية، التي يتطلب الوصول اليها موهبة، أكبر من الوجع الذاتي مهما كبر، وثقافة تلعب دور طوق النجاة للابحار من بحر الهموم الانية الى محيطات العالم الانساني الرحب.. المهم ان يظل التواصل قائما بين بحر الذات ومحيط الانسانية. وان لا يطلق (الداخل) رصاصه على الخارج. وان لا يتمزق الفنان في محاولته للاتساع كي تصير معاناته الداخلية بعضاً من معاناة الوجود الخارجي.

في أعمالي الاولى ربما كانت الكتابة عملية نقل لعواطفي الذاتية، وربما لا،ربما كانت ذاتي منذ تلك المرحلة منتشرة ومتواصلة مع الخارج.. لا ادري.. كل ما ادريه هو ان الداخل والخارج قد اتحدا في ذاتي. وانني اتناسل في هموم الاخرين وتسبح همومهم في شراييني كالاسماك المستوطنة في صخوري منذ دهور.

• وهذا يشدنا الى سؤال تابع: كيف تتم عندك عملية المخاض الكتابية القاسية، وهل تختلف هذه المعاناة عندك بين خلق واخر؟

– يبدأ الامر دائما بحس غامض بالتوهج.. بتيار خفي يكهربني. حضور سري يهيمن على حواسي.. مهما كان ما اكتبه (معقلناً) وواضح المعالم. تظل هنالك كلمات لم تقل،

واحاسيس عبثا احشرها في أوعية اللغة.

ولادة المقال الصحفي تختلف عن ولادة القصة او الرواية، ولكن القاسم المشترك دوما في اعمالي هو عنصر المفاجأة، بمعنى انني انا شخصيا أفاجأ بما اكتبه لانه لا يتطابق مع أفكاري المسبقة المحددة والواضحة التي كنت أنوي كتابتها..

حينما اكتب، هنالك دهاليز سرية في أعماقي - اجهلها حتى أنا - تنفتح لنور الابجدية، وعلى اطراف الدهليز تنفتح أبواب وابواب، وخلف الابواب غرف، وفي الغرف صناديق مقفلة ونوافذ عارية إلا من الستائر السميكة يسكن تاريخ غامض في ثناياها الرمادية المغبرة. عنصر المفاجأة يبرز بصورة خاصة حين أكتب الرواية أو القصة..

أحيانا يتمرد ابطالي على المخطط الاساسي للاحداث، ويملون عليّ ارادتهم الخاصة بصفتهم مخلوقات حرة الارادة. واتحول الى مجرد اداة تنقل صرخاتهم وتصرفاتهم. وارقبهم مذهولة وانتظر ردود فعلهم كما ينتظرها اي قارىء حيادي يقلب صفحات الكتاب.

• أظن أن ميزتك في القصة عدم وجود عقدة انثوية عندك.. اي ان بطلاتك النسائيات لسن مظلومات دائما.. ومضطهدات دائما... بل على العكس.. اذن كيف تحللين اوضاع ابطالك نساء ورجالا.. بل بصورة اشد وضوحا كيف تخلصت من عقدة الانثى المتحكمة بزميلاتك الكاتبات؟

- دوما ارحل في باطن الارض الى الجذور.. دوما اركض على شاطىء البحر بحثا عن النبع.. دوما ألاحق الضوء لأقبض على النجمة..

والمرأة قد تكون بائسة. لكنها ليست كائناً مرصوداً للبؤس...

هناك عوامل اجتماعية وتاريخية هي التي تكبلها.. اني انظر الى ما وراء القيد الآني، وارى المرأة كائناً انسانياً بكل ما في ذلك من متناقضات. من سمو وسقطات، من وجع وقسوة وحنان وشراسة..

المرأة عندي ليست نموذجاً. انها كائن حي متكامل.. والذين يرسمون المرأة مظلومة يظلمونها بتجاهلهم لحقيقتها الإنسانية الملونة المتعددة الوجوه الفائقة الخصوبة..

• وبالتالي، أحس عندما أقرأك ان مشكلات بطلاتك أوسع بكثير من تدجينها في البيت والطلاق وبناء الاسرة.. انهن ينتشرن على أفق اوسع باعطائهن سمة انسانية

شاملة.. هل هذا بمحض المصادفة ام انك تقصدين ذلك؟

- هذا ليس بمحض المصادفة بل بمحض الحقيقة والواقع الانساني..

لقد تولت بعض الشرائع والانظمة الاجتماعية تدجين المرأة طيلة عصور تحويلها إلى حيوان منزلي اليف. لكن الهموم اليومية الصغيرة ليست كافية لاستيعاب حقيقتها الانسانية اللامتناهية والمرادفة لحقيقة الرجل.

لبطلاتي حرية الريح ولسع البرق وحيرة الزوبعة. كلهن شريدات في وهج الثورة، كالرجل، وأكثرهن قادرات على عكس هموم الانسان العربي في هذه المرحلة. وهموم الانسان العتيق امام الوجود الغامض.. أنا لا اجد في المرأة مادتي القصصية الوحيدة، لكنني أيضا لا أجدها مادة قاصرة او أقل خصوبة وتلوناً من الرجل كمادة اولية قصصية.

● **عند انتهائك من عمل كتابي ما. هل تعاودين قراءته بصورة حيادية.. هل تنتقدين اثارك؟ كيف تعاملين هذا الاثر.. بعد الانتهاء من صيغته النهائية؟..**

- اعترف لك بأنني لا افعل ذلك. كل عمليات النقد الذاتي والاسترجاع والدرس تتم عندي قبل واثناء الكتابة، ومتى انتهيت من كتابة عمل ادبي ما، تكون علاقتي به قد انتهت تماما. العمل الادبي عندي مثل عملية اطلاق رصاصة، لا يمكن استردادها حتى ولو أخطأت الهدف.. وقد يولد العمل الادبي عندي مكتملا او مجهضا، واستطيع ان أرى ذلك بوضوح لكنني لا املك له شيئا. ولادة اي عمل ادبي لي هي كولادة طفل لامرأة ما، تقبله كما هو، وحتى في حال رفضها له، فإنها لا تستطيع اعادته الى رحمها وتجديد خلقه.

الاخطاء التي اجدها في عملي الادبي تصير جزءاً منه. أحاول تجنبها في الاعمال اللاحقة. هذا كل ما في الامر.

روايتي «السقوط الى القمة» وهي (اشهر رواية عربية لم تصدر) السبب الاساسي في عدم صدورها هو انني لم ارض عن نسختها الاولى وسحبتها من المطبعة لاعيد كتابتها. ومن يومها وانا اطاردها وتطاردني. واعيد كتابتها ولا ارضى، ثم اضيع المخطوطة بين مطار واخر، ثم اعاود البحث عن المسودات الاصلية، ثم احاول كتابتها من جديد.. من يومها وعلاقتي بهذه الرواية كالعلاقة بين عاشقين مجنونين. ومن يومها اعترفت بواقع بسيط وهو انني عاجزة عن اعادة كتابة اي شيء اكتبه. هذا تقرير لواقع.. وليس موضعا لخجلي ولا لمباهاتي. هذه أنا.

• مراراً الاحظ أنك تبتعدين عن ابداء الاراء بالغير، خصوصا زميلاتك الكاتبات.. لماذا.. هل تخافين من قول الحقيقة؟

– لا اخاف من قول الحقيقة شرط ان أعرفها على درجة من درجات اليقين. هذا مبدئياً.

أما بالنسبة لابداء الرأي بزميلاتي الكاتبات، فأنا أكره تقييم الاخرين والاخريات في معرض المجاملات الادبية. كل فنان ملحمة، ملحمة جميلة او بشعة، لكنه انسان، ومن الظلم الفادح تلخيص كفاح عمر بكلمة عابرة وسريعة. لكنني بصورة عامة، اعتبر كل سطر تخطه كاتبة موهوبة انتصاراً شخصياً لي، فقد امنت دائماً بأن الفرق بين المرأة الكاتبة والرجل الكاتب موجود فقط داخل عيون النقاد. وانه سيظل هنالك ادب نسائي ما دام هنالك نقاد يعاملون النتاج الفني كما تعامل القابلة المولود، وهمها الاول اكتشاف هل هو بنت ام صبي.

هنالك عمل ادبي حي او ميت، والمسؤول عن ذلك ليس (جنس) المؤلف بل طاقاته الابداعية، وليس للطاقات الابداعية اعضاء مؤنثة او مذكرة..

• اذا عاودنا نظرتنا اليك كأمرأة من هذا الشرق، كيف تفهمين التحرر بالنسبة للمرأة.. كيف تفهمين العلاقة بين رجل وامرأة عاشقين وبين رجل وامرأة متزوجين.. وبين رجل وامرأة يحاولان بناء صداقة حقيقية. ورجل وامرأة كل منهما يهاب الاخر ويخافه؟

– بين رجل وامرأة عاشقين: محاولة لبناء غرفة في قلب الزلزال. بين رجل وامرأة متزوجين: محاولة للتعويض عن رائحة العاصفة برائحة الطبخ الجيد. رجل وامرأة يحاولان بناء صداقة حقيقية: مشروع ناجح اذا كان مشروع السنوات الستين... او ما بعدها.

رجل وامرأة كل منهما يخاف الاخر:علاقة حب على طريقة الغرام السياسي بين اميركا وروسيا.

• لنخرج من هذا الاطار وندخل العموميات. كيف تستشرفين الحاضر والمستقبل من خلال وجهة نظرك كفنانة. في لبنان، في الوطن العربي، في العالم؟

– أرى كثيرا من الدم. كثيرا من الدمع والهشيم ومخاضاً عسيراً وطويلاً. ولكن الشمس ستشرق عبر شواهد قبور الشهداء.. ومن بين اشلاء العصافير المحروقة الاجنحة.. ويوم تشرق الشمس سيكون وجه الكرة الارضية دامياً وممزقاً، لكن الاطفال يتقنون

الابتسام دائماً.. كل ما استشفه هو ان الفرح لن يولد في سرير جيلنا. وان العدالة لن تنتصب الا فوق توابيتنا.

١٣/ ٥/ ١٩٧٧

مرعي عبد الله يستجوب

- مفهوم الزواج التقليــــدي حول المرأة الى آلــة للتفقيس واعــداد العلف.
- عواء الذئاب أقرب الى نفسي من كلمات التملــق في العــلاقــات الاجتماعية.
- انا مقاتلة شرسة، واية محاولة لتدجيني أواجهها بالرفض مهما كان الثمن.
- شرطي الوحيــد للمنــاضلــة في صفوف الحركــة النسائيــة: ان تكف عن ان تكون نسائية!

• حين يذهب الصحفي إلى الأديبة غادة السمان في مهمة عمل، فإنه يجد امامه كافة معطيات الموضوع متوافرة، وكافة المنافذ متفتحة للعطاء.

منذ اللحظة الاولى تبدأ لعبة الحوار الممتع، وتأخذ هي طرف المبادرة فتمنحك قبل ان تأخذ منك، وكأنها تمهد امامك الطريق للوصول الى عقلها... تشعرك بالصداقة لتساعدك على اختصار المسافة بين فكرك وعقلها فتشعر وكأن لا مسافة بينهما... وعكس ذلك هو الصحيح.

تحدثك عن البحر الذي تعشقه... وكم تتمنى لو انها تغوص فيه ولا تعود تشرق.

وتخبرك حكايات وحكايات عن رفاقها النجوم وعن اصدقائها الطيور، فتنتابك رغبة باستبدال ما جئت تطرحه بما تسمعه... حيث لا فرق بين عذوبة قلمها وعذوبة لسانها.

• قيل انك كنت طفلة ومراهقة غير تقليدية في جو تقليدي. هل دفعت ثمن ذلك؟ وهل ما تزالين تدفعين ثمن ذلك؟

- الذين حولي هم الذين دفعوا ثمن ذلك!... فأنا مقاتلة شرسة، ان اية محاولة لتدجيني اواجهها بالرفض والتحدي مهما كان الثمن. لم اسمح ولن اسمح لاحد بأن يشوه قدرتي على النمو واستيعاب هذا الكون بالطريقة التي يهديني اليها حسي الداخلي الذاتي مهما تضارب اسلوبي مع الاسلوب التقليدي المتعارف عليه... اقول لنفسي باستمرار: ايتها المرأة لا تخافي. اذا صبغ الجميع ثيابهم بالاسود هذا ليس معناه ان اللون الابيض مات، وليس معناه ان من واجبك صبغ ثيابك وروحك باللون المفضل السائد.

اقول لنفسي باستمرار: ايتها المرأة ما دمت صادقة مع الاله الماثل في كل ذرة كونية فلا بد ان تكوني على حق. انهم بؤساء ومساكين وضعفاء فكوني شجاعة واصرخي في وجوههم، فقد يتخلوا لثانية عن افكارهم الببغائية المتوارثة ويبحثون عن الحق المخدر في اعماقهم. انني لا ادفع الثمن. هم الذين يدفعون الثمن، ويسفحون عمرهم هدراً في مذبح آلهة مزيفة: كالغرور والثرثرة والتكبر والتعلق بالقشور المادية والتبجح، انهم بؤساء لان في اعماقهم حزن لا يعرفون سببه، وسببه ببساطة انهم في غاية البعد عن الله لانهم في غاية البعد عن ذاتهم... ومن اغترب عن ذاته يصير عاجزا عن ممارسة المحبة أخذاً او عطاء... لقد حاولوا ايذائي كثيراً لكنني كنت دوما انهض من رمادي لاتابع قتالي وانا اكثر شراسة.

• قلت لها: وهل تعودت ان تهربي من الواقع الذي لا يعجبك او ان تواجهيه وتغوصي فيه اكثر؟

- انا اتجنب الواقع الصغير الذي لا تؤدي مواجهته الى اي شيء مجد وفعال، بعبارة اخرى، الواقع الفردي الصغير اتجنبه لان المعركة معه قد تكون كبيرة ولكن غير مجدية على صعيد الكسب الانساني.

حين يكون الواقع الذي لا يعجبني جماعياً فانني اواجهه لان الكسب هنا ليس ذاتياً صغيراً بل هو جزء من مهمتي ككاتبة تطمح الى تخفيف البشاعة عن وجه هذا العالم.

في كتاباتها تعاملت غادة السمان مع كافة اصناف البشر ومختلف مستوياتهم، ولم

تنظر اليهم بطبقية ممجوجة. فكانت نصيرة المسكين والمعذب قبل ان تكون نصيرة المدللين والموسرين. وحين سألتها: « هل تحبين الانسان بحد ذاته ايا كان مستواه، ام انك لا تستطيعين ان تحبي الا نخبة من الناس؟ واي نوع من النخبة؟ »

– كفنانة احب الانسان بحد ذاته ايا كان مستواه، وافضله معقدا وشريرا لانه مادة روائية اكثر خصوبة. كانسانة لا استطيع ان احب الا نخبة من الناس هي نخبة « المعذبين في الارض ». ليس صديقي من لم يعرف الالم، والفشل، والغربة، والفجيعة، والفقر، والخيبة، لا استطيع الاقتراب كثيرا من الناس المدللين الفارغين عاشقي المظاهر الاجتماعية، كثيري الثرثرة والضجيج، ولا اجد بيني وبينهم اية لغة مشتركة.

– **وهل صديقاتك هن اقرب الى اعماقك ام اصدقاؤك؟**

الكتب اصدقائي الذين اقضي سهراتي معهم والموسيقى رفيقتي. اللعبة الاجتماعية لا تروقني. اما معارفي فكثر، وتاء التأنيث لا اهمية لها في هذا المجال، ولعلي افضل رفقة معارفي الرجال على رفقة النساء، الا في حالة كون المرأة عاملة كالرجل، فأنا اكره الافق المحدود والنظر الى الوجود من ثقب باب المطبخ.

● **وهل خطر لك ان القارىء قد يجسد الكاتبة في بطلات قصصها؟ وهل يحرجك ذلك؟**

– لا يحرجني ذلك. فما تفعله بطلات قصصي لم اخترعه انا بل عاشه ملايين البشر آلاف السنين. هذا اولا. ثم ان مجرد نشر ما اكتبه يعني انني قبلت سلفا كل النتائج: الخسارة والربح. سوء الفهم وسوء الظن او العكس. لكن ما يذهلني هو سقوط بعض النقاد العرب في هذا الفخ. بل ان بعضهم حينما ينقد كتاباً ما يناقشني في سلوك بطلات قصصي ويطلق (احكامه الاخلاقية) علي انا شخصياً، حتى انني خشيت من ان يزج بي في السجن ذات مرة لان احدى بطلاتي ارتكبت جريمة قتل!!... شيء اخر قلما التفت اليه النقاد وهو ان ابطال قصصي من الرجال يمثلون احيانا موقفي من الوجود اكثر من بطلاتي. في روايتي « بيروت ٧٥ » مثلاً، الصياد مصطفى يمثل نظرتي الى الوجود في مرحلة من مراحل حياتي، اما بطلتها « ياسمينة » فلا علاقة لشخصيتها بي ولا تمثلني على الاطلاق... لا في الماضي ولا المستقبل. انها تحترف عبادة الرجل وانا ارفض موقف (العبادة) في قضايا الحب.

● **ربما يساء الظن بغادة السمان، الكاتبة والانسانة، فيما يسمع ويقرأ عن مزاجيتها وكيف انها « امرأة غير تقليدية في مناخ عادي » فيظن ان مزاجيتها تتحكم**

بصداقاتها... لذلك سألتها: هل عشت صداقات عمرها اكثر من عشرين سنة؟

- اجل! ان علاقتي بالطبيعة هي الصداقة الاساسية في حياتي منذ طفولتي. بالنسبة الي الطبيعة ليست ديكورا. انها كائن حي متجدد يحمل رموزا كونية اجد فيها منارات تهديني في رحلة البحث عن الحقيقة: رحلة عمري. لقد نشأت في قرية ملاصقة لدمشق هي (الشامية) يخترقها نهر بردى... كان في النهر دوار خطر لا يجرؤ صبية القرية على السباحة بالقرب منه ويقولون ان جنيا يسكن اعماق النهر تحت الدوار ويخنق كل من يجرؤ على السباحة هناك والتلصص على مغارة الجني... وفوق الدوار كانت هنالك شجرة دلب شاسعة تكاد فروعها تنشر في الغيوم دروبا تقود الى اسرار السماء...

منذ طفولتي توطدت صلتي بالنباتات الصغيرة فالاشجار فشجرة الدلب... وذات ليلة تجرأت وتسلقتها وصادقت سناجيبها وسحاليها وتدرجت في ارتقاء اغصانها حتى التقيت بروحها وصار بوسعي الانصات الى همسات الاعالي بخشوع ودونما خوف... ومنذ طفولتي سبحت في الدوار وصادقت جني النهر واكتشفت اسرار مغارته وفهمت معاني اغنية النهر العظيم...

ان علاقتي بالطبيعة حقيقية وانسانية... انني امسك بالافاعي ولم يحدث ان لدغتني مرة - عكس البشر - وانني آنس بعواء الذئاب واجده اقرب الى نفسي من كلمات التملق في العلاقات الاجتماعية... انني اجد السلطعان لطيف الشكل وعذب المعشر اكثر من عدد كبير من البشر الذين يحدثونك (بالشوكة والسكين) وقلوبهم مصفحة ضد الود الحقيقي. ان صداقتي الاولى والدائمة هي مع الاله العظيم الماثل في كل ذرة من ذرات هذا الكون والطبيعة هائلة التلون والتجدد. ان قدرتي على ان اكون وحيدة هي الصداقة الاولى في حياتي، لان الانسان لا يكون وحيدا قط حينما يكتشف ذلك الايقاع الداخلي بين ضربات قلبه وضربات قلب التراب والليل والبحر وكل ما هو شاسع وازلي ونقي.

● غادة السمان... انت ثائرة ومتمردة ورافضة في كتاباتك دائما. اليس في هذا الوطن العربي ما يرضيك؟

- انا ثائرة ومتمردة لان في هذا الوطن العربي ما يرضيني. إنك لا تثور الا من اجل وطن تحبه وتؤمن به وتقدسه. كلما ازداد يقينك بعظمة جوهره كلما ازداد غضبك ضد قوى الاستلاب التي عبثا تسرق وجهه الحقيقي لتبدله بقناع بشع. انا ثائرة لانني اؤمن بعظمة وطني العربي، بعظمة تراثه الحقيقي - وبضرورة اعادة النظر في هذا التراث

وغربلته وتمييز اصيله من هجينه - انا ثائرة لانني احب، واؤمن، واطمح الى الافضل والاسمى. مع اللامبالاة لا يوجد غضب. مع اليأس لا توجد رغبة بالتبديل. ان ازهار الثورة لا تنمو الا على شجرة اليقين، ولانني موقنة من قدرة وطني العربي على استعادة وجهه الاصيل ودوره الانساني الرائد، تزدهر زهور ثورتي وحشية الالوان والصرخات كربيع في غابة مدارية اسطورية...

• هل عانيت من كونك امرأة؟ او هل تألمت لنساء عانين لهذا السبب؟ وهل تتحمسين لتناضلي في صفوف الحركة النسائية؟ وما هي شروطك؟

- لقد عانيت من كوني مواطنة في مجتمع عربي عظيم الماضي، متخلف الحاضر، غامض المستقبل.

لم اعاني من كوني انثى. لقد عانيت من كوني انسانة في امة تعاني.

ولكنني اعترف بأنني تألمت كثيرا لنساء عانين لمجرد كونهن (نساء) في مجتمع يعتبر «تاء التأنيث» نوعا من الرق... والمفجع هو انهن كن يساهمن في ذلك باستسلامهن له واعتباره قدراً مقدساً لا واقعاً اجتماعياً بحاجة الى تبديل. شرطي الوحيد للمناضلة في صفوف الحركة النسائية هو ان تكف عن ان تكون نسائية!...

بعبارة اخرى، اعتقد ان الحركة النسائية قد حققت الكثير في نصف القرن الاخير، لكنها اليوم تمر بمأزق هو الدوران في حلقة مفرغة والحل الوحيد هو في انفتاحها على قضايا بقية المظلومين من فئات الشعب والتلاحم واياهم بحيث يصير هدف المرأة تحرير كل من يعاني من الاضطهاد امرأة كان ام رجلا. ان هذا الانفتاح يمنح حركة تحرر المرأة شمولية انسانية ويضعها في اطارها الحقيقي كحركة ضد الظلم لا كحركة تهدف الى انقاذ المرأة وظلم الرجل. المهم انقاذهما معا لانه لا خلاص لاحدهما دون الاخر... اكرر: حركة تحرير المرأة يجب ان تنادي بتحرير الرجل ايضاً. الرجل ليس العدو. التخلف هو العدو المشترك.

• الذين قرأوا آراء غادة السمان في الزواج قالوا «ان هذه المرأة لن تتزوج»! لكن الكاتبة المعروفة تزوجت... وانجبت. ومن هنا كان هذا السؤال: باستمرار تحملين على «مؤسسة الزواج» وتنعتينها بالفشل والاهتراء، ومع ذلك تزوجت وانجبت ايضا. فما هو تفسير ذلك؟

- ما زلت احمل على «مؤسسة الزواج» بشكلها الحالي في وطني العربي، وما زلت انعتها بالفشل والاهتراء. لقد خوت هذه المؤسسة من مضمونها الانساني وتحولت الى عملية

تدجين مروعة يعاني منها الرجل والمرأة معا. تحولت الى صفقة اجتماعية، او سياسية، او مالية، والى مهرجان رياء متبادل. المرأة فيها مجرد آلة حاضنة لتفقيس الاولاد واعداد العلف اليومي، والرجل فيها يقاسي من الخواء العاطفي داخل البيت بالاضافة الى انسحاقه خارج البيت، والاحباطات اليومية في عمله الناتجة عن نظم اجتماعية متخلفة غير عادلة. والمرأة العاملة ليست افضل حالاً، انها تُعاني من استلاب مركب: استلاب لها في عملها كمواطنة واستلاب اضافي لها كأنثى داخل مؤسسة الزواج، والحصيلة: رجل وامرأة كل منهما بائس ووحيد يحس بالغربة حتى قاع عظامه. ويحاول كل منهما ان يجد لنفسه خلاصا فرديا: الخيانة. الهرب الى العمل. تكديس النقود. عشق الثياب والمظاهر، او لعب دور الزوجة الشهيدة او الزوج المسكين المظلوم وهكذا... سيظل الزواج في بلادي عملية استلاب اضافية وتعطيل ارغامي لمواهب الزوجين ما لم تحدث ثورة شاملة على كل صعيد تعيد للفرد العربي حقوقه المستلبة من قبل المؤسسات كلها.

اما عن زواجي انا شخصياً فإنه ليس زواجاً «بالمعنى التقليدي»، وله صيغته الخاصة التي حمته من التحول الى فخ. وحمت امومتي من ان تتحول الى عبودية غريزية مدمرة لطاقتي الكتابية.

• هل يمكن اعتبار تجربة زواجك وانجابك مركز إلهام اضافي لك ككاتبة؟

- كل نسمة تمر، كل نجم يهوي، كل قمر يضيء، كل ليل ينزف، كل موجة تثور، كل شهقة تهب، كل ما يعبرني هو مركز الهام اضافي لي ككاتبة. رجل يحتضر ولا اعرف اسمه. طفل ذاهب الى المدرسة يغني. عامل يدهن البناء المقابل. صبي البقال. ساعي البريد. بائع الزيت. المراهق الحزين. الخادمة الصغيرة. المناضل السجين. الجندي الذي يقرأ رسالة امه. الرجل الوحيد وسط زحامه. عمال المطبعة. كل اولئك هم مركز الهام اضافي لي...

كل ما يخفق فوق هذه الكرة الارضية، من اشجار وقلوب وامواج ورياح وكل ما يحتضر وكل ما يولد وكل ما يموت وكل ما سيموت بعد ان يولد هو مركز الهام لي... انني شاشة من الاعصاب العارية ممدودة على طول افق الليل وكل رعشة كونية ترتسم فوقي... انني غابة من (الانتينات) المعششة في خلايا الكون كلبلاب خرافي وكل همسة او صرخة التقطها وامتصها واكونها واتمثلها.وتتحول في شراييني الى مزيد من الحبر... ضمن هذا الاطار تدخل تجربتي في الزواج والانجاب...

• قلت لغادة: ان الرجل الذي ارتضيته لان يكون زوجا لك (بشير الداعوق) لا بد

وان يكون غير عادي او غير تقليدي.. الى اي حد هذا صحيح؟

ابتسمت، واكتفت بالقول:

- لا اشعر بشهية لتملق زوجي على صفحات الصحف.

• تفوقين زوجك شهرة... ألا يؤثر ذلك، بشكل او بآخر، على علاقتكما الخاصة؟

- أفوق زوجي شهرة؟ ولكن ما هي الشهرة في جوهرها؟ المكنسة الكهربائية مشهورة، وليس هنالك من لا يعرفها. مسحوق الغسيل مشهور. أحذية الدكتور شول مشهورة. معجون الاسنان مشهور. اسبرو عظيم الشهرة. حبوب منع الحمل مشهورة. الكوكاكولا مشهورة ويعرفها كل بيت. لكن الاقامة في كل البيوت هي كالاقامة على رصيف الشارع. والسكن في كل القلوب هو كبناء بيت فوق تلة الزلزال. الشهرة يا عزيزي لا تعني شيئاً حقيقياً. الشهرة هي المنفى. الشهرة فخ: الشهرة هي التوهم بأنك لست وحيداً، وحينما تأتي لحظة مواجهة الحقيقة وينزف قلبك في الليل تكتشف الصدمة المروعة: آه كم انت وحيد. كل اولئك الذين يحفظون اسمك لا يملكون لك لمسة حنان حقيقية واحدة، الأيدي التي تصفق لك هي غير الايدي التي تناولك الدواء وانت تتمزق ألماً...

أجل! الشهرة فخ يسقط فيه أكثر المشهورين الحمقى ويدفعون الثمن غالياً فيما بعد.. والدليل، اصابة عدد كبير من نجمات السينما بالجنون والهستيريا حينما يتخلى عنهن الحظ او العاشق او النجاح.. فهم وهن يعشن في عالم جميل لكنه مزيف كالديكورات، وحينما تهب عاصفة في حياتهن تطير الديكورات في الريح...

انا مشهورة على طريقتي. انا مشهورة بين الرياح، مشهورة بين الامواج والاسماك والرمال. انا مشهورة بين الطيور الليلية والغابات. أنا مشهورة في عوالم السكينة والصفاء. هذا جمهوري ولن ينساني. هذا الجمهور لا يخذلك اذا مرضت او افتقرت او خانتك موهبتك يوماً... ان الجماهير يا مرعي مصابة بفقدان الذاكرة (الذاكرة الجماهيرية ضعيفة - شكسبير) ولكن جماهيري الكونية من النوع الذي لا يصفق ولا ينسى. بهذا المعنى انا مشهورة لأن عالمي الحقيقي هو (حقيقي) لا مظاهر فيه ولا قشور...

انطلاقاً من هذا أنا لست اكثر شهرة من زوجي لأن مقياس (الشهرة) المتعارف عليه غير موجود في قاموسي النفسي، زوجي وأنا وجميع البشر نشترك في شيء اساسي: الضعف البشري. اي اننا جميعاً معرضون للمرض والموت والخسارة والربح والخيبة

والألم ولا فضل لإنسان على آخر الا بمدى قوة الاحتمال...

الشهرة؟ يا للكلمة المكتوبة باوراق الخريف في العاصفة. إنها بضاعة الحمقى.

● ولو اردنا ان نحسب عمرك استناداً لأيام السعادة الحقيقية التي عشتها.. فكم هو عمرك الان؟

اجابت: لم اولد بعد!

- ترى هل عند غادة شهية للتحدث عن انتاجها الفكري؟ وماذا عن الكتاب رقم (٩) في حياتها الأدبية؟ وهل ستكون له علاقة ببيروت ما بعد الحرب أم أن الأمر انتهى عند كتاب « كوابيس بيروت »؟

جوابها يأتي مستفيضاً:

ان الامر لا ينتهي ابداً. ما ينجح في الانسلال الى دهاليز اعماقك لا يغادرها الى الابد، لكنه يظهر بطريقة او بأخرى في اعمالك، وربما بصورة غير مباشرة مشكلا خلفية اساسية لمنطلقاتك. الصوت الذي يسكنك مرة لا يغادرك قط. كتابي الجديد الذي سيصدر اسمه « اعتقال لحظة هاربة » وقد يكون اول كتاب يصدر عن منشوراتي. فالحب لحظة هاربة والفن محاولة لاعتقال هذه اللحظة ومنحها الخلود... الحب امواج صوتية حنون والفن محاولة لاعتقال الصوت في اسطوانة. في الظاهر لا علاقة لهذا الكتاب بحرب السنتين في بيروت، لكن كل شيء تبدل بعد هذه الحرب حتى مفهومنا للحب!...

● لا تنفي الكاتبة انها قامت بانشاء دار نشر تحمل اسمها « منشورات غادة السمان » وسيكون باكورة انتاجها كتاب « اعتقال لحظة هاربة ».. فهل سبق لغادة السمان ان تعاملت بلغة الارقام؟

عن هذا السؤال تجيب:

- ما دام ثمن الرغيف رقماً وثمن الدواء رقماً وثمن حليب طفلنا رقماً وثمن عكازات جسدنا رقماً فكلنا مضطرون للتعامل مع الارقام بطريقة او بأخرى. المهم ألا تسرق أرقام غيرك. العمل شرف. الجشع جريمة.

بين النهاية والبداية حد دقيق يفصل.. وهكذا السؤال الأخير عند غادة السمان.. إنها تجيب عليه بحماسة وعذوبة السؤال الأول.

● ايها افضل واجدى عندك: الكتابة ام القراءة - الانتظار ام اللقاء - الصمت ام الكلام - الحلم ام اليقظة - الليل ام النهار - الماضي ام المستقبل؟

- هذه توائم سيامية. قتل احدها يؤدي الى موت الاخر. الانتظار واللقاء مثلا، انهما وجهان لعملة واحدة... الصمت ام الكلام؟ حينما يكون الصمت من نوع خاص، لا يكون الكلام قد مات انما يكون بحالة انتظار لولادته. مختبئاً في الطرف الثاني من القمر الذي لا نراه. الحلم ام اليقظة؟ أحلى احلامنا هي التي نعيشها وسط اليقظة المكثفة حتى الشفافية... الماضي ام المستقبل؟ جذور المستقبل مغروسة ابدا في تربة الماضي...

١/ ٤/ ١٩٧٧

فادية الشرقاوي تستجوب

• ضرورة انفتاح التجمعات النسائية على نضال بقية المظلومين.

• ما رأيك بالمطالب النسائية التي جرى الاستفتاء حولها؟

١ - الاعتراف بالمساواة في الحقوق الاجتماعية داخل العائلة.

مسؤولية الدولة بالنسبة لراحة العائلة وتطويرها عن طريق ايجاد: السكن الصحي - رياض الأطفال - المدرسة - التطبيب.

٢ - استحداث قانون مدني موحد للأحوال الشخصية تتساوى فيه المرأة بالرجل.

٣ - المساواة في العمل عن طريق تطبيق الاتفاقات الدولية ذات الصلة بوضع المرأة: الاجر المتساوي في العمل المتساوي، التكافؤ في الفرص للتأهل المهني، تطبيق الضمانات الاجتماعية على العاملات في المدينة والريف، فتح المجالات أمام المرأة لاستلام كافة الوظائف والمساواة في فرص الترقية.

٤ - الزامية ومجانية التعليم الابتدائي والتكميلي وتعزيزه بعناصر متخصصة. وانشاء المدارس الرسمية في كافة المناطق اللبنانية. توحيد الكتاب المدرسي وازالة كافة مظاهر التمييز بين الجنسين. تعزيز وحدة الجامعة اللبنانية وانشاء فروع لها في المناطق الخمس وتوسيع فروع الاختصاص فيها.

٥ - الغاء الطائفية السياسية عن طريق تعديل قانون الانتخاب والاخذ بمبدأ النسبية والحفاظ على الحريات الديمقراطية وتطويرها.

٦ - تصنيع بعض الأعمال المنزلية كإيجاد مطاعم شعبية ومغاسل عامة.

- اعجبتني دقة البرنامج واحاطته الشاملة بكل مظالم المرأة، كما سررت بقيام حركة

نسائية موحدة وديناميكية كخطوة هامة على صعيد التخلص من بعض الممارسات (الحريمية) الهزلية، في مجال التناحر على (المجد الآتي). اذن البرنامج رائع. والمطالبة عادلة، ولكن من هو المطلوب منه تحقيقها؟ الرجل؟ ومن قال ان الرجل قادر على ذلك، وهو نفسه يفتقر الى تحقيق اكثرها؟ رئيس الجمهورية؟ حتى ولو فرضنا جدلا ان رئيس الجمهورية مقتنع بهذه المطالب وانه ترك مسؤولياته كلها وتفرغ لها، فليس بوسعه تحقيقها لمجرد اصدار مرسوم جمهوري مثلا، القضية اعمق من ذلك واشد تعقيدا، وجذورها ترجع الى آلاف السنين... ولا يمكن حلها بمؤتمر صحافي ناجح ورئيس جمهورية عادل.

ان المطالبة بحقوق المرأة خطأ استراتيجي وتكتيكي في آن معا. المفروض المطالبة بحقوق الرجل والمرأة معا. اي بحقوق الانسان المسحوق. الذي تشكل المرأة فئة كبيرة منه. بعبارة اخرى من الخطأ ان تطرح المرأة مطالبها على الرجل. الرجل ليس عدو المرأة. انه شريكها في العذاب.

اكثر المطالب المطروحة مثلا يفتقر الرجل اليها.

اي انا ضد الطرح النسائي لمشكلة المرأة لأن جذور هذه المشكلة مرتبطة عضويا بمشكلة الانسان العربي ككل.

الصورة في نظري، ليست امرأة مظلومة ورجل ظالم. الصورة في نظري، عالم من التخلف تنعكس مآسيه على المرأة والرجل معا، وترتسم نتائجه على شاشة حياتهما معا. من هنا ارى ان منطلق الحل ليس نسائياً بحتاً، وان التحام المرأة مع بقية الأفراد العرب المسحوقين، هو السبيل العملي الى تحقيق العدالة. اني اؤمن بأن ثورة المرأة من اجل تحقيق وجودها وانسانيتها هي جزء لا يتجزأ من ثورة الفرد العربي في اكثر اقطاره، ضد قوى الاستلاب التي تشوه انسانيته وتسطو على حقوقه السياسية والفكرية والاجتماعية وحتى الجنسية. وهكذا فإن عزل قضية المرأة المضطهدة عن قضية الرجل المضطهد يجعل من كفاحها كفاحا احادي البعد مفتقراً الى الشمولية الثورية الانسانية.

اني لا انكر ان المرأة هي مظلومة المظلومين. فالعامل مثلا قد يعاني من اضطهاد رب العمل، لكن المرأة تعاني من اضطهادهما معا. اي انها تعاني من اضطهاد مركب. ولكن الحل لا يمكن ان يأتي بمرسوم اشتراعي (خيري) في لحظة يقظة ضمير (رجالية).. الحل لا يمكن ان يأتي للمرأة وحدها... الخلاص الفردي غير ممكن. وخلاص المرأة مرتبط بخلاص جميع الفئات المضطهدة ومن هنا، فإن التحامها بها وسائر الطبقات التي

تريد ان تضع حدا لعذابها امر لا مفر منه. لقد وعد رئيس جمهورية الولايات المتحدة جيمي كارتر نساء اميركا وعوداً كثيرة على صعيد منحهن المزيد من الحقوق... وهكذا فقد اقبلت النساء على الاقتراع لصالحه.

واليوم جاءت ساعة (تسديد الفواتير) واستعصى الدفع على كارتر. وفي العدد الاخير من مجلة التايم نجد الرئيس كارتر وقد تعرض لهجوم شرس من قبل رئيسات المنظمات النسائية لانه خدعهن بمعسول البرامج الانتخابية ولم يبر بعهده. والسؤال: هل كن حقاً يعتقدن ان كارتر يستطيع اصلاً ان يحقق وعوده؟ ان مشكلة المرأة التي ترجع بتاريخها الى الاف السنين لا يمكن حلها عن طريق الاساليب العادية ولا الرجال الرسميين العاديين. فقد كرست التشريعات القديمة تبعية المرأة وخصتها بمهمة الانسال فقط. فشريعة «مانو» وكتاب موسى يأمران بهجر الزوجة العقيمة. وكتب الهند المقدسة تحرم المرأة من الحق في الحرية وامتلاك الثروة. ويقول سفر الجامعة «لقد وجدت المرأة اشد مرارة من الموت». الاغريق اذلوا المرأة. وحتى فلاسفتهم الكبار كرسوا رقها. فيتاغورس مثلا يميز بين «مبدأ الخير الذي خلق النظام والنور والرجل. ومبدأ الشر الذي خلق الفوضى والظلمات والمرأة». وابقراط «المرأة هي في خدمة البطن». وارسطو: «الانثى انثى بسبب نقص معين لديها في الصفات».

وحتى افلاطون فإنه دعا الى مشاع النساء. الحقوق الرومانية البدائية لم تعترف للمرأة بكيان مستقل، بل كانت امتداداً لطبقة الرقيق. صرخ بها ترتوليان «ايتها المرأة أنت باب الشيطان». ويوحنا فم الذهب «ليس هناك بين وحوش الارض المفترسة من هو اشد اذى وضرراً من المرأة». وتوما الاكويني: «ان المرأة قد كتب عليها ان تحيا تحت هيمنة الرجل والا تكون لها أي سلطة»... وإذا تابعت تاريخ المرأة مع اضطهاد التخلف لها – لا الرجل، الا كأداة – فاننا سنكون بحاجة الى اصدار ملحق عن «الحسناء المعذبة».

ولكني اورد هذه الامثلة لأقول اننا لا نستطيع ان نغسل الاف السنين من الدماغ الاجتماعي العدواني بالوسائل العادية... ولا حتى بديمقراطية المجتمعات الاستهلاكية الليبرالية (الدليل فشل كارتر). ان الحليف الوحيد للمرأة الذي يمكنه ان يتفهم مشكلتها هو «الثوري» بالمعنى الانساني للكلمة، لا بالضرورة الحزبي، او السياسي السائد حالياً. وهكذا فأنا أرى ان انفتاح التجمعات النسائية على نضال بقية المظلومين هو امر بديهي، وان تكثيف نضالها بدمجه مع نضال الرجل المضطهد، هو السبيل الوحيد

لتبديل البشاعة التي تغمر عالمنا المعاصر. هذا لا يعني طبعا ان اي ثوري عربي هو بالضرورة حليف عملي لها، لان الثوري العربي نفسه واقع في الازدواجية الفكرية وعلى المرأة ان تتفهم ذلك وان تساعده على تجاوز ازمة الثقة باثبات حريتها وجدارتها وقدرتها على حمل المسؤولية، لا على اللعب بها كمكياج اضافي. باختصار البرنامج ممتاز. توحيد الحركة النسائية خطوة واعية. تبقى ضرورة اتخاذ خطوة في درب الانفتاح على بقية الفئات المظلومة وصهر كفاحها معاً بحيث يصير تحرير الرجل مطلباً نسائياً وتحرير الانسان العربي من امرأة ورجل مطلباً جماعياً.

— ٤ —

استجواب حول قضايا أدبية

● الفنان لا يستطيع أن يتحدث عن فنه، إلا بقدر ما تستطيع الشجرة أن تناقش في الهندسة الزراعية !

— جان كوكتو —

● المهم ألا نتوقف عن التساؤل . . .

— ألبرت اينشتاين —

● الصحافي كالروائي : كلاهما يحاول رؤية الأشياء بدقة ووضوح .

— جراهام جرين —

● « المستحيل » هو ما لم يجربه أحد !! . . .

— جيم غودوين —

ايلول ١٩٧٤

رشيد ياسين يستجوب

- رصد عملية الخلق لدى الفنان ليس امراً بالغ السهولة او الوضوح.
- ذلك الجنون الخفي الذي يميز العمل الفني الحي عن التخطيطات الخامدة.

• غاية هذا الحديث هي رصد عملية الخلق الفني عندك؛ أي متابعة العمل منذ الإيماضة الأولى في ذهنك حتى صيرورته بنية لغوية مستقلة. ولكني أود قبل ذلك أن أسأل: لماذا اخترت القصة القصيرة شكلاً أساسياً للتعبير عن نفسك؟ لماذا تعتقدين انها الشكل الأنسب؟

- لا أعتقد أنني أنا التي اخترت القصة القصيرة شكلاً أساسياً للتعبير، وإنما تم الأمر بمعزل عن تقريري المسبق.. بعبارة أخرى، لست أنا التي اخترت القصة القصيرة، لكن الأفكار التي اود قولها كانت تولد في قالب تصادف ان اسمه قصة قصيرة. بعبارة اخرى، أنا لا أجلس الى المنضدة وأقرر: سوف اكتب قصة قصيرة. انني أجلس وأكتب، وغالباً ما يكون النتاج قصة قصيرة كما لاحظت انت. ولكن، لماذا قصة قصيرة؟.. انني بطبيعتي نزقة ومتوترة وأحب كتابة «البرقيات» اكثر من «الرسائل» ولكن ذلك لا يكفي وحده لتفسير نزوع اكثر افكاري الى التعبير عن ذاتها في إهاب القصة القصيرة حتى الآن.. ولكنني لا اعتقد ان هذا الحكم يصح ان يتخذ صفة قاطعة... فأنا اكتب أيضاً الرواية - وان كنت لم انشر بعد اية رواية -.. يخيل اليّ ان الشكل الفني هو الجسد الذي تختاره الأفكار... وأنه منذ الايماضة الأولى للعمل الفني، يولد مواز لها في عالم الشكل، وكلما كان التوحد والتناسق بين الشكل والمضمون عفوياً وحقيقياً كلما كان

العمل الفني اكثر كمالاً... وهكذا فالقضية ليست نتيجة اختيار مسبق جازم (ستاتيكي) بقدر ما هي علاقة حية ديناميكية بين نمو الأفكار والنمو المقابل في الشكل. واذا كان قد تصادف انني عبرت عن نفسي - حتى اليوم وعلى الأغلب - متخذة من القصة القصيرة أداة، فإن ذلك يبدو لي مجرد مصادفة لا اكثر...

من السهل طبعاً ان اقول لك: القصة القصيرة قصيرة ونفس القارىء العصري قصير وأنا لذلك اكتب قصة قصيرة. ولكن في ذلك تبسيط غير واقعي للقضية... فالشكل الفني لا تحدده متطلبات العالم الخارجي او قوانين العرض والطلب في سوق مبيعات الكتب، وانما تحدده - بالنسبة اليّ - متطلبات العمل نفسه، ورغبات تلك الرؤى الهيولية الحية الباحثة عن بنية اللغة لتحل فيها وتصير كائناً حياً مستقلاً هو العمل الفني الناجح... ولا ادري لماذا تلح عليَّ الآن فكرة قرأتها عن التقمص، وهي على شيء من الغموض... ولكن رصد عملية الخلق عند الفنان ليس أمراً بالغ السهولة او الوضوح، بل هي تشبه رصد كوكب آخر بعيد بأدوات شبه قاصرة... فالكوكب نفسه يدخل في مدارات معتمة ومناخات غامضة سرية ولا تتسنى لنا مراقبته إلا في فترات متقطعة من الوضوح..

اعود الى فكرة التقمص، وهي تقول بأن الروح تحتل الجسد الذي تستحقه.. وهي بالتالي تحتل انساناً او شجرة او ذئباً وفقاً لصفات الروح الانسانية او الوحشية او النباتية... يخيل اليَّ ان شيئاً مشابهاً يحدث في عملية الخلق الفني، وهو ان تحل الأفكار في القالب الذي يكون امتداداً لغوياً لكل خصائصها الأساسية..

وأنا منذ حوالى السنة لم اكتب قصة قصيرة، ولا امر بأزمة... ما اود ان اقوله في هذه الأيام (يتقمص) اشكالاً ادبية اخرى... وهذا لا يعذبني ولا يسعدني.. إنه الشيء الطبيعي والمتوقع: اي ان تختار الأفكار قالبها الطبيعي لها، وأن يولد احدهما الآخر في عملية نمو طبيعية لا اتدخل فيها إلا بقدر ما أساعد استقلالها..

• في «اعترافاتك» التي نشرت مؤخراً في مجلة الشرارة، اشرت الى انك تمارسين ألواناً اخرى من الكتابة. وأنا أعرف ان كتابك الأخير «حب» لم يكن مجموعة قصصية (وإن كنت لا أدري بالضبط كيف أسميه)، كما أعرف انك كتبت مسرحية (الطوفان) ونشرتها منذ سنوات، فهل هذا ما عنيت، أم انك أردت شيئاً آخر؟

- عنيت ذلك.. وعنيت اشياء اخرى ايضاً من بعضها ما ذكرته في جوابي الأول. اضيف اليها انني بالإضافة الى المسرحية والرواية امارس صنوفاً كثيرة من الكتابة

التي لا يسهل تصنيفها تحت أي باب معروف من ابواب التصنيف النقدي. هذا الأمر لا يخيفني، فلدي ايمان عميق بأن الإبداع هو «الجديد»... لا اعني بالجديد هنا كسر القواعد الشكلية السائدة للأعمال الفنية فحسب وانما أعني أن من واجب الفنان امام موهبته ان يطلق لها العنان وان يمنع الناقد الصغير القاطن في صدر كل فنان من التدخل باستمرار كشرطي المرور.. من الضروري أن يترك الفنان الحرية لكل الأصوات في داخله، وان يمنحها الفرصة لتحل في قالب اللغة، مهما بدت له (أو لناقده القاطن فيه) للوهلة الأولى ناشزة وغريبة ووحشية الاختلاف عن كل ما سبق... وهكذا فأنا باستمرار اتعلم، أتعلم المزيد عن ذاتي وعن طاقاتي، وكثيرة هي الأشياء التي اكتبها ولا انشرها... بل انني انشر ثلث ما اكتب فقط، وما تبقى اعتبره ـ في اسوأ الحالات ـ بمثابة التمرين الذهني الضروري للياقة الابداعية!...

● لنعد الآن الى الموضوع: ماذا يحدث عادة قبل ان تشرعي في كتابة قصة؟ هل يولد العمل أولاً كفكرة عادية (هزيمة حزيران، واقع المرأة العربية الخ) ثم يكتسي تدريجياً بالصور والتفاصيل، أم يطرح نفسه عليك مباشرة كشخصيات ووقائع؟

ـ يحدث ان اشعر بأنني مكهربة مثل بطارية مشحونة ستنفجر اذا لم تطلق شاراتها. أحس بأنني مشدودة كوتر عود عباسي، وممتلئة باحساس سديمي يبحث عن كلمات... احس بما يشبه العذاب حينما تكون الفجوة عميقة بين الفكر واللغة... من الصعب جداً الجزم فيما اذا كان العمل الفني عندي يبدأ كفكرة عادية، او يطرح نفسه مباشرة كشخصيات ووقائع... بعض القصص تبدأ بكلمة سمعتها بالصدفة تتدحرج من شفتي سكران مجهول على الرصيف الآخر لم المح حتى وجهه... وبعض القصص تنطلق من فكرة... ولكنني أحب ان الح هنا على أمر اجده هاماً جداً... فأنت قد اتخذت كأمثلة (هزيمة حزيران، واقع المرأة العربية - الخ) وأحب ان اقول لك ان القصة ليست عندي مجرد (وسيلة ايضاح) لأفكار سياسية او فلسفية.. والشخصيات عندي ليست مجرد امثلة من الحياة او مجرد حناجر تتلو اشرطة مسجلة تحمل (نظريتي) السياسية... العمل الفني هو كائن حي مستقل... انه لم يوجد (ليخدم) فكرة معينة... انه وجد لأنه (ولد حياً)... وهنا ايضاً خطأ عدد كبير من الفنانين العرب الملتزمين، فهم يجيئون بابطال قصصهم خصيصاً ليقولوا افكاراً معينة... ذلك يجعل الأبطال غير احياء فنياً ويحولهم الى مجرد نجوم خطابة ليس فيهم من الحياة اكثر مما في ممثلي

المسرحيات المدرسية التي تقدم عادة في حفلات آخر العام الدراسي!...

لا تعارض بين طرح قضية، وبين ابداع عمل فني. ولكن التعارض يقع حينما لا نفهم العلاقة الفنية الجدلية بين الأمرين... بعبارة اخرى، لنقل انني جلست لأكتب قصة عن امرأة تريد حريتها... إنني لا أنحاز اليها مسبقاً، (رغم انحيازي فكرياً لقضية تحرر المرأة) وانما اتركها تعيش حياتها داخل القصة واذا استحقت هي حريتها واستطاعت انتزاعها فإنها هي التي تسطر نهاية القصة لا أنا.. وغالباً ما ينقلب ابطال قصصي على أفكاري ويرتدون عليها وغالباً ما يحورون في الأحداث او حتى ينسفونها او يناقضونها... وهكذا فانني لا استطيع قط التنبؤ بما ستكون عليه خاتمة قصصي، ولا اعرف حينما اشرع في الكتابة الى اين سيمضي بي مركب العطاء لكنني اثق بدفتي وبوصلتي واترك نفسي لبحر الاكتشاف الأهوج واتقبل كل المفاجآت...

● هل يستغرق نضج العمل الفني في ذهنك فترة طويلة، عادة، وهل يكون كل شيء لديك واضحاً عندما تشرعين في الكتابة؟

- عبارة «فترة طويلة» هي عبارة نسبية... هنالك قصص تستغرق اعواماً من الإقامة في دهاليز اللاوعي دون أن تدري، - أو أنك تدري بها دون أن تدري، مثل ذلك الوعي الغامض الذي تحسه احياناً حينما يحدق شخص بوجهك وانت نائم - إنها هناك وليست هناك، تنضج سراً وبهدوء، ثم فجأة تنفجر... اكتب بعض قصصي في ما يشبه النوبات العاصفة التي لا تستغرق اكثر من جلسة واحدة محمومة... لكنني اعرف جيداً ان الأمر ليس بهذه البساطة، وان العاصفة الهوجاء السريعة كانت تعد لنفسها ربما طيلة اعوام...

واكرر، حينما اشرع في الكتابة لا يكون كل شيء واضحاً لدي... بل ان اسوأ اعمالي هي التي جلست لأكتبها وكل شيء مخطط مسبقاً خصوصاً حينما يسير العمل وفقاً للمخطط دون ان تستيقظ العفاريت التي تسكنني والتي تمسح بلمساتها الغامضة ذلك الجنون الخفي الذي يميز العمل الفني الحي عن المخططات الخامدة.

● هل تتركين الكتابة (الابداعية) للحظة التي تتوافر فيها الحوافز الداخلية، ام ان لديك عادات عمل منتظمة؟

- الابداع طبعاً هو لحظة خارقة.. ولكن حتى اللحظات الخارقة بحاجة الى تنظيم جزئي، لنكون على الأقل جاهزين لنحسن استقبالها حينما تحضر...

وهكذا فأنا احاول ان اخلق لنفسي عادات كتابة منتظمة، وهي قد لا تكون كلها

مثمرة، ولكنني اؤمن بـاهميـة العمـل واستخـدام الارادة لتطويـع حـتى الحوافز الداخلية... ببطء ولكن باستمرار... وقد لا يكون ذلك مفيداً كلياً لاستحضار لحظة الإبداع، لكنه ضروري كي لا تأتي اللحظة وتضيع في غمرة الإنشغال عنها بتوافه اخرى كثيرة...

صحيح ان الإبداع كالقدر لا مفر منه ولكـن الابداع ايضا كالطفل، تجب رعايته واستقباله في مناخ يشجع تكاثره ولا يقود به الى العقم... الفنان العربي يعتمد غالباً على (موهبته) يسترخي فوقها وينام... ولذا فإن عمر الإبداع قصير لدى الكاتب العربي... ما اكثر الذين يلمعون في كتابهم الأول ويشحبون في الثاني وتقضي موهبتهم نحبها في الثالث... السبب هو اعتقادهم الخاطىء بأن الموهبة لا تخمد كالنجوم. الموهبة بحاجة الى احتضان عبر الثقافة وتنظيم عادات الكتابة وخلق توازن بين الحياة والفن، وليس صحيحاً ان (الهستيريا) التي يبديها بعض الموهوبين هي (بوهيمية) بل هي في الغالب عملية اغتيال منظمة في حق موهبتهم.

● هل تتعبين نفسك في صقل كتاباتك، وهل يحدث ان تدخلي عليها تعديلات ملحوظة بعد اكتمالها؟

– أتعب كثيراً في مرحلة ما قبل الكتابة... كل شيء يدور في الداخل، المخاض، واوجاعه ومحاولة الحصان البري اختراق جدار اللغة التي تولد دوياً كاختراق جدار الصوت... كل الزلزال يحدث في داخلي، وحين اكتب يلتهب الأتون وينفجر البركان ينفجر ويقذف بكل ما لديه، ثم ينتهي كل شيء... واجدني غالباً عاجزة حتى عن قراءة ما اكتب (ولو لمراجعته) قبل ارساله الى المطبعة...

في البداية كنت (ابيض) قصصي اي اعيد نقلها بعد كتابتها (وغالباً لا أغير حرفاً فيها)، أما الآن، على الأقل في كتابي الأخير رحيل المرافىء القديمة... فقد كان كل حرف يخرج من اصابعي الى المطبعة... القصص التي لا ارضى عنها، لا انشرها... أعرف انني غير راضية عنها دون ان اعيد حتى قراءتها، وحين اعيد قراءتها يتأكد لي ذلك!..

نادرة هي القصص التي ادخل عليها تعديلات ملحوظة بعد اكتمالها. الذي يحدث عادة هو انني احتفظ بها بغية العودة اليها لتعديلها، لكنني لا اعود اليها قط!... واذا عدت فانني اعيد كتابتها تماماً، وبالتالي اخرج بقصة مختلفة تماماً عن الأولى.. لدي قصة اسمها «الخيط الذي لاينقطع*» كتبتها عام ١٩٦٦ واحتفظت بها لأنني قررت اجراء

* نشرت بعنوان «الديك» في كتاب «زمن الحب الآخر».

بعض التعديلات عليها... وكنت في كل عام ارجىء ذلك الى عام آخر (فأنا اشعر بأن العمل الفني يولد مكتملاً او مشوهاً ولا اؤمن بعمليات التجميل في الجنين المشوه).. واخيرا نشرتها كما هي عام ١٩٧٤ - اي بعد ٨ اعوام من كتابتها - ودون ان اقدر على اجراء اي تعديل فيها.. ذلك لا يعني طبعاً انني قد رضيت عنها او اسقطت عنها حكم الإعدام بمرور الزمن، لكنها ولدت هكذا، وانتهى الأمر، وانا احمل مسؤولية كل ما افعله، حتى مالا ارضى عنه تماماً!...

اشعر بأن لي الحق في بعض النزوات، نزوات رفض بعض اعمالي او الصفح عنها فيما بعد... ان ذلك يزيدني احساساً بامتلاكي لها وانتمائها إلي.. الشجار بين الفنان واعماله احياناً هو مثل الشجار بين العشاق.. يزيدهم وعياً بمدى التحامهم وانتماء كل منهما إلى الآخر...

• عرف عن تولستوي مثلاً، انه ظل يتردد لفترة طويلة على المحاكم قبل أن يشرع في كتابة « البعث »... فهل تفعلين شيئاً من هذا القبيل؟ أعني هل تجهدين نفسك في جميع المعطيات اللازمة قبل البدء في الكتابة؟ وهل لك ان تذكري مثلاً واحداً؟

- طبعاً. هذا امر بديهي. ولما كنت أنا لست بطلة جميع قصصي فلا بد لي من رصد النماذج البشرية المحيطة بي، والسعي احياناً لمعرفة دقائق حياة صاحب حرفة معينة او صاحب شخصية معينة... مثلاً في قصتي « أرملة الفرح » وهي حكاية امرأة عاشت ٣٠ سنة دون ان تحلم مرة واحدة كان أحد شخصيات القصة طبيباً جراحاً... وهكذا وجدتني استبيح وقت أحد اصدقائي - وهو طبيب جراح - واستجوبه مطولاً عن دقائق المهنة، واحساسه حين يموت مريض بين يديه، كما ذهبت وراقبته وهو يجري احدى عملياته...

وذات مرة، كادت ضرورات العمل الفني تودي بي الى الموت.. فقد كنت خلال اقامتي بلندن أكتب قصة أحد أبطالها (قاتل الهوس الجنسي)، وذات ليلة التقيت عمليا بشخص كهذا، صدفة، وبدلاً من الهرب منه وجدتني احاوره وأرافقه وأطيل البقاء معه حتى انه هو خاف مني وظنني من الشرطة السرية.. وهرب مني!...

• تبدو الشخصيات النسائية في مجموعتك « رحيل المرافىء القديمة » غير نموذجية، بمعنى انها لا تمثل مواصفات الفتاة البورجوازية العادية في المجتمع العربي... فهل هناك نماذج واقعية مقابل كل واحدة منهن، ام انهن امتدادات لشخصية المؤلفة؟

- ولماذا يجب ان تكون اية شخصيات في مجموعة قصصية ما (نموذجية)؟ المهم

هو أن تكون (حية) لا أن تكون (نموذجية). ثم أنني لم أقصد اصلاً أن تمثل كل بطلاتي او أبطالي (مواصفات البورجوازية العادية في المجتمع العربي)... بين أبطالي بورجوازيون (المذيعة في قصة الدانوب الرمادي) وبينهم كادحون (بو علي في قصة جريمة شرف) وبينهم ثوار (فضل في قصة الساعتان والغراب) وبينهم بسطاء (الخادمة تفاحة في قصة ارملة الفرح)، وبينهم متسلقات اجتماعيات (مريم في قصة عذراء بيروت).

بطلاتي لسن امتدادات لشخصيتي كما ان ابطالي ليسوا نماذج مأخوذة حرفياً من الواقع الخام... انهم جميعاً مزيج غامض من ذلك كله، فيهم الكثير من الواقع الخام ومن ذاتي، ولكن اهم ما فيهم هو (حياتهم المستقلة).. ابطال القصص لا يفترض فيهم ان يكونوا «فلاناً من الناس» او «كاتب القصة» وانما يفترض فيهم الحد الأدنى من «الصدق الفني» في تصويرهم بحيث يكونون «احياء فنياً»...

ولكنني لا استطيع ان انكر عملية «نشل الملامح» النفسية والفكرية التي اقوم بها باستمرار إثر رصدي لكل الذين التقي بهم... بالأحرى للذين يثيرون حاستي الفنية... ان الواقع الخام هو المادة الخام للعمل الفني ولكنه يستحيل الى مجرد مذكرات عادية مملة اذا اكتفى به الفنان... ويستحيل الى كون من الحيوات والكواكب والصرخات حين تعرف كيف تعالجه اصابع موهوبة لها رؤياها الفنية المميزة، وصرختها الرسالة التي تموت اذا لم تطلقها...

آذار ١٩٧٤

محي الدين صبحي يستجوب

● انا ابنة هذا العصر.

● الشبـان بقـدرتهم عـلى الرؤيـا، هم وحدهم أمل الأمة في التجدد.

● أحببت كتابك الأخير «حب»، فقد كنت من النساء العربيات النادرات – وربما الأولى – اللواتي يكتبن عن الحب دون السقوط في السوقية أو المثالية...

– بالنسبة لي لم يكن الأمر غير رسم لصورة الحب التي نفتقر اليها... نحن ما نزال نقسم علاقاتنا الى قسمين: شرعية وغير شرعية.

علاقات «الحب» الشرعية لدينا تخلو غالباً من «الحب» ولكنها تحتمي «بالمثالية». انها علاقات فارغة من المضمون مثل هيكل صرصور أكله النمل من الداخل وفرغ تماماً..

اما العلاقات «غير الشرعية» فهي غالباً جذابة وممتعة ولكنها بطريقة ما سوقية. أنا لا ابحث عن الحل الوسط. أنا ابحث عن حل الطبيعة كما ارادته، ان ممارسة الحب في نظرى ليس صلاة كما انه ليس خطيئة. انه ببساطة أمر جميل اذا كان صادقاً ومتبادلاً ومصرّاً على خلع قفازات العقد النفسية.

ولعل هذا الاصرار على العودة لممارسة الحب الحر المنفتح هي التي دفعت احد النقاد الى اتهامي بالدعوة الى عبادة الجنس على طريقة (د. هـ. لورانس) على حد تعبيره. وانا لا اجد في الأمر تهمة، كل ما في الأمر هو ان ذلك غير صحيح، فأنا لا أركز تركيزاً خاصاً على «الجنس» في عملية الحب، واعتقد ان ذلك يرجع الى الأمزجة الفردية المختلفة. اي ان المهم في كتابي ليس المناداة «بالجنس» – لأنه ليس ملحقاً عصرياً بكتاب رجوع الشيخ الى صباه –، وما اردته في كتابي حب هو القول ببساطة:

الحب ليس نقيضاً للثورة. وليس نقيضاً للحس بالمسؤولية. وليس نقيضاً للجدية في مواجهة قضايا الحياة..

• إن الرؤية لديك بانورامية، تجري على شاشة واسعة من مشاهد الحياة ونفسيات البطل. فلماذا تختارين القصة القصيرة مع أن نَفَسَك السردي أميل الى الرواية، من حيث اتساع المشاهد المعروضة والحوادث الجارية وحركات الذاكرة؟

- ملاحظتك في محلها، وقلما التفت النقاد اليها. لقد حاولت ان اكتب رواية على طريقتي، اي مجموعة قصص يمكن ان تقرأ كل قصة فيها على حدة. إلا ان قراءة المجموعة ككل تعطيك رؤيا بانورامية لشاشة واحدة وواسعة. ركزت على ذلك في مجموعتي القصصية «ليل الغرباء» وناقد واحد غيرك هو الاستاذ محمود امين العالم لاحظ ذلك، وحين كتب نقده لتلك المجموعة القصصية تناولها كرواية واطلق عليها اسم رواية.

لماذا؟.. كالعادة لا ادري بالضبط، ولكن ربما كان ابرز الاسباب يعود الى طبيعتي النزقة التي ما تزال تحول بيني وبين العمل البنائي الهندسي البطيء المستمر الذي تتطلبه الرواية بصورة عامة.

وربما كان السبب يعود الى وعيي الحاد بطبيعة العصر الذي أعيشه - انا ابنة العصر حتى الخطيئة - عصر السرعة والنزق وهروب الناس من بذل جهد قاس للاستمتاع بالادب ويخيل إليَّ ان صيغة «القصة القصيرة - الرواية» قادرة على التلاؤم مع مزاج الانسان العربي المعاصر الذي بدأت تنتقل اليه عدوى الركض والحس بأهمية الزمن وضيق الوقت، و(ضيق الخلق)...

• في قصصك مقاومة واعية للتنازلات التي تفرضها المواضعات الاجتماعية على الشبان، فهل ترين في ذلك فجيعة حقيقية؟

- نعم. أجد في ذلك فجيعة لها طعم النكتة السوداء. فالشبان بقدرتهم غير (الفاسدة) - بعد - على الرؤيا، هم وحدهم أمل الأمة في التجديد. من المشاهد التي تحزنني مشهد ترويض الاحصنة البرية، ومشهد وضع السرج فوقها واللجام وبالتالي ضمها الى اتجاه القطيع الذي يمشي دون ان يسأل: الى اين؟.

وحينما يطبق هذا الأمر على الشبان لا املك الا الصراخ بملء صوتي... لقد تعب الوطن العربي من الأغبياء الذين يذبحون شبان الوطن واهمين انهم يستخرجون بهذه الطريقة ذهبهم الدفين «كغباء ذابح دجاجته التي تبيض ذهباً»...

• هناك الصحة والضوء والضحك والاستمتاع غير المسؤول ولا النكد.. هذه الامور التي تجعل الحياة تستحق أن تعاش، يفتقدها أبطالك. إنها ليست جزءاً من حياتهم. لماذا تحرمينهم من هذه الحيوية التي تعرف بها شخصيتك؟

- لأن طبيعة القصة القصيرة لا تسمح بكثير من التفاصيل التي لا علاقة لها بجوهر القضية، وانا غالباً القي القبض على ابطالي في لحظات توترهم وتأزمهم أي، في لحظات مصيرية يعون فيها مأزقهم - مأزق الانسان العربي -، والضحك اللامسؤول في مثل هذه المواقف ممكن، لكنه لا يمثل وجهة نظري ورؤياي لحقيقة الفرد العربي الذي أجده يجاهد مخلصاً وجاداً للخروج من الشراك المنصوبة حوله... صحيح ان ابطال قصصي القصيرة لا يضحكون كثيراً ولكن من الواضح انهم قادرون على الضحك والاستمتاع غير المسؤول حين تتبدل الاوضاع.. وهم يكافحون كي يصير وطنهم وطناً للضوء والصحة والاستمتاع... كل هذه الأمور غير ممكنة تماماً الا بعد تحقيق العدالة وتحرير النفس والجسد والارض العربية. ابطال قصصي لا يمارسون «الحزن للحزن» وانما لاحزانهم أسباب واضحة وقلقهم موقف طبيعي وصحي من الاحداث المحيطة بهم والازمات التي يمرون بها والمعارك التي يواجهونها.

• تنقلت كثيراً في حياتك بين أماكن كثيرة، ماذا وجدت في الرحيل؟.. ودمشق؟..

- وجدت أن الرحيل ليس عبوراً الى الخارج بقدر ما هو رحيل الى الداخل... وكل خطوة الى قارة جديدة لم تكن اكثر من خطوة الى دهاليزي، ومزيداً من الاقتراب من ذاتي الحقيقية... لقد كشف لي العذاب والفرح اللذان عرفتها في حياتي الطويلة الطويلة انتمائي الحقيقي والوحيد الى قافلة معذبي الارض والوطن... والخلاص والهرب الفردي مستحيلان.

ودمشق؟...

دمشق... أوف!

• هناك الكثير من الغربة في قصصك، فأبطالك غريبون عن بيئاتهم (منهم من يعيش في أوروبا أو يسوح فيها) وعن بلدانهم الاصلية (طالبة سورية في الجامعة الامريكية مثلاً، أو خادمة تركت قريتها لتعمل في بيروت) وحتى عن أنفسهم: أإلى هذا الحد ترين الانسان العربي موغلاً في الغربة؟

- نعم هنالك كثير من الغربة التي لا مفر من ان يعانيها الفرد العربي اذا لم يكن ببغائي المزاج وسهل التدجين. هنالك غربة منذ البداية، منذ محاولة اقناعه في البيت

بالتصرف والتفكير وفقاً لاسلوب معين لمجرد أن ذلك كان متبعاً من قبل... هنالك غربة في المدرسة، غربة عن المناهج الدراسية - في اكثر من قطر عربي - التي ترفضها عين الفتى الجديدة (عينه التي لم يتم افسادها نهائياً). يوماً بعد يوم تتعاظم الغربة، يألفها البعض حتى ليظنها الوضع الطبيعي، وينجم عن تلك الالفة تآلف مع الكسل الروحي والفكري وقبول بائس بالأمر الواقع.. حتى ليظن البعض انه (ليس بالامكان أبدع مما كان)!. هنالك ايضاً غربة بين الفرد والسلطة، والذين يحتفظون بعيونهم جديدة لا بد وان يلحظوا ان سلوك السلطة «في البلاد العربية بوجه عام» غريب بالنسبة للاهداف التي تنادي بها...

ينتاب الفرد العربي أحياناً احساس بأن الوطن سافر عنه واغترب؛ والتاريخ رحل، والسلطة تتستر على ذلك كله؛ بدلاً من أن تنظم مسيرة القاء القبض على الاهداف المعلنة... هنالك غربة على صعيد العلاقات الانسانية بين الرجل والمرأة، وبين الرجل والرجل كزميل في العمل او الحزب أو الدكان.... لو أردت تعداد «الغربات» العربية لما انتهيت، واترك لكل قارىء أن ينبش ذاته في لحظة صدق وانفراد ليضيف كلمة جديدة الى قاموس الغربة.

هنالك ايضاً «الغربة الوجودية»، الغربة التي لا يملك الا أن يحس بها الانسان من وقت الى آخر، تلك الغربة الميتافيزيكية المتفجرة من غموض الوجود وإبهام الموت المتربص بالمهزوم والمنتصر معاً. غربة المحكومين بالموت منذ لحظة الولادة، غربة الذين يعون ان «الحياة هي غرفة انتظار الموت».

ابطال قصصي لا يجدون الوقت الكافي لتعذبهم هذه الغربة، (ولكنها موجودة دائماً في لا وعيهم) فأكثرهم يعي ان ٢/٣ سكان العالم حالياً مازالوا يناضلون من أجل الوجود البيولوجي اي من اجل الغذاء والكساء، وهم غارقون في صراعهم ضد قوى الشر البشرية، وهذا الصراع من اجل العدالة يستنفد طاقاتهم حتى ليكاد يشغلهم عن صراعهم مع الغربة الانسانية الكبرى امام الموت!..

واذا كان لا مفر من ان نموت ذات يوم، فإن ذلك يحرضنا على ان لا نموت مرتين. مرة بالذل البشري - غير المحتوم، والممكن مقاومته وازالته - وثانية بذلك الموت المحتوم منذ الازل والذي لا شفاء منه ولا مفر..

● لماذا تعرض قصصك نموذج البطل المستقيل: البطل المنسحب من الحزب أو العمل أو من قصة حب. لماذا لا تعرضينه علينا وهو في حالة العمل؟

أي: لماذا يعرض بطل قصصك منفصلاً عن الواقع، متأملاً فيه، وليس مندمجاً او متحداً معه؟

هل هذا الوضع هو جزء من الغربة أم أن مثل هذه اللحظة تختارينها عن عمد لتعرضي علينا البطل من خلالها؟

- لأسباب كثيرة، منها انني اجد لحظات محاولة « الطلاق » او وقوعها مشحونة وبالغة التوتر، وأحب رصد ابطالي في مثل هذه اللحظات التي تختزل الماضي والمستقبل في محرق اللحظة، وربما لأقول إن الطلاق غير ممكن. الهرب الفردي غير ممكن. الحلول الفردية وهم. لا يستطيع اي فرد عربي ان ينسحب نهائياً ليكون روبنسن كروزو جزيرة الانفصام. وربما اختارهم في هذه اللحظات لأقول ان ابطالي في لحظات محاولتهم الانفصال عن الواقع يكونون متحدين معه اتحاد الخنجر باللحم المغمد فيه، مندمجين به حتى الوجع والرفض وحتى محاولة الهرب.. وربما كنت اختارهم في هذه اللحظات لأسباب اخرى فنية كثيرة لا اعتقد ان من واجبي شرحها!

• لماذا تكره بطلاتك أمهاتهن، والاسرة بمفهومها البورجوازي عامة؟
هل تريدين التعبير عن عقدة كره الام أم عن رفض المجتمع البورجوازي وقيمه؟

- اريد التعبير عن كره كل « السلطات القمعية » باسم علاقة الدم او باسم المجتمع او باسم الاديان، وكل المؤسسات التي تتحالف مع السلطات القمعية والتي تستمد قوتها من ذلك التحالف، والتي لا تلجأ الى المنطق والتفاهم والمشاركة والوعي بالعدالة. اريد ايضاً القول ان استمرار الاشياء الخطأ زمناً طويلاً لا يكسبها في نظري صفة الشرعية، وانما يجعل التخلص منها اكثر صعوبة. انا طبعاً لا انادي بضرورة جمع الآباء والامهات في افران الغاز وحرقهم، ولكنني ارى ضرورة تطوير مفهوم الاسرة العربية، والعلاقة بين الآباء والابناء.. وهذا ليس ناتجاً عن عقدة فردية ذاتية (فأنا لم اعرف امي لأحبها او أكرهها بسبب موتها واناطفلة). وانما هو نتيجة تأمل فكري موضوعي فيما حولي..

آه ما اكثر الاشياء التي تحتاج الى تبديل، وما أقل أيام العمر!.

• عندما يتحدثون عن الاسلوب، يوصف أسلوبك بأنه جميل، وأنا أستمتع بالومضات الذكية التي تنبثق من سطورك، ولكن ألا ترين أن الاسترسال في تيار الشعور يجعل المرء يصاب بالدوار؟ قولي الصدق: هل تقصدين الى توعية القارىء أم إلى تدويخه؟

- بصدق، لا أقصد أن يكون أو لا يكون اسلوبي جميلاً، على الأقل في أعمالي الأخيرة

« ليل الغرباء » و « رحيل المرافىء القديمة ».. ان اسلوبي يولد هكذا ، كما يولد صوتك معك ، وبصمات أصابعك ولون عينيك..

بصدق أيضاً لا أعتقد أن « توعية » القارىء هي بالضرورة ضد « تدويخه » فنياً.. لكل كاتب اسلوبه المباشر أو الكابوسي ؛ بعضهم يحمل السوط ويقف فوق المنبر وبعضهم يهذي وقد الصق شفيته بأذنك.. كولريدج « الذي تبدو قصائده مثل حلم شفاف ويقال انه كتبها وهو تحت تأثير الافيون » يتحدث عن فكرة المحبة في قصيدته « البحار العتيق » بوعي رائع.. انه « يدوخك » ، لتصحو بعدها وقد غاص في صدرك خنجر الوعي اكثر قليلاً!..

بصدق أيضاً ، لا داعي لان تشترط علي الصدق ، فهو كأسلوبي ، لا أملك إلا ان امارسه..

● في قصة « فزاع طيور آخر » و « عذراء بيروت » وقصص أخرى ينتصر الشر على الخير ؛ هل هذه نظرة إلى الحياة تعتنقينها أم أنها مجرد شطحة فنية جرى بها قلمك ؟

في قصة « فزاع طيور آخر » كنت أرصد الطبيعة البشرية في امرأة عاقر تجاه خادم حامل. هذا كل ما في الأمر! مفاهيم « الشر » و « الخير » التقليدية والمكرسة ليست هاجسي. الحقيقة هاجسي. ولكنني أؤمن أيضاً بالحاجة الى اعادة النظر في مفاهيمنا عن « الخير » و « الشر » بأكملها ، واعادة رسم الخيط الرفيع بينهما ، وربما اكتشاف ان هذا الخيط غير موجود تماماً.. وانه في بعض مواضعه يذوب تقريباً.

ليست لدي أية مكرسات تقليدية اعتنقها واقوم على خدمتها ، أنا شريدة في ضوء البحث عن الحقيقة!.. ولكنني أحب أن اؤكد انني لم اخترع « الشر » وانما أحياناً أجد نفسي مجذوبة الى رصده لانه موجود وحقيقي. ان اعدام بعض اعمالي بتهمة انها شاهدة على وجود الشر لا يعدم وجوده!.

وليست كارثة اذا قلت بأنني افضل الشر الحقيقي على الفضيلة المزيفة ، ويجذبني الشر البريء - أي المتخطي لامكانية اطلاق احكام اخلاقية عليه - اكثر مما يجذبني الخير الكاذب كابتسامات سيدات الجمعيات الخيرية. بل لا بد لي من الاقرار بأنني احب الليدي ماكبث « الشريرة! » مثلا أكثر مما أحب ديدمونة « البريئة! » نكهتها الانسانية « الليدي ماكبث » أحر مذاقاً واشرس وضوحاً وبالتالي فإن لصراعها مع الوجود حجماً أكبر ولسقوطها والتهابها ضياء اكبر!

● الالتزام بقضايا المجتمع العربي شديد في قصصك ، فقد تحدثت بانفعال عن المشكلات

الفلسطينية والهموم الحزيرانية والاعتداءات على الجنوب اللبناني...

هل هذه القصص تعبر عن إيمانك بالالتزام أم ترين أن الابداع حر؟

اؤمن بالابداع الحر ولا تعجبني نظريات « الالتزام » التي تتحول غالباً الى قوة قمع واضطهاد فكري للفنان، ويكاد بعضها، الشديد التطرف، يصير « إلزاماً » للفنان تحت طائلة القاء القبض على رأسه.

واذا كانت اعمالي تتصف « بالتزام شديد بقضايا المجتمع العربي » فإن ذلك نتيجة ممارستي لحريتي؛ وما اكتبه ينبع من داخلي، ومن احساسي بموقعي.. هذا يعني انني لا أدين سواي ممن قد يجدون للابداع مواضيع أخرى وسبلاً اخرى.. انني اكره الاحكام النهائية والقواعد الادبية التي قد تأخذ صفة الحتمية.. لكل سبيله وطريقه، ولكل الحرية في أن يلتقط ما يحلو له من الكهارب التي يبثها الوجود حوله.

بالنسبة لي بدأ الأمر كما يلي: لم أقل أنا كاتبة والالتزام « موضة » ينادي بها النقاد ثم التزمت. لا. مثل هذا الموقف قد ينتج كراسات دعائية لا أدباً. وانما كتبت وحدث الأمر على هذا النحو. هذا كل شيء!!..

الفنان ليس تلميذاً تعطيه موضوعاً انشائياً وطنياً يكتبه. إني اصر على حرية الفنان انطلاقاً من ايماني بأن الحرية لا تتنافى مع الالتزام، بل هي شرط له، وبدونها يجهض الابداع في أي عمل فني.. تغيظني الطريقة التي يتحدث بها البعض عن الالتزام والفن. بالنسبة اليهم، يكفي أن يضم العمل ألفاظاً فجة مباشرة تتحدث عن الثورة وفلسطين كي يصير العمل « فناً ثورياً »، واذا خلا العمل من هذه الالفاظ حكم عليه فوراً بالانفصال عن واقع الشعب دونما أي اعتبار لروح العمل وقيمته الابداعية ومدلوله غير المباشر!..

اسمع أحياناً أغاني « ثورية » يوجعني تفاهة مفهومها للالتزام.. الكورس القديم نفسه، يغني بالانغام النواحية المحنطة الباهتة نفسها كلمات تبدو ملصقة على الاغنية والفاظاً مثل: العمال، الثورة، الفلاح.. كأن ترداد هذه الألفاظ ببغائية هو «الاغنية الثورية »!.. لقد ارتكبت مجازر ادبية وفنية كثيرة باسم الالتزام، والمسؤول الاول عن هذه الفوضى الفنية هي سلطات الاعلام العربية التي ركزت على ضرورة « الالتزام » حتى التغاضي عن الشرط الاول والاساسي وهو الابداع.. الالتزام بدون ابداع هو هيكل طائرة مقاتلة بلا محرك!..

● **من بين قضايانا الاجتماعية، تظهر قضية المرأة في قصصك بعد قضية الوطن، أو**

ملازمة لها.

ترى: هل عثرت على المعادلة الصعبة التي تنشدها عندنا المرأة - المتحررة - الشرقية؟

- من الطبيعي ان تطرح « المرأة - الكاتبة » مأساة استلاب المرأة العربية كجزء من مأساة الفرد العربي، وثورتها كجزء من ثورته على كل ما يشكل اعتداء على انسانيته على الصعيد الاقتصادي والسياسي والطبقي والفكري.. ان المرأة كمواطنة عربية تعاني من كل القيود التي يعانيها أي مواطن عربي بالاضافة الى قيد حزام العفة والافكار المتوارثة عن (تخلفها البيولوجي)... ولما كان الكاتب الصادق هو الذي يعبر عن عذابات بيئته فكرياً وعملياً، ورؤياه المستقبلية بخصوصها فمن الطبيعي ان تعبر المرأة الكاتبة عن عذابات المرأة المعاصرة كامرأة، بالاضافة الى عذابها كمواطنة.

ثم ان محاولة انتزاع المرأة لحقوقها هي جزء من محاولة انتزاع الفرد العربي لانسانيته. وهكذا فمن واجب كل كاتب ثوري ان يكتب « أدباً نسائياً » بهذا المعنى وضمن هذا الاطار.

اما عن المعادلة الصعبة التي تنشدها المرأة - المتحررة - الشرقية، فهي في نظري لا تنفصل أبداً عن المعادلة التي يسعى الرجل الشرقي لايجادها... إنني أميل الى نسف الماضي دون تحفظات، وأنا لا أستطيع قط ان أفهم كيف يمكن لأحد ان يحل معادلة المرأة - المتحررة، في مجتمع ما يزال غير حر، ورجاله لم يذوقوا طعم حرية التفكير الحقيقية منذ عهد بعيد. ولذا فإن حركات تحرير المرأة تظل عديمة الجدوى ومؤثرة ومثيرة للاشفاق اذا لم تنفتح على كل حركات تحرير الانسان المحلية والعالمية، واذا لم تصبح جزءاً من قوى التغيير الوطنية... بهذا المعنى أرى في المرأة طليعة من طلائع تحرير النفس العربية كشرط أولي وأساسي لتحرير الأرض العربية.

وعلى أية حال، فإن قضية المرأة الاديبة تظل في النهاية قضية أدب أو لا أدب. أي ابداع أو لا ابداع.

● **قلت ان القضية في النهاية هي قضية. أدب أو لا أدب. فما هي مواصفات الادب الجيد في نظرك؟..**

- عبارة « مواصفات » احسها دخيلة حين يدور الحوار عن الابداع.

هنالك مواصفات لاعداد تركيب كيمائي معين. هنالك مواصفات في كتب تعليم الطبخ. اما في الادب فالعمل الجيد هو الذي ينسف كل « المواصفات » المتعارف عليها

ليفرض صيغته الجديدة الخاصة (ليست نهائية طبعاً).

منذ طفولتي، حين اكتشفت ذلك الشيء المرعب الممتع الكاوي الذي تستطيع الكلمة ان تصنعه بي اقبلت على القراءة بنهم..

بالنسبة لي كان الادب الجيد هو ببساطة ذلك الذي يخترقني كالبرق. يضيء كل شيء لبرهة، ولكن شيئاً لا يعود بعد ذلك كما كان. ارى كل شيء، او اعي وجود اشياء كثيرة واحس بها، اكثر من ان افهمها.. برق وجداني ينبشني ومطر روحي يغسل عن بصيرتي خدر القيم السائدة وملجأ العادة المزيف، ويفتح كوة في جدار الغموض الكوني المبهم. الادب الجيد لا استطيع تحديد مواصفات له لكنني اعرفه بالحاسة نفسها التي تدرك بها الخيول الوحشية قدوم الزلزال.. اشعر به كما تدرك بعض الحيوانات وجود الينابيع في باطن الارض قبل انبثاقها..

ثم جاءت مرحلة الدراسة الجامعية للادب. واتخمت بعشرات النظريات عن « ما هو الادب » و « نظرية الادب ».. و « النقد الادبي ».. والطريف ان مقدمة جميع الكتب الادبية النظرية تنطلق من الاعتراف باستحالة ايجاد تعريف نهائي لماهية الادب الجيد. هناك (مواصفات) يلاحظ توفرها في الاعمال التي كرست عالمية، ولكنها كلها تنتظر من يضيف اليها مواصفات جديدة او ينسفها باكملها بابداع جديد..

واني بعد أن قرأت كل ما قرأت، مازال الادب الجيد بالنسبة الي هو ذلك القادر على اختراقي بشحناته المضيئة المحرقة التي لا يعود بعدها اي شيء داخلي او حولي كما كان...

تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤

ياسين رفاعية يستجوب

• اتمنى للطليعة المثقفة ان تعمل كفريق واحد.

تتنوع تجربة غادة السمان. تكتب في القصة القصيرة، والمقالة، وأدب الرسائل، وأدب الرحلات، والشعر، ومؤخرا الرواية.. والملفت فيها، انها ربما تكون الأديبة العربية الوحيدة، التي تكتب دون خوف حتى من الرقابة الذاتية ولذلك تجيء كتاباتها على نحو بالغ العفوية والصدق والاصالة. وهي لم تعد بحاجة الى تعريف فكل قارىء عربي يعرفها من المحيط الى الخليج لانها تلك الصادقة التي تضع روحها واعصابها على الورق ومتى كان الاخلاص للفن هدف الكاتب الاساسي، فمن الطبيعي أن يذهب هذا الفن الى قلوب الجماهير. انها واحدة من قلة نادرة تكتب باخلاص وتعاني باخلاص وتدخل تجربة الفن باخلاص أشد. وهذا هو سبب وجودها الدائم في اذهان الناس وحضورها اليومي في الصحف والمجلات.. هذا الحوار يكشف بعض جوانب هذه الاديبة المتميزة.

• أين موقع الادب والادباء في هذه المرحلة بالذات؟

- مهمة الفنان التي لا تتبدل: خدمة الحقيقة والحرية ومقاومة الاضطهاد، ورفض الكذب والتعبير عن الحاجات الحقيقية للجماهير واستشفاف المستقبل.

وفي هذه المرحلة الحرجة التي يمر بها وطننا العربي، وضمن مسيرة الجماهير في حقل الالغام التي يزرعها أعداء الشعب والقنابل الاستعمارية المحرقة التي قد تمطر على رؤوسنا في اية لحظة - نجد موقع الاديب العربي المعاصر هو نفسه موقع الجماهير - وهو الملتصق بها غضباً ونبضاً وثورة ونزفاً، وهو الذي يعايشها في خندق التعبئة والقلق المصيري.

مهمة الفنان العربي في هذه المرحلة صعبة جداً، فالظروف القاسية التي نمر بها

مرحليا قد تدفع بالفنان الى التيه عن ذلك الخط الرفيع جداً الذي يفصل بين ادب الشعارات وبين ابداع أدب مناضل.

ان زخم المعركة، وهول المؤامرات التي يتعرض لها شعبنا العربي، واللعبة الصهيونية الامبريالية التي تدور فوق أرضنا بكل أطماعها التوسعية - هذه المخاطر كلها قد تؤدي بالفنان الى المباشرة والخطابية. وبالتالي الى تدمير فنه..

ومن هنا أعتقد ان مهمة الاديب الاساسية في هذه المرحلة هي ان يحفظ توازن رأسه. ان يحفظ التوازن بين اخلاصه للجماهير واخلاصه لفنه، وان يصل الى الصيغة الصعبة التي لا يتضارب فيها الاخلاصان. وانما يتكاملان ويتوحدان لينتجا أدباً ثورياً عالمياً تفيد منه كل الشعوب المناضلة في كل العصور.

الفنان العربي مطالب بعدم الهرب الى صيد العصافير وجمع الورود النادرة على ضفاف بحيرات النسيان بحجة الاخلاص «لفنه» كما انه مطالب بعدم ارتجال كتابات هي أقرب الى المنشورات الاعلامية العادية والعابرة منها الى الادب الثمين إنسانياً وفنياً وبالتالي: المقاوم.

● لعبت قصصك دوراً مهماً في اطار القصة العربية. أين تضعين نفسك بالنسبة لزملائك وزميلاتك؟

- هذا آخر همومي.. أتمنى للطليعة المثقفة ان تعمل كفريق لا ان ينظر كل فرد فيها إلى نفسه على أنه والي اقطاعية أدبية، لها حدودها وراياتها وجنودها ومعاركها الفردية!..

جيل هو جو المنافسة البريئة على العطاء. إنه محرض وصحي.. وبشع هو جو المكائد والمهاترات والحقد الصغير. ولعل من بعض جو المهاترات ان يتنطع أديب لتقييم نفسه..

الجمهور باقباله على القراءة لكاتب، هو بمثابة تقييم أولي. ولكنه لا يكفي. الناقد الوحيد الحقيقي هو الزمن. وعبر غرباله لا يمر مزيف أو انتهازي واحد.. انك تستطيع أن تخدع جيلا بعض الوقت ولكنك لا تستطيع خداع كل الاجيال كل الوقت. للاسف لن نكون هنا أنا أو أنت «أو أي من الذين يقرأون هذه السطور الان» لنسمع حكم محكمة التاريخ حول أعمالنا!..

● كتاب حب... ●

● آخر كتبك «حب» ليس قصة، وانما لملمة لاعمالك الوجدانية، وصفها بعض النقاد بشارفة الشعر.. ما هي حرفة الكتاب؟

- أردت من كتابي «حب» ومن اصداره في هذا الوقت المعركي بالذات، التذكير ببديهية تكاد تكون منسية والقول ببساطة: الحب ليس نقيضا للثورة. وليس نقيضا للحس بالمسؤولية. وليس نقيضا للجدية في مواجهة قضايا الحياة. وان الدعوة الى الحب هي جزء هام من الدعوة الى تحرير النفس البشرية. وتخليصها مما علق بها من مفاهيم مغلوطة تشوه انسانيتها وتعوق تفجير طاقاتها.

ويبدو أن هذه الدعوة تلقى تجاوبا في نفس الانسان العربي، فقد نفدت الطبعة الاولى في أربعة أشهر. وها هي الطبعة الثانية في طريقها الى النفاد.

● عالم مجنون... ●

● يقولون فيك «بعض» الجنون، كما لو انك تريدين أن تقبضي على كل العالم بقبضتك الصغيرة. كيف تفسرين ذلك؟

- عبثا أمد بيدي الصغيرة الى وجه العالم الحزين لأمسح عنه بعضا من العنف والبشاعة والدماء التي تلطخه.. اصابعي الهشة لا تملك شيئا لصرخات العذاب التي تتصاعد من دماغ الكرة الارضية.. انني ارى بوضوح كيف ينزف ملايين الابرياء في الاقطار النامية وكيف يكافحون من اجل اللقمة والكرامة. أرى كيف تعتدي مؤسسات مجرمة على شعوب آمنة لتطردها من أشجارها وموقدها.. أرى أن اخطبوط البشاعة واللاانسانية الذي يتهدد الفرح كثير السواعد وأيديه حراب ذرية..

بأصابعي الهشة وقلمي الضئيل ومحبرتي الراجفة كزيت مصباح، أحاول أن أواجه هذا الكابوس كله. فكيف لا يشتعل في قلبي بعض الجنون. وأنا أرقب هذا العالم المجنون المجنون؟ ان من يرى بشاعة عالمنا المعاصر، ويتأمله برضى وحياد، دون أن ترتجف يده أو يشهق قلبه ليس انساناً عاقلا. انه المجنون الحقيقي!

● عن السعادة... ●

● هل أنت سعيدة؟

- لست غبية بما يكفي لاكون سعيدة!.. كيف تستطيع أن تكون سعيداً بينما الدم يغسل وجه العالم. والجوع، والمرض، والعذاب، وبالاضافة الى الكوارث الطبيعية كالزلزال والقحط - يجيء الانسان ليضيف الى البشرية مزيداً من العذاب والقسوة؟!.

كيف اكون سعيدة وعالمنا خال من الحب.. الحب بمعناه الشامل (لعل العرب يفضلون تسمية المحبة لارتباط عبارة حب لديهم بعقدهم الجنسية!).. ان الفنان لا يعرف السعادة، انه انسان «يتعذب عذابا ممضا لا طاقة له بحمله من فقدان الرقة في

العالم - لورانس داريل - ».

قد تكون هنالك لحظات نادرة جدا أعرف فيها الاتحاد والتكامل. لحظات سعادة تضيء كالشهب الهاوية. وكل ما تفعله هذه اللحظات هي أن تزيدني وعياً بمدى «لاسعادتي» فيما تبقى من دقائق العمر!

سعيدة؟

«لقد واجهت العداءخصوصاًبين أولئك الذين كانوا يعرفونني معرفة بعيدة دون أن أعرفهم شخصياً. ولا شك في أنهم كانوا يظنونني أعيش حياة كاملة، مكرسة للسعادة، وهذا أمر لا يمكن اغتفاره».

● تحبين السفر.. سفرك، هل هو لمجرد المتعة؟.. أم هو سفر من الداخل، في محاولة نسيان شيء ما؟

- الرحيل ليس عبورا الى الخارج بقدر ما هو رحيل الى الداخل.. وكل خطوة الى قارة جديدة لم تكن أكثر من خطوة الى دهاليزي. ومزيداً من الاقتراب من ذاتي الحقيقية..

«أعرف نفسك» قرأتها ذات فجر دافيء على باب معبد دلفي. وكنت قد وصلت الى اليونان «أتوستوب» مع بعض رفاق التشرد منذ أعوام. ووجدتني انصب خيمتي هناك ثلاثة أيام. لأتذكر، لا لأنسى. واستعدت أحداث رحلة عمري - رحلة الزحف عارية في حقل الزجاج المطحون - وانطلق خلالها ذلك الفيلم المليء «بالصوت والغضب» والعنف والحب والضياع الذي اسمه عمري، والممدود على ثلاث قارات. ولملمت نفسي عن اجنحة الطائرات، ومن تحت اكوام ثلوج أوروبا. ومن خلف قضبان رجال المخابرات والتهديد في آسيا. ولعلي وجدت يومها بصيصاً من ضوء في بحر الظلام والحيرة. وجدت الخيط الوحيد الذي تبقى لي ولم ينقطع. ووحده يربطني الى الحياة..

وربما من يومها بدأت تظهر على نتاجي اعراض ما يسميه النقاد رسميا «التزامي» لقد كشف لي العذاب والفرح اللذان عرفتهما في حياتي: انتائي الحقيقي والوحيد الى قافلة معذبي الأرض والوطن، والخلاص والهرب الفرديان مستحيلان.

● متى بدأت الكتابة؟

- بدأت الكتابة منذ بدأ الزمن يكتب فوق صفحة قلبي بحروفه الكاوية كالجمر. كنت ما أزال في الرابعة عشرة من عمري، حين استعضت بالكتابة عن البكاء والصداقة والحلم.

عام ١٩٦٢ نشر أول عمل أدبي لي وهو مجموعتي القصصية «عيناك قدري».أواخر

عام ١٩٦٣ صدر كتابي الثاني «لا بحر في بيروت» ،بعدها غادرت دمشق. وانتسبت عام ١٩٦٤ الى الجامعة الامريكية في بيروت لاعداد الماجستير في الادب الانجليزي. وكانت حصيلة هذه المرحلة كتاب «ليل الغرباء» الذي صدر صيف ١٩٦٦..

بعدها، سافرت الى لندن لإعداد الدكتوراه في الادب الانجليزي، وعشت بجوارحي كلها حياة اكتشاف للاخرين ولذاتي، وتنقلت بين مختلف العواصم الاوروبية. وغرقت بين مسارحها ومتاحفها ومكتباتها، ومارست القراءة الحرة بدلا من «القراءة الدراسية» وتشردت طويلاً على أرصفتها المزروعة بالبرد والظلمة والغربة.. ثم انتهت رحلتي التشردية الاولى، وعدت الى بيروت والى وطني العربي أشد وعياً بمدى التصاقي بقضاياه، واستحالة وجود هرب فردي. وقد ظهرت تأثيرات هذه المرحلة في نتاجي الاخير «رحيل المرافىء القديمة».

● **هل أنت متفائلة؟**

– نحن نعيش في عالم يسيطر عليه البؤس البشري. ان ثلثي سكان العالم مازالوا يناضلون من أجل الوجود البيولوجي. أي من أجل أن ينالوا أبسط حقوقهم المعيشية من غذاء ومأوى وعلاج وعدالة وحرية.. في عالم كهذا لا يستطيع الفنان أن ينصرف الى صيد الفراشات أو جمع الازهار النادرة أو ممارسة التخدير على ضفاف بحر النسيان.. هذا من الناحية الواقعية والمرحلية التي يمر بها عالمنا اليوم.

اما من الناحية الميتافيزيقية، فالانسان محكوم بالموت منذ لحظة الولادة، والحياة ليست اكثر من غرفة انتظار الموت! وهكذا، فإن أي تفاؤل لا يأخذ هذه المواصفات الموضوعية بعين الاعتبار هو تفاؤل رومانتيكي ومزيف وسطحي. وهو تفاؤل أرفضه كما أرفض أي تزييف لنفسي وللعالم حولي. التفاؤل الوحيد الممكن يمكن أن ينبع من:

١ – الاقرار ببؤس قبيلة الفقراء والبسطاء في هذا العالم.
٢ – العمل من أجل التبديل.

التفاؤل عندي هو إرادة العمل، وهو الوعي بالواقع لا الهرب منه. وهو مواجهة المشكلات. إنني واثقة من ان القيم الإنسانية كالعدالة والحرية والحب لا بد وأن تنتصر. لكنني أيضاً واثقة من ان ذلك لن يتم بسهولة، وأن العبور من مرحلة البؤس الى مرحلة السعادة لن يتم إلا على أشلاء قافلة كبيرة من الشهداء الثوار، من فنانين ومحاربين وفلاحين وعمال .ربما لذلك يبدو تفاؤلي جديد المذاق، فيه طعم الدمع والدم والبارود. طعم الآلام والتضحيات التي لا مفر من تقديمها لأجل الوصول الى عالم أجمل وأنبل.

• **من يعجبك من الكتاب العرب.. وبمن تأثرت منهم؟**

- لم أتأثر كثيرا بالكتاب العرب. وهو أمر اعترف به دونما خجل ولا مباهاة. وانما تقريراً لأمر واقع. تعجبني بعض أعمال يوسف ادريس، ونجيب محفوظ، كما تعجبني أعمال اخرى لكتاب آخرين. ولكن لا يوجد أي كاتب يعجبني نتاجه كله. ولكل أديب سقطة «وأنا أولهم»!

• **ما هي مهمة الفنان؟**

- مهمة الفنان التي لا تتغير مهما تغير العالم حوله وأمطر من مفاجآت، هي باختصار: خدمة الحقيقة وخدمة الحرية، ورفض الكذب، ومقاومة الاضطهاد مهما كان الثمن.

• **كيف تنظرين الى التراث؟**

- ان كل فن لا ينطلق من أرضية التراث، هو كمحاولة زرع سنديانة في الفراغ!.. التراث هو وعاء الجذور. وهو الذي يحفظ للفن كنزه الاول: الاصالة..

والفنان المبدع غير المطلع على تراث أمته هو مثل طائرة عظيمة ينقصها الوقود. ولكن الانطلاق من أرضية التراث شيء. والتوقف عند التراث شيء آخر..

من الضروري غربلة التراث اولاً. واستخلاص الحقيقي والاصيل والانساني منه وإهمال ما تبقى. ليست كل«الكتب الصفراء» تراثاً. وبعضها لا يصلح حتى طعاماً للفئران.

ومن الضروري نبش التراث العربي وغربلته بعين عصرية مجردة. واكتشاف عظيمه وتفهمه. ثم تجاوزه واضافة ابداعات جديدة عصرية اليه. انا ضد تحنيط التراث وتحويله الى جثة تحول بيننا وبين الخلق الجديد، لكنني أيضا ضد اعدام التراث.

المطلوب نظرة جديدة إلى التراث، نظرة لا تكون أسيرة له ولا متحاملة عليه، وإنما تقترب منه بعين البحاثة العصري الواعي لمتطلبات الأمة التاريخية والمرحلية وموقعها من العالم العلمي الذي بدأ غزو الكواكب، ونحن.. يا نحن!

• **هل تحبين الشهرة؟ وأن يتحدث الناس عنك باستمرار؟**

- أحب كل ما يجعل كلماتي تصل الى أكبر عدد ممكن من الناس.. والشهرة احدى هذه الوسائل. أحب أن يتحدث الناس عن اعمالي وعن نتاجي الادبي وأن يعايشوها اعجاباً أو ذماً، المهم أن تصل اليهم.. لكنني لست (مطروحة) على الاطلاق كنجمة اجتماعية أو كأنثى، وأنا بالتالي أرفض رفضاً باتاً أن يكون «شخصي» موضع اهتمام الا بقدر ضئيل جداً. أي بقدر علاقة ذلك بفني.. انني أمنح الناس سطوري، أي جوهري الداخلي.

وما تبقى من « قشور » فهو لي وحدي « أنفقه » كما أشاء .

• هل أنت عفوية في حياتك وفي تصرفاتك مع الاخرين؟

- كيف يمكن لأي فرد عربي ان يكون عفوياً؟ اننا منذ لحظة ولادتنا نفتح عيوننا على سلطة القمع والردع.. داخل البيت السلطة الاسرية قائمة على اصدار التعليمات. تعليمات موروثة من واجب الابن البار الالتزام بها دونما محاولة لادخال الحوار الحر والمنطق في العلاقة العائلية.. في المدرسة العلاقة بين الاستاذ والتلميذ هي علاقة قمعية أكثر منها صداقة ودية.. ثم يكبر الفرد، واذا بالعلاقة بينه وبين المؤسسات الرسمية وغير الرسمية علاقة قمعية. يشعر الفرد انه باستمرار يسير وسط حقل من الالغام وكل وجهة نظر جديدة، أو لفتة عفوية هي خطيئة. اذا لم تكن تتطابق والرؤيا السلفية المرسومة له.

ثمن العفوية في اكثر الاقطار العربية هو السجن، لا القطعية الاجتماعية فحسب. بعد هذا كله تسألني اذا كنت عفوية؟ طبعا لا، لست عفوية بصورة ساذجة.. انني أعي رأيي العفوي، ولكنني حين أعلنه فإنما افعل ذلك عن سابق تصميم وتصور، انا اعرف سلفاً كل العقوبات المترتبة على ذلك. كل الخطايا التي ارتكبها.. اقترفها وانا بكامل وعيي. بما في ذلك عفويتي.. هل ينفي ذلك عن عفويتي صفة العفوية؟

٦/ ١٢/ ١٩٧٤

ممدوح والي يستجوب

- **الجنس موضوع لا اتجنب الكتابة فيه، ولا أتعمد الكتابة عنه.**
- **الجنس حقيقة من حقائق حياتنا، لكنه ليس الحقيقة الوحيدة.**

قلة من الاديبات الشرقيات استطعن التحرر من قيود التقاليد للانطلاق في رحاب الحرية الشخصية ونشر افكارهن بجرأة استحقت غضب المجتمع وثورته في اغلب الاحيان.

وبرزت بعض الاسماء بينما احتجبت اسماء اخرى. وتوقف الادب النسائي عن متابعة مسيرته الجريئة حيث عجزت بعض الاديبات عن تطوير معالجة وضع المرأة في المجتمعات الشرقية.

الا ان هناك بعض الاصوات النسائية ما زالت تطالب باحترام المرأةالعربية ،اقوى تلك الاصوات في عالمنا العربي اليوم هو بلا شك الاديبة السورية والمقيمة في بيروت حالياً غادة السمان التي اندلع صوتها لأول مرة منذ اوائل الستينات حيث تخطت حاجز، المجتمع الشرقي القاسي.

وكان البعض يعتقد ان هذا الصوت الجديد لا بد وان يختفي سريعا مثله مثل بقية الاصوات النسائية التي ظهرت على مسرح الادب العربي. ولم تستطع متابعة المسير.

إلا أن غادة السمان تزداد نضوجاً فكرياً يوماً بعد يوم، والقارىء يلاحظ ذلك من خلال أعمالها الأدبية التي قدمتها.

فنرى الجرأة.. والصراحة. والصدق مع التجربة...

- **لمحة عن حياتك.. تاريخ الميلاد.. المدينة.. الخ..**

- ولدت.. اتعذب.. سأموت..

● ما هي اول مجموعة قصصية نشرت لك ومتى كان ذلك.

- عيناك قدري - صدرت في بيروت عام ١٩٦٢.

● هل هناك اسلوب معين تتبعينه في كتابة قصصك.

- لكل كاتب اسلوبه الخاص المميز. المختلف اختلاف بصمة الاصابع. حين اكتب قصة ما، أترك نفسي - على سجيتها - حرة كالريح، عفوية كالأمواج... لكنني بصورة عامة أميل الى رصد ابطالي في لحظات تأزمهم. ومن هنا كان - ربما - أسلوبي الناري المتوتر.

● بمن تأثرت من الكتاب العرب... والاجانب...

- تأثرت بالكثيرين، ولا أحد. ليس هناك نموذج أقلده.. لكن كل حرف نقرأه يترك آثاره في دمنا الفني ونسغنا الادبي سلباً او ايجاباً. قبولاً او رفضاً... وانا اقرأ الكثير. وألتهم كل حرف تطاله عيني.

● هل هناك تشابه ادبي بينك وبين الكاتبة الفرنسية فرانسواز ساغان.. وما رأيك بأعمالها الادبية.

- هنالك تشابه واحد في نظري: اننا نمارس الكتابة... تبيان وجوه التشابه الباقية او عدمها من مهمة النقاد اما انا فأحب قراءة اعمالها في فترات الاسترخاء.

● الى اي حد يكون مفهوم الشخصيات كاملاً في فكرك.. وهل يتبدل الموضوع او العقدة او البطل اثناء استمرارك بالكتابة.

- نعم في أثناء الكتابة تحدث تبدلات كثيرة حتى لكأن العقدة هي التي تكتب نفسها وفقاً لمنطق عالمها الخاص المميز... أبطالي يتبدلون كثيراً في فترة المخاض وانتقالهم من تصور داخل دماغي إلى لحظة ولادتهم على الورق وانفصالهم عني.

في روايتي - بيروت ٧٥ - التي أنجزت كتابتها منذ أيام كنت قد قررت ان احدى شخصياتها ياسمينة - ستتحول إلى بائعة هوى... في أثناء الكتابة تمردت ياسمينة - وقررت أن تفضل حياة الفقر ومواجهة المجتمع، وكان في شخصيتها الحقيقية ما جعلها تنحو هذا المنحى. وقد خرجت إلي من الورق، ووقفت فوق سطوري وصرخت في وجهي معنفة. متمردة على محاولتي الخاطئة لتحوير قدرها الخاص الذي تضعه هي...

هذا لا يحدث دائما ولكن يحدث احيانا... ونادرة هي المرات التي خططت فيها لقصة وجاءت كما هي على الورق... ونادرة هي المرات التي خططت فيها أصلاً لقصة

قصيرة.... فالأمر اكثر غموضا من ذلك.. ويحدث ان ينتابني شعور بأنني مرهفة مثل جديلة اعصاب عارية. ومكهربة. وهنالك شعور سديمي يعتمل في نفسي، واجلس لاكتب كأن القلم بقعة ضوء ارسلها في مغاور ذاتي لأرى على نورها ما يعتمل في اعمق الاعماق...

• شخصيات قصصك، هل تأخذينهم من الحياة الحقيقية كلهم بلا استثناء.. وهل من السهل تحويل الاشخاص الحقيقيين الى شخصيات روائية.

- شخصيات قصصي هم مزيج مني ومن الاخرين. ونادرة هي الشخصيات التي نقلتها من الحياة الى القصص دونما اجراء تحوير ما... فليس المهم هو النقل الحرفي للحياة. وانما المهم هو ان يكون ابطال القصة احياء بالمعنى الفني وان يكونوا في الوقت نفسه معادلاً موضوعياً لأفكاري.

• هل تعتقدين بأن على الكاتب ان يعني بمشاكل عصره الاجتماعية والسياسية؟

- الكاتب لا يمكن إلا أن يعني بمشاكل عصره السياسية والاجتماعية. هذا اذا كان مبدعاً حقاً... الأديب هو حنجرة الحقيقة، وحنجرة العصر، واية عزلة عن مصادر إلهامه تؤدي بموهبته الى العقم.

• الرأي السائد لدى اغلب القراء على ان الجنس هو العنصر الاساسي في قصصك - الا انني ومن خلال ما قرأت لك لاحظت بأن الجنس في قصصك هو نتيجة لموقف فكري وعملية تواصل حتى تعطي للرواية شكلها المضمون - لا كما يتخيل البعض من انك تكتبين الجنس لذاته - وقد عبر عن ذلك الكاتب الايطالي الكبير ألبرتو مورافيا في روايته الأخيرة - انا وهو - رغم ان الجنس يطغى على جميع مؤلفاته. الا انه في هذه الرواية الاخيرة - الجنس عنده ليس عضوا في الجسم بقدر ما هو شخصية ذات كيان يقوم بينها وبين - الانا، صراع - يعبر عن انفصام البطل - الشيزفرانيا - يبقى رأيك؟!

- الجنس موضوع لا اتجنب الكتابة فيه. ولا اتعمد الكتابة عنه.. اي انني لست معقدة منه بمعنى الهرب منه او الانغماس فيه... الجنس حقيقة من حقائق حياتنا.. ولكنه ليس الحقيقة الوحيدة.... وضمن هذا الاطار اتناوله. وكما اتحدث عن القمع الذي يعاني منه الفرد العربي على الصعيد الفكري والسياسي والاقتصادي وأقف ضده، فإنني أيضاً اقف ضد القمع الجنسي الذي يشتت طاقات الفرد العربي ويسلمه لمهاوي الازدواجية والانطواء او الاستعراضية ويحرمه من انشاء علاقات صحية معافاة مع

المرأة.

• ما هو موقفك الفكري من قضايا العصر..؟

- انطلق من الوعي بجذوري وبديهيات وجودي. فأنا امرأة عربية انتمي الى امة عظيمة تمر بأزمة حادة تتهدد بقاءها بأكمله... وانا جزء من قافلة الغاضبين العرب. المؤمنين بالعمل والعلم والبذل كوسيلة للخروج من مأزقنا المعاصر... قضايا العصر. كلها انظر اليها بهذا المنظار، وتتحدد قيمتها بالنسبة الي على هذا الضوء..

• المعروف عنك ومن خلال اعمالك الادبية انك تحرصين كل الحرص على معالجة قضايا المرأة العربية وبهذه المناسبة نقول: -

ما رأيك بالمرأة العربية.

ما رأيك بالمرأة الغربية..

- استطاعت المرأة العربية ان تخطو في ربع القرن الاخير خطوات كبيرة في درب التحرر والعطاء ونجحت في التحول من فرد مستهلك على هامش ايام الوطن الى فرد عامل ومسؤول وقادر على المشاركة في الميادين كلها...

المرأة الغربية بصورة عامة تفتقر الى بعض الحرارة الوجدانية... هذا حكم غير نهائي. اطلقه انطلاقا من تجربتي الفردية بالاضافة الى الانطباع الذي كونته من اقامتي الطويلة في اوروبا بالاضافة الى قراءاتي..

لا أدري اذا كانت المرأة العربية تستطيع ان تبلغ التحرر دون ان تفقد الحرارة... حرارة العاطفة والقدرة على عطاء الرقة فمن مآسي العصر، فقدان الرقة في هذا العالم الوحش..

• ماذا تعني اليك هذه الكلمات...

الحرب.. السلام.. الليل.. القمر.. البحر.. حب..

- الحرب: اسوأ الحلال عند الشعوب!...
- السلام: مدينة السعادة لكن الدرب اليها مفروش بالجماجم!...
- الليل: حينما تخفي الشمس وجهها خجلاً مما يدور في الارض!...
- القمر: أمير من عصور الاساطير. جميل رغم كل ما فعلته التكنولوجيا به.
- الحب: مشروع جرح!

• غادة تحب؟

- غادة دوما في حالة حب.

● **غادة تكره؟**

- غادة لا تكره، لا لسمو مشاعرها، ولكن لايمانها بأن العمر لا يتسع للهدر. ثم ان - الكره - هو حب بصورة اخرى... انه حب مشحون بمشاعر الالم والمرارة الكاوية. الكره حب يأكل نفسه في الظلام... وأنا أفضل الحب تحت الشمس.

● **لقد كنت في اوروبا من سنة ٦٦ - ١٩٦٩. وبعدها قمت بعدة رحلات الى لندن وباريس وفرانكفورت.. الخ. هل كنت تبحثين عن شيء معين. وهل استطعت التوصل الى هذا الشيء.**

- نعم كنت ابحث عن شيء معين ولم أجده. وما زلت ابحث. ولن اقول لك اسم هذا الشيء فله اسماء كثيرة منها، اليقين.. الانتماء.. الحب.. السلام...

اما اسمه النهائي. فلم أعرفه بعد.

أيار (مايو) ١٩٧٥

اجلال عبده تستجوب

• الفنان ليس اداة بيد أحد حتى ولا بيد الثورة. إنه الثورة!

التقيت بغادة السمان الكاتبة العربية الشهيرة في بيروت في محاولة للتعرف على الفنانة التي تقول كلماتها بكل هذه الجرأة في وطن مازالت المرأة فيه لا تجرؤ على قول كل ما تريد..

• أين تقفين سياسياً؟

– من السهل مثلا ان اقول لك: أنا واحدة من قافلة العرب الرافضين الساعين الى نسف الواقع البائس الذي ترزح تحته بعض الشعوب العربية، ومقارعة قوى الاستلاب المتحالفة مع الاستعمار الخارجي.. لتحرير الفرد العربي من كل ما يمزق انسانيته إجتماعياً واقتصادياً وسياسياً.. ولكن، هل يعني هذا الكلام شيئاً واضحاً؟.. طبعا لا. لذا اكتفي بالقول: لست رسمياً منتظمة في اي حزب من الاحزاب،ولكن متى كانت شهادات «المأذون» وحدها تصنع زواجاً حقيقياً؟..

• ما موقفك من النقد؟..

– ذلك يتوقف على موقف النقد مني. وانا بحكم ضعفي البشري اميل الى النقد الذي يقف في صفي اكثر مما اميل الى النقد الذي يجرحني.. هذه حقيقة بدهية، ولا أدري لماذا يخجل الكتاب عادة من الاعتراف بها، ولكني أقر أيضاً، وبالدرجة ذاتها من الصدق، ان اي مديح مجاني اعتباطي لا يسرني كثيراً.. انني في الحقيقة أتوق الى فهم الناقد لعالمي ولأعمالي. بحيث يكون حبه لها نتيجة صادقة «لعلاقة حب» اقامها مع سطوري،او لعلاقة «تفهم» على الاقل. واذا كانت نتيجة علاقة «التفهم» سلبية، بمعنى انه اذا استطاع الدخول الى صدفة اعمالي ورصد تياراتي الداخلية، وانطلق من فهمه لي إلى عدم الرضا عنها فإن ذلك ايضاً لا يضايقني. ما يغيظني هو نقد العمل من الخارج، وبلا

مبالاة عابر سبيل يمر امام احد اعلانات دور السينما، ويتأمل الصور المعروضة في الخارج، ثم يطلق على الفيلم حكماً مزاجياً، ويطالب الناس باعتبار ما يقوله نقداً. وهذا للاسف يحدث باستمرار على نحو ما في اكثر النقد الذي نقرأه. اذن فشرطي الاساسي لتقبل النقد أيّاً كان دونما غيظ هو ان يكون نقداً حقا، بمعنى ان يكون الناقد هو نفسه مبدعاً وان لا يقل في مستوى ابداعه حين ينقد عن مستوى الكاتب الذي ينقد له. وهذا النوع من النقد نادر وقليل، ولذا فدور الناقد في عملي كفنانة محدود..

● هل تعتبرين ادبك أدباً للجماهير أم للمثقفين؟..

- هذه المعضلة ماتزال الى اليوم تحيرني، فأنا ارفض ان اكتب لفئة معينة «المثقفين مثلا» ولكن، اذا كنت مخلصة في ذلك، فلماذا اتابع الكتابة حتى بعد ان عرفت ان ٨٠٪ من الشعب العربي أميّ لا يقرأ ولا يكتب؟.. هل اقنع نفسي بتلك الاكذوبة الخالدة: انني اكتب للاجيال المقبلة؟ ام اعترف بواقع اناني غريب وهو ان الفنان مليء بطفولة مرعبة، ومصر على ممارسة حرية لا حدود لها وهي حرية الكتابة لانه لا يملك الا ان يكتب، ولا يستطيع لهذه النزوة كبتاً ولا تفسيراً ولا ستراً لعورتها بأقمشة الشعارات المتداولة. سيدتي: انا أكتب لانني أرغب في ذلك! لا اعرف من هو جمهوري. لا أخاطب طبقة معينة. لا اريد التزلف لأحد. ولا أنفض يدي من أحد، وكل ما املكه هو ان احمل محبرتي كقنبلة يدوية وارمي بها، ولتصب الشظايا من تشاء... وليكن ما يكون!..

● ماذا تكتبين الان بعد «بيروت ٧٥»؟..

- اكتب رواية اسمها «السقوط الى القمة». هذه الرواية راوغتني وعذبتني منذ بدأت بكتابتها عام ١٩٦٦، وضاعت مني مخطوطتها الاولى وفرحت لذلك لأنني لم اكن راضية عنها، وأعدت كتابتها ولم ارض ولم استطع نسيانها. علاقتي مع هذه الرواية علاقة موجعة، فأنا لا أستطيع صرف النظر عنها، كما لم ابلغ مرحلة الرضا عنها.. لقد نشرت عدة كتب وأنا، ما أزال أكتبها وتكتبني، وحتى حينما أكف عن العودة إلى مسوداتها أعرف انها تقطن دهاليزي السرية وتتناسل داخل لا وعيي كالنباتات الشريرة الغامضة التي تنمو في ضوء قمر ملعون اسود. هذه الرواية ستكون سقوطي الكبير او نجاحي الكبير، ولكن، متى اتمها؟..

● اي نوع من التأثيرات الاجنبية يمكن ان يكون قد اسهم في تشكيل فنك الروائي؟

- هذا السؤال لا اعتبره، تهمة، ولا اجد من واجبي التنصل منه، لا ريب في ان دراستي للادب الانجليزي واطروحتي للماجستير في الجامعة الامريكية عن مسرح اللامعقول،

وبقية قراءاتي الاجنبية، واقامتي لسنوات في اوروبا، هذه كلها اثرت تأثيرا بالغاً في نتاجي على نحو ما . وإذا كانت لم تؤثر فهذا معناه انني حجر صواني خامد لا يقدح حتى شرراً... والمفروض أن الفنان مرهف كلوحة التصوير الفوتوغرافي لا يمر بشاشته نجم إلا ويسجل حركاته ويختزن نوره ودفأه أو حتى عتمته وصقيعه. انني أقر بكل فخر أن كل حدث مهما كان بالغ التفاهة يؤثر في نتاجي على نحو ما. موت ذلك الطائر هذا الصباح على نافذتي مثلاً، سيكون له أثره في كل حرف أخطه بعد اليوم مهما كان هذا الأثر بالغ الصغر. السؤال هو ببساطة: هل استطعت ان احقق شرط غاندي للانفتاح، أي أن أسمح لرياح العالم بأن تعصف بي دون أن تقتلعني من جذوري؟ هذا ما آمله، وما لا أدريه. لا أستطيع أن اجزم بشيء، كل ما أملكه هو أن أعي الخطر وربما التجاوزه!..

● هل تتخذين الأدب - الرواية بالذات - وسيلة لتحقيق رسالة تتعلق بالمرأة بصفة خاصة، وليس بالأدب؟..

- ارفض ان يكون الادب وسيلة سياسية او اجتماعية، او وسيلة للسلطة او الشهرة او المال او اية رغبة من الرغبات التي يتمنى الانسان تحقيقها. وانا لا انكر بأنني ارغب في تحرر المرأة، لكنني لا اسخر فني وسيلة لذلك. واذا طرحت قضية المرأة في قصصي فذلك جزء من تأثير روح العصر على نتاجي مضافاً اليه رغبتي في تحقيق العدالة الانسانية على كل صعيد. وانا لا انكر بأنني ارغب في تحرير فلسطين، لكن قصصي لم ولن تكون وسيلة مباشرة لذلك، وانا لا انكر بأنني ارغب بشدة في سقوط اعداء الشعب وانتصار الكادحين، لكن قصصي ليست فخاً امرر خلالها منشوراً سياسياً ضد السلطة او معها. الادب عندي غاية بحد ذاتها. حين اكتب رواية، فأنا ارغب أولاً في خلق الحياة.. وهذا الموقف لا علاقة له «بالبرجمانية»، وهو لا يتضارب مطلقاً مع الالتزام الحقيقي، بل انه اكثر المواقف اخلاصاً للالتزام، بل وحتى اكثر المواقف «افادة» لقضايا الوطن.. فقد شاعت في الاعوام الاخيرة مفاهيم نقدية مروعة عن «الكاتب الملتزم»، ونشأت تعريفات سطحية عن مواصفات الادب الملتزم بقضايا الجماهير الكادحة الى آخر المعزوفة. وخلقت القاب سخيفة مثل «الكاتب الثوري» و «الفنان البروليتاري» و «الاديب الجماهيري». ولا ادري لماذا تذكرني هذه الالقاب بالاعلانات على ابواب الكباريهات عن «الراقصة اللولبية» و «المطربة الجامعية» وغيرها من القاب الترغيب، كما لو كان الاديب خمرة في كاباريه، وكلها يهدف الى تحويل

الفنان من خالق مبدع الى كاتب مناشير لدى بعض الحكومات.

الفنان ليس اداة بيد أحد حتى ولا بيد (الثورة) انه ثورة قائمة بذاتها. والفنان كي يظل مبدعاً يجب ان يظل حراً، وان يكون فهمنا له منطلقاً من فهمنا الصحيح للادب..

● ايها أفاد الاخر فيك، الادب افاد الصحافة ام ان الصحافة افادت الادب؟..

- لست من رأي طه حسين والذين يعتقدون بأن الصحافة تفسد الاديب. أعتقد مثلاً أن الافراط في الصحافة يفسد الأديب شأنها في ذلك كما في أي إفراط آخر. أية (نزوة) تفسد الأديب في حالة غرقه فيها. القضية في النهاية هي قضية توازن. الفنان الذي يعرف كيف يتوازن يستطيع ان يحول كل ما يمر به الى مادة روائية خلاقة.. المهم ان تكون موهبته أكبر من كل ما يعيشه وبهذا المعنى اعتقد ان العمل في الصحافة يمكن ان يكون رافداً مذهلاً للفنان الروائي لما تفرضه طبيعة العمل الصحفي من معايشة يومية مع الجماهير والأحداث. بهذا المعنى أقول انني آخذ من الصحافة بمقدار يكفي لإنعاشي دون أن أضيع توازني أو رشدي أو وعيي بحقيقتي التي لا مفر منها: إن قدري الوحيد هو كتابة القصة!!

٩ / ١١ / ١٩٧٥

«ت.ق» - أبو نبيــل مراسل الصبــاح التونسيــة يستجوب

• أنــا أداة تنقــل كهــارب عوالم تمتلكهــا، كما تمتلــك العــاصفــة الشجرة..

غــادة السمــان، تقف اليوم في وسط اشهر الاسماء العربية التي تكتب على صفحات صحف ومجلات العرب.

ولغادة صدرت عدة كتب.

وفي بيروت التقى مراسلنا الخاص «أبو نبيل» واجرى معها المقابلة التالية:

• يقول الدكتور سهيل ادريس عن مؤلفك «رحيل المرافىء القديمة» انه رؤى عجيبة لعالم واقعي واسطوري تحتل فيه مأساة هزيمة حزيران حجر الزاوية، فهل لك ان توضحي ذلك بأن تكشفي عن مرامي هذه القصة والظروف التي اوحتها لك؟

- لقد فعلت ذلك وكانت حصيلته كتابي المذكور «رحيل المرافىء القديمة» ولو كان بوسعي ان اقول ما قلته في الكتاب بأية صيغة اخرى لفعلت.. وهكذا ترى انه لا مفر لك من قراءة الكتاب لتمد جسرك الى اعماقي وتقرأ بنفسك الجواب الوحيد والممكن على سؤالك: الكتاب نفسه!!...

• الى اي حد يمكن ان تنطبق عليك صفة ناقدة اجتماعية؟

- كل كاتب هو بطريقة ما ناقد اجتماعي، بل هو لا يملك إلا أن يكون رافضاً (اجتماعياً)، فالفنان هو العين الجديدة التي ترفض زرع العين الاجتماعية السائدة موضعأصالتها.. الفنان هو الطفل الذي قال للملك في الاسطورة «ولكنك عار ايها الملك» هذا بينما كانت الحاشية تمتدح جمال اثواب الملك العاري!

الفنان يرفض الظلم حتى ولو كان تحت شعار العرف والعادة ويرفض البشاعة حتى ولو كانت تقليداً اجتماعياً توارثناه سلفاً عن خلف، الفنان يطرح الاسئلة على السماء صارخاً، من اين والى اين، ومن البديهي ان يصرخ في وجه المجتمع من وقت الى آخر: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا؟

• هل لك مشاريع ادبية معينة انت بصدد العكوف على انجازها او تنوين انجازها؟

- اكتب خاتمة رواية جديدة اسمها: بيروت ٧٥. بعدها؟ لا ادري، اسلم نفسي لبحر العطاء واترك موجاته العفوية تتقاذفني وتملي علي رغباتي الحقيقية.

قبل ان اكتب «بيروت ٧٥» كنت انوي كتابة رواية بدأتها منذ سبع سنوات (ولم انجزها بعد ولست راضية عنها!) واسمها «السقوط الى القمة»، واعتكفت لاكتب وخرج الي ابطال «بيروت ٧٥»، صاروا يغلون داخل عيوني ويقفزون على اصابعي ويملون إرادتهم علي كي اكتب حكايتهم، بل ان بعضهم تمرد على الاحداث التي رسمتها لهم واصر على تبديل مصيره انطلاقاً من شخصيته المستقلة والحية.

وهكذا ترى أنني عاجزة عن التخطيط حتى في أثناء كتابة رواية، دوماً تتمرد شخصية ما وتقرر ان تملي ارادتها الخاصة علي انطلاقاً من حقيقتها ككائن حي مستقل.

فكيف استطيع ان اخطط وانا مجرد اداة تنقل اصواتاً مجهولة وتلتقط كهارب عوالم تمتلكها كما تمتلك العاصفة الشجرة وتملي عليها ارتعاشاتها وركوعها وانتصابها.

• هل تعرفت على الادب التونسي وهل لك معرفة مباشرة او غير مباشرة ببعض الادباء التونسيين؟

- اني حزينة باخلاص لجهلنا نحن في المشرق ادب المغربيين حتى الآن، فصحفكم لا تصلنا وكتبكم قلما توزع في مكتباتنا، وهذا ليس اعتذاراً شخصياً بقدر ما هو صرخة احتجاج واسف.. فنحن نتحدث كثيراً عن الوحدة العربية لكننا لا نمارس أبسط بديهياتها: المعرفة.. هنالك شبه قطيعة بين شاطىء البحر المتوسط الشرقي وشاطئه الجنوبي..

بالنسبة للادب المغربي فقد تكفلت صداقاتي الشخصية (بالمراسلة) بتعريفي بالادب المعاصر هناك وقد نقلت اليهم شكواي التي اكررها الآن وتم تزويدي بأكثر نتاجهم المعاصر وقد احببت اكثره وأعجبت بنكهته المميزة وكتبت عنه.

ولكنني ضد الحلول الفردية، وحتى لو تكرم بعض الاصدقاء والمعارف التونسيين بتزويدي بنتاج مبدعيهم، تظل المشكلة الاساسية قائمة بالنسبة للقراء بوجه عام: اننا بحاجة الى حل رسمي وجماعي.

خريف ١٩٧٥

أحلام مستغانمي تستجوب

- الكتابة نوع من التعرية الفكرية تحت الأضواء.
- مشكلة الفنان باستمرار: أن يتجاوز نفسه.

• من أنت؟

- أنا حفنة من الجمر والرماد، وستة كتب مطبوعة، هي: عيناك قدري - لا بحر في بيروت - ليل الغرباء - رحيل المرافىء القديمة - حب - بيروت ٧٥ وكتاب سابع (تحت الطبع) هو: اعلنت عليك الحب، وعشرات الكتب غير المكتوبة بعد!

• وراء كل كاتب حدث.. او لحظة تفجير.. فما وراءك أنت؟

- كل لحظة في حياتي هي لحظة تفجير... كل الأشياء التي قد لا يعيرها البعض اهتماماً تخترقني حتى العظم بكهاربها الموجعة او الممتعة، ولكن المنبهة والمحفزة باستمرار... لا بد لي من الاعتراف بأن الأحداث التي تعيرها الجماعات التقليدية اهتماماً كبيراً (كالزواج، الطلاق، الربح، الإفلاس، الى آخر المعزوفة)، هذا النوع من الأحداث هو أقلها تفجيراً لديناميت الأعماق عندي... ونقاط الانعطاف في حياتي كانت غالباً نتيجة حادث من النوع الذي يصفه الناس (بالحادث البسيط) أو (التافه)... من الخارج، يبدو سلوكي احياناً دونما تبرير منطقي، ولكن ذلك لا يهم، وما دام لن يشاركني احد لحظة موتي او قبري، فأنا حرة في اختيار ما يروق لي وحدي!.. وفي جعل كل ثانية من ثواني عمري لحظة تفجير بطريقة ما...

• بدأت معك في نفس الفترة.. كاتبات كثيرات من سوريا ولبنان أمثال كوليت خوري وليلى بعلبكي.. ما سر استمرارك في الكتابة... وتوقفهن؟

- الأسماء المذكورة في سؤالك لا ينطبق الأمر عليها تماماً. كوليت خوري مثلاً لم تنقطع عن اصدار الكتب واعتقد ان لديها حالياً ما يربو على عشرة مؤلفات قصصية.

أما بالنسبة الى ليلى بعلبكي فأنت على حق، وهي لم تطبع كتاباً منذ حوالى عشر سنوات، ولكنها تمارس الكتابة الصحافية اسبوعياً في احدى المجلات الاسبوعية..

أما بصورة عامة، فأنا اعتقد ان التوقف عن النشر لا يعني بالضرورة الكف عن الكتابة.. انه قد يعني ان الفنان مشغول بانتاج عمل كبير مبدع يستهلك اعواماً من عمره.. ان صمت الفنان ليس بالضرورة دليلاً على انطفاء جمرة الإبداع في اعماقه، بل قد يكون دليلاً على غزقه في عمله وتكريسه له أعواماً طويلة من عمره كي يأتي قريباً من الكمال الذي ينشده كل فنان..

واتمنى ان يكون صمت ليلى بعلبكي وبقية رفيقات الدرب من هذا النوع.. ان يكون صمتاً خلاقاً لا صمت الرماد...

●٢ هل المشاكل التي تواجه المرأة العربية الكاتبة.. هي نفس المشاكل التي تواجه النساء العاديات في الوطن العربي؟

- إنها بالطبع المشاكل نفسها التي تواجه النساء العاديات في الوطن العربي عامة، بالإضافة الى أزمة قد تتضخم لديها اكثر من أية امرأة اخرى وهي: **أزمة الازدواجية**... أي وجود هوة بين الفكر والسلوك، بين المعتقدات والممارسة..

والازدواجية هي ابرز امراض الفرد العربي رجالاً ونساء، حيث تتصارع الأفكار الموروثة مع القناعات العلمية الفكرية الجديدة.. ومسرح الصراع هو اعماق الفرد، والنتيجة غالباً: كلام متحرر جميل وسلوك كسلوك عصر وأد البنات.. وهوة مروعة بين القول والفعل.

المرأة الأديبة تعاني من ذلك أسوة بالجميع، لكن الأمر يتضخم لديها، فالكتابة نوع من التعرية الفكرية الحرة تحت الأضواء المسلطة... والممارسة اليومية هي محك الصدق... وحين تدعو الكاتبة الى الحرية ثم تتصرف كلابسات الخلاخيل، تشعر هي قبل سواها بالهشاشة والذل الروحي...

واذا لم تفعل ذلك، وكانت شرسة بما يكفي لتشهر في وجه العالم أظافر قلبها وقلمها في آن واحد، فسيكون عليها أن تحتمل سلاطة ألسنة الذين يرجمونها بحجارة الغضب الاجتماعي..

تظل المشكلة الأساسية والحقيقية التي تواجه كل كاتب وكاتبة في كل زمان ومكان

هي: كيف اتجاوز نفسي باستمرار وامنح الأفضل دائما؟.. ومن اجل ذلك، من واجب الفنان ألا يسمح لأية دوامة جانبية باستنزافه.

• **ما هي مشاكلك الآن - بعد ١٣ سنة من الكتابة؟**

- إنها مشكلتي نفسها التي واجهتني قبل ١٣ سنة حين بدأت: أن امنح، ان اتطور، ان اتجاوز نفسي مع كل نتاج جديد.. من السهل على اية فتاة نصف موهوبة نصف جميلة ان تثير ضجة عابرة في مجتمعنا العربي، والمحك الحقيقي للموهبة هو الزمن... والشهرة رشوة تافهة بالنسبة للفنان الأصيل. إنها لا تخدره ولا تسعده ولا تتعسه، وكل ما تعنيه له هو ان عدداً اكبر من الناس صار يتواصل معه عبر سطوره (وهذا وحده يشكل عزاء عذباً وشفافاً لكنه لا يكفي ليقيم أوده الروحي)... مرض الفنان الوحيد وشفاؤه هو في عطاء الأفضل دائماً... كان ذلك هاجسي منذ خططت سطوري الأولى، وسيظل حتى احتضر...

وربما كان ذلك ما يجعلني اقف بقوة خارج دوائر العلاقات اليومية المألوفة والمشاعر التي تنجم عنها، كمحبة الصديقات او غدرهن، والعلاقات الطيبة او السيئة مع رب العمل وغير ذلك... فأنا في الواقع أواجه باستمرار قضية واحدة اساسية: كيف استطيع ان افهم المزيد عن هذا العالم المذهل الجميل الغامض المتدفق كتباً وعلوماً واسراراً؟..وكيف أطور أداتي التعبيريةوطاقاتي الفكرية؟وهكذا تجدينني باستمرارفي المكتبات اتعلم، وعلى شاطىء البحر وحيدة اتأمل الكون الساحر بفرحة تمساح صغير يطارد ذيله على الرمال في رقصة احتفال بالحياة... هاجسي الأول: ان احيا حقاً وان امنح حقاً... وكل ما تبقى مجرد تفاصيل!

• **مَن الاصل بالنسبة اليك.. غادة المراة.. ام غادة الكاتبة؟**

- لا تناقض بين غادة المرأة وغادة الكاتبة.. العلاقة بينهما علاقة تكامل لا علاقة تنافس.. لست مصابة بعقدة الازدواجية لأنني لست مصابة بحساسية مفرطة نحو كل من انوثتي او فني... انني اعيشهما بارتياح وقبول داخلي عظيم، وامارسهما كما تمارس الفراشة الطيران، وكما تركض الأحصنة البرية في الغابات... هذه أنا ببساطة.. والأمر مريح دائماً حينما تكون حياتنا هي حقيقتنا...

• **هل تؤمنين بالأدب النسائي؟**

- اؤمن بطاقات المرأة المبدعة ولذا لا اؤمن بالأدب النسائي... اؤمن بان المرأة الموهوبة قادرة على العطاء المبدع، أما تسمية «الأدب النسائي» فتضحكني وتذكرني بسؤال

الناس باستمرار: «بنت امولد»؟.. وحزنهم لولادة البنت وفرحهم بالولد... وها هي الأفكار العتيقة البالية تنسحب على رؤية النقاد للأدب،واذا كتبته امرأة صار (نسائياً!)...

الأدب النسائي موجود فقط في عيون الذين ما زالوا ينظرون الى الأدب بعين عتيقة متحجرة، ولكن ذلك السلوك مرحلي وسوف تتجاوزه الأجيال القادمة، وستتندر على جيلنا وأسلوبه (الجنسي) في التعاطي مع الفكر الذي لا أعضاء ذكورة أو أنوثة له!

• ألا تظنين ان «الانتماء» وحده هو الذي يزود الكاتب بالموضوع وبالمد الشعري.. إلامَ تنتمين أنت في الحياة؟

- الانتماء رافد اساسي عظيم من روافد الأدب، لكنني لا احب اطلاق حكم جازم ونهائي في هذا الموضوع قبل الاتفاق على ما تعنيه عبارة «الانتماء» لنا...

كثيرون أبدعوا، وكانوا «ينتمون» الى لا انتمائهم، وكانوا «ملتزمين» بعدميتهم... أنا شخصياً أرفض «الانتماء والالتزام» بالمعنى الضيق للكلمة، وأميل الى تعريف الانتماء على أنه ما يميز الانسان عن الشجرة!.. ما يميز الجنس البشري عن النباتي... بهذا المفهوم الكوني الشاسع أقبل الانتماء، وبهذا المفهوم أضمن حرية انتمائي وبالتالي صدقي الداخلي في ممارسة هذا الانتماء، وبالتالي أضمن حماية موهبتي من التحول الى موظف اعلامي يكتب البلاغات الرسمية المرضي عنها آنياً...

تسألينني إلى ماذا انتمي أنا في الحياة؟ اقول لك: أنا انتمي الى الحياة... كل ما يغذيها وينميها ويجعلها انسانية وجميلة ونبيلة وعادلة أنا معه..

وهكذا فأنا أنتمي الى قافلة الملايين من بسطاء الشعب العربي ومتعبيه، الباحثين عن اللقمة والحرية والعدالة والفرح... وأنا بالتالي ضد كل ما يعطل الحياة، كالأنظمة الاجتماعية غير العادلة، والقوى الخارجية المتحالفة مع أعداء الشعوب العربية التي تمارس سرقة الفرح من عيوننا واللقمة من أفواهنا والأغنية من حناجرنا منذ عصور.. ولكن انتمائي هذا لم يأت نتيجة موقف خارجي، أي أنني لم أتوقف لأقول ذات يوم: يجب أن أنتمي كي أكتب جيداً...

لقد حدث الأمر دونما تخطيط... واكتشفت انني بطريقة ما منتمية، لكنني لست متعصبة لانتمائي، واستطيع ان افهم انتماء البعض للعدم، (اطروحتي للماجستير كانت عن مسرح اللامعقول)، كل ما في الأمر ان ذلك لم يحدث لي - لفترة طويلة على الأقل!-

• ما هي اللحظة التي بدأت فيها الكتابة، واللحظة التي كان يمكن ان تتوقفي فيها؟

□ كأنك تسألينني: متى بدأت التنفس؟ كأنك تسألين سمكة: متى بدأت السباحة... كأنك تسألين عصفوراً: متى طرت لأول مرة؟ ولكنك ايضا على حق... لا بد ان السمكة سبحت لأول مرة ذات مرة، والعصفور طار لأول مرة في يوم محدد وتاريخ محدد، ولكنهم عاجزون طبعاً عن الإجابة، وانا قد بدأت دون ريب في لحظة معينة، ولكنني مثلهم اعرف ولا اعرف...

وأعرف أنك تفهمين ما أقصد!...

• في اعماق كل كاتب بقايا حلم.. بماذا تحلمين الآن؟

- ليست في اعماقي بقايا حلم... فالحلم الحقيقي لا يتطلب من الحياة التطابق معه، إنه يظل أبداً نضراً وجديداً كذكرى عاشقة ماتت شابة... إنه يظل أبداً حاداً وشرساً كثأر صحراوي... إنه يحاول تحقيق ذاته مجاناً دون ان تمزقه خيبة او يهدمه فشل.. في اعماقي حلم ينمو مع الزمن ويتكاثر كنباتات الأساطير...

انه حلم اسمه الحب... أن يعم هذا الكوكب البائس الحب، ان تصير أدوات الحرب في المتاحف وتتفرج عليها الأجيال القادمة ضاحكة من غبائنا.. ان نحيا، ونتواصل حقاً مع الحياة...

اعرف ان الدرب لتحقيق هذا الحلم مفروش بالدم والجثث والضحايا والانبياء والسفاحين، ولكن الحلم يظل حلماً!...

• أنت لا زلت طفلة.. ولكنك أصبحت أماً منذ أربع سنوات. فماذا تفضلين طفولتك أم أمومتك؟

- أنا لست طفلة ولا أمًّا... أنا أنا... الطفولة والأمومة حالات عابرة على وجه الزمن، ويبقى الجوهر الذي يتجاوز هذه المواصفات الموقتة... أنا ذرة كونية تدور في هذا الوجود الشاسع الراكض اللامتناهي... طفولتي وامومتي وشيخوختي واحتضاري ليست في عمر الزمن اكثر من عمر ذبابة تقف لثانية على النافذة قادمة من المجهول والى المجهول...

لا افضل شيئاً ولا ارفض شيئاً... اتفهم حقيقتي المتمازجة وأعي في كل ثانية انتقالي المروع السرعة من لحظة صرخة الولادة الى لحظة شهقة الاحتضار واتقبل كل ما في ذلك من جمال وغصات!.. وأرى أيضاً في الأمومة ولادة جديدة لي... ها انا طفلة من جديد، ولكن اسمي هذه المرة حازم (اسم طفلي)... والأمومة صورة واحدة من صور التوالد والتجدد اللامتناهية التي تقدر عليها الروح الانسانية... الانسان ليس وحيداً وواحداً

الا اذا قنع بذلك. واذا تجاوز فردية المجتمعات الاستهلاكية، فانه قادر على ممارسة عشرات الولادات، على ان ينتشر ويتناسل ويتعدد لا عن طريق التوالد الجسدي الحيواني فحسب، بل عن طريق توالد ما هو اغنى من الرحم وابقى من اللحم.

• **كثيرون يحبونك بالجزائر ويسألون عنك... هل تقولين لهم شيئاً.. وهل ستأتين في يوم للقائهم؟**

- أقول: هذا الحب هو الحقيقي والباقي... حب الذين يعبرون المسافة الى اعماقي على جسر حروفي... فحروفي هي حقيقتي، وهم بالتالي يعرفونني أنا حقاً ويحبونني أنا حقاً... وهذا رائع ومخيف في آن واحد... رائعة هي المحبة، ومخيف هو الثمن الذي علينا ان ندفعه كي لا ينزلق زئبقه الثمين من كفنا وأصابعنا التي تغزل الكلمات كما تغزل دودة القز حريرها: من حياتها...

هل سآتي للقائهم؟ ولكن، أليس هذا ما أفعله مع كل سطر أخطه؟

٢٩ / ٤ / ١٩٧٧

ابتسام عبد الله تستجوب

• ايها اكثر غزارة: الحبر أم الدم؟

- غادة السمان ما تزال هي تلك الغادة التي اعرفها ويعرفها القراء، الكاتبة ذات الشخصية المتميزة التي لا تعرف الزيف والنفاق، والشيء الذي تغير فيها هو نضج وعيها السياسي والذي كان لأحداث لبنان دوراً رئيساً في تبلوره. فغادة السمان عاشت احداث بيروت ليلة بعد ليلة وفضلت البقاء في لبنان بالرغم من الفرص العديدة التي سنحت لها للهجرة الى الخارج..

وفي خضم تلك الاحداث المؤلمة التي يعيش فيها لبنان.. كتبت غادة السمان روايتها الاخيرة «كوابيس بيروت» والتي اهدتها لعمال المطبعة الذين واصلوا عملهم مع زخات الرصاص من اجل نشرها في الموعد المحدد لاصدارها.

ومع غادة السمان. كان لنا لقاء وكانت محاطة بالاوراق.. «كما تجدين.. جئت لقضاء بضعة ايام في بغداد. ولكنني لم اشاهدها ولن اشاهدها لانني سامضي الوقت في الكتابة للصحافة العراقية التي رحبت بي عبر اسئلتها الكثيرة».

• عشت احداث بيروت بكل ابعادها.. ما تأثير هذه الحرب عليك كأديبة وصحفية!

- تسألين عن تأثير (الحرب) علي كما لو انه كان هنالك (سلام) قبلها!.. سيدتي: الحرب كانت دوماً قائمة. وكانت تتقمص باستمرار اجساداً مختلفة من بينها جسد السلام، وجسد رخاء المجتمعات الاستهلاكية المزيف.

الحرب؟ انا الحرب. الفنان في حرب دائمة ضد قوى الاستلاب التي تشوه إنسانيته وإنسانية الفرد العربي. الفنان في حرب مستمرة من أجل أن تشرق الشمس للجميع، وفي لبنان كان هنالك من يصر على أن الشمس رغيف الأثرياء فقط، وان الشمس أعجمية الهوية فقط، والدها بحار اميركي وأمها فينيقية!.. وان الشمس (انعزالية) لا تقول «صباح الخير» باللغة العربية.. كانت الحرب مستمرة منذ زمن بعيد تحجبها

عشرات الأقنعة. وكان الناس يموتون باستمرار قهراً وكمداً وغضباً وتصير أجسادهم مجرد توابيت متحركة في الشوارع تخفي موتهم السري..

كل ما حدث مؤخراً هو ان (الكاباريه) احترق، والجرح تعرى من اربطة السوليفان والشرائط الملونة..

وها هو الجرح يمتد عارياً من المحيط الى الخليج. ويتأجج وتنفجر منه ينابيع إمكانية مستقبل لا يصنعه غير الفداء.

• كانت بيروت مركزاً من مراكز الثقافة المهمة في الوطن العربي، وبطبيعة الحال، فإن احداث لبنان المؤلمة قد اثرت على ذلك كثيرا. في رأيك هل ستستمر بيروت في تأدية مهمتها الثقافية التي توقفت الان ام انها ستستعيد مركزها السابق.

- لا نريد لبيروت ان تستعيد (مكانتها السابقة). نرفض ان يعود اي شيء كما كان. لقد قدمنا عشرات الالاف من القتلى كي لا تستعيد بيروت (مكانتها السابقة) وانما كي تكون لها مكانة (لاحقة) ذات مرتكزات جديدة.

لم تكن بيروت حقا (المركز الثقافي في الوطن العربي) وانما كانت مسرحا جيدا (للتظاهرات) الثقافية في الوطن العربي. كانت ديكورا ممتازا تصب فيه مختلف الفعاليات الفنية الثرية من مختلف القرى والعواصم العربية.

نريد ان نصنع من بيروت مركزاً حقيقيا للاشعاع العربي، بمعنى الابداع والفعل، لا بمعنى المركز التجاري المثالي. اننا اليوم نطمح الى ان نلعب دوراً عربياً يتعدى دور الفندق الممتاز لعقد المؤتمرات... (والمؤامرات ايضا!).

نطمح الى ان نبدع بالرؤيا، لا ان نكون شاشة عرض لها فقط!.

• نقول ان الاديب يقاتل بالكلمة.. الا تجدين ان الظروف التي تمر بها لبنان ترغم الاديب على اتخاذ موقف اكثر ايجابية من احداثها؟

- تمر لحظات شك موجعة، يتساءل الفنان خلالها: ايها (أغزر)، الحبر، ام الدم؟ أيهما أمضى: الرصاصة ام القلم؟...

وهل «السيف اصدق انباء من الكتب» أم لا؟.. وهل من حق الفنان ان يتحول من كاتب مبدع الى مقاتل رديء؟ وهل هذا من واجبه؟ وهل على الفنان ان يمارس ماسوكية ذاتية موجعة كلما شبت حرب؟

القضية شاسعة ومريرة، وفي روايتي الاخيرة «كوابيس بيروت» وعلى طول ٥١٠ صفحات محاولة للاجابة على هذا السؤال.. تريدين معرفة نعم أم لا؟ بصراحة: مازلت لا

ادري تماماً. وسطوري هي خطوات في درب البحث عن الاجابات المختلفة اللامتناهية...

يظل السؤال قائماً: ما معنى « الموقف الاكثر ايجابية »؟ وهل هو « قاعدة عامة »، أم انه موقف يتخذه الفنان انطلاقاً من قناعة داخلية لا من مجرد حس بالذنب غير مبرر.

في زمن الحرب لا أحد يطلب من الخباز ترك الفرن وحمل السلاح، فالخبز ضروري للمقاتلين.

ماذا عن خبز الروح والفكر الذي يقدمه الفنان؟ ولماذا يكسر فرن عطائه؟.. وما جدوى ان تدمر السفينة بوصلتها لتقذف بها بالمنجنيق بدلا من الحجارة؟.. سيدتي: مازلت لا ادري تماما. انني باستمرار في الدرب الى اليقين، لا اصل ابدا.. ولا اضيع أبدا... وربما لذلك مازلت اركض... واستمر...

● قيل عنك بأنك قد « ادمنت على السلاح »، بل ان هذه العبارة وردت في مقابلة اجرتها معك احدى المجلات العربية ماذا تقصد المجلة بذلك؟

- انطلاقا من جوابي السابق، ولأنني اعيش حقا ما أقوله، تدربت في بيروت على استعمال السلاح، وكانت تجربة مذهلة... ارتداد الرشاش العنيف الى الصدر كلما اطلقت طلقة (كأنما القتل مزدوج بطريقة ما)... ذلك الطنين المروع في الاذنين بعد اطلاق مخزن الرصاص بأكمله (مشط الكلاشن)، طنين يخمد الاصوات الداخلية الهامسة التي هي غالبا صوت الصفاء.. وبعد عدة (صليات) من الرصاص، وبعد عملية (سحب الاقسام) وصوت الحديد البارد القاسي والحاسم، تأتي لحظة جنونية من الافتراس... ببساطة يصير الانسان عاجزاً عن التوقف... لقد شعرت بشيء استطيع ان اسميه (الثمل بالسلاح) كأن في عملية اطلاق الرصاص بحد ذاتها سحراً وحساً داخلياً بالعظمة فيه بعض من المشاركة بعملية الخلق والقتل...

السلاح: اتقن التفاهم معه كي استخدمه أنا، لاهو!..ولذا مازلت اعاقر السلاح لأجل الدفاع عن حياتي فقط.. اذا هوجمت فقط.. لكنني احيانا افكر: اولئك الذين يقاتلون ضد مبادئي الفكرية الا يتآمرون على حياتي؟ وبالتالي، أليس القتال ضدهم نوع من الدفاع عن النفس؟..

١٢/ ٥/ ١٩٧٦

ليلى السايح تستجوب

- **بعـض الكتـاب ينتظر المنتصر ليصفق له.. وهؤلاء هم خصيان الأدب.**
- **كل كتابة مبدعة هي نسيج حي يحمـل في خـلايـاه ديناميـت التبديل.**

•• ما هي النقطة الاساسية او المركزية التي يدور حولها فعل الكتابة في قصصك.. والى ماذا تهدف في تفجيرات مضامينها..؟

- تتوق قصصي الى ان تكون صرخة من أجل تحرير الفرد العربي خاصة والانسان عامة من كافة قوى الاستلاب التي تشوه انسانيته.. تتوق حروفي الى أن تكون لمسة حنان في ليل الكفاح العربي والانساني، لا للمرأة فحسب، بل لكل فرد من ملايين المعذبين في أمتنا العربية.

تتوق حروفي الى أن تكون سوطا من نار يلسع أفئدة جلادي الشعوب، ويوقظ المخدرين عن حقيقة مأزق أمتنا..

تتوق حروفي الى أن تكون شرارة من شرارات الثورة لتحرير رقعـة الارض العربيـة، ورقعة الارض النفسيـة والروحيـة للفرد العربي.. وتكسير أصنام القيم الاجتماعية المتوارثة، بعد غربلة التراث بحيث نتبنى أصيله كأرضية لجذور انطلاقنا، ونلغي هجينه.

تتوق قصصي الى أن تكون جمرة في - ليل الغرباء - وصرخة من أجل الفرح والعدالة والحرية في زمن - رحيل المرافىء القديمة.

ولا أدري الى أي مدى استطعت تحقيق بعض ذلك، كل ما أدريه هو أنني كادحة،

في حقل عملي، والكتابة عندي ليست فعل رفاهية، بل اشغالاً شاقة تتطلب متابعة مستمرة لكل ما يصدرعن العالم من كتب ولكل ما صدر، وبعداً عن تفاهات الحياة اليومية مع التمييز بين ما هو تافه، وما هو أساسي - ولو بدا بمنظار قيم مجتمع ما غير هام - وتتطلب معرفة بالتراث قبل التجرؤ على رفضه او تبنيه..

وتتطلب نظاما خاصا في الحياة الاجتماعية والعملية بحيث تكون البوهيمية منظمة والجنون مروضاً.. وتتطلب عشرات الاشياء الاخرى منها التوازن الداخلي بين الارادة والمعاناة الذاتية بحيث لا تدمر التجارب الفنان وانما تغنيه.. وغيرها وغيرها..

وربما لذلك أطلق - جوته - في رائعته «فاوست» صرخته الشهيرة: الحياة قصيرة والفن شاسع...

• ما هو موقع القصة في فعل تغيير العالم..؟

- تغيير العالم ليس سهلاً... انه طموح الانبياء والشعراء والفلاسفة والابطال والاطفال.. والمجانين..!

وكل كتابة مبدعة - قصة قصيرة كانت أم رواية أم قصيدة - هي نسيج حي يحمل في خلاياه ديناميت الثورة، ورؤياه الخاصة لعالم أفضل.

من هنا تأتي أهمية القصة المبدعة كأداة تحريضية ضد القمع، وضد الاستلاب السياسي والاجتماعي والروحي والجنسي أي ضد كل ما يشوه تكامل انسانية الفرد والعيش في مناخ من العدالة والحرية الواعية المسؤولة.

• • الى أي مدى نجحت - في رأيك - في تحقيق ما هدفت اليه من خلال قصصك.. وتتوقات قصصك..؟ هل تشعرين أن الصرخة من أجل التحرير.. قد وجدت سبل الايصال... هل وجدت: (السوط - الشرارة) وقد تحولت إلى فعل حقيقي...؟

- لا أدري.. وأنا آخر من يستطيع رصد ذلك..

لكنني لا أكتم عنك شعور الغبطة الذي ينتابني، حين أرى نتاج كاتبات ناشئات يأخذ طريقه بجرأة الى النشر، بصورة خاصة حين ألمح بين السطور شرر الموهبة.. اشعر بأنني ساهمت في شق الدرب بطريقة ما..

ولا أكتم عنك فرحتي حين ألتقي، وشبان مكافحين في بعض الاقطار العربية، خرجوا من السجن السياسي وعلى شفاههم بعض ما خطته سطوري.. حينما استمع الى حكايا كفاحهم، اشعر بأن حروفي قد تحولت الى رجال أحياء.. فالحرف الذي لا يتحول

الى روح تسعى في جسد انسان يؤمن به، ينقلب من حرف الى تابوت مزخرف.

● وسط تفجرات غضب الشعوب.. وسط معاناتها لنيل حقوقها.. وسط الحروب.. تخلق مناخات أدبية معينة يتحتم فيها على الكاتب أن يتخذ موقفاً ما، في هذه الحالة المرحلية الصعبة.. بالنسبة لبيروت صمتت اصوات وعلت أصوات.. ما هو في رأيك موقع الكاتب من الانتقالات التفجرية للشعوب.. وموقع الكتاب المتواجدين في لبنان بالذات..؟

- موقع الكاتب هو موقع الصدق مع نفسه وموهبته من ناحية، وصدقه مع شعبه ومسؤوليته تجاهه من ناحية أخرى.

أحياناً يقع تناقض مرحلي بين الامرين. ولكنه تناقض تكتيكي لا استراتيجي.

فمن حيث المبدأ، لا تناقض بين الصدق مع الذات والصدق مع عالم الاخرين، بل ان الفن الحقيقي هو القدرة على صهرهما في بوتقة الابداع والوعي بالمدلول الحقيقي للالتزام كقوة تنبع من الداخل الذي يصير امتداداً عضوياً (للخارج).

ولكن لكل أديب أسلوبه في ولادة العمل الادبي.. بعضهم يحتاج الى اختزان التجربة في أعماقه زمناً طويلاً ريثما تنضج متحوّلةً من فحم خام إلى ماس عطاء.

أولئك يتعرضون غالباً لضروب الاضطهاد كافة من جانب بعض النقاد (الثوريين) الذين يطلبون من الكاتب ردود فعل فورية وآنية مما يتسبب احياناً في اجهاض العمل الفني وتحوله من نتاج حي إلى كراس حزبي أو نثر تقريري خطابي الحماسة...

لبعض الكتاب النادرين، القدرة على الابداع السريع والتفاعل مع الاحداث وتمثلها دون ان يتم ذلك على حساب القيم الفنية للعمل الادبي.. واولئك يفوزون غالبا برضى القراء والنقاد على السواء.. ولكن ذلك لا يعني بالضرورة انهم اكثر موهبة من سواهم، كل ما في الامر هو ان موهبتهم مختلفة.

بعض الكتاب يصمت، لا لضرورات أدبية وانما لضرورات (أمنية)... بعبارة اخرى، بعضهم تجنب الكتابة عما حدث ويحدث في بيروت، لا انتظاراً لنضج العمل الأدبي في ذاتهم وإنما طلباً للسلامة... إنهم ببساطة ينتظرون المنتصر ليصفقوا له أيّاً كان.. هؤلاء من فصيلة خصيان الأدب الذين يعتاشون من مدح السلطان كيفما كان. باختصار، حينما يكون صمت الفنان نابعاً عن جبنه الشخصي وخوفه من القتال بالكلمة، يصير صمتاً بائساً ذليلاً يدمر موهبة صاحبه ويصيبها بالعطب...

أما حين يكون صمت الفنان نابعاً من سعيه الحقيقي لانضاج نتاجه، فاننا لا نملك

إلا احترام موقفه الصادق والنقي أياً كانت الظروف.

وفي نظري، اسوأ انواع الكتاب هم الذين ينتظرون المناسبات العامة لركوب موجة (الوطنية) ويغرقوننا بتفاهات فنتازية يشفع بنشرها انها تتملق الفاظاً جماهيرية مثل (البسطاء - الدم - الخبز - البندقية - الفداء - فلسطين) دون ان تملك اي نصيب من القيم الفنية.

ان مولد الادب الثوري لا يجوز بأية حال ان يتم على حساب القيم الفنية.

● في الكتابين: « حب ». و« اعلنت عليك الحب » اتخذت اشكالا ومضامين تتفاعل مع موسيقية الشعر والشاعرية. فهل يعني هذا انك تمتطين « مهر انتقال » من النثر الى الشعر.. ام انها تجربة مرحلية او آنية دافعها زخمك الشعري.

- لا. ليس جسرا للانتقال من النثر الى الشعر وانما هو - كما حدست - تجربة من تجاربي الكثيرة قد يكون سببها ما اسميته (زخمي الشعري). سأظل اكتب القصة.. سأظل اكتب في الصحافة.. سأظل اكتب اي شيء ارغب في كتابته.. سأظل اكتب واكتب وسأترك نهر الابجدية يتدفق من اعماقي دونما خوف او مبالغة في التخطيط، وسأظل بركاناً من الاسهم النارية الملونة في ليل المخاوف والتردد.

٣/ ٢/ ١٩٧٧

ياسين رفاعية يستجوب

- **الأسلوب هو جسد الأفكار.**
- **كل كتاب أنجزه، كوجه حبيب سابق عبر نافذة قطار مسرع.**

• هل كانت «كوابيس بيروت» التحامك الاول المباشر مع الاحداث؟ وكيف استطعت المحافظة على هدوئك من جهة. ثم تلك النظرة الحيادية الى معركة لم تعرفي بعد منتصرها من منهزمها؟

- «كوابيس بيروت» ليست التحامي، الاول مع الاحداث. هذا أولاً، وثانياً: لم احافظ على هدوئي. وثالثاً: لست حيادية.

أي عمل أدبي، هو التحام مع الاحداث بطريقة ما، ولكن طبيعة (كوابيس بيروت) جعلت هذا الالتحام يبدو بشكل جلي وواضح أكثر مما في اعمالي الاخرى السابقة.

أما عن هدوئي، فاعترف لك انني لم أحافظ على هدوئي، بل حافظت على جنوني.. وذلك وحده مكنني من الكتابة، ان عملاً كهذا لا تستطيع أن تكتبه بهدوء، كما تأكل الخيار المملح على شرفة المساء، نعم، لقد حافظت على جنوني وعلى وعيي في آن معاً. وكان الأمر مؤلماً ومروعاً.

أما عن حيادي، فأنا لم أكن حيادية، كنت أحاول أن أكون «موضوعية» قدر الامكان. لكن «الموضوعية» لم تقدني الى الحياد، بل الانحياز.

لقد كنت حيادية، بمعنى أنه لم تكن لدي أية ولاءات مسبقة وانحيازات سلفية طائفية أو عشائرية، ولكنني أيضا ضد تغريب لبنان، وضد تقسيمه، وضد استمرار نظامه السياسي الكرنفالي المهترىء، وضد نظامه الطبقي غير العادل، وضد تسلط أقلية ترتبط مصالحها بالاستعمار، على مصالح اكثرية الشعب الساحقة وخبزها، وشمسها ودمها، وضد تغليف الصراع العادل لشعب لبنان وجماهيره المكافحة بأقنعة الطائفية

الدينية، وضد الدعوات المشبوهة الانعزالية التي تؤكد بأن لبنان ينحدر من أم فينيقية وبحار امريكي من الاسطول السادس مر بشواطىء بيبلوس.

اذا كان هذا حياداً، فأنا إذن محايدة. حينما وطني يلوح بذراعيه وهو يغرق. لا أستطيع أن أكون « محايدة » كل ما أملكه هو أن أكون « عادلة ».

• هذا يجرنا الى سؤال اخر.. هذه « الموضوعية » ألم تجعلك في منأى عن الالتزام حيال هذه الحرب، التي من المفروض ان كل طرف يحارب من خلال معتقداته انه على حق؟

- نعم، لقد كنت دوماً في منأى عن الالتزام الفج، الالتزام « الصوري » الشكلي. الالتزام المسعور. الالتزام الموتور. الالتزام أحادي النظرة، العاجز عن الانصات الى وجهات النظر الاخرى. لأنني أؤمن أن الانصات الى ما يقوله خصمي قد يقودنا الى ازالة سوء التفاهم فيما بيننا، أو أنه سيقودني الى مزيد من الايمان بموقفي. انني في استمرار، بمنأى عن أي التزام يلغي انسانيتي، ويلغي حقي في أن انظر الى هذا الوجود بحب، انني ككاتبة انظر بحب وحنان حتى الى اعدائي، وأظل اراهم كبشر قابلين للخطأ والصواب، لا كرموز ميتافيزيقية للشر النهائي.

لقد آمنت دوماً بأن الثائر الكبير هو عاشق كبير، انه يعشق قيم الحق والخير والعدالة، وهو على استعداد للحياة من أجلها والموت من أجلها - اذا كان لا مفر -... وآمنت دوماً بأن الثورية هي النظر بحب الى هذا العالم، وبحنان الى مخلوقاته، وبالتالي فأنا لا أفهم الالتزام على أنه تعنت شبيه بتعنت المتعصبين دينياً، بل أراه قدرة دائمة على الفهم وعلى المحبة. وربما على القتل، ولكن.. بمحبة تفوق الحقد.

• لنأت الى الناحية الفنية.. من حيث الاسلوب الذي اتبعته في رواية الاحداث على طريقة الكوابيس، لماذا لجأت الى ذلك؟

- الاسلوب هو جسد الأفكار، والأحداث اختارت اسلوب الكوابيس ولجأت اليه للتعبير عن ذاتها.

الكوابيس أولاً، ثم يجيء الحلم.. لقد حدث الامر على هذا النحو!..

• هناك من يقول ان هذه الكوابيس اقرب الى اليوميات منها الى العمل الروائي المتماسك. ما هو ردك على ذلك؟

- هناك ايضاً من يقول العكس.. وهناك ايضاً من يقول شيئاً آخر.

ذلك يتوقف على مفهومنا « للرواية » ومفهومنا « للعمل الروائي المتماسك ».

و « كوابيس بيروت » كأعمالي كلها ، لا تلتزم بتنفيذ مواصفات خاصة من المتعارف أنها تميز « العمل الروائي المتماسك » لأنني أؤمن بأن الروائي المبدع هو الذي يضيف الى ما سبق دونما خوف.. ويحاول أن يتجاوز نفسه وسواه باستمرار. ولولا ذلك الاحساس، لانتفى الابداع... ولو أذعن شكسبير لمواصفات معاصريه عن « المسرح الجيد المتماسك » لما قرأنا حرفاً واحداً له... وقد وجد عدداً كبيراً من النقاد الذين قاموا بمهاجمته ، لأنه لم يتبع « القواعد المقدسة » للمسرح الاغريقي « والنظريات الارستوطالية » التي كانت سائدة يومئذ كميثاق لا يُمس ودستور مسرحي متناهي الكمال... وجاء شكسبير ونسفه..

والرواية كائن حي يتطور باستمرار.

لقد كانت رواية « بول ريد » واسمها « حياً » من اجمل الروايات التي صدرت في السنين الاخيرة ، واكثرها مبيعاً - على ذمة التايم والنيوزويك - وهي تجديد لفن الرواية اذ انها حوار مع الاحياء واقرباء فريق الركبي الذي سقطت به الطائرة في جبال « الاندز » بين الثلوج ، حتى اضطر الناجون الى أكل لحم رفاقهم الاموات المجلد. يستطيع أي ناقد أن يقول: انها ليست رواية ، وانما (ريبورتاجاً صحفياً) ، ويستطيع ناقد آخر أن يجد لها تسمية اخرى. التسميات لا تهم. المهم هو ذلك الشعور الذي تخلفه عملية قراءة الكتاب.

« سولجنتسين » أصيب بالسرطان ، ودخل مصحاً ، وكتب بعدها رواية « خلايا السرطان ». ليس في الرواية حبكة قصصية بالمعنى التقليدي ولا خاتمة بالمعنى التقليدي. ومن السهل على أي ناقد أيضاً أن يقول: هذه يوميات الكاتب في المصح.

لكنها عمل مبدع.. لكنها بطريقة ما رواية ، ان التسميات تتوقف على فهمنا للرواية كعمل حي مبدع قابل للنمو والتطور والتبدل ، أو كعمل محكوم سلفاً بقوالب لا يحق له الخروج من سجنها كالاحذية الحديدية لفتيات تعوق اقدامها عن النمو.

• « كوابيس بيروت » هي اكبر اعمالك حتى الان.. هل تعتبرينها بداية جديدة لك؟

- بصراحة: لا أدري. لست متأكدة مما تعنيه عبارة « بداية جديدة ». كل هذه التسميات والكليشيهات النقدية لا أستطيع التعاطف معها. بداية جديدة ، بداية عتيقة ، صفحة جديدة في تاريخي الادبي.. لا أشعر بأن حياتي كتاب يتألف من صفحات منتظمة ومتلاحقة ومتساوية الحجم واللون والقطع كصفحات الكتب.. أشعر بأنني مثل صفحة غيم. تنتشر أحياناً على وجه السماء وتشف.. وتتراكم أحياناً مزمجرة رعداً وبرقاً...

وتهطل أحيانا مطراً يمتزج بالبحر ليتبخر من جديد... البدايات والنهايات ممتزجة ومتلاحقة ويستحيل فصل بعضها عن بعض، كما يستحيل فصل موجة عن اخرى، رغم انها تبدو من بعيد منفصلة.. أما من الداخل، فلا.. من الداخل لا أستطيع أن أحس كلمة «بداية جديدة» مع أنه كان من السهل جداً أن أجيئك بكليشة مقبولة نوعاً ما مثل «كل عمل أدبي لي هو بداية جديدة». كم هذا مضحك وهزلي لأنه غير حقيقي تماماً. من الداخل يطلع اليك صوتي وأقول: لا أدري.

من الخارج قد يكون للنقاد رأي اخر. ومن حقهم قوله، كما من حق كل عابر سبيل على رصيف الكورنيش أن يحدق في البحر قليلاً ويقسم بأن كل موجة فيه منفصلة عن الاخرى.

● هل صحيح ان «بيروت ٧٥» كانت النبوءة و«كوابيس بيروت» هي التحقيق.. وهل من منجى بعد ذلك؟.

- نعم. لست عرافة. لكنني اقول لك إن الأمر سيستغرق وقتاً طويلاً.

● الا تشعرين بارتباك في استخدام لغتك الشاعرية المميزة في رواية الاحداث اليومية المباشرة، خصوصا في «كوابيس بيروت» التي هي مستمدة من الحرب الاهلية والتي كانت تفرض عليك في كثير من الاحيان ان تنساقي في واقعها المباشر؟

- لا اشعر بارتباك، لأن لغتي الشاعرية ليست «فخاً» تسقط قصصي فيه، بل هي اداة أحتاجها احياناً انطلاقاً مما أرغب في قوله، وأستخدمها حينما تكون ملائمة للمادة التي اعمل عليها. انها ليست غاية بحد ذاتها. بل هي وسيلة اختارها حين اجد فيها الجسد الصالح لأفكاري.

● اذن، كيف تفهمين لغة الكتابة، اذا سلمنا جدلاً ان الرواية، كما هي القصة، كما هو الشعر في الاول والاخر: ادب. والادب يجب ان يرتفع عن مستوى اللغة اليومية، او لغة الجرائد التي هي وسط بين الادب واللغة المحكية؟

في كتابه «الوهم والواقع» رسم الناقد «غودويل» الفرق بين اللغة الشعرية واللغة النثرية، فلغة الشعر «ترتكز على التداعيات المؤثرة آنياً للمفردة» في حين ان القصة تلجأ اولاً الى «الموضوع» والرواية بالتالي لا تتألف من كلمات، بل من مشاهد وأفعال وقادة، ففي الرواية تصبح اللغة نوعاً من الغلاف الشفاف الذي نراقب «الفعل» من خلاله.

وفي دراسة لـ «فيليب راف»، نجده يؤكد ذلك بقوله «الصيغة المثلى هي أن

الروائي هو ذلك الكاتب الذي يتوق على الاغلب الى تسخير اللغة. واذ ذاك يكون صاحب اسلوب جيد. أما بالنسبة الى الشاعر، فان المسألة الرئيسية عنده هي الاسلوب الذي نادراً ما يكون مسألة الروائي الرئيسية، ومعيار اللغة والاسلوب بالمفهوم الشعري هو معيار خاطىء بخصوص دراسة الرواية »...

هنالك طبعاً نقاد يخالفون ذلك، أمثال « مارك شورر » في دراسته « التكنيك كـاكتشاف » و « جون كرو راتسوم » في دراستـه « فهم الروايـة ».. ولكن دراستها التطبيقية قادتها الى أخطاء فاحشة، فقد عزل راتسوم مقاطع من تولستوي « الحرب والسلم » ومن جين اوستن « ديزي ميل » تتألف من ١٦ سطراً وقرأها منفردة كما يقرأ الشعر، وخرج منها بنتيجة هزلية هي أن تولستوي ليس كاتباً جيداً شأن جين اوستن لأن تولستوي لم يمتلك أبداً مزايا تكنيكية في الاسلوب!..

فمعيار اللغة هو معيار خاطىء، ومع الرواية يجب دراسة معايير اخرى كثيرة: الخلق، الاصالة، الشخصية، القدرة على خلق ما يسميه هنري جيمس « وهم الحياة » عمق الحياة التي تنبعث منها مشاعر الروائي الاخلاقية، تطوير الرؤيا والشخصيات، المحصلة النهائية في اللاوعي وغيرها من العناصر التي تتكامل وتنصهر في كل واحد متجانس في الرواية الجيدة.

• والان، هل يعادل المجد الذي يفوز به الكاتب الناجح المعاناة المريرة التي يعاينها اثناء الكتابة؟

- مما لا شك فيه ان المجد يرضي نرجسية الكاتب ويمتعه، لكنه لا يكفي.. فالسلام الداخلي - ولو النسبي - هو ما يطمح اليه الكاتب الاصيل. وهو لا يأتيه عبر المجد وحده. وهنالك ما هو أكثر أهمية من ذلك كله: تحقيق طموحه في تبديل العالم، وهو امر يستحيل تحقيقه المطلق حتى على الانبياء.

ومن هنا، فكل اديب أصيل لا بد وان يكون تعساً ومليئاً بالاحباط والغضب مهما كان المجد الذي يسبغه عليه معاصروه.

• هل انت راضية عن كل ما كتبت، وما هي المشاعر التي تنتابك عندما تقع بين يديك اول نسخة من كتاب أنجزته؟

- راضية؟ ليس دائماً. لكنني اتبنى كل ما كتبت. وضمن الظروف الحياتية القاسية أو الرغدة التي عشتها، استطيع أن أقول انني منحت الكتابة من ذاتي حتى التهشيم أحياناً.

ومع ذلك، حينما أمسك بكتاب انجزته، واكون مشغولة بالكتاب الجديد الذي

سيجيء ، ينتابني أحساس غامض بالكآبة.. كما لو انني لمحت وجه حبيب سابق عبر نافذة قطار مسرع في احدى محطات الماضي الماطرة..

٣/ ٧/ ١٩٧٧

رياض فاخوري يستجوب

- **ليست مهمـــتي أن أعرف،**
ليست مهمتي أن أقول.
- **انني اكتب لا بفضلكم، بل بالرغم منكم، أكتب لا بفضل ما تمنحونه لي، بل بالرغم مما تفعلونه بي.**

رفضها للتدجين، للخانات والقوالب الجاهزة، يجعلها « قادرة على التحليق في مملكة الحلم التي هي في جوهرها مملكة الواقع... »

وغادة السمان التي ترفع سيفها في وجه النقاد هنا، محملة اياهم، كل سقوط يتولد في « مملكة الواقع »، تعني، ان التخلف الفكري الذي يحيطهم، هو المسؤول عن هذا العمى الشامل في نظرتهم وفي رؤياهم، لما يبتدع فوق أرضنا من فنون وآداب.

واذ تستدرج غادة السمان النقد، تستدرج كذلك، جميع الاتباع. أي الذين يقتلون الروائي في افتقارهم الى شجاعته والى كشوفاته الحية والى تجاوزاته المستمرة. انها، في ذلك، تلحظ الخلق الكبير في كل حنانه وفي كل جحيمه، ذلك بالقبض على الاصعب في تعرية الاشياء حولها، منتزعة نفسها، بهذا القدر من الصراحة والكلام، من عالم ادواته افكار غامة لا تعطي ما «لقيصر لقيصر وما لله لله ».

أبداً غادة السمان تغاير الحياة المدجنة في تجربتها، وتعرف واجب الفن نحوها. ومن حيث كونها محرضة خيالية، هي صوت رافض يتعلق بالواقع وصولاً اليه عن طريق الوعي والتمايز.

ودون بعض الافكار التي تتدرج في حديثها، تنزع عن لغتها قشور الكتابة الجانية الباطلة، لتفضح الجميع. اي الذين اساس وجودهم فضيحة كتابية، او « باشكتاب »

يضعون أنفسهم في تصرف النفاق لا الحقيقة.

لماذا تغضب غادة السمان على كل شيء حولها، وتنفذ في لغتها، الى اجتياح المقنن الجاهز في هذا العالم؟ لانها تعرف تماماً، وفي عميق نفسها، ان من يدعوها الى الكتابة عن الرواية، او عن فنها، لا يجهل بجال صفاتها الادبية المميزة، او الشخصية الروائية - القصصية التي تمثل. ذلك لان من يحترق بالنار فوق سطح البشر، يعرف طعم الحروق والاحتمالات التي يداوي بها جروحه.

● **تقف الرواية عند حافة الحلم. هل انت حالمة، والى اي زمن تتجهين؟**

- حالمة؟.. لست متأكدة تماما مما تعنيه هذه الكلمة. ربما كنت « حالمة » بمعنى: أنا « فاعلة »، وحين افقد قدرتي على الحلم، افقد قدرتي على « الفعل » الابداعي... حالمة؟

انني استميت كي لا افقد قدرتي على الحلم. كل ما حولي يحاول اغتيال هذه القدرة. الاديب العربي هو ذلك الصبي (الازعر) الممنوع من الحلم كي لا يصر على استعمال جناحيه واكتشاف ما وراء الاسوار.. (انه كخبز الفقير: مأكول ومذموم).

الاديب العربي هو ذلك الملعون سلفا اذا تجرأ على الحلم بدلا من ان يظل (اداة صالحة) في يد الجماعة...

السياسي العربي ينظر الى الكاتب بحذر ولكنه لا ينسى امتداح مهمة الادباء في خطبه الرسمية بالولائم. الجماعات السياسية تريد تسخير الاديب. لها نقادها وصفحاتها الادبية وارهابها النقدي خاص الاساليب.

الناقد العربي (غالباً) ينظر الى الكاتب ممتلئاً بشهية إحراجه قبل فهمه، ويسخره كأداة لاستعراض عضلاته الثقافية.

الذين يتغنون بعظمة الوطن يريدون تسخير الاديب كشاهد على هذه (العظمة).

الكل يريد تسخير الاديب في التبشير الاخلاقي او الايديولوجي.

المحاربون يطلبون من الفنان كتابة (أدب مقاتل) وحين ينتهون من اقتتالهم وتقاسم غنائمهم ينادون الفنان طالبين اليه كتابة (أدب متفائل)... و(أدب بناء)... واكثر النقاد لا يقفون الى جانب الكاتب بل يبلغونه رغبة المسلحين ويلعبون دور (باشكاتب) المحكمة الذي ينادي على اسماء المتهمين.. أجل! الناقد ساهم في مذبحة الادب. في الحرب قال للاديب تعال والبس (الافرول) واكتب (ادبا مقاتلا)، ثم في السلم طلب منه ان يغير ثيابه بسرعة ليرتدي ثياب المهرج ويكتب لهم (أدباً بناء).

سيدات المجتمع يطلبن من الاديب ان يرتدي ثيابه جيداً ويحلق ذقنه ويحضر الحفلات كأي كلب مدلل ويلقي القصائد في امتداح جمالهن وربما حركة تحرير المرأة.

رجال الدين يطالبون الفنان بعدم نسيان «حزام العفة الفكري» حينما يكتب، والمناداة بطول عمر المؤسسات المعتاشة على مجد الله، والمقتتلة تحت شعار عشقه الالهي.

التلفزيون يأتي بهم من وقت الى آخر، شرط ان يتصرفوا في المقابلات كالحيوانات الداجنة، وتستطيع اية راقصة ان تعري جسدها على الشاشة اكثر مما يسمح للفنان بتعرية ولو جزء بسيط من تلافيف دماغه.

وليس صحيحاً ان المجتمعات الاستهلاكية الصناعية الكبيرة هي وحدها تدمر إنسانية الفنان. المجتمعات المتخلفة تفعل الشيء ذاته باساليب اخرى، وتشيىء الفنان هي ايضا وتحرمه من حق الحلم والحرية اي من حق الا يكون سلعة.

انهم جميعا (يشيئون) الفنان وفقاً لزمانهم ومكانهم ومصالحهم (ونتعاتهم) السياسية وتنظيراتهم ولا احد يريد ان يرى وجهه الحقيقي المرهف حتى الجنون الجائع الى حلمه الذي يناقض غالباً حلم الحاكم ويلتقي وحلم المسحوقين مثله.

وحينما يتعب الاديب يداوونه بحنان مزيف، كما يداوون الدابة: كي يتابعوا ركوبهم عليها!

وحينما يضجر الناس يتذكرون ان الأديب هناك. يلتفتون اليه لسؤاله: ماذا فعلت في الحرب؟.. ماذا فعلت في السلم؟ ماذا فعلت بالرواية؟ ماذا فعلت (لتهيئة الجماهير لمستقبل افضل).. وهم أصلاً غير مقتنعين بدوره ولن يسمحوا له بممارسته لو تجرأ! ثم انهم ينسون ان ٨٠٪ من الشعب العربي أمي، وانهم لم يفعلوا شيئاً لمحو الامية، بل انهم ببساطة يمارسون عملياً «برنامج الامية الاجبارية»!!

رغم ذلك كله، يكفي ثقب صغير في زنزانتنا لنرى الافق الشاسع ولنحلم حلماً كبيراً بحجم البراءة وشرساً كضحكة طفل.

أتجه باستمرار الى زمن الرفض. رفض التدجين. رفض الرضي الرسمي. رفض قص أجنحتي كي اظل قادرة على التحليق في مملكة الحلم التي هي في جوهرها مملكة الواقع الذي يجب ان يتحقق.

● كل كتابة للعصر تبدأ في تعرية الواقع للوصول الى ما ندعوه مجازاً التجاوز المقيم في اللغة. هل ان تجربتك تتعدى اللغة الى ما بعدها؟

- تجربتي هي ان اكتب، لا ان اصدر ملحقاً لتفسير هذه التجربة للقراء او النقاد.

ارفض ان امسك بايديهم مثل دليل سياحي وادور بهم فوق حافة جرحي ودهاليز معاناتي واقول لهم: انظروا هذا المحراب. انظروا هذه البئر. هذا الكهف. هذا الجرح عمره كذا وتاريخه كذا، لاحظوا سرعة النزف. ارفض. ارفض.

ليست مهمتي أصلاً ان اعرف. واذا كنت أعرف ليست مهمتي ان اقول.

لكن سؤالك مسكون بحزن سري حين تقول «كل كتابة للعصر»، وانا اتساءل: ما هو هذا العصر؟ هل هو عصر الامية؟ عصر الفقراء العرب الذين يموتون كل يوم مجاناً من اجل حلمهم المغدور؟ عصر المهرجين الكبار والتصفيق الجماهيري؟ عصرنا الحجري في عصر الفضاء؟ اي عصر غير عصري حيث احتمي (بجنوني) الداخلي من هذا العالم (المنطقي) الانحدار، البشع الذي يحيق بي؟...

أفكاري لا تقيم في اللغة. التجاوز المطلوب هو ان تكون اللغة مجرد صالة ترانزيت الى مكان الاقامة الحقيقي: عالم الاخرين. أفكاري تقيم في الاخرين. هنالك في مكان ما شاب اسمه «عيناك قدري» وشاب اسمه «لا بحر في بيروت» وفتاة اسمها «اعلنت عليك الحب». الفن اداته اللغة ومسكنه القارىء لا بمعنى المتفرج بل القارىء الذي يصير هو ذاته الكتاب على قدمين...

• نحن باستضافتنا للروائيين نحاول الدلالة على مكمن الخطأ الحاصل في التجمد الثقافي.

ماذا تفعلين الآن لكسر هذا التجمد. لا بل بماذا تشهدين لنفسك من اجل خلاص الرواية.

– يا عزيزي المركيز رياض دي ساد، هل من الضروري ان تكون اسئلتك نكشا واعيا للجرح؟.

اذا فرضنا جدلا ان هنالك «تجمد ثقافي» فإن استضافتكم لنا لا تكسره. ربما هنالك تجمد في الصفحات الثقافية، واستضافتكم لنا تكسره . هذا أولاً.

ثم انه ليس هنالك تجمد ثقافي في رأيي. هنالك صمت، لكنه صمت حتى الصراخ. وهنالك انتاج مبدع على اكثر من صعيد.

لنأخذ الشعر مثلاً: انهم يكتبون ويبدعون. اذكرك على سبيل المثال بالاعمال الاخيرة لبعض المبدعين الشبان. كلهم يكتب وكلهم محاط بالناقد المتعالي والناقد السمسار والناقد المهاجر عن الفن او البلد، اما الناقد الحقيقي فإنه يزداد ندرة مع الايام.

ماذا افعل لكسر حالة التجمد الثقافي – ان وجدت –؟.

لا افعل شيئاً. اكتب. هذا كل شيء. فالادب ليس صناعة جماعية، ولا ورشة عمالية.

انه في النهاية هو ان تموت وحدك وان تبتدع قيامتك بنفسك.

بماذا اشهد لنفسي؟ إنني أشهد عليكم وضدكم. انني اصرخ في وجوهكم جميعاً: انني اكتب لا بفضلكم، بل بالرغم منكم! إنني لا اكتب بفضل ما تمنحونه لي، بل اكتب بالرغم مما تفعلونه بي!

خلاص الرواية لا يعنيني. الرواية اداة انا آخذها وانا ارفضها. المهم خلاصي انا كفنانة. لست تاجرة ترتزق من بيع الرواية وتخشى على معاملها من الافلاس. لا يهمني كثيرا ان اكتب رواية بالذات او قصة قصيرة او شعرا او اية تسمية تختارونها، المهم هو ان اظل استيقظ مكهربة ومنتشية ورافضة ومتوترة وقادرة على الاحتواء والحنان في آن معاً، ولدي تلك العلاقة مع الحرف كالعلاقة السحرية الاولى لطفل مع المعجون الملون (بات آمودليه) الذي يخلق منه اشخاصاً وكواكب واشجاراً ووروداً جديدة وحقولاً تولد للمرة الاولى...

خلاص الرواية لا يهمني حقاً، فموت الرواية التقليدية سيكون ولادة لنمط جديد من الكتابة.

تستطيع الرواية ان تموت. الفنان يبقى، وانماط جديدة سوف تولد. من هذا المنطلق ارحب كثيرا بشاعر يكتب ذات مرة رواية او قصة قصيرة او العكس. فهذا يدل على ان هذا الفنان ليس عبداً لنمط كتابي معين او لقب يطبق على موهبته كالقفص الجهنمي. واشهد ان لا كتابة الا خارج القوالب الجاهزة!...

موت الرواية قضية تخص الناقد لا المبدع. الناقد عليه ان يحرر شهادة الوفاة وان يقيم حفل التأبين ويعد الكلمة التي سيقرأها في المناسبة (المحزنة) ويلاحق مراسم الدفن والهاربين من الجناز. المبدع هو مثل الطفل في الجنازة. الموت لا يعنيه ولكن الجنازة قد تسليه او تضجره، وهو يمشي فيها بينما يتفجر حياة.

أشهد لنفسي من اجل خلاص الرواية؟ بل اشهد لنفسي من اجل قتل الرواية التقليدية وكل القوالب الجاهزة في حياتنا. لست ضد ان يكتب فنان ما رواية تتبع قواعد الرواية المكرسة اذا كان هو يرغب في ذلك او يجده ملائماً لابداعه، لكنني ضد ان نفعل ذلك لمجرد ان سوانا قد فعله قبلنا!..

● من يقرأ روايات غادة السمان يشعر بأنها تحيا الحلم لتعريه، لكن يصطدم احياناً بأن

هذا الحلم خاصة في «كوابيس بيروت» هو مأساوي. هل انك طلقت الفرح الى المأساة؟

- في الفن لا زواج نهائياً، ولا طلاق نهائياً، بل انفتاح لا متناه للاحتمالات كافة. هنالك ابحار حر لا نحو الجهات الاربع، بل والجهة الخامسة: العمق.

لم اتزوج الفرح. لم اتزوج المأساة. انا عشيقة الجميع: انا عشيقة ما هو آت من مشاعر لم أتعرف بها بعد.

● **حنينك في الرواية هو حنين الشاعر الى القصيدة. هل ان هذا الحنين المحاط بالشعر في «الرواية السمانية» هو شامل وعام في كل ابداع ترصدينه هذه الايام ام لا؟**

- لا أحب الشعر فحسب، بل واحترمه، واقدره واؤمن بنظرية اليوت بأنه خلاصة المعرفة البشرية وتجاوز لوسائل المعرفة الانسانية كلها وتكثيف لها... بهذا المعنى اطمح الى ان تظل اعمالي ضمن المستوى الذي وصفته في سؤالك...

يخيل الي أحياناً أن الشعراء وحدهم - أي الذين يرون الدنيا بعين جديدة ونقية وشجاعة - هم الذين يحق لهم كتابة الرواية أو القصة، ومعاقرة الأبجدية بكافة أساليبها...

هل حققت ذلك ام لا؟ لا ادري. وحتى اذا كنت ادري فانني لن اقول. تلك قضية خاصة جداً، بل ان تلك هي «حياتي الخاصة» بالمعنى الذي افهم به هذه الكلمة. إن تعرية روحي ليست نمط الستربتيز الذي يستهويني واكره ان ألعب دور البائع الجوال الذي ينادي على بضاعته حين اتحدث عن اعمالي. انها هناك في متناول الجميع تتحدث عن نفسها، ومن له أذن فليسمع.

● **ما الخطر ان تموت الرواية او يموت الراوي؟ ما الحزن ان يسقط المسرح على رأس الممثلين او يبقى المهرج في اخر المسرحية؟**

- هذا ليس بسؤال. انه شعر حزين في صيغة التساؤل... اطمئن يا صديقي... ما دام هنالك طفل يحب الانصات الى حكاية ويفتح عينيه بدهشة مشبوبة، سيظل هنالك راوية ورواية... انها قد لا تكون الرواية بالاسلوب الذي نفهمها اليوم، لكن الفن سيبقى ما دام الانسان، وليس مهماً الجسم الذي يتقمصه هذا الفن...

لا تحزن يا صديقي... لا تصدق ان المهرج يبكي خلف قناع مساحيقه... ثق انه يضحك من الجميع، ويضحك من ضحكهم منه، ولكثرة ما يضحك تسيل دموعه!...

١٨ / ٧ / ١٩٧٧

نبيه البرجي يستجوب

• الابداع تجاوز لما سبق، وكل عمل لا يحقق ذلك يفقد مبرر وجوده.

• روايتك « بيروت ٧٥ » كانت نبوءة روائية لما حدث في لبنان. هل هو « الحدس الوحشي لدى المرأة »، كما يقول مارسيل بانيول أم أنك تتفقين مع فلليني في « أن العمل الابداعي هو الذي يقتحم، من خلال اضطهاده العميق للواقع، ما هو آت.. أي ما يتشكل خارج منطقة الوعي المباشر ».

- لا أعتقد أن نبوءتي بانفجار بيروت في روايتي « بيروت ٧٥ » تنتمي الى ما يسميه بانيول بـ « الحدس الوحشي لدى المرأة »، بل يخيل الي أن تفسير فلليني هو أكثر قرباً من الحقيقة..

لقد كنت أعيش مناخ أحداث بيروت قبل انفجارها بزمن بعيد، منذ كتبت مجموعتي « رحيل المرافىء القديمة » عام ١٩٧٣ وكانت تتضمن صرخة إنذار في وجه بيروت، وفي وجه كل - بيروت - عربية أخرى.. وكصيحات الشعراء والمجانين والعشاق كلها، كانت صيحة في واد.. وبتاريخ ١٥ تشرين أول ١٩٧٤ في حوار لي مع مجلة « الشرارة » نزفت سطوراً قلت فيها (في معرض الحديث عن التصاق الحلم بالواقع أحياناً) ما يلي «لقد سبقت فترة كتابتي رحيل المرافىء القديمة مجموعة من الاحلام (الارهابية)... كنت أحلم بأنني أركض مذعورة مع الناس هاربين من قصف القنابل.. وان الموت يترصدنا، والخوف وعبثا أصرخ لنتجمع ونتفاهم على أسلوب للعمل ولهب الحريق يكوي كل شيء»..

هذا ما كتبته حرفياً في حديثي الصحفي لتلك المجلة، أي قبل انفجار أحداث لبنان بعدة أشهر.. وقلت في الحديث نفسه (ربما كان السبب المباشر لمثل هذا الحلم هو اضاءة نور مفاجىء في غرفة نومي مثلاً - من المعروف وجود علاقة وثيقة بين الحلم والتبدلات الصوتية والضوئية في غرفة النائم - ولكن لماذا يتكرر ذلك الحلم بالذات

وفي فترة أتحرق فيها لكي أقول إن الخطر يتهددنا جميعاً والحل الوحيد هو في وعي هذا الخطر والعمل لمواجهته) وفي تلك الفترة بالذات بدأت كتابة « بيروت ٧٥ » كما هو مذكور في خاتمتها (بدأت كتابتها يوم ٩ تشرين أول ١٩٧٤ وتمت كتابتها يوم ٢٢ تشرين ثاني ١٩٧٤ الساعة ١،٣٠ ليلا).

للوهلة الأولى، يبدو كما لو أن الأمر مجرد أضغاث أحلام تصادف أنها تحققت، لكن عودة الى كتابات برغسون حول الحلم والابداع حيث يقول مثلاً « الادراك والذاكرة اللذان يعملان في الحلم طبيعيتان أكثر من الادراك والذاكرة اللذين يعملان في اليقظة». فالشعور في الحلم يدرك من أجل الادراك، ويتذكر من أجل التعرف، من غير أن يعني بالحياة - أما اليقظة فلا تكون إلا بحذف وانتخاب الأشياء حول مسألة مطروحة، هذه العودة تكشف أن الأحلام هي أحياناً ذروة اليقظة، وأن الأمر لم يكن مجرد أحلام.. كانت أحلامي هي القطرات التي تفيض بها كأس الوعي لواقع يومي معاش، ولاقتحام ما هو آت.. وأعترف لك أنني حين جلست أكتب رواية « بيروت ٧٥ » فوجئت أنا نفسي بما آلت إليه الخاتمة من انفجار مجنون ودمار جماعي.. لكنني كنت أثق بحدسي الفني، ومنذ أول قصة كتبتها آمنت بذلك الطائر الملون - الذي يسمونه أحياناً بالموهبة - وكنت أتركه يحلق طليقاً حتى ولو ذهب بسطوري الى حدود الزلزال والجنون والمحرمات.. لقد كانت النبوءة في - بيروت ٧٥ - شيئاً لا يمت الى النبوءة بصلة.. كانت من صميم العمل الابداعي الصادق.

صحيح أنني فوجئت أنا نفسي بما صنعه أبطال - بيروت ٧٥ - بأنفسهم من دمار مروع، ولكنني خلقت الشخصيات ومددت روحي، شاشة لالتقاط مناخ ما يدور في بيروت حولهم، وحينما أقول - روحي - فأنا أعني بذلك طاقتي كلها على الاقتحام وافتراس الأسرار للوصول الى مرحلة من الوعي الحاد حتى الاختراق، الحاد كخيط ثاقب من الشمس يتسلل الى غابة الواقع المتشابكة الوعرة، ثم ينساب عبرها - بعد أن يكشفها - ليرتمي نازفاً فوق شاطىء (المابعد)...

• بعض النقاد يقول إن غادة السمان لا تقدم رواية متكاملة، بالمعنى التقني للكلمة بل إنها تقدم شرائح روائية يمكن تصنيفها على أنها قصائد أو لوحات مسرحية أو حتى وجدانية لا يربط بينها سوى « الانا ».. ما هو تعقيبك على ذلك؟

- قال فيكتور هوغو حين عاتبوه على « الانا » في كتاباته: - أيها المجنون الذي يعتقد أنني لست أنت.. حين أكتب عن نفسي أحس أنني أكتب عنك... ».

هذا من حيث « الانا »... نعم، أنا موجودة في أعمالي، أنا غادة الكادحة، وغادة الغجرية، غادة المفترسة، وغادة الثملة.

وحينما أكتب، أحس أنني كائن ينبض بالمحبة، وحتى رأسي فانه ينبض كقلب أمام أي مشهد إنساني مهما بدا صغيراً - من الخارج - وحين ينطفىء ذلك الشعاع في داخلي، ستتحول سطوري الى توابيت فخمة متقنة وتفتقر الى عفوية الينابيع... الكتاب العرب - بصورة عامة - يخشون من وعي الذات بكل سقطاتها وسموها، وحتى لو كتب أحدهم حكاية عن نفسه فإنه لا بد وأن يبدأها بالعبارة التقليدية (..روى لي صديقي في المقهى الحكاية التالية...) ثم يروي بعدها حكايته الشخصية.

العكس تماماً هو ما يقع لي، وحينما أروي حكاية امرأة أخرى أو رجل آخر فانني أتقمصه ويصير هو أنا ولا أجد غضاضة في ذلك..

أما عن الرواية - بالمعنى التقني للكلمة - فأنا أرفض المعنى التقني للكلمة! دراستي الاكاديمية في تاريخ الادب علمتني رفضي أي تعريف لفن من الفنون. أؤمن بأن تعريف فن الرواية مثلاً هو استنتاج عما سبق، لكنه ليس - إلزاماً - لما هو لاحق. أعتقد أن الابداع هو تجاوز لما سبق، وكل عمل لا يتضمن ذلك يفقد مبرر وجوده، وإذا كان علينا أن نرضي بعض « النقاد » أو نرضي - رغبة الخلق - فانني شخصياً لا أملك إلا إرضاء شهية الخلق التي تتدفق في خلايا ليلي ونهاري وتحيلني قوية وضارية وشرسة مهما كثرت الهجمات.. قصصي - قصائد - أو - لوحات مسرحية - أو - صور وجدانية؟.. هذا كله لا يهم. المهم أن تكون نسيجاً حياً نابعاً من صلب الحياة وعمق الابداع.

ان تاريخ الادب يزيدني صلابة في موقفي من - تعريف الرواية - أو الشعر أو القصة - أي رفض التعريف.

اسمع يا صديقي... النقاد منقسمون في رؤياهم لأعمالي... هنالك هجوم كثير.. هنالك رضى كثير... وهنالك أنا، أتابع طريقي دونما مرارة.. ومهما ازدادت الهجمات ضراوة، فلن أشعر بالمرارة... حين أفكر بعباقرة ماتوا دون أن ينتبه لموهبتهم ناقد أشعر بأنني محظوظة لأنني عاصرت قرائي.. وكاتبة حسنة الحظ لأنني لقيت على الأقل من يقرأني حتى ولو شتمني... حين أتذكر أن موزار ذهب الى قبره وحيداً ولم يمش في جنازته أحد - قبره في فيينا مجهول الموقع - أشعر بأن الأمة العربية ليست جاحدة كما يدعون.

• نتساءل غالباً لماذا لا تقترب الكاميرا من غادة السمان. هل ينجاهلك التلفزيون والسينما عمداً.. أم أن الكاميرا لا تزال قاصرة عندنا عن النقاط - الدهشة الغامضة - في أعمالك. وهذا التعبير لناقد فرنسي ترجمت له فصولا من « كوابيس بيروت »؟

- لا بد لي من الاعتراف بتقصيري في هذا المجال. لقد رفضت حتى اليوم أي عرض للكاميرا للاقتراب مني أو من أعمالي من خلال سيناريو أكتبه أنا.. أشعر باستمرار بأن - الحياة قصيرة.. والفن شاسع. أشعر بأن الأشياء التي أتمنى لو أعرف كيف أكتبها لا تحصى، ومن هنا أحاول عدم الانزلاق الى مسارب جانبية - في نظري -. انني أؤمن بمكانة الكاميرا الاعلامية الهائلة، لكنني أيضاً أؤمن بأن ذلك كله ممكن بعد موتي، المهم الآن هو أن أكتب، أن أكتب، أن أكتب، أن ألاحق النبض الجنون الزخم في شرايين أصابعي، وفيما بعد يمكنهم تحويل أعمالي الى ما يشاؤون دون حاجة الى معونتي... مشكلتي مع الكاميرا هي أنهم يطلبون مني التعاون معها: كتابة سيناريو مثلا. قلائل هم الذين قبلوا رفضي، وكتبوا السيناريو بأنفسهم وتركوني أتفرغ لجنوني ورحيلي وكتابتي وموسيقاي وقطاراتي وموتي الآتي..

الكاميرا ليست قاصرة عن التقاط ما تسميه - الدهشة الغامضة - في أعمالي. المأساة هي أن الكاميرا ومن وراءها يتطلبان حضوري الشخصي سواء عبر كتابة السيناريو أو المشاركة في تقديم العمل... وأنا أعي باستمرار أن من واجبي المحافظة على حد أدنى من عزلتي الداخلية كي أتهيأ لاستقبال ذلك الجنون المتوحش - الكتابة حين يقرع أبواب أظافري..

ومن هنا كان الطلاق بيني وبين الكاميرا.. لكنني واثقة من أن يوماً ما سيتم إيجاد صيغة التقاء بيننا.. وسيكون اللقاء مجدياً.. وفي تجاربي القليلة في هذا المجال ما يؤكد لي ذلك... المهم أن يكتبوا هم السيناريو.. وأن ينفذوا الى روح العمل... وأن يبعدوا الكاميرا والاضواء عن وجهي، - فالسيد الوحي لا يحب الزحام والاضواء وبريق الفلاشات..

• قرأنا لك منذ سنوات جزءاً مترجماً من قصيدة للشاعر الإغريقي « كافافي » هو نفسه يقول: « حالما يهدأ الأعصار في نفسك، يبدأ الموت ».

ثمة من يقول إن غادة السمان، حتى بكلماتها الأكثر شفافية، تسعى لكي تحول كل

قارىء الى إعصار.. ترى حتى لا نموت، أو حتى نثور... أو حتى...

- ها أنت بسؤالك تفتح الجرح ببراءة طفل يخنق فراشته تحت كأس شفاف كي يكتشفها... نعم... حتى لا نموت.. وحين لا نموت نثور... وحين نثور...

آه حين نثور، يصير الذراع محراثاً، والحرية نسيماً، وشهقة النشوة تنفساً، آه حين نثور، يصير ساحل المطر صيفنا، يصير الخوف قزماً، يصير الآخرون رفاق غضب مثلنا لا فزاعات طيور في حقول التقاليد... آه حينما نثور، نستعيد قدرتنا على الخلق، نستعيد حواسنا المستلبة، نستعيد قدرتنا على البكاء والصلاة والحب والدهشة..

● **اين وصلت غادة السمان هذا السؤال نطرحه على أنفسنا. ماذا لو طرحناه عليك؟**

- أين وصلت؟...

سأموت قبل أن أصل الى سفوح طموحي.

سأموت قبل أن التقط عن أرض الفرح حصاة أرمي بها في فضاء العبث...

أين وصلت؟..

لقد انطلقت من قرى الاحزان البعيدة.. لقد انطلقت من دمشق ثائرة وغادرتها بحثاً عن الحرية والسلام الداخلي... وانطلقت من بيروت ولندن وباريس وجنيف وزوريخ وروما وفيينا ثائرة أيضاً باحثة عن الحرية والسلام الداخلي أي عن الخلاص... وفي الورق الأبيض أزرع أشجار خلاصي، فأجد أغصانها تتحول باستمرار الى مشانق خيبة: باستمرار يداهمني ذلك الشعور بأنني لم أحقق شيئاً بالنسبة الى ما أتمنى تحقيقه وبأنني أيضاً حققت الكثير..

اين وصلت؟..

ها أنا أجلس محاطة بصيدي وقتلاي وحطام مراكبي.. والدوار.. والتصفيق والاضواء...

والرغبة المستمرة في الانسلال من دائرة الضوء الى دائرة الظل... كي أبني مراكب جديدة.. أرحل بها الى مرافىء جديدة، رغم وعيي المسبق بأنني سأعود بمزيد من الصيد والقتلى وحطام المراكب..

إنه ذلك الادمان الذي لا شفاء منه: الكتابة.. ذلك الجنون البنفسجي. ذلك السراب حقيقي الملمس. . هنالك دوماً تلك الشهية اللامتناهية لتحويل نزف الدنيا الى سطور. .وبعدها تأتي الخيبة: ان رأس القلم الرفيع عاجز عن تبديل أسلوب دوران الكرة الأرضية. وبعدها يأتي الغضب: القلم قادر..

وبعدها يأتي الجنون.. تكتب.. تقاتل بنبل ثور اسباني محكوم بالقتل سلفاً في الحلبة وسط التصفيق.. وتسقط مضرجا بدمك.. ثم تنهض من رمادك لتتابع اللعبة.. لتتابع ذلك الجنون الساحر المسحور..

ويأتي من يسألك: أين وصلت؟

وترد بصدق: أحياناً أشعر بأنني أركب النجوم.. وأحياناً أشعر بأنني مثل تلك الدابة التي تدور حول بئر فارغة وتدور وتدور بعيون معصوبة..

● أين وصلت؟

- يا للسؤال المرعب.. ألسنا جميعاً - راكضين - الى قبورنا ونحن نرقص ونطلق صيحات الهتاف وشارات النصر؟..

● انشأت « منشورات غادة السمان ».. ألا تعتقدي أن ذلك يمتص جزءاً كبيراً من وقتك - أي من مساحات الخلق -. وهذه خطوة قد تواجه بالاستنكار..

- اسمع يا صديقي.. لقد تعبت من التوهم بأن الفنان الأصيل يجب أن يكون فقيراً ويموت عاري القدمين.

« منشورات غادة السمان » تعني ببساطة أنني لم أعد مضطرة للعمل في الصحافة (حينما لا أموت شوقاً الى ذلك) أو التدريس لكسب رزقي. انها تعني الحرية، أي المزيد من العطاء.. وهي لن تمتص من « مساحات الخلق » أكثر من استنزاف العمل الصحفي الارغامي أو بقية الأعمال الأخرى التي سبق ومارستها كالتدريس الجامعي... لقد وجدت صيغة معقولة للعمل في دار النشر هذه وهي أنني لن أعمل فيها! هنالك مديرة مسؤولة للدار. وهنالك مدير يتولى إدارتها.

سأظل أنا في مكتبي عند الصخرة الثالثة من البحر الرابع قرب السمكة الحمراء، وسأظل أكتب جنوني وفرحي وثورتي، لكن حقي المشروع في الربح سيصير أوفر مما مضى..

ومع ذلك، فإنه لم يحدث أبداً أن قدمت أي تنازلات مقابل الربح المادي...

لنعد الى سؤال سابق لك: عني وعن الكاميرا. العلاقة مع الكاميرا مثلاً مربحة مادياً لكنني أرفضها ضمن شروطها هي، فأنا أعرف أن أي تنازل حقيقي أقدمه سيؤدي الى خلخلة عالمي الداخلي الصلب. إنني لا أستطيع أن أكون طرفاً في علاقة عمل لا تريحني

لأن ذلك يصيبني بعذاب داخلي حقيقي أيا كانت المكاسب - في القاهرة مثلا ظهرت مرة في التلفزيون وفوجئت بأن المذيعة التي تحاورني لم تقرأ أياً من أعمالي -. اليوم صرت أرفض إجراء أي حوار صحفي أو تلفزيوني مع شخص لم يقرأ أعمالي كلها. من هنا تكونت لدي قناعة: أيا كانت المكاسب الاعلامية من الظهور بالتلفزيون أو من نشر كتبي فإن الخسارة النفسية الداخلية ستكون فادحة إذا لم تتوفر الشروط التي تؤمن لعالمي الفني الداخلي سلام. إنني مرهفة كجرح، ولا أستطيع العبث بمشاعري - أكثر من حد معين.

من هنا أقول لك بصدق، إذا مرت لحظة تعارض واحدة بين فني، وبين داري للنشر، سأنسف كل شيء.. كما فعلت دوماً.. إنني على استعداد لتدمير أي شيء مقابل فني - الذين أحبهم، وجسدي، وصحتي، ورفاهيتي، وركائزي الاجتماعية - ولكن، حتى الآن، لم أشعر بأي تعارض بين داري للنشر وبين فني.. بل وبالتكامل بينهما..

٦/ ١١/ ١٩٧٨

عبد الرحمن الربيعي يستجوب

• الكتابة محاولة لكسر السكين ولو بسواد العين الأعزل.

تشكل أعمال غادة السمان لوناً متميزاً في القصة العربية، يتميز هذا اللون بالجرأة والصدق النادرين ولهذا وجدت كلماتها صداها في القلوب العربية منذ أول كتاب نشرته ولم تنسحب غادة السمان من الساحة الأدبية - كما حدث للكثير من الأقلام النسائية - بل ظلت حاضرة دوماً ولم تخفت حرارة كلماتها أو يتوقف تيار هجومها الشرس على كل ما هو سلبي ومتخلف في الحياة العربية. وقد كانت روايتاها « بيروت ٧٥ » و« كوابيس بيروت » اشارتي النضج والاكتمال والخروج من جزئيات الهم الخاص وولوج الهم العام وتراكماته وإعطاء الموقف الملتزم فيه.

وفي هذا الحديث نحاول أن ننقب في ذاكرة غادة السمان، هذه الذاكرة التي ظلت يقظة ومتربصة رغم الدم والدموع والآلام المبرحة. في هذا الحديث نحاول أن نعرف الجديد في أدب وحياة غادة السمان التي ظلت ممسكة ببيروت رغم أن الصواريخ قد هدت بيتها وأخذت الكثيرين ممن عرفتهم وكانت لها معهم حكايات وذكريات..

• ماذا علمتك الكتابة والسكين على العنق؟

- دوماً كانت السكين على العنق. الكتابة و« السكين على العُنق » هي الوضع «الإعتيادي». الكتابة هي وعي ذلك الوضع، ورفضه في آن معاً. الكتابة محاولة لكسر السكين ولو بسواد العين الأعزل وحده. الكتابة هي ذلك الجنون الصارخ: الرقبة المشحونة صدقاً هي الأكثر صلابة من حد السكين..

• لماذا تمسكين ببيروت، وهي تتربص بك؟

- كل مكان يتربص بك يا صديقي، لا بيروت وحدها... بيروت شهرت أظافرها

وأعلنت نزفها، ولكن كل كاتب عربي يعيش ومدينته تتربص به -إلا فيما ندر -. فالذي يجد نظاماً عادلاً يحتضنه، يجد مجتمعاً متخلفاً يتربص به، أو مؤسسة أو رجلاً أو أمرأة.

ليست الأمكنة وحدها التي تتربص بك: إنك تتربص بنفسك. بذور الانتحار هي نفسها بذور الأمل. إذا كان هنالك ما تطمح بصدق لتحقيقه، فهذا يعني أنك مستعد حتى للموت لأجل تحقيقه. الموت والحياة وجهان لعملة واحدة. التربص داخلي لا خارجي.

أنا لا أتمسك ببيروت. إني أتمسك بصدقي، وأعلن رفضي الانسحاب من البؤرة المتفجرة في البركان العربي.

لا أشعر بالفخر، ولا أشعر بالخوف، ولا بالقدرية. إنني مصرة على ممارسة دوري كمواطنة عربية في مدينة يجب أن نساهم في تحويل مذبحتها إلى ثورة على ما كان سائداً من قمع إجتماعي وذل سياسي وترهل طائفي وتنصل من الأسرة العربية.

بيروت تتربص بي؟. لا. بل سؤالك هذا يتربص بي. إنك تذكرني بإمكانية احتضان مدن أخرى لعمري الممزق. لا يا صديقي إقرأ معي هذه السطور المذهلة للشاعر اليوناني كافافي، وافهم ببساطة معنى صمودي هنا. إنه يقول: «وتقول لنفسك: سوف أرحل إلى بلاد أخرى/إلى بحار أخرى/إلى مدينة أجمل من مدينتي هذه/ من كل جمال لها في الماضي عرفته/..

لا أرض جديدة، يا صديقي هناك / ولا بحر جديداً/ فالمدينة ستتبعك وفي الشوارع نفسها سوف تهيم إلى الأبد / وضواحي الروح نفسها ستنزلق / لا سفن هناك تجليك عن نفسك / آه / ألا ترى انك يوم دمرت حياتك في هذا المكان / فلقد دمرت قيمة حياتك في كل مكان آخر على وجه الأرض؟/ »...

يا صديقي: لا سفن هناك تجليك عن نفسك، إنك باستمرار تتربص بنفسك والهرب مستحيل ما دامت حقيقتك هي صدقك الذاتي.

• ما الذي بقي من الكلمات في زمن اللهيب والمعارك الغامضة المصير؟.

- بل ما الذي يبقى غير الكلمات؟ حتى في المقابر، تتآكل الأجساد الشهية، وينبت العشب عبر القفص الصدري مغطياً الجمجمة ولا تبقى غير الكتابة على شاهدة القبر، حية نابضة كلما غسلها المطر أو أومضت الشمس فوق مرآتها...

ما الذي يبقى غير الكلمات؟... في القلب تنبت الكلمة فتحول (الضحية) إلى

(شهيد)، (والعنف) الأرعن إلى (ثورة) مدروسة مخططة...

وتقول: الغامضة المصير!؟.. لا ضمانات يا عزيزي في زمن الخيانة، لكنك تقاتل كي لا تفقد رشدك على الأقل. تقاتل كي لا تفقد ذاكرتك في زمن الانهيار... الكاتب هو أكثر المقاتلين صموداً: إنه يحاول أن يحمي دماغ الأمة من التدمير، لا جمجمته وحدها. كل شاب يسقط دفاعاً عما أنادي به وأؤمن به هو جزء من جسدي وروحي. وكل مقاتل ينجو هو فرحي. الكاتب يتقمص المقاتل، يرتع في جسده ويتلاحمان في لحظة الإضاءة التي تعارفنا على تسميتها تقليدياً: الوفاة. لن تكون معاركنا غامضة المصير. لن ننسى لماذا إنفجر نهر الدم. لن نسمح بطمس رسالة أولئك الذين استشهدوا. لقد فرشوا الطريق بأجسادهم ومهمتنا أن نضيء لافتات الطريق، لترشد إلى الهدف.

• بعد «كوابيس بيروت» هل تستطيعين أن تكتبي أو تصوغي كلمات أكثر وحشية ودموية؟.

- إنني لا أملك إلا ذلك. من يعش هنا يدرك أن كل ما حدث لم يكن سوى (برولوغ - مدخل) لمسرحية «عرس الدم» التي تدور حولنا وبنا، وتُرصَدُ لنا!.

• ما الذي بقي لنحس أننا يجب أن نقف ونمسك بما تبقى لنا من حياة؟.

- يتبقى وَعْيُنَا بأن كل لحظة متبقية يمكن أن تتحول إلى أزلية إذا منحناها ذاتنا بصدق متفان بلا نهاية.

لقد تبقى ما كان هناك منذ البداية: الإيمان بمجموعة من البدهيات التي جعلنا هذا العصر الرديء نضطر لإثباتها بدمنا..

وحتى في تلك اللحظة الكئيبة، حين ينسحب ضوء الإصرار من ذاتنا، علينا أن نسلم الراية ليد لم تتعب بعد، وروح ما تزال مصرة على الركض لإضاءة الشعلة الإلهية التي هي العدالة والحق والحب والفرح... والخبز غير المرّ...

٢٠ / ١ / ١٩٧٨

أنور خطار يستجوب

• الطفل هو الصحافي الأول: انه يقضي وقته في اكتشاف العالم حوله.
• البحث عن الحقيقة عند البسطاء والكتابة من مراكب الصيادين وجرود الفقر.

• متى بدأت رحلتك مع الصحافة؟

- اعتقد ان الطفل هو الصحفي الأول. فهو يقضي وقته في اكتشاف العالم حوله، ويتحسس الأشياء بصدق مطلق باحثاً عن كنهها. بهذا المعنى استطيع القول ان رحلتي مع الصحافة بدأت مع رحلتي مع الوعي وجوعي إلى اكتشاف الحقيقة، أي منذ مرحلة الطفولة الأولى، ولكنني في تلك المرحلة لم أكن أتقاضى راتباً باهظاً بل كنت أدفع ثمناً باهظاً (لممارساتي الصحفية) التي كانت تدعى في تلك السن (شقاوة وعفرتة). تبدلت الأمور فيما بعد، لكن الجوهر ظل هو نفسه: الرغبة في الاكتشاف ومعرفة الحقيقة لسببين: الافلاس والعشق. والغريب في الصحافة هو انهم يدفعون لك راتباً مقابل ان تستمتع باكتشاف الحقيقة. أما العشق فهو ببساطة انني أعشق الصحافة. انها الحب السري الملعون في حياتي كأديبة، كأستاذة جامعية سابقة وكأنثى.. لدي ضعف حقيقي أمام العمل كصحفية، علاقتي بالصحافة كانت دوماً علاقة حب مسكونة بالتوق والركض خلف المستحيل، والتوقد، وحتى بالخيبة ولذعة الندم أو سراب الوصول والنشوة! ومع الصحافة أسكن المسافة بين الذاكرة والخلق، بين الوجع السري وصرخة الولادة. الحديث الصحفي الجيد هو علاقة حب من نوع نادر: فيها الحدة والعمق والسرعة كومضة برق والخاتمة المحتومة بالفراق، والعودة إلى صدفة الصمت بعد لحظة بوح.

● **كيف تقيمين تجربتك من خلال هذه العلاقة؟**

-عملت في صحف كثيرة كانت كلها بنظري اسماء متعددة لصحيفة واحدة هي: صحيفة «البحث عن الحقيقة» والصدق المطلق. رئيس التحرير الذي عملت معه كان اسمه باستمرار: الغربة، عبر الصحافة اكتشفت مئات (الغربات) الصغيرة التي يحياها بشر عاديون تصطخب اعماقهم بملايين الأوجاع والمشاعر لكنهم لا يعرفون أي اسم يطلقونه عليها!.. غربتي هي غربتهم والفارق هو انني امرأة تملك غربة بملايين الاسماء والألوان والوجوه والخناجر والأظافر.

● **هل لك تجربة معينة مع السياسة في الصحافة؟**

- بالنسبة للصحافة السياسية اعترف ان كل حرف كتبته كانت له علاقة بالسياسة بطريقة ما، فمشاكل الانسان وأوجاعه ومتاعبه هي قضايا الصحفي، والفنان لا يستطيع ان يكون خارج السياسة والا وجد نفسه خارج الحياة أي خارج الابداع. والصحافة بنظري ابداع وتوقد. من هذا المنطلق أنا صحافية سياسية، لكن علاقتي برجال السياسة كانت دوماً شاحبة. فأنا شخصياً اعتقد بأن اكثر نجوم السياسة في بلادنا يقولون ما لا يؤمنون به متسترين بالحجة التاريخية (المصلحة العامة تقتضي اخفاء بعض الحقائق). اكثر نجوم السياسة في بلادي ارتدوا الاقنعة زمناً طويلاً حتى صار القناع وجههم، لذا قلما قابلت سياسياً نجماً، فأنا اعرف أنه لا يعرف الحقيقة ولا يريد أن يعرفها وإذا عرفها فانه سيبذل جهده كي لا يقولها. لقد بحثت عن الحقيقة عند الناس البسطاء الحقيقيين ولذا كتبت تحقيقاتي لا من القصور وإنما من السجون ومستشفيات المجانين ومراكب الصيادين التائهة في شطآن القمر الدامي، وجرود الهرمل وعكار النازفة فقراً وغضباً، كتبت كثيراً بحبر الفجر، فجر الكادحين ولم أغمس ريشتي بعطر الحفلات والكرنفالات الإجتماعية. التقيت بالبشر الذين يهرب (الوجهاء) من لقائهم وتعلمت كثيراً منهم كأديبة لا كصحفية فقط.

● **هل تشعرين بازدواجية بين شخصيتك كأديبة وشخصيتك كصحفية؟**

- كنت باستمرار صحفية، وأديبة تتعامل مع الصحافة، وهكذا فان علاقتي بالصحافة كانت دوماً مزدوجة، كالعلاقة مع رجلين احبهما في وقت واحد أو لنقل ان حب احدهما يغذي حب الاخر بطريقة ما... وعملي الصحفي ساعدني، كأديبة، على الحياة داخل مناخات يبقى بعض الكتاب في بعد عنها بحكم وضعهم الطبقي مثلا. بالصحافة عشت خارج طبقتي وداخل زمني وعصري، وبالصحافة تعلمت كأديبة كيف اتعامل مع الصحافة.

● إذا كانت المرأة دخلت صحافة الرجال، فاي دور يمكن ان يلعبه الرجل في صحافة النساء؟

- لا أرى فارقاً بين ان يشرف على الصحيفة الناجحة النسائية رجلا أو امرأة. فجراح الأمراض النسائية هو غالباً رجل فلماذا لا يكون جراح أمراض الروح النسائية - أي الصحفي - رجلاً مثلاً؟ المهم الكفاءة. المهم العطاء. شيء آخر، المجلة النسائية الناجحة يجب أن يستمتع بقراءتها الرجل أيضاً: أي أن يكون فيها عنصر انساني مشترك يتجاوز الأجناس. إنني أرى في إهتمام الرجال بالصحافة النسائية دليل عافية وجمال وتجاوز لتاء التأنيث. مجالات الإبداع لا فرق فيها بين أنثى وذكر.

٥ / ٥ / ١٩٧٨

جهاد فاضل يستجوب

• من حق الجميع أن يكتبوا دونما شروط مسبقة، بما في ذلك حق... الرداءة.

• المهم تزويد الأدباء الطالعين بخلفية تراثية مقنعة، لا حبسهم في غرفة التراث.

ليست غادة السمان مجرد كاتبة روائية ناجحة أغنت المكتبة العربية بانتاج خصب متميز، فيه نكهة العصر والانسان والشرق، بل إحدى الشخصيات القلقة في تراثنا الفكري والأدبي المعاصر. لم تشأ أن تعتقلها التقاليد والموروثات، بل خرجت الى شارع العصر حيث النواقيس تحيي على الزمن الرغد الآتي، وحيث الدهشة والفرح، وحيث البساتين والحقول متعانقة مع ربيع بلا انقضاء.

شخصية قلقة مسكونة بالمعجب والمختلف تأخذ قارئها الى حيث يستطيع استنشاق الجدة وملامسة النضارة وادراك بكارة الكلمات والأشياء والمعاني التي تشير اليها والاغتسال في ينبوع نقي من الوجود.

• ما علاقة الأدب بالعصر والتقدم والتراث والاخلاق؟

– لا علاقة للأدب بالعصر ولا بالتراث ولا بالتقدم ولا بالأخلاق. أعني، لا علاقة مباشرة له بذلك كله. علاقته المباشرة والأولى والأساسية هي بالمبدع ومن خلال المبدع يتلقى الأدب روافده كلها سلباً أو ايجاباً. ألح هنا على شخصية المبدع لأن بعض النظريات السياسية والتنظيرات الفكرية تلح على إلغاء فردية المبدع وبالأحرى تفرده. فرادته. وذلك في نظري الشرط الأول للابداع، إذ لا إبداع دون (لمسة سحر) بمعنى ما.

ذلك الموشور السحري الشفاف الذي هو شخصية المبدع يتلقى ملايين الاشعاعات

الضوئية والمعتمة والتي تراها العين المجردة (للعاديين) وتمر بها ببساطة، أو لا تراها، عبر ذلك الموشور تمر الحزم الضوئية للعصر والتراث والأخلاق والسياسية والتعليمات الحزبية والتوجيهات (العليا).. انها تمر عبرها ولا « تكونها ».

لماذا هذا التحديد الصارم للسؤال؟ لأننا نعيش في عصر (توظيف) الأدب للغايات كلها ما عدا الابداع الأدبي! بعض اليسار يريد توظيف الأدب لخدمة (التقدم). بعض اليمين يريد توظيف الأدب لخدمة (المكرسات). بعض التجار يريدون توظيف الأدب لتمجيد الجمال المطلق وتنشيط السياحة. بعض (المتصوفين) يريدون توظيف الأدب لخدمة الأخلاق. الجميع يطالبون بكتابات ضمن (خط معين) ولكن أحداً لم يعد يفكر بكتابات ذات (مستوى معين).

ان هذا الاتجاه خطر على الأدب، وعلى التقدم والسياسة والأخلاق معا... (أعتقد أن العودة الى قراءة كتاب نظرية الأدب تأليف أوستن وارين ورينيه ويليك أمر ضروري جداً في هذه المرحلة، والكتاب مترجم الى العربية - ترجمة محي الدين صبحي، ومراجعة الدكتور حسام الخطيب).

باختصار، أنا أدعو الى تحرير الأدب من ديكتاتورية البورجوازية والبروليتاريا معاً واعادته الى ديكتاتورية الحرية الفنية أي حرية الامكانات كلها وحرية المجهول وحرية المستحيل! صار من المتفق عليه أن الفنان المبدع هو ابن عصره القادر على أن يكتب في الوقت ذاته أدبا لكل العصور. شكسبير كتب مسرحياته ليتم تمثيلها في بلاط الملكة اليزابيث، لكنهم اليوم في الصين الشيوعية لا يملكون إلا تمثيلها واعادة الاعتبار إليها.

لم أقرأ في الصحف البريطانية أن هنالك مشكلة بين الأدب المعاصر والتراث، ولم يطالب أحد برنادشو بأن يكتب بلغة شوسر، ولا بيرانديللو بأن يكتب بلغة دانتي، كما لم أقرأ عن ذلك في أدب بلدان أخرى لدي بعض الاطلاع عليها. فالتطور سنة الحياة، والارتباط المفتعل بالماضي كالانقطاع المفتعل عنه: عملية قتل باسم الاحتضان أو باسم الهجر. فضم التراث الى الصدر حتى الانسحاق يولد الاختناق، والبعد عنه حتى التنكر يولد كتابة هجينة وضحلة. ويخيل إلي أن معركة (التراث) لدى العرب هي القناع الأدبي لمعركة أكثر عمقاً ولا نتجرأ غالباً على الجهر بها، وهي معركتنا مع التابو المحرم، كالسياسة والجنس وسواهما من الموضوعات.

ما يشير إليه البعض باسم (التراث) هو أحياناً محاولة لقمع الثورة الفكرية لدى جيل

لم تعد حكايا كتاب الأغاني وجعبة الأصبهاني تكفي للاجابة على تساؤلات جديدة نبتت في قاع روحه.

والعكس أيضاً صحيح. ما يشير إليه بعض الأدباء الشبان باسم التورية (التراث) ويهاجمونه، هو في جوهره هجوم على الخطأ في توظيف البعض للتراث العربي ضد التقدم. من هنا يبدو الحوار حول (التراث) أحياناً مثل حوار الطرشان، فالواقع ان الشجار لا يدور حول التراث بقدر ما يدور حول تحديد ماهيته ومهمته. فاذا كان المقصود من التراث نقل نمطية تفكيرية سلفية وتطبيقها بشكل أعمى على العصر لمجرد انها وردت في أمالي القالي أو الكامل للمبرد أو طوق الحمامة أو حماسة أبو تمام أو كشكول العاملي أو «أعجب العجب في شرح لامية العرب» أو «وفيات الأعيان» لابن خلكان فهذا أمر مرفوض مرفوض مرفوض وليس هنالك تراث نرضى باعتباره «خريدة القصر وجريدة العصر» إلى الأبد، وإلا لكانت علاقتنا بالتراث مريضة ومعطلة لحواسنا الابداعية.

أما إذا كان المقصود من (التراث) علاقة كتلك العلاقة الصحية التي قد تنشأ بين أب وابنه، دونما شروط مسبقة بان يكون الابن (صورة عن أبيه) فهذا أمر بدهي لا يحتاج إلى تأكيد، والفن الذي لا جذور له، لا فرع له، ولا ثمر له، ولا يمكث في الأرض ولا ينفع الناس.

● **وكيف تتصورين علاقة الأدب بالتقدم والأخلاق؟**

- الأدب الحقيقي أي المبدع لا بد وان يطرح تساؤلات حول المعنى الحقيقي للتقدم. أي التقدم إلى أين؟ صوب ماذا؟ ويلح الحاحا خاصا على العلاقة بين التقدم وجعل العالم مكاناً أكثر (انسانية).. أية انسانية؟ وهل من الممكن تحقيق انسانية فردية في عالم قاحل من القيم؟ انسانية الجماعة ولو على حساب بعض الأفراد؟ كيف؟ اليست هنالك حلول أخرى لم تخطر ببال بعد؟ من هنا تأتي العلاقة الحتمية والمشؤومة بين الأدب والسياسة، وكي أكون أكثر دقة أسميها «العلاقة الحرجة» والفنان الكبير هو القادر على خلق تلك المعادلة الدقيقة جداً بين ضرورات التقدم وبين الضرورات الفنية لعمله، وجعلها لا يتضاربان وانما يكمل كل منها الآخر. فلاذا أحب الفنان (الانسانية) أكثر من (الفن)، تحول إلى سياسي مبشر سمج، وصارت أعماله كموعظة، نوافق على كل ما جاء فيها بتبجيل ولكن بفتور.

الأدب ضد الاخلاق السائدة والمكرسة والمبنية على الرياء. الأدب ضد أخلاق

النفاق. أخلاق الأقنعة. أخلاق الذين يملكون نقوداً كافية لخرق الأخلاق. أخلاق الذين يملكون نفوذاً كافياً لفرض (أخلاقهم الخاصة). الأدب مع «جوهر الأخلاق» بغض النظر عن الذي يمارسها. المجتمع يدخل في مساومات كاريكاتورية بهذا الشأن وينصب التمييز على القوي والضعيف أي بلغة عصرنا على الغني والفقير. اليك على سبيل المثال هذه المفارقات: الغني الذي يحب المزاح يسمى (متواضعاً). الفقير الذي يحب المزاح يدعى (سمجاً). الثري الذي يحب النساء يلقب بـ(بلاي بوي). الفقير يسمى (رذيلا). الثري الذي يسرق سرقات كبيرة يسمى (شاطراً).الفقير يرمى به إلى السجن وتقطع (رقبته). الثري الذي يرتمي باحضان ملذات الحياة يسمى (ذواقة) و(بون فيفر). الفقير يسمى (عبداً لشهواته)... وكلمة الغني مرادفة في مجتمعات أخرى لصاحب السلطة أو الاقطاعي أو النافذ أو زعيم العشيرة.والفقير هو المسحوق ملح الأرض عاملاً كان أم فلاحاً أم أستاذ مدرسة في قرية مهجورة... إلى آخره. الأدب لا يهادن في هذا المجال لأن تاريخ حربه مع (لعبة الأخلاق) يعود إلى زمن غابر. وقد يبدو الفنان المعاصر (محتاراً) في «لعبة السياسة» تائهاً بين مختلف النظريات الجديدة المنصبة على رأسه من الجهات كلها، حائراً اين ينتهي التزامه السياسي ويبدأ التزامه بفنه، لكن الأدب في المجال الأخلاقي الاجتماعي قد تمرس باللعبة واتقن أساليب المقارعة... وخصمه قوي وشرس ويعرف كيف يربط اللعبة الاجتماعية بالسياسية لكن هذا الترابط العنكبوتي يوضح الرياء السياسي ويكشفه بدلا من أن يعتم على الخبث الاجتماعي الاخلاقي.

• ما الذي توحيه إليك كلمة سقراط: أيها الانسان اعرف نفسك؟ هل عرفت نفسك؟ وكيف تقدمينها إلى صديقة؟

- يخيل إلي ان هذه العبارة تعرضت إلى تشويه غير مقصود في النقل. «اعرف نفسك» تقال اليوم كما لو انها عبارة موجهة للذات ودعوة إلى المزيد من الابحار في الفردية، ولكن حين نتذكر العصر الذي قيلت فيه ومناخ الحضارة اليونانية ومجالس فلاسفتها حيث التلامذة يتحلقون حول الاستاذ، كما في كل مجالس التواصل الانساني وكما في اجتماعات الطاولة المستديرة - أو المربعة - حيث يلتف الجميع في حلقة واحدة. بما في ذلك تحضير الأرواح وتحضير الافكار وتناقلها في حالة تناغم وانسجام وتواتر روحي يعبر عنه كل ما في الجلسة بما في ذلك وضعية الجلوس. لاحظ مثلا مدى الاختلاف بين وضعية العسكر من جهة ووضعية تلامذة ذاك العصر وتلامذة أئمة الاسلام وحلقات الكتاب العتيق من جهة أخرى.

الجندي الذاهب للقتال يمشي كل واحد وظهره للآخر لأنه ذاهب لينفذ لا ليفكر. تلامذة هذا العصر للأسف يجلسون في الصف كما يمشي الذاهبون إلى القتال، لأنه مطلوب منهم التنفيذ وحفظ المناهج المفككة وعدم مناقشتها كشرط لحفظها.. نعود إلى أثينا، قيلت هذه العبارة في مناخ تواصل انساني جماعي للبحث عن الحقيقة، كما لو أن سقراط قال: أيها الانسان اعرف الاخر في نفسك. يخيل إلي ان الشرط الأساسي لمعرفة الذات هو:

١- وعي الموقع الذاتي، مع وعي متكافىء واعتراف ضمني بأن الآخر هو أنا أيضاً.

٢- محاولة معرفة موقع الذات من بحر الوجود المليء بأمواج الأسرار واسماك قرش الاسئلة المستعصية المدفونة تحت أسنانها، والجزر المرسومة على شكل شارات استفهام.

«« أيها الانسان اعرف نفسك» صرخة تجيء من زمن المعرفة والحنان (على الآخر والذات) الذي هو في جوهره مرادف للتواضع. بالمقابل تكاد تسمع صرخة عصرنا مدوية تقول: «ايها الانسان اجهل نفسك». تسمعها كل يوم. كل ما حولك يدفعك إلى أن تجهل نفسك. أكثر ما في المجتمعات الاستهلاكية المعاصرة مسخر لتكريس شعار «أيها الانسان اجهل نفسك».

والمفجع أن مجتمعاتنا العربية تتابع استيراد هذا الجانب الاستهلاكي من الحضارة الغربية نابذة جوانبها الأخرى.

• كتبك وقصصك رائجة لدى الناس ويطبع بعضها الان للمرة الرابعة والخامسة هل انت بالذات راضية عنها، اذا اعدت صياغتها من جديد فهل تعدلين فيها؟

- ضمن اطار الزمان والمكان، الذي كتبت فيه سطوري، لم يكن بوسعي أن أكتب ما هو أسوأ ولا ما هو أفضل. نعم، ارضتني كتاباتي ضمن اطارها الزمني، أما ضمن اطار طموحي فأنا جادة حينما اقول لك: لم أبدأ بعد بكتابة ما اشتهي كتابته وهذا الشعور يلازمني باستمرار وبصورة خاصة بعد أن انتهي من عمل ما! وربما لذلك أكره اعادة كتابة أي حرف اخطه ويعذبني كثيراً ان أعيد قراءة كتاب من كتبي حين اضطر لذلك تمهيداً لاعادة طبعه وتصحيحه. أشعر أن الأخطاء الطباعية ليست هي التي بحاجة الى اعادة تصحيح بل أخطاء الطبيعة البشرية المركبة على النقص مهما توهجت وعلى الضعف مهما تفجرت.

بصراحة، ما يعذبني ليس ما كتبته، بل ما لم أكتبه. والفظيع أنني أمر بفترات

أكون خلالها عاجزة عن كتابة كلمة واحدة: أصير مسحوقة تحت وطأة الاحساس بأن اللغة مسكينة وقاصرة وعاجزة عن احتواء الحقيقة، والفكر الانساني عاجز عن مجرد لمس أكثر من أحد وجوهها. تصيبني هذه الفترات بارتباك عملي واجتماعي - على الصعيد الخارجي - أما على الصعيد الداخلي فانني أصاب بعذاب داخلي مريع وأصير برية ومفترسة وغير اليفة ولا داجنة اجتماعيا واتهرب حتى من احب الناس الي واقربهم الى روحي وفكري!

لا أستطيع أن أعيد صياغة أي عمل سبق وكتبته. فالعمل الأدبي كطلقة الرصاصة لا يمكن استردادها بعد اطلاقها. اعادة الصياغة أمر غير ممكن، فالعمل الأدبي وحدة في الشكل والمضمون، والشكل جزء لا يتجزأ من المضمون يتأتى عنه بعفوية «كما النهر يحفر مجراه»... أنا شخصياً غير راضية عن بعض قصصي الأولى ولكن إعادة صياغتها -لو فرضنا جدلاً أنه ممكن - لا ينقذها.. ليست الصياغة هي ما يؤرقني بل الجوهر، وحين أرفض جوهرها يكون الحل لا في (تصحيحها) بل في تجاوزها الى كتابة قصة جديدة أخرى.

● **كيف توفقين بين حب بيروت وحب دمشق؟**
ألا يتصارع الحبان عندك، ومن ينتصر بعد هدوء العاصفة؟

- ولماذا أوفق بين الحبين؟ ولماذا الافتراض بأن كل حب يلغي - بالضرورة - الحب الذي سبقه، أو أن الصراع واقع لا محالة بين حب وحب؟. الحب عملية نمو ذاتي، وكل حب جديد ينمي فينا القدرة على مزيد من المعرفة «بفن الحب» - بالمعنى الذي يتحدث عنه إريك فروم في كتابه فن الحب -.

حبي لدمشق كان مسكونا بالرومانسية والهم الشخصي. معركتي ضد مجتمعها المحافظ المتزمت يومئذ كانت شرسة، و(خناقتي) مع دمشق كانت كشجار العشاق المر: خناجر ودموع وقسم بالهجر واللعنة وتبادل اللاغفران... لكن دمشق لم تكن بالنسبة لي ذلك العاشق صعب المراس فقط... دمشق كانت ايضا الغوطة وخريف قاسيون (حب الطبيعة) وكانت الجوامع والكنائس العريقة الاثرية وابواب المدينة واسوارها (العراقة التاريخية المبحرة في الزمن)، وكانت مجالس رفاق أبي من اساتذة الجامعة الذين فتحت عينيّ على عالمهم ومناخهم (حب العلم والمعرفة وتقديسها) وكانت البؤس المرير في العيون اثر الانقلابات المتعاقبة التي فتحت عينيّ عليها (الجوع الى استقرار سياسي محبب)... وكانت ليالي السحور في رمضان حين يوقظني ذلك الغناء الشفاف الراكض

عبر الاحياء في مناخ صوفي رقيق (حب التراث)... وكانت وكانت.. وكانت دمشق هي الطفولة: الحب الطفل. الجرح الطفل. ردة الفعل الطفلة. كانت ذلك العشق المستعر حبّاً وكراهية، والذي حوله الفراق الطويل الى وشم في الذاكرة، ولمسة توق في الروح...

أيام غرامي الدامي مع دمشق كنت ملفوفة بقطن الحماية الاجتماعية، كان والدي هناك يقف الى جانبي ويؤمن لي (أمبلاج) من (سولوفان) الحنان والقوة. في بيروت وقفت وحدي تماماً وكان علي أن أشهر أظافري الشخصية. في بيروت تعلمت معنى الحب الاكثر نضجاً: حب المسؤولية والعمل. في بيروت انطلقت الى بيوت الفقراء وكهوف ابناء الشعب وكانت فترة عملي في الصحافة من اخصب فترات حياتي، فقد طلب الي اجراء مسح شامل لمناطق لبنان وكنت أركب سيارتي واحمل الكاميرا وادور في الغابات والسهول والقرى النائية والتقي بالناس الذين لم تسمح لي طبقتي الاجتماعية في دمشق بلقائهم... لقد دخلت عوالم حب كنت أجهلها واطلعت على جراح لم أكن من قبل أفهم لغة نزفها. لقد دخلت ما يسميه الاديب توفيق يوسف عواد «طواحين بيروت» ولكنني خرجت منها حية، وقد ادهشني ذلك شخصياً أكثر مما ادهش الذين يعرفونني... واذا كان العرب يبعثون بابنائهم الى الصحراء ليتعلموا الفروسية والشعر، فقد بعثت بي أمي دمشق الى بيروت لاتعلم الوطن والجرح.

...حب بيروت شيء اخر... انه الحب الواعي البعيد عن العشق والذاتية، والمسكون بالهم العام.. بيروت المكافحة التي تدفع ضريبة العروبة كما لم تفعل أية مدينة عربية أخرى حتى الآن...

تسألني من ينتصر بعد هدوء العاصفة؟ أقول لك يا صديقي إن العاصفة لن تهدأ وسأظل ارضاً مكشوفة لاعصار الحب القادم من الجهات الخمس!.. من ينتصر؟ القدرة على مزيد من الحب أتمنى ان تنتصر، فالحب هو الحياة، ونحن نموت حينما يموت في داخلنا ذلك الضياء الحاد الذي يخترقنا أحيانا مثل أشعة (لايزر) مخلفاً في الروح موجات من النبض والتوق والرعشات الشفافة الكاوية، هي المحرك الاساسي للكتابة والعطاء.

● بماذا تنصحين فتاة عربية في الجامعة الان؟

- لا أنصح أحداً بشيء. اتمنى لها:

١ - اعتبار الرجل شريكها في المعركة ضد التخلف، لا العدو الشخصي لها.

٢ - في حال اللقاء برجل (شوفيني) - وما أكثرهم - المطلوب محاولة تجاوز ردة الفعل وعدم الانزلاق الى قوقعة (الشوفينية المؤنثة) ومتابعة اثبات الذات دونما تأزمات، سلباً أو ايجاباً. اللامبالاة أكثر بلاغة من خطب الدعوة لتحرير المرأة.

٣ - التضامن مع الحركات والتجمعات التي تحمل أملاً للمسحوقين والكادحين بما فيهم المرأة... أي التضامن مع كل ما يحاول جعل العالم مكاناً أقل بشاعة وقسوة.

٤ - الاعتماد على العمل وعدم هجره بعد الزواج وعدم تحويل الشهادة الجامعية الى جزء من ديكور المطبخ.

٥ - المرأة - جامعية كانت أم أمية - مسحوقة باستمرار تحت اعداد ثلاث وجبات يومية وتنظيف ملابس أربعة اشخاص على الاقل وملحقاتها من تنظيف البيت وترتيبه. ان الامل الوحيد لتمارس المرأة (جامعيتها) وتتابع عملها هو في انشاء مجتمع يعتقها من هذه الممارسات البليدة، مجتمع «نفض عن كاهليه شاغل الخبز اليومي بفجاجته وبلادته، وتهيء فيه المطاعم العامة طعاماً طيباً حسب ذوق كل فرد، وتغسل فيه المغاسل البلدية بنظافة غسيل الناس جميعاً، ويلقي فيه الاطفال، جميع الاطفال، غذاءً جيداً ويتمتعون بالمرح والقوة ويتمثلون عناصر العلم والفن الاساسية - تروتسكي - ترجمة جورج طرابيشي».

وصحيح أن الجامعية البورجوازية استطاعت أن تحل مشكلتها مع الهموم البيتية، لكنني هنا اتحدث عن الاكثرية الساحقة من الجامعيات. ان الامل ببناء مجتمع كهذا يبدو نافذة على الامل.

٦ - يجب أيضاً أن نأخذ بعين الاعتبار تجربة المناضلات في بعض البلدان الثورية التي كانت للاسف مخيبة للامال. ففي مجموعة مقالات كتبتها جيزيل حليمي (محامية جميلة بوحيرد) وجرمين غرير، كيت ميليت، شولاميت فايرستون، وغيرهن من اليساريات - جمعت في كتاب قضية النساء ترجمه جورج طرابيشي - نجدهن يعبرن تعبيراً موجعاً عن وضع المرأة الدوني حتى فيما بعد نجاح الثورة في بلادهن وحتى بعد تحقيق قضية المطاعم العامة والمغاسل ودور الحضانة. أنا شخصياً شعرت بخضة فكرية بعد قراءة شهاداتهن واعتقد ان علاقة المرأة المناضلة برفيقها هي بحاجة الى اعادة نظر و «ماركس قد مس مشكلة اضطهاد النساء النوعي مساً خفيفاً. وانه لمن مستتبعات المنطق المذكر ان يكون ورثة ماركس قد طوروا ابحاثه في الاتجاه الذي يسمح لهم بأن يزيحوا نضال النساء الى المرتبة الثانية».. وبعض الثورات العربية التي ساهمت المرأة

في صنعها اعادت المرأة الى المطبخ بعد نجاحها ليستلم الحكم الرجال...

هذه الاتهامات الخطيرة تجعل اعادة النظر حول هذه الامور شيئاً بدهياً وحتمياً.

ومن الحديث عن المرأة انتقلنا إلى الحديث عن الشعر ربما للصلة الوثيقة القائمة بينهما.

• هل نظمت الشعر يوماً؟ في بعض كتاباتك القصصية شعر..

– أنا عاجزة عن عملية «النظم». هذه ليست ميزة ولا نقطة ضعف. كل ما في الامر هو أن عطائي يجيء على نحو مختلف. يتدفق متفجراً كينبوع، وصحيح انني لا أعجز عن التخطيط لتدفقه لكنني ميالة الى «نظم الفكر» أكثر من ميلي الى «لعبة الشكل». أنا من عشاق المضمون وارى أن الشكل هو جسده، (أي جسد المضمون). من هنا اعترف لك بأنني أكره القصيدة الموزونة المقفاة الفارغة من المعنى اكثر من كرهي «للنثر الشعري» الذي قد يحمل شحنة ايحاءات فكرية. واعترف لك انني لا أطيق المقامات لما فيها من صناعة وامقت كل نمط أدبي يميل الى تزويق الشكل على حساب المضمون. واعترف لك بأنني لا استطيع التمتع بشعر التكسب والمديح مهما أمتدح النقاد (جماله) لأنني لا استطيع ان أرى أي جمال في فكر قميء الغايات أيـاً كانت ادواته ووسائله الفراهيدية!..

وهكذا فأنا لم «أنظم» شعراً قط ضمن اطار التعريف السائد رسمياً للشعر...

• ما رأيك في الشعر العربي المعاصر؟

– الود مفقود بيني وبين التعابير النقدية. انها غالباً لا تمثل لي شيئاً. اصطلاح «الشعر العربي المعـاصر» مثـلاً، لا يرضيني. بـالنسبـة لي هنـالـك «شعر جيـد» وشعر رديء وبالاحرى «لا شعر». الشعر الجيد هو دوما معاصر بطريقة ما ويمس وتراً في اعماق الانسان في كل زمان ومكان... في حقل الشعر يحدث الان ما يحدث باستمرار وفي امكنة اخرى: هنالك شعراء يبدعون وهم ندرة. وهنالك من «لا».

اما اذا القينا نظرة شاملة على ما ينشر حالياً من شعر في الصفحات الثقافية العربية التي تطالها ايدينا، فمن الممكن القول ان الصدمة الكهربائية التي ولدها لقاء الشعر العربي بالشعر الغربي المترجم لم تكن رديئة جداً، لقد خلقت حيوية في استعمال اللغة والفكر وكسرت رتابة الكليشيهات وحرضت لدى المبدعين امكانات فكرية وبلاغية جديدة لا متناهية. وصحيح اننا الان نلحظ مرحلة من الفوضى يختلط فيها الابداع بـالزيـف، والعطـاء الحـق بعشاق رصـف الكلمات عـلى نحو غوغـائي وعبثي تحت ستـار (المعـاصرة)، لكن ذلـك كـان يحـدث دائماً وفي كـل مكـان. المهم بـاستمرار ان لا نقتـل

الاحتمالات اللامتناهية والغامضة لابداع الجديد بحجة ان البعض يعيثون فساداً في الشعر. المهم الا نلتصق بقواعد معروفة مضمونة مكرسة ومحترمة بل ان نتقبل الاصيل القادر على الالمام بها ومن ثمة تجاوزها دون ان تكبو به الموهبة. فالابداع هو دوماً استيعاب للتراث وحفظ للضوابط والاصول السائدة ومن ثمة الاضافة إليها وتجاوزها، بدون هذه الاضافة او التجاوز يحصل (تكرار) لا (ابداع). ان الفظاعات التي يرتكبها البعض تحت ستار المعاصرة والتجديد لا يجوز بحال ان تصير حجة لمنع التجديد. من حق الجميع ان يكتبوا دونما شروط مسبقة بما في ذلك « حق الرداءة » ومن حق النقد فيما بعد أن يقول كلمته. اذا فرضنا جدلاً ان أحداً لم يكتب بعد « قصيدة نثر » جيدة، فذلك لا يصح في نظري سبباً لمهاجمة « قصيدة النثر » بل انه يعني ببساطة ان فارسها لم يولد بعد. من أخطر الامور استخدام التراث كحجة ضد خلق الجديد، في حين ان التراث هو أبداً رافد الجديد لكنه ليس الرافد الوحيد فحسب، ومحاولة جعل التراث « الرافد الاوحد » – على وزن الزعيم الاوحد – هي كمحاولة ارغام الطفل على الاستمرار في التغذي من حليب أمه والاقتصار عليه حتى بعد ان يشب عن الطوق والمحبرة معاً!..

● من من الادباء العرب القدامى تعتبرينه « شخصية قلقة » بالمعنى العصري؟ وكيف تنظرين الى التراث العربي؟

– كل مبدع هو « شخصية قلقة »، مخزون قلقها لا ينضب على مر العصور... المعري مثلا هو يونيسكو العرب الذي وعى عنصر العبثية (مسرح اللامعقول المعاصر) وعبر عن ذلك الحس الحاد ضمن اطار لغة عصره ومفاهيمها المسلطة على رأسه.. انه الحس ذاته الذي عبر عنه شكسبير في مسرحيته « الملك لير » وكان ذلك موضوع كتاب جميل تأليف ايان كوت اسمه « شكسبير معاصرنا ». والامثلة لا تنتهي، وكي لا اسقط في (ثعلبية) استعراضية ثقافية، اكتفي بهذا المثال الذي ينسحب على عشرات المبدعين العرب وزوايا مختلفة (لقلقهم) الذي سيظل معاصرا.

بالنسبة لنظرتي الى التراث العربي أقول لك دونما مداورة: انني ارفض أية عملية قتل لحرية تحرك الذهن العربي تحت ستار التراث. وأرفض أية عملية قمع سياسية ترتدي ستار التراث، وتحوله الى (قميص عثمان) فكري.

خارج هذا التحفظ، أحني رأسي باجلال لبعض تراثنا وأومن بصدق أنه لا ابداع دونما الانطلاق من تلك الخلفية الانسانية التي تحفظ الشخصية العربية من التشتت، والابداع من الانحلال والتفكك. دعنا نتابع تحديد الاشياء دون مواربة. تراثنا في حالة فوضى لا تطاق، والعودة اليه حفلة تعذيب فكرية لانه عليك ان تقرأ عشرات من

صفحات الكلام الرث (الذي قدسه التقليديون لمجرد عتقه!) حتى تصل الى ما يروي غليلك.

في تراثنا العربي امكانات درامية ابداعية مذهلة، وشخصيات لا متناهية الايحاء. لنأخذ «ديك الجن» مثلا. انه ببساطة (عطيل) العرب، وحكايته اكثر روعة من (عطيل) شكسبير، لكن، كي تصل الى ديك الجن عليك ان تحتمل قراءة عشرات من شعراء الرداءة واذا كنت ابن هذا العصر فلا بد لك من ان تضجر، واذا لم تضجر فأنت بحاثة ممتاز، وهذا لا يعني بالضرورة انك اديب مبدع!...

ان ايقاع العصر لا يسمح للفنان الشاب المعاصر بقراءة الاف المجلدات دون السقوط في فخ الملل، فبالاضافة الى (قصر النفس) الذي هو من مميزات عصرنا، فان الفنان العربي المعاصر يواجه تحديات سياسية وحياتية وتحديات غربية وابداعات مذهلة في لغات اخرى ولا يمكن ان يتسع وقته لقراءة ذلك كله حتى ولو شاء ذلك.

تراثنا العربي بحاجة الى غربلة. بحاجة الى اعادة نظر على أيدي اساتذة بعيدين عن التحجر والتعصب، وعلى أيدي مثقفين يحبون التراث بعين مفتوحة، ولاسباب فنية بحتة. اننا بحاجة للتخلص من الاف القصائد الرديئة التي يدرس بعضها في المدارس مما يثير ضيق الاساتذة والتلامذة على السواء. انني انادي بمؤسسة للتراث العربي تخرج لنا مجلدات «الموجز في التراث العربي» بحيث تصير القراءة ممكنة والاطلاع ميسراً، ويكف التراث عن ان يصير بعبعاً للفنان وسيفاً يشهره الناقد بمناسبة ودونما مناسبة. المطلوب (تحرير التراث) من سوء المعاملة ومن سوء الفهم ومن سوء الاستعمال.

لقد تصادف ان كانت نشأتي في بيت يعشق ربه التراث، وتصادف ان (أرغمني) والدي على الالمام به منذ طفولتي بدءاً بحفظ القرآن ومروراً بمجلدات الاغاني كلها وكامل المبرد ومئات سواها، لكن سَوْق الادباء الطالعين الى (التراثية الاجبارية) على وزن (الجندية الاجبارية) أمر غير ممكن قبل ان نقوم بغربلة التراث واعادة النظر فيه، والسماح لنا بالنقاش في اموره دون اعتباره امتداداً للمحرمات والمكرسات والتابو، والسماح لنا بابداء وجهة نظر بخصوصه (قد تكون خاطئة) دون ان تتهم في وطنيتنا وعروبتنا وقوميتنا. اننا نريد حرية ان نحب وان نكره كي نقدر على ان نحب تراثنا لانه بدون حرية لا يمكن نشوء علاقة حب أي علاقة تواصل بين الماضي والحاضر.

وهنا أحب أن أشيد ببعض المحاولات الفردية في مجال غربلة التراث وإلباسه ثوباً عصرياً على أمل أن ينفق النفط العربي على إنشاء مؤسسة تهتم (بتكرير) التراث العربي.

انني أدعو الى تكرير التراث العربي بمال النفط العربي وتلك خدمة حقيقية للادب، وأفضل بكثير من محاولة قمع التأثيرات الاجنبية في الادب العربي لان لا مفر لآداب الشعوب من ان تمتزج وتتواصل والمهم تزويد الادباء الطالعين بخلفية تراثية مقنعة بدلاً من حبسهم في غرفة التراث ومنعهم من الخروج الى شارع العصر.

١٢ / ١١ / ١٩٧٨

فوزي شلق يستجوب

ضاق ثوب الماضي على صرخة الحاضر والمستقبل.... فتمزق.

عندما تتحدث الى الأديبة غادة السمان تشعر منذ اللحظة الأولى وكأنك أمام بطلة كتبها التسعة.. المتعددة الأسماء، الموحدة الشخصية.. والعواطف والانفعالات.. وتبقى صورتها امامك تتحرك عبر اشاراتها، ومن خلال نظراتها، لتكرس صرخات التمرد والرفض التي اطلقتها منذ مطلع الستينات.

وغادة السمان لا تتعبك اذا ما حاولت تصنيفها.. فهي صريحة، واضحة، جريئة، والأهم من ذلك لقد عرفت نفسها، قبل ان يصنفها الآخرون.. وهي لذلك سعيدة وتشعر بالغبطة.

• غادة دائماً مختلفة (غير شكل) فهل هذا جزء من الكتابة؟

- جميع الناس (غير شكل). بعضهم لا يعي ذلك، وبعضهم يعيه لكنه يكتمه سراً لأن المجتمع قام بتدجينه وعلمه الخجل من انبل ما فيه.

وبعضهم يتعذب بصمت فترة تطول او تقصر ثم يقرر الانضمام الى القطيع لأن المؤسسات المحنكة التي تعتاش من تدمير ثورية الانسان تدرك خطر خروج البعض عن منطق القطيع. بعض الناس يعلن عن رأيه في بشاعة ما يدور، وينتزع من عينيه النظرة المسبقة التي يدقونها في موضع بصره وبصيرته، ويقرر دفع الثمن اياً كان.. واولئك هم الـ(غير شكل). اننا جميعاً (غير شكل) ولكن (من يعلق الجرس)؟...

• لغادة صورة في اذهان النقاد والقراء. هذه الصورة ترتبط بالتمرد والرفض والتحرر فهل تشعرك هذه الصورة بالغبطة؟

- انها تشعرنا كلانا بالغبطة. النقاد والقراء من ناحية وانا من ناحية اخرى. تشعرني هذه الصورة بالغبطة لأنها بالإضافة الى كونها جذابة وترضي نرجسيتي، تتطابق ايضاً الى حد بعيد وحقيقتي. وحينما تكون صورة الناس عن شخص ما قريبة من حقيقته،

يصير التعامل معهم اكثر وضوحاً وبالتالي اقل تشنجاً وزيفاً.

بالمقابل، هذه الصورة تشعر الآخرين بالغبطة. ها هم يجلسون في مقاعدهم الدافئة الآمنة كما في السينما، وها انا (المتمردة الرافضة المتحررة) امارس حياتي البالغة التوتر الكثيرة السقوط. ثم لململة الذات الممزقة لمتابعة الركض في درب طموحي. ها انا في الثلج والعراء وفي الضباب الرمادي لصالات الترانزيت بمدن نائية موحشة، امارس الغربة الموجعة التي هي توأم الرفض. وأمارس مسؤولية الحرية التي هي توأم التحرر، وامارس رحلة الزحف فوق جمر بركان الحقيقة على طول ليالي العزلة التي هي العقاب لخطيئة التمرد والسلوك (اللاقطيعي). وان حياتي (كمتمردة رافضة متحررة) هي كحياة ابطال سينما الكوارث: يحب الناس ان يرقبوها من بعيد ويفرحوا لأنها لا تحدث لهم. اما النقاد فهذه الصورة تشعرهم بالغبطة ايضاً اكثر مما تشعرني بذلك: انها تمنحهم الفرصة للتحدث عن مكارم الأخلاق عبر الهجوم علي! اما النقاد الأكثر جدية، فانهم يتجاوزون الكليشيهات التقليدية حول التمرّد والتحرر ويبذلون مجهوداً لفهم المدلول الاجتماعي والفكري لكتابتي ولسلوكي (المتطابقين غالباً) ويجدون فيهما مظهراً من مظاهر ثورة الفرد العربي على القوى التي تكبل تفجير طاقاته وحيويته على كل صعيد: اقتصادي فكري سياسي جنسي.

وهكذا، فان الجميع اكثر غبطة بصورتي مني! بالمناسبة، اسئلتك انت (غير شكل)!!..

• يلفت شخوصك انك تأخذينهم من الواقع، ثم لا نلبث ان تشعر ان هؤلاء الشخوص ارتبطوا بتصورات نفسية معينة اي انك في بعض الأحيان تحضرين في داخلهم اكثر مما يتيح الفن الروائي للكاتب من الحضور؟ هل هذا صحيح؟

- نعم هذا صحيح أحياناً وليس دائماً. يحدث أن يولد على نقطة التقاء قلمي بالورق بطل او بطلة ما، ويخبرونني عن حياتهم وانفسهم فاكتب ما يملونه باخلاص دون ان اتدخل.. ثم يحدث ان يتدخل شخص اخر (ليس بالضرورة انا) ويفجرني من الداخل فجأة وتبدأ الوجوه بالتمازج داخل دهليز المرايا الذي نعيشه في مرحلتنا هذه.. ماذا افعل؟ انني ببساطة أدمر احياناً قواعد الرواية المكرسة لحياد المؤلف ولكن، ألا ترى معي انه لا مكرسات؟ لا قواعد؟ ان الخلق يعني الجرأة على الانصات للصوت الداخلي؟

استوقفتني في سؤالك عبارة «اكثر مما يتيح الفن الروائي» بوجه عام، ليس هنالك «ما يتيحه» الفن الروائي او «ما لا يتيحه». الفن الروائي نحن الذين نخلقه وليس هو

الذي يخلق الرواية. مواصفات الفن الروائي لم تخلق قبل الرواية وانما تم استنباطها انطلاقا مما ابدعه الأدباء، وهكذا فان صيغة الفن الروائي او اي فن بصورة عامة - ليست قالباً جامداً محنطاً وليست غاية بحد ذاتها بل وسيلة.

كل المبدعين كسروا قواعد الذين سبقوهم بعد إلمام تام بها، كما اتاحت لي دراستي الالمام بما سبق من قواعد الفن الروائي - ولكن، ضاق ثوب الماضي على صرخة الحاضر والمستقبل فتمزق وصارت الحاجة ماسة الى رداء من نوع جديد يكسو جسد الكلمات المتفجرة كروح العصر.. قد يبدو ما افعله للوهلة الأولى مرعباً، لكن دراستي الجامعية الطويلة المتعمقة للأدب علمتني كسر القواعد اكثر مما علمتني ضرورة الالتصاق بها، وعلمتني جرأة المغامرة والتحليق ولو ضد اتجاه الريح بدلاً من لعبة الطير الدوري. اتذكر الآن بخشوع البروفسور «سويل» العظيم الذي تتلمذت على يديه اثناء دراسة الماجستير في الأدب بالجامعة الاميركية... كان اعظم شاب في الثامنة والستين عرفته في حياتي، كان يتحدث عن شكسبير بكل ما في طاقة العبقرية على التقديس، ومنه تعلمت:

١ - القواعد الأدبية وجدت كي نقدر على تجاوزها.

٢ - المألوف ليس بالضرورة الأفضل.

٣ - الابداع هو ان نتعلم كل شيء سبق لا ليستعبدنا وانما لنتجاوزه.

٤ - ليس هناك شيء جامد مكرس اسمه الفن المسرحي او الروائي وانما هنالك صيغة كالطفل قابلة للنمو والتطوير.

أفكر الآن باخلاص بسؤالك فيأتيني طيف برخت: لقد تجرأ وخاطب الجمهور مباشرة عن المسرح وعبر لعبة الكورس الاغريقي ابتكر (الكورس اليساري). كان ذلك مستهجناً لدى النقاد التقليديين لكن لمسة الابداع تبرر كل شيء وتكرسه كلاسيكياً.

أتذكر أيضاً. حينما عزفت السيمفونية الثالثة (هيروييكا) لبيتهوفن صفر الجمهور وبصق النقاد، وهي اليوم من روائع الفن الخالد. أتذكر أيضاً: حينما أصدر هرمان ملفيل رائعته «موبي ديك» وجدها نقاد عصره مملة ومليئة بالتفاصيل (الذاتية) حول صيده للحيتان. واليوم تفخر أميركا بأن مؤلفها أميركي. والأمثلة المشابهة لا متناهية. هذه الأمثلة علمتني شيئاً واحداً. الايمان بصوتي الداخلي وعدم الخوف منه وعدم وأده في وديان الصمت كما كانوا يفعلون ذلك بالبنات لأسباب تقليدية.. سأترك صوتي يتفجر كنبع، سأحاول دوماً أن أتعلم المزيد من قواعد الأولين والآخرين وقواعد «الفن

الروائي » المتعارف عليها في عصرنا وسأترك ذلك كله يغرق في قاع اللاوعي لأنني لحظة الكتابة أصر على أن أكون ذاتي غير المنقطعة عن معارفها المكتسبة ولكن غير المنقطعة أيضاً عن أصالتها المتميزة. إذن، ما يبدو حالياً بمثابة تدمير للفن الروائي، قد يكون إضافة وقد لا يكون. لكنني كجميع الحمقى والعباقرة أرضى بالمغامرة، والتاريخ وحده هو الحكم.

• لغتك ذات شخصية مميزة، وطبعاً هي مستمدة منك. اللغة نابضة.. حية متوترة. وتلعب دوراً جمالياً في كتابتك.. أحياناً نشعر أنها تصير أدباً آخر الى جانب الفن القصصي عندك كيف تنظرين الى هذا الرأي؟

- هذا رأي قد يكون صحيحاً بالنسبة إلى كتاباتي الأولى، لكنه كف عن أن يكون صحيحاً اعتباراً من مرحلة، « رحيل المرافىء القديمة » بل وحتى اعتباراً من « ليل الغرباء » حيث صارت الفكرة تسود، وصارت اللغة بالنسبة الي مجرد خادم أمين لها. في كتاباتي الأولى عشقت جمال اللغة كأي عشق مراهق، وكما يحدث لأكثر الكتاب الذين يبدأون الكتابة مبكراً، ثم حدث أيضاً ما يحدث عادة: تجاوزت مرحلة عشق الجمال الخارجي الى عشق الجمال الداخلي وتسخير كل شيء آخر لخدمته.. أي تسخير الجسد الجميل لخدمة الفكر الذي هو الأجمل.

• أزمة غادة الفنانة؟

أزمة غادة الفنانة هي ضعف غادة المرأة.

• أزمة غادة المرأة؟

أزمة غادة المزأة هي سيطرة غادة الفنانة.

• من غير أن تفكري أبداً.. ما رأيك في الحركة الثقافية في لبنان خلال الحرب؟

وهذا أيضاً سؤال (غير شكل). لماذا تشترط علي عدم التفكير؟ أم ان « التفكير » صار في زمننا الرديء مرادفاً لقول ما لا نؤمن به؟ انك يا عزيزي فوزي لا تسأل هنا بل تجيب. إنك تبدي رأيك الغاضب في سؤال ساخر الايقاع هو بمثابة تقرير متكامل. وحينما يصير السؤال جواباً، لا يبقى لي غير أن أطرح السؤال المضاد: بعد أن تفكر جيداً، ما رأيك في السلوك الانساني في لبنان خلال الحرب في المجالات الأخرى كافة غير مجال الحركة الثقافية وحدها؟... ولماذا يُدان الفنان وحده؟ ألأنه غير مسلح وليست لديه (ميليشيا) تحميه؟...

شتاء ١٩٧٩

سلوى البنا تستجوب

• أدب الأطفال الجديد: ربح الايديولوجيا وخسر... الفن، وبالتالي الطفل!..

• ليست لدي موهبة الكتابة للأطفال، وشكسبير أيضاً لم يملك هذه الموهبة!!

• غادة السمان. هل جربت الكتابة للأطفال؟ ثم ما هي أبرز الشروط التي يجب أن تتوفر في الكتاب المتخصصين في أدب الأطفال؟ وهل هي متوفرة في النماذج الراهنة؟

- لم أجرب الكتابة للأطفال، ويخيل الي أن الشرط الأساسي لمن يكتب للأطفال هو نفسه شرط الكتابة الأول: الموهبة.أتصورها موهبة من نوع خاص، لها شفافية ندف الثلج لا شراسة الجليد.. لها عذوبة الصدق الشبيه بحنان الأم والقادر على تبسيط تعقيدات الكون واختزالها في صيغ تحافظ على العمق وعلى السهل الممتنع، بعيداً عن صخب السيول والشلالات. الموهبة ستقود الكاتب الى الوعي بشروط أخرى، الثقافة، المعرفة، معرفة الجمهور الذي يخاطبه الكاتب، ومعرفة الهدف من الحوار مع الطفل الذي هو « الثائر » بعد عدة سنوات.. وربما « المدمن » أو « القاتل » أو « اللامبالي » والايمان بأن ما يسطره الكاتب قد يساهم ولو على نحو بسيط في بلورة هذه الصيغ. يخيل الي أن أهم ما يتميز به أدب الأطفال هو:

١ - القدرة على جذب الطفل وتسليته بحكاية حلوة تثير خياله وتلهب حلمه.

٢ - أن تكون هذه القصة الجذابة الحلوة قصة (صحية) بالمعنى الفكري للكلمة. أي أن لا تكون حلولها السعيدة مثلا نتيجة لحظ فردي يبقي على البؤس العام وينقذ أحد البؤساء بضمه الى طبقة المحظوظين انطلاقاً من « فهلوة » ذاتية. بعبارة أخرى يجب

نسف حكاية الفقير الشاطر الذي يتزوج من بنت الملك، ونسف الحلول الفردية المبنية على خروج الانسان من طبقته وتخليه عنها. أكثر الحكايا الحلوة المتوارثة هي غير (صحية) لأنها تكرس عظمة (الطبقة العليا) في المجتمع وتجعل هاجس «الفقيرة» أو «الفقير» منصباً على الدخول إليها وتحسين وضعه الذاتي وربما وضع اسرته.

هذا النمط من القصص يخدم نظاما اجتماعياً معيناً أثبت التاريخ إفلاسه في حقل إصلاح البؤس البشري العام وهذا طبعاً مثال بسيط حول ما أعنيه بالقصة الصحية فكرياً ولكن الافق رحب وشاسع والأمثلة لا متناهية على كل صعيد، بما فيها على صعيد عدم تخويف الطفل من بعض كائنات الطبيعة ونباتاتها ومظاهرها بشكل عشوائي أو تقليدي متوارث لأن ذلك يفسد حسه الفطري السليم ويحوله الى صبي يتحامل على بعض الأشياء دون مبرر حقيقي في داخله.. وبذلك يضيقون عليه عالمه ويحرمونه متعة اكتشاف ما يحب حقاً وما يكره حقاً. أما عن النماذج المتوفرة حالياً، فأكثرها يتدرج في خانتين:

١ - قصص حلوة ومسلية، مبنية على حكايا شعبية متوارثة وحكايا الجدات وعلى القصص المترجمة.

٢ - قصص «حديثة» غير مسلية ولا جذابة - بالنسبة للطفل - لكنها (صحية) فكرياً وايديولوجياً، مثلها مثل المصل الذي يحقن به طفل سليم قادر على التهام رغيف ساخن، فالذي حدث هو أن أكثر أدب الاطفال الجديد المحلي ربح الايديولوجيا وخسر الادب والقصة الجذابة المسلية الحلوة. وربح صحة الرؤيا وفقد القدرة على إثارة اهتمام الطفل وصار بالتالي عديم الجدوى من الناحية التثقيفية ومن الناحية الترفيهية.لقد خسر (الدنيا) الممتعة للطفل، ولم يربح الآخرة المستقبلية الفعالة. لا أستثني من هذا الكلام سوى ندرة تعد على الأصابع ما السبب؟ لأن الناشر العربي توهم أن بوسع كل أديب عربي جيد أن يكتب قصة جيدةللأطفال،وتم تكليفهم بذلك، ولم يبال أحد بشرط الموهبة الخاصة المتميزة بهذا الحقل، هذا أولاً، وثانياً شرط الثقافة الذي عنيت به أن في الدنيا اليوم دراسات عليا في هذا الحقل على المؤلف الالمام بأصولها، وهنالك عشرات الكتب التي تبحث في هذا الحقل ولها صلة وثيقة بعلم النفس وغيرها من الدراسات.والحل هو بالعودة الى التراث وغربلة الحكايا والاستفادة من الزخم الشعبي الهائل في هذا المجال وحكاياه الجذابة للطفل (مثلا السجادة الشاسعة التي يمكن طيها ووضعها داخل قشرة حبة الفستق وغيرها).

١ - إعادة كتابة هذه الحكايا البديعة من وجهة نظر ايديولوجية سليمة.

٢ - بعد مرحلة البناء هذه نكون قد مهدنا أرضية صلبة لولادة أدب الاطفال في بلادنا.

ان فشل كتابنا الكبار في كتابة قصة للصغار ليس تهمة.. شكسبير العظيم لم يكتب للأطفال. بيتهوفن لم يكتب سوناتا لهم. كل ما في الأمر أن الموهبة في هذا المجال تجيء على نحو آخر وتتطلب دراسة أخرى.

● لنعد الى البداية، هل تتذكرين أول قصة كتبتيها.. ما هي ظروفها.. وكيف تقيمينها الآن؟

- يخيل الي أن أول قصة كتبتها كانت سلوكي الرافض لكل ما يحيط بي من قيم ومكرسات ومؤسسات - أو معظمها - منذ طفولتي،ولكنها قصة كتبت بالحبر الاسود فوق صفحة الليل، ملك الأسرار. كيف أقيمها الآن؟ لو يرجع بي الزمان، (لاقترفتها) ثانية بكل ما فيها..

● هل لتجاربك الشخصية انعكاس على أدبك، والى أي حد؟

- لتجاربي الشخصية انعكاس أكيد على مرآة أدبي. ولكنه ليس انعكاساً مماثلاً لما نراه في المرآة العادية. في الفن، تستحيل المرآة الى صفحة بحر عميق الاغوار وتختلط في أعماق ذلك البحر أصداء حياتي مع حياة سكان الأفق كلهم. الفن يبدأ بـ « الخاص » لكنه حين ينمو في محرق الموهبة ينتشر ليكون « الآخر » أيضاً وأولاً.. إنه يبدأ من الهم الذاتي منتقلاً الى الهم المطلق.

● غادة السمان من اللواتي كتبن (أدب البوح) ما هي خصائص هذا اللون من الأدب.. ومن في رأيك أبرز كتابه؟

- « أدب البوح » لون أدبي طاعن في السن والتراث.. نجد أصوله العربية الأولى في طوق الحمامة لابن حزم وفي مصارع العشاق، وأخبار المحبين وغيرها من كتب العرب المعتقة.. خصائصه.. البوح على إيقاع ضربة القلب مع الاحتفاظ بنبض العقل كخلفية داخلية ضرورية لأي عمل مبدع.. يخطىء من يتوهم أن « أدب البوح » هو « ثرثرة القلب » دون رقابة الفكر وسلطة الارادة الواعية للأصول والقواعد الصارمة التي تساهم في التمييز بين شرر الموهبة الواهي، والطاقة على تحويله الى برق مضيء. كيف نميز بين غثة وسمينه؟ الزمن هو باستمرار غربال الأدب..

• كتابك الأخير زمن الحب الآخر صدر منذ فترة. ما هو جديدك؟

- كتابي الجديد اسمه «الجسد حقيبة سفر» وهو الآن قيد الطبع.

• تعلنين أحياناً أنك تعملين على كتاب ما وانه سيصدر قريباً، ولكنه لا يصدر وإنما نفاجأ بصدور كتاب آخر كما حدث مثلاً مع كتابك (اعتقال لحظة هاربة) ماذا يدور بالضبط؟

- يدور في مكاتبنا ما يدور في الوطن بالضبط،نخطط والأحداث تطحن زمننا، ونزرع ونمل الزمن يلتهم بذورنا، أعلنت عن إصدار (اعتقال لحظة هاربة) فتجددت الحرب في لبنان وتجدد تشردي واختلطت أوراقي مع ثيابي وحليب طفلي ونسيت تماماً (اعتقال لحظة هاربة) وصار هدفي اعتقال حياتي الوشيكة على الهرب في لحظة قنص. ليست الحرب اللبنانية وحدها ما يدمر خططنا. هنالك أيضاً حرب الغربة.ذات يوم أعلنت عن إصدار روايتي (السقوط الى القمة) فأعلنت الغربة حربها علي وضاعت المخطوطة مني في أحد المطارات الأوروبية (مسكين ذلك الذي سرق الحقيبة دوماً أتخيل وجهه وهو يرى كلماتي الهيروغليفية بدلاً من جواهر التاج الشهرزادية كما كان يتوهم).

مرة ثانية كتبها عنادي، فأحرقها صاروخ اخترق غرفة المكتبة في بيتي السابق المواجه لفندق «الهوليداي إن» ببيروت وبدلاً من السقوط الى القمة أصدرت كوابيس بيروت..

إن الزمن يا سيدتي يركض بحوافره فوق حروفنا وأحلامنا ويدمر بسنابكه أعذب رسومنا على الرمل التي رفعناها لشروق الشمس لكننا نظل تلك الكائنات الخرافية التي تتابع خلق نسيجها المضيء رغم المقصات كلها والسكاكين.. والصواعق..

الآن أعلن ثانية عن أن كتابي المقبل سيكون (اعتقال لحظة هاربة).أحاول باستمرار ألا أقهر حينما أهزم.

١٣/ ١١/ ١٩٧٩

جوزف كيروز يستجوب

- حضور المبدع العربي هو شهادة لا للمبدع وحده ولكن للشعب الذي أنبته والتراث الذي رفده.
- الفنان عدو التدجين. عدو التكرار. عدو الخنوع.

غادة السمان كاتبة فضاؤها الحنان.حنانها ساحر وغريب، انه من النوع الذي لقيه شاتوبريان لدى نساء الغابات في العالم الجديد، أواخر القرن الثامن عشر.

وبفعل هذا الحنان غادة تكتب. أعني: تتوله كعاشقة أولية، وتجمح كفرس تاركة في حقول الورق قوس قزح كفعل توكيد على انتصار الفرح في عالم حزين حتى الموت.

أهي «أعمالها غير الكاملة» التي تصدر تباعاً، مناسبة الحديث مع غادة السمان وعنها؟ ليس تماماً. بعض الناس يسطع كالمفاجأة ويفرض المناسبة. لذا فإن الحديث ليس حديثاً مناسباتياً. انه حوار يطمح الى أن يخاطب أعماق غادة السمان، وأن يومىء الى خزان الحنان المليء بالدهشة، هذه الدهشة التي تخلق في الناس والأشياء نعمة العطاء.

• غادة السمان.. في أي منطقة زمنية أنت اليوم؟

– أنا في منطقة الدهشة. لكنها ليست دهشة محايدة. إنها الدهشة المنحازة الى الحنان والود.

ما زلت أحدق في هذا الكون المذهل فأجده مسكوناً بالمزيد من الرموز... وفي تلك اللحظات النادرة من التواصل بينك وبين الكون، حين يصير ايقاع قلبك امتداداً لايقاع القلب السري لليل، تشعر بأن تلك اللغة الكونية شبه المقنعة، لا تزال قادرة على إذهالك...

ما زلت أحدق في الآخرين، كما لو أنني لم أر انساناً من قبل!... كل كائن بشري

حي هو فصيلة قائمة بذاتها وسلالة خاصة نادرة تولد به وتنقرض بموته... ان التحديق في الطبيعة البشرية لا يزال يدهشني ويجتذبني الى منطقته الزمنية كما كان تحويل المعادن كلها الى ذهب يشغل بال علماء الخيمياء في العصور الوسطى... إنني امرأة تمتهن الدهشة عبر لغة الحنان.

وما زلت أحدق في الخرائب حولي، وأصر على رؤية أساسات الأبنية المقبلة، وأحدق في الاشجار المحروقة حولي، وأصر على رؤية البذرة تحت التراب، وأصر على الاستماع الى دفء نبضها الحي وهي تمد بجذرها الدقيق في تراب الهشيم، وتطل بساقها مثل نافذة تنفتح على السماء ولو كانت هذه النافذة بحجم ثقب الابرة... وأحدق في البركان مصرة على زراعة سفوحه... وأحدق بأكوام السنابل المحروقة وأركض بينها لألتقط حبة قمح واحدة أزرعها من أجل جيل جديد من الحقول الخضر...

وفي هذا الزمن الرديء، لا يمكن إلا أن اكون حزينة كراع فقد قطيعه، لكنني ما زلت مصرة على امتلاك حنجرتي وصوتي ونايي وسوف أظل أغني حتى في حضرة الضباع التي انتهت للتو من التهام خرفان الفرح.

● **« الأعمال غير الكاملة » صحيح. أعمالنا، دائماً، غير كاملة. الكامل الوحيد هو الموت.. اليس كذلك؟**

- الكامل الوحيد هو الموت ولكن، لكي تمتلك القدرة على هذا الكمال فمن واجبك ان « تعيش » حقاً، لأن من لا « يحيا » لا « يموت ». الذين لا يتفجرون حياة، لا يستطيعون الاكتمال حتى ولا بالموت...

ان الحس بالنقصان هو اقتراب جميل نحو الاكتمال. الحس بالحاجة للعطاء هو خضوع جميل في بلاط اللا اكتمال. كي يكون موتنا شاسعاً، يجب ان تكون لنا حياة شاسعة. الحياة الشاسعة ازدهار متكامل: في قارة الحب - في قارة العمل - في قارة الغضب - في قارة العذوبة... الحياة الشاسعة هي تفرُّعٌ للتشتت!.. ذلك التشتت عميق الأبعاد بحيث يعيش المرء مجموعة من (الحيوات) في عمر واحد، وهي قد تكون حيوات متناقضة أحياناً لكن اخلاصه في خياناته المتعددة يرفعها الى مرتبة الصدق والى تحقيق انسجام سري داخلي فيما بينها يشبه التكامل غير الكامل!

● **الذهاب الى آلاف البيوت العربية أمر عزيز المنال في زمن أوصدوا فيه الأبواب وأغلقوا النوافذ. غادة السمان: كيف قمت بكل هذه الزيارات؟ أي سر في ذلك؟**

- لقد اوصدوا الابواب واغلقوا النوافذ كما تقول، لكن ذلك يحول دون الزيارات

التقليدية والعشاق العاديين... زياراتي الى آلاف البيوت العربية لا تتم عبر بطاقات دعوة،وأبواب أقرع أجراسها وأيد أصافحها وجلسات مسكونة بالتثاؤب والياقات المزيفة... إنني يا عزيزي أزور قلوبهم لا بيوتهم وأزور أحلامهم وخيباتهم لا أقنعتهم، وجرحي يعانق جرحهم، ونتزف معاً دونما مجاملات في الأزقة الفقيرة الموحلة وفي البيوت الكئيبة المتحفظة وفي أرصفة الضياع وعلى منارات النسيان... زياراتي اليهم ليست زيارة بل هي لقاء حب بين جرح وآخر وطموح وآخر. وسقوط وآخر. وعناق بين شهقة وأخرى...

إنني أتسلل إليهم عبر ايقاع القلب العربي، وأركض اليهم سراً داخل دهاليز الدورة الدموية العكرة لزمننا المضطرب... لست زائرة عادية ترتدي ثياب التهذيب المصطنع وأقنعة اللغة التقليدية: اني مشردة في ليل الحيرة واليقين، نازفة في الفصول اللامتناهية لعواصف التطور العربي... أنا لست ضيفة عليهم إلا بقدر ما الصرخة ضيفة على الحنجرة، والنزف ضيف على الجرح، والاحتجاج ضيف على التظاهرة!

● الى أي حد يمكن القول: إن حضور المبدع العربي يؤكد غياب النظام والحاكم على السواء؟

- إن حضور المبدع العربي لا يؤكد غير حقيقة واحدة: هي حضور الشعب العربي. حضور المبدع قد يلغي في بعض الأقطار حضور النظام والحاكم، لكنه في اقطار اخرى قد يؤكد هذا الحضور قبولاً او رفضاً، سلباً او ايجاباً.

حضور المبدع العربي هو شهادة لا للمبدع وحده ولكن للشعب الذي أنبته، وللتراث الذي رفده، وللقيم الانسانية التي وجدها في عصره وساهمت في إثرائه، او القيم التي افتقدها في عصره، وساهم ذلك الافتقاد في تفجيره، وساهم توق الناس لها في جعل صرخته المفردة رعداً جماعياً.

المبدع شاهد على عصره. شاهد على حضور الجماهير فيه. شاهد على الحاكم (له أو ضده). لكنه في النهاية حضور يكمل غياب الحاكم والنظام او حضورهما، ويؤكد باستمرار حضور الانسان بالمعنى كلي الشمول لكلمة «إنسان» بالرغم من أنف بعض الانظمة والحكام، أو بمساهمة منها!!... إن الانسان الذي يمتلك كل صباح رغيف الخبز والعدالة والحرية هو هدف المبدعين جميعاً وهو سيدهم ومادة عملهم في آن واحد: إنه صاحب المختبر وإنه فأر الاختبار!...

● لا جدوى من أي نص أدبي - في الزمن العربي الراهن - شعرياً كان أم نثرياً ما لم

يكن نصاً تخريبياً في الدرجة الأولى. ما رأيك؟

- كل نص ابداعي هو نص تخريبي بمعنى ما: إنه نص مكرس لتخريب الخراب! ذلك الخراب الذي لا يلحظه بعض الناس عادة، ويتوهمونه نعيماً موروثاً مكرساً، ويصفونه قانعين بأنه «ليس بالامكان أفضل مما كان»، هذا الجحيم الداجن يرفضه الفنان... المبدع ليس أداة تخريب لكنه قد يبدو هكذا من الخارج لمن لا يفهمه جيداً. كل ما يرغب الفنان في تدميره هو تلك الهياكل والمؤسسات هـائلة الحجم والتي فرغت تماماً من مضمونها بعدما تجاوزها الزمن او أثبت العصر سقوطها. لكن «مافيا المكرسات» تجد في الفنان خصماً خطراً، لأنه يحول بينها وبين استمرار تخديرها للمجتمعات المدجنة من أجل استمرار استغلالها لها. الفنان هو الذئب النبيل الذي لا يريد التهام ليلي (كما في قصة ليلى والذئب للاطفال) ولكنه يريد ان يوضح لها ان جدتها قد تكون فاسدة وان الغابة جميلة وتستحق إلقاء نظرة على اشجارها وفصولها وكائناتها وأصواتها، وان جدتها التي حذرتها من الغابة قد فعلت ذلك كي تضمن استمرار قيام ليلى بخدمتها وطاعتها بدلاً من ان تعيش ليلى حياتها الخاصة بها وتكتشف قناعاتها وتبني بيتها ربما في مكان آخر وبأسلوب آخر.

الفنان عدو التدجين. عدو التكرار. عدو الخنوع. الفنان لا يخرب حقاً، وكل ما يفعله،هو أنه يهز القصور الكرتونية كي تسقط ويتأكد الناس من انها كانت طوال الوقت مزيفة وخاوية من الحنان والمحبة والعطاء.

الفنان يخرب الخراب كخطوة في درب تذكير الناس بضرورة البناء باستمرار.

• تصوري يوماً يجيء لن يكون فيه أدب، وأنت لا تزالين هنا تتحفزين لكتابة قصة جديدة.. يكون الأدب قد زال نهائياً، أو في الأقل، لم يعد يثير شهية أحد.. يوم راعب.. فظيع؟

- للوهلة الأولى، يخيل الي انني في يوم كهذا سأكون بائسة كأي انسان فقد مهنته! سأكون كعامل مناجم يكتشف ان المعادن انتهت على هذا الكوكب. سأكون كبطل في رفع الأثقال قطعوا يديه. سأكون كعاشق صحراوي في عصر أطفال الأنابيب. سأكون كفلاح بعد انتهاء عصر الزراعة والدخول في مرحلة ابتلاع الأقراص كغذاء، والاستعاضة بالتفاعلات الكيمياوية عن المنتجات الأرضية... سأكون تائهة مثل قمر أطل ليلة على كوكبه المفضل فلم يجده في مداره...

أجل! للوهلة الاولى يبدو الأمر مروعاً.. فظيعاً.. ولكن مزيداً من التحديق في

الصورة يقود الى نوع من الطمأنينة الكئيبة قليلا...

فالأدب هو الابن الشرعي للصراع بين قابيل وهابيل داخل كل منا... وهو التفاحة والأفعى.. وهو حواء وآدم... وهو الخطيئة والبحث عن خلاص..

الأدب هو السكين والجرح في لحظة مصارحة فيما بينهما،... وهكذا، كي يأتي يوم لا حاجة فيه للأدب يعني بالضرورة ان الصراع قد انتهى، (أي انتهى زمن الجرح والسكين) وأن سلاماً ما قد استتب، وان تطوراً جذرياً على هذا الكوكب قد حدث... وان الألم والمرض والعذاب الانساني والفقر والظلم وينابيع الأدب كلها قد تم ردمها بالفرح والعدالة والسلام... مقابل ذلك كله، من قال لك انني يومها قد أرغب في كتابة الأدب؟... ومن قال لك انني كحفار القبور الذي يخرج في تظاهرة ضد الخلود وذلك كي لا يفقد مهنته؟ ام انني كصانع التوابيت الذي قد يقتل طبيباً اخترع علاجاً ضد الموت، وذلك كي لا يخسر تجارته؟

فليضيء هذا الكوكب بالفرح والمحبة والعدالة والسلام والخلود، ولتكن أبجدياتنا كلها وقوداً لذلك العرس الكوني...

آه انتهى الحلم. ها أنا أعود من جديد الى وحلي الأرضي، واتلفت حولي بهلع لأرى عصري وزمني، وبأسى حقيقي أقول لك: من المؤسف أن يوماً كهذا ما زال بعيد المنال... وسوف نتابع نحن الكتاب مهنتنا الحزينة مثل عبيد يعملون في تجديف قارب الحياة وسياط القدر تنهال على ظهورهم العارية: لكنهم يغنون وينشدون!

● **غادة السمان: كونك كاتبة قصصية ذات حساسية مميزة، برأيك ما هو الشيء الذي يحتاجه زماننا اكثر من سواه؟**

- زماننا بحاجة الى زمان آخر. زماننا بحاجة الى النسيان. زماننا بحاجة الى الانسان. هذا القطيع من الـ(هومو سابيانز)، أي القرود المتطورة الملقبة بالجنس البشري تتقن شيئاً واحداً: ايذاء نفسها والآخرين.

ان حضارة هذا الزمن تتجه بقارب الانسانية نحو دوامة الدمار.

زماننا بحاجة الى زمن آخر: زمن الحنان. زمن الرقة. زمن التعاطف. زمن التواضع أمام الكون والآخرين... زمن العذوبة المنسية.

ان كل (ديك) في بلادي يتوهم أن الشمس أشرقت لمجرد انه يصيح كل صباح!

● **ما هو جديدك القصصي الذي تعدين به القراء؟**

- لا أعرف، ولا أعد القراء بشيء لأنني لا امارس الكذب معهم.

كل ما اعرفه هو انني اصدرت،حتى الآن،هذا العام ستة كتب من سلسلة « الاعمال غير الكاملة ».

أعد نفسي بكتابات كثيرة جديدة لكنني لا استطيع ان أعد اي مخلوق آخر او قارىء آخر، لأنني قد أخذل نفسي، لكنني لن أخذل قرائي أو اصدقائي... ومن الأفضل لامرأة كثيرة المفاجآت مثلي،أن تقر علناً بأنها كاتبة بلا (خطط واعية) على الأقل، وان الخطة الوحيدة، التي ألتزمها هي الصدق، وأنه (لكل حادث حديث) و (يكفي كل يوم شره)، ولا أدعي أنني (سئمت تكاليف الحياة) ولكنني أصر على ان (من يعش ثمانين يوماً) في بيروت،يفقد كل قدرة على التخطيط بينما السيد الموت ينتظره كل صباح،عند منعطف الطريق وكل مساء،عند منعطف النوم!!.... يكمن له في مواسير البنادق في الشوارع،وفي مواسير المياه في البيت،وفي مواسير الصمت داخل وسادة الأحلام المحشوة بريش الكوابيس!

٢٠ / ٧ / ١٩٨٠

علوية صبح تستجوب

• الرواية فعل محبة.

• الفن يتعامل مع بشر أحياء لا مع نماذج.

غادة السمان يعرفها القارىء اللبناني. انها صاحبة الاعمال التالية: عيناك قدري. لا بحر في بيروت. ليل الغرباء. رحيل المرافىء القديمة. زمن الحب الاخر. بيروت ٧٥. اعلنت عليك الحب. كوابيس بيروت. الجسد حقيبة سفر. السباحة في بحيرة الشيطان. ختم الذاكرة بالشمع الاحمر. اعتقال لحظة هاربة. ويطبع لها: مواطنة متلبسة بالقراءة الرغيف ينبض كالقلب، الحب من الوريد الى الوريد. وتشكل السمان مفصلا هاماً من حياة الرواية العربية. لم تترك موضوعا يثير حسها او عالمها الا وتكتب فيه. لها تراث في ادب القصة والرواية وأدب المقالة وأدب التحقيق. والمتتبع لمسيرة أعمالها يرى أن هذا النضوج الفني قد يكون ناتجا عن تطلعات الى ما وراء الظاهرات. ولا ابغي من هذه المقدمة تقديم عالمها الروائي وذلك ان تشعبه وغناه واشكاليته تحتاج الى دراسات أعمق. لكنني اقول انها لم تتراخ عن فعل الكتابة. انها تطارد باستمرار. تسجل انفعالاتها كما تسجل وعيها. تحكم البناء احياناً وتتركه حراً في بعض الاحيان. تقبل على شراسة الحياة بشراسة الضد نفسه. تدين وتدين الى ان تستنفد اخر نفسات صوتها. نرى عندها اشياء كثيرة. نرى الالم، الغربة، اللقمة، المرض، الموت. نرى التمرد بأشكاله المختلفة. تفتح حرباً ضد التخلف على كل صعيد. قلقة دائماً. وبيروت التي تحدثنا عنها في اكثر من مكان تقلقنا ايضاً. انها بيروت التي تقول عنها «لقد بعثت بي امي دمشق الى بيروت لأتعلم الوطن والجرح.. حب بيروت شيء آخر. انه الحب الواعي البعيد عن العشق والذاتية، والمسكون بالهم العام.. بيروت المكافحة التي تدفع ضريبة العروبة كما لم تفعل أية مدينة اخرى».

وانا اسأل بدوري: اي بيروت هذه التي لا يستطيع اي كاتب ان يقف منها موقفا محايداً؟ فهي كما ارى، اما مفجرة لا حساسه ولعالمه ولصوته واما مشكلة له صدمة تسكته الى الابد.

وغادة السمان التي شكلت «نموذجاً» «لتحرر المرأة» في ذهن الفتيات العربيات على مدى سنين طويلة. نريد ان نعرف اين وصلت برؤيتها لهذه المسألة. هل تنطلق من المرأة الى تساؤل انساني ومجتمعي واسعين؟ هل همها تحرير المرأة وتحرير الرجل عندما تقول: «لماذا لا يفهم ان المرأة هي مثله؟». هل تريد ان تؤكد قدرتها واستقلالها واكتفاءها عندما تقول: «لكن حبي للرجل يجب ان يبقى حادثاً عرضياً في حياتي لا محوراً لها». هل تريد ان تشهد تمردها في الانعتاق حين يعلو صوت جاك في «زمن الحب الاخر»: انت شرقية ساحرة قادمة من خيام الف ليلة وليلة... وتجيبه عيوش: وانت ذكر احمق قادم من باريس. حاملاً افكاره الثابتة عني وعن شعبي. يقول: انا احب ان تظل الانثى انثى، اقول: وانا اكره ان يظل الرجل رجلاً بالمعنى العتيق لهذه الكلمة».

وحين نشير الى وضعية المرأة في رواياتها فلا نقول ان السمان توقفت فقط عند هذه المسألة، فهي من الذين ساهموا باعطاء روح جديدة للرواية العربية. واضافة الى ذلك، ان المتتبع لمقالاتها الاخيرة يشعر بأن قلمها فيه من النضوج الفني والفكري الذي يبعدها عن الكتابة الانفعالية التي قد تكون سادت في بعض اعمالها الاولى.

غادة، بدأت تلمس طريقها منذ «بيروت ٧٥» وكوابيس بيروت. فهي في «بيروت ٧٥» تحاول ان تتوقف عند اهم مساوىء وامراض المجتمع اللبناني، من خلال استعراض حياة ومشاكل كل شخصية من شخصياتها، وان غلب الطابع السردي على هذه الرواية. وفي «كوابيس بيروت» لم تتوان عن استخدام الكلمة لالتقاط الحدث وتصويره بكل زخمه. ثم ان غادة ايضاً لم تترك مفصلاً من مفاصل الحياة العربية الا وتعرضت لها. ان في «رحيل المرافىء القديمة» التي حاولت ان تعبر فيها عن جراح حزيران في نفس الانسان العربي الجديد وفي روحه. وان في «كوابيس بيروت» التي حاولت ان تجول فيها بعينها على بعض ما حصل في مسرح بيروت - الحرب.

اننا انطلاقاً من ذلك نتحدث معها عن مسيرة تجربتها الروائية وفهمها للشخصية في الرواية. كما نطرح عليها سؤالاً عن شخصية الرجل في رواياتها. هل هو انسان عادي ام كنموذج لموقف ايديولوجي معين. لا سيما وان هذا العصر قد طرح مشكلات مغايرة لما

طرحه عصر النهضة فيما يتعلق بالمرأة. ولا سيما وان قضيتها دخلت مرحلة اخرى مما كانت عليه ايام جبران وكتاب عصر النهضة ممن عالجوا قضية المرأة ،

• غادة السمان واحدة من الروائيين الذين ساهموا باعطاء روح جديدة للرواية العربية. ويلاحظ في كتاباتك الاخيرة تطلعات الى ما وراء الظاهرات قد يقول القارىء انه نضج فني. ما مدى تدخل التجربة والفكر على عملية هذا النضوج؟

التجربة بالنسبة للفنان هي الأتون الذي يصهر روحه. ويعيدها الى عناصرها الاولى الانسانية التي يشترك فيها والناس جميعاً بعد ان تحترق الشوائب والاقنعة التي تكون قد لصقت بها ، او ارغمته طبقة ما على ارتدائها باسم الموروث والمكرس. التجربة هي الولادة الحقيقية للفنان ، الولادة الثانية الارادية... ففي الولادة الاولى التي لايد لنا فيها ، يعلموننا اسمنا ودِيننا المفترض وطبقتنا التي تصادف ان ولدنا فيها ، وتنشط محاولات تدجيننا كي نكون تكرارا للآباء،نأخذ عنهم السرج واللجام والدرب المرسومة سلفاً. بالتجربة يكتشف الفنان اسمه الحقيقي وانتماءه الحقيقي لا الموروث وقناعاته القادمة من جداول روحه وينابيعه الداخلية ، التي لا تتطابق غالباً والقناعات السائدة ، ويأتي الفكر ليحفر قناة واعية لهذا الرفض الاهوج في مراحله الاولى ، وتصب شلالات الحقد الغاضب في مجرى موحد ايجابي وبناء ، وتتحول المشاعر الغامضة المصطخبة تذمراً الى حروف تضيء وتنفع الناس وتمكث في الارض. الفكر يكشف للفنان المتألم اعداءه الحقيقيين ، وحلفاءه الحقيقيين ، ويرسم السبل لتحويل (المتألم) الى (ثائر)، والمتأزم السلبي الى عضو فعال ايجابي.

لا يمكن لاي فنان ان يستمر – مهما كان موهوباً – اذا لم تنتشر في قاع روحه شبكة من القناعات الفكرية تلقي الضوء على تجاربه وتجارب سواه ، وتمنحها تفسيراً ولو جزئياً ينطلق من قواعد عامة تنتهجها البشرية في محاولتها المريرة لتحويل الفرد نهائياً من قرد الى انسان حقيقي.

التجربة هي كالفرن لرغيف الابداع ، والفكر هو الطاقة.

• المتتبع لمسيرة اعمالك يلاحظ تطوراً من مرحلة الكتابة الانفعالية الى مرحلة واعية تفترض ابتعاداً عن الخصوصية الذاتية. ما مدى علاقة التحول بالبناء الفني بعوامله خارج الانتاج ذاته ، وهل هو تطور من ضمن العمل الابداعي بسيرته ، والى اي حد ناتج عن تحول قائم بالعلاقة بين الخارج والابداع. وكيف تبرز العلاقة بين الخاص (الكاتب) وبين الموضوع (العالم)؟

- من السهل ان اتلو « فعل الندامة » واتنصل من مراحلي الكتابية الاولى كما تخلع الافعى جلداً بعد الاخر... ولكن موقفاً كهذا قد يريح بعض النقد (الايديولوجي) لكنه لن يلقى قبولاً من صوت الحقيقة الذي ادين له بالولاء.

انني ببساطة اعتقد ان هنالك خطأ نقدياً شائعاً يفصل بشكل قاطع واعتباطي بين ما يسميه (الخاص والعام) و(الكاتب والموضوع) او (المرحلة الذأتية والمرحلة الواعية).. الى اخر هذه التسميات المترادفة في روحها، والتي توحي بوجود قطيعة اصيلة،اصلية (على وزن الخطيئة الاصلية) بين الذاتي والعام، وبين الخاص والموضوع، وبين الكاتب والعالم.

انا اعتقد ان الفنان الحقيقي لا يدحل المرحلة الذاتية حقاً ولا يغادرها حقاً، لأنه ببساطة يستحيل وجود « مرحلة ذاتية » منقطعة تماماً عن العالم، ذاتية فقط لا غير، كما يستحيل وجود « مرحلة لا ذاتية »!... ان الكاتب والعالم يمتزجان منذ البداية في داخله، وتلك الشبكة من العلاقة الجدلية بين الخاص والموضوع هي متداخلة الخيوط ومتلاحمة بحيث يستحيل التمييز بينها واجراء (قسمة) على الخيوط!... ان الفنان الاصيل يكون او لا يكون، وهو منذ بدايته الاولى يحمل في كل حرف يكتبه خصائصه التي ستنمو فيما بعد وتتضح ملامحها كما تحمل خلية الطفل منذ اللحظة الاولى كل كروموزوناتها وخصائصها المميزة. وهكذا فالفنان الحقيقي لا يمكن ان يكون (ذاتياً) فقط او (موضوعياً) فقط، حتى ولو بدا ذاتياً فجاً في كتاباته الاولى... واذا لقح الفكر موهبته، فان عطاء انسانياً شمولياً هو امر محتوم اذا اخلص الفنان لتجربته ولفنه ومنحها كل شيء.

• معظم ابطال الروائيين العرب من (المثقفين) - هلسا - جبرا - منيف - حليم بركات - وتبدو رواياتهم وكأنها تناول فكري ثقافي لما يدور من احداث، ومناخات هذه الروايات التي يتحرك فيها الابطال تعكس معاناة مثقف عربي وكأنها معاناة الامة ومشاكل الناس. وفي كثير من الاحيان نجد اسقاطات رؤى خاصة على هذا العالم. فما هو موقع ابطالك.

- من حيث المبدأ، للفنان حق اختيار مادته وابطاله، شرط ان يكتب رواية مبدعة. فالرواية المبدعة هي فعل محبة على الصعيد الكوني وهي بالتالي تنصف القيم الانسانية. وانا لا اصنف الروايات من حيث مهنة ابطالها: مثقف، فلاح. عامل. نجار. ثري. فقير، لكنني اصنفها من حيث هي مبدعة او غير مبدعة. واذا وجد المؤلف ان روايته

تتطلب بطلاً (مثقفاً) فهذا من حقه شرط ان يكتب رواية بالمعنى الفني للكلمة. ان هذا الاعتراض في سؤالك على اختيار بطل (مثقف) يجب ان ينسحب ايضاً بالمعنى الفني على الذين يختارون ابطالاً من الطبقة العاملة وينطقونهم كما لو كانوا هيغل او افلاطون. بعبارة اخرى، ان بطل الرواية لا يحدد ماهيتها. اذا كان البطل مثقفاً او غير مثقف فان ذلك لا يعني شيئاً للناقد المحايد، كأن يكون البطل طويل القامة او قصيرها. تلك كلها صفات خارجية، ولكن المهم خلق رواية حية حقيقية، تنبض توقاً الى الفرح والعدالة والسلام.

هذا من حيث المبدأ. تسألينني عن أبطالي؟ اقول لك ببساطة: انا الكاتب لا الناقد. انا النورس لا عالم الاحياء الدارس. انا الطيران لا البوصلة. انا اقوم بمهمتي، فليقم هو بمهمته!

• شخصية الرجل في رواياتك كإنسان عادي ام كنموذج لموقف ايديولوجي معين. يعرف الرجل بأنه مضطهد للمرأة، الى اي حد هذا صحيح؟

- الفن لا يتعامل مع (النماذج) وانما مع بشر أحياء، يتنفسون كل ما في الطبيعة البشرية من سمو وسقطات. بالنسبة لي، أعتقد أن استخدام الرواية كوسيلة ايضاح سياسية هو أمر رديء جداً للفن وللسياسة معاً. اننا لا نربح الفن هنا، ونخسر السياسة. ولكن ذلك لا يمنع الانسان العادي - ضمن اطار سلوكه الطبيعي غير المفتعل - من أن يقدر على حمل رمز حياتي ما... بعبارة أخرى الفن موظف رديء جداً في الدوائر السياسية، لكنه فعال حقاً إذا لم يكن موظفاً وإذا كان أصيلاً. والفنان الحقيقي هو الذي يستطيع أن يخلق أبطالاً أحياء، وذلك لا يمنع أن يكون لأولئك الأبطال أكثر من دلالة وشهادة، قد تجسد في إحدى مستوياتها موقفاً أيديولوجياً معيناً ودونما افتعال أو شعارات مقسرة. المهم عدم تحويل الانسان في الفن الى آلة تسجيل تتلو محاضر حزبية، لأن الفن يسقط ولا يربح الحزب أكثر من ببغاء فصيح!

أما عن علاقة الرجل والمرأة، فأنا لا أعتقد أن الرجل هو مضطهد المرأة. أنا أعتقد بأنهما مضطهدان في مجتمع غير عادل. كلاهما مقهور وبأمس الحاجة الى حرياته السياسية والاقتصادية والفكرية.

الرجل لا يضطهد المرأة. النظام الفاسد يضطهدهما معاً، وله مصلحة في ضرب تحالفهما بوجه القمع والفقر والتعاسة. هذا لا ينفي أن المرأة تنتمي الى فئة أكثر بؤساً، وانها بروليتاريا البروليتاريا، والقمع الذي تتعرض له مركب. لكن المهم ألا تنساق في

حركات (الوومنزليب) على الطريقة الاميركية وضمن اطار المجتمعات الاستهلاكية.

المهم توعية المرأة عندنا على العدو الحقيقي الذي هو نفسه عدو الكادح الذكر. والمهم صهر نضال المرأة داخل اطار النضال العام ضد كل ما يستلب انسانيتنا، وحقوقنا كمواطنين. ومن هنا فأنا غير معجبة بنضال المرأة ضمن اطار جميعات نسائية، واشعر بأن الزمن قد تجاوز هذا النمط المرحلي من المقاومة. وارى ان المرحلة المعاصرة تفترض خطوة اخرى نحو افق اوسع، حيث تصب المرأة فعاليتها ضمن اطار أكثر شمولاً يحترمها ويؤمن بها وبطاقتها. المرأة هي بشكل عفوي حليفة كل الثوار لأنها مقهورة ومضطهدة، وبالمقابل فان مقياس الثورة الاصيلة الذي لا يخطىء هو موقف الثورة من قضية تحرير المرأة ومدى جديته في تعاطيه مع بروليتاريا البروليتاريا: المرأة.

وهكذا فان مهمة تحرير المرأة لا تقع على المرأة وحدها. بل هي واجب الرجل الواعي.

١٩٨٠/٢/١٦

بول شاوول يستجوب

• اؤمن باستمرار ان مساوئ الحرية أقل بكثير من مساوئ كبحها.

• الفنان التجريبي خير من التقليدي الذي لا ينقصه إلا.. النبض!

• في أعمالك غير الكاملة، التي انجزتها أخيراً ونشر منها الجزء السابع «الرغيف ينبض كالقلب»، تنوع في التوجه وفي الأسلوب. هل هناك خيط يربط بين مجمل هذه الأعمال ليضفي عليها وحدة ما؟

- يخيل إلي ان ذلك الخيط الشفاف والمتين كالفولاذ، هو الفضول. شهية المعرفة. الرغبة في البحث عن الحقيقة، عن اي حقيقة، نسبية كانت أم مطلقة، شاسعة بحجم الكواكب او متواضعة بحجم طابع البريد. هناك محاولة للدخول إلى دهاليزها المنفتحة على دهاليز، والتي تقود إلى المزيد من الدهاليز في حجرات النفس البشرية والعلائق الانسانية. مثلاً: في الجزء الثاني من «الأعمال غير الكاملة» وهو «الجسد حقيبة سفر» هنالك محاولة للاقتراب من الحقيقة عبر «الرحيل» وفي الجزء الثالث «السباحة في بحيرة الشيطان» هنالك محاولة للاقتراب من الحقيقة عبر عوالم ما وراء الطبيعة ودنيا «البارسايكولوجي» وفي الجزء الرابع «ختم الذاكرة بالشمع الأحمر» هنالك محاولة للاقتراب من الحقيقة عبر الوجع الذاتي المتفجر من لعبة الذاكرة والنسيان. وفي الجزء الخامس «اعتقال لحظة هاربة» نجد الجسر إلى الحقيقة هو الحب. وفي الجزء السادس «مواطنة متلبسة بالقراءة» هنالك محاولة للاقتراب من الحقيقة بواسطة النبش عن صورها في مرايا صفحات الكتب. اي ان هنالك محاولة ملحاح للقرع على ابوابها

الموصودة باليد العارية وبالقلب العاري وبالفكر المجرد وبالحدس، وحتى بأبجدية الناس المجهولين كما في الجزء السابع «الرغيف ينبض كالقلب». هذا عن الخيط الذي يربط المضمون أما من حيث الشكل فيخيل إلي ان هذا الخيط - الذي اشرت إليه بحذق في سؤالك - هو الشكل الروائي. لقد كانت اطلالاتي السابقة كلها تتم من شرفة القصة. فأنا كاتبة قصة حتى في تعاملي مع الصحافة. كل شيء اراه داخل اطار «لقطة» قصصية، وبالتالي اجدني منساقة إلى صياغته بشكل روائي. وما يطغى في الصحافة انها، كمادة أولية، مرتبطة اساساً بـ «حدث». ولكن ما ينقذها من هذا الدمار أو التلف المحتمل هو هذه النزعة الفنية التي سميتها روائية. هذا لا ينفي ان الزمن اسقط الكثير مما سبق وكتبته. و «الاعمال غير الكاملة» تضم حوالى ٦٩ في المئة من مجمل كتاباتي السابقة. وقد لاحظت ان المواد التي افسدها تقادم العهد هي التي كتبت تحت تأثير الم ذاتي عظيم طاردته المطبعة ولم تسمح له بالنمو فتم اجهاضه. العذاب ذو وجهين: وجه أكبر منك، ووجه انت اكبر منه. وقد كان عذابي «الأكبر مني» ومن طاقتي الابداعية في مناخات شرسة معينة، كثيراً، هرب من بين أصابعي وفشلت في اعتقاله باللغة، واستقر في روحي مرارة كاوية ترفد اللاوعي وتغذيه بلبن الحزن.

• من خلال انكبابك على مراجعة هذه الأعمال التي كتبت ونشرت في مراحل سابقة ومختلفة في مسيرتك الأدبية، كيف استقبلت هذه الكتابات كغادة السمان الانسانة وغادة السمان الكاتبة، وغادة السمان الناقدة نفسها؟ وهل يمكن ان تنعكس هذه النظرة «الاستعادية» على كتاباتك المقبلة؟

- كغادة الانسانة استقبلتها بالرعب، بالضبط، في مزيج من الرعب والفجيعة والخيبة. ها هي أعوام عمري مكدسة أمامي داخل ٦٠٠٠ صفحة. الحروف السوداء المطبوعة بدت لي على الورق الأبيض مثل نمل جهنمي، وكل نملة التهمت لحظة من لحظات عمري كان يمكن ان اقضيها في شيء اخر ربما كان أكثر جدوى. أجل. الرعب هو الكلمة. ان تتساءل: هذا الركض المجنون بأقدام عارية في حقول الزجاج المكسر الممدود على طول ٦٠٠٠ صفحة وعرضها وعمقها. تراه كان مجدياً؟ وحتى لو لم يكن مجدياً، ماذا كان في

وسعي أن أفعل، أنا التي لا أملك شيئاً آخر، وليس في حنجرتي غير الكلمة وليس في قلبي سواها، وليست هنالك خطيئة أتقن ارتكابها كالكلمة، ولا شيء يمتعني كإثمها؟! ككاتبة، شعرت بالفرح وأنا أتامل طاقتي اللامتناهية على العمل وعلى تكرار محاولة الركض اثر كل سقطة في بئر الخيبة. ورغم كسوري النفسية كلها، استمر في ترميم ذاتي

كفنانة – بل أوظف هذه الكسور لصالح الفنانة في داخلي، وأجير شيكات هزائمي لمصلحة فنها.

غادة السمان، الناقدة نفسها، أكثر هدوءاً وبروداً من الانسانة والكاتبة. كناقدة، احسست ان الزمن أمامي مادة أعيد تركيبها وصياغتها. ادرس سواقيها لأصل إلى ينابيعها الأساسية. اتجاوز كلياً ما يتضمنه ذلك من حنين أو رفض أو ذكرى أو حزن، لأن ما يهمني كناقدة هو غربلتها على أسس مقترنة بالقيمة التي تتضمنها في جوهرها كعمل قائم مستقل لا كامتداد لمشاعر كاتبتها في زمن معين. وكناقدة، كنت اتعامل مع الماضي كمادة حية استرشد بمفاتيحها في تعاملي مع المستقبل. وهكذا لم تكن مهمتي فقط انتقائية مرتبطة بالماضي، بقدر ما كانت انتقائية لأجل المستقبل أيضاً. وهكذا فان نشر هذه الكتابات ليس اعادة طباعة مرحلة بقدر ما هو استقبال لمرحلة اخرى آتية ولكن دونما انقطاع، او افتعال لقفزة، وانما مجرد مساهمة في ترك النمو الطبيعي ينمو منساباً من ذاته دونما اقسار. وكناقدة افادتني هذه التجربة. فتسليط النظرة النقدية – عبر بعد زمني – ساهم في اعطائي هيمنة على مادة عملي، زادني وعياً بكيفية التعامل وإياها مستقبلاً. فـ « الأعمال غير الكاملة » التي انجزتها خلال ٢٩ شهراً من العمل المتواصل الشاق، هي رحلة الخروج من كتاباتي، ولكن الخروج بها ولها، الخروج لا بمعنى نفي ما كان وانما بمعنى التجاوز الذي هو مرحلة لاستقبال ما سيكون.

• يميز رواياتك وقصصك كونها تجمع بين الاتجاه الوثائقي خصوصاً في كوابيس بيروت وبين « الفانتازي » أحياناً، وبين الواقعية المفتوحة أحياناً أخرى. ما هي الحدود التي تفصل أو توحد هذه « الواقعيات » في تكون العمل الدرامي عندك؟

– هنالك مدارس فنية تحاول اعطاء صورة واحدة عن الواقع الانساني وترغب في « تطويع » الواقع ضمن اطار مرسوم سلفاً: اطار سياسي أو ايديولوجي أو « فانتازي » أو غيبي أو نفسي. وكل من المدارس الفنية تحاول حصر الواقع في خطها. الواقع انه ليس هنالك واقع واحد عند الانسان، ولكل انسان أكثر من حقيقة واحدة، وهو يتفاعل على المستويات كلها، من سياسية وغيبية ونفسية واقتصادية، داخل شبكة عنكبوتية شاسعة لا متناهية من الفعل ورد الفعل واللافعل. وحتى الواقع « الفانتازي » ليس في جوهره « فانتازيا » مجرداً بل هو جزء من الواقع المعاش. فالحلم. الكابوس. الموت. الجنون. الماورائيات. المرض. الوحدة. هذه كلها وجوه يومية معاشة من وجوه الحقيقة اللامتناهية. وهكذا، فالأساليب الروائية هي، عندي، وسيلة لا غاية. انها

شبكة صيد الحقائق من بحر الأزلية، لكنها ليست الطريدة. ومن هنا فان الموضوع عندي هو الذي يختار اسلوبه (كما النهر يحفر مجراه). ليس هنالك واقع موضوعي ساكن أبدي. ولذا فان الفنان بحاجة إلى المزيد من الأدوات بدلاً من حرمان نفسه مما تقدم منها وما تأخر.

تسألني عن الحدود؟ لا حدود، كل شيء مباح ما دام الابداع موجوداً، بما في ذلك حق الخطأ!.

• ولكن هذه الواقعيات على اختلافها والتي يضمها مناخ شعري، في التعامل مع اللغة اومع الأحداث أو حتى مع الشخصيات، ألا تظنين ان الشعر في هذا الإطار الى اغنائه الجو القصصي، يهدده باستمرار ويفقده هويته في أية لحظة؟

- ليس الشعر وحده هو الذي يهدد الرواية. السياسة تهددها. الاقتصاد يهددها. الايديولوجيات تهددها. مفهومنا عن الرواية العتيقة يهددها ومفهومنا عن الرواية الجديدة يهددها. الرواية مخلوق حساس يقتله الافتقار الى الاوكسيجين كما يقتله التفريط فيه. المهم الوصول الى تلك المعادلة التي لا تحرم الرواية من جذورها الأساسية المغموسة في تربة الواقع اليومي المعاش (سياسة - اقتصاد - ايديولوجيا - وغيرها) وأن لا تفرط في ريها بهذه العناصر الأساسية لئلا يصيبها ما يصيب جذور النبات في الطوفان من عفن لجذوره.

في الرواية كل شيء ضروري انطلاقاً من شموليتها ولكن بحساب وبمقدار. وليست هنالك معادلة كيمائية ثابتة لتحديد هذه النسب. لكل مبدع معادلته الخاصة المختلفة والجديدة كل الجدة.

الخوف على الرواية من الشعر في مرحلتنا هذه هو آخر مخاوفي.. اني اخاف عليها من كل شيء أولاً، ثم تأتي تحفظاتنا من الشعر. ثم ان كل روائي وفنان وقصاص وموسيقي وراقص هو في النهاية شاعر ولكن، كل منهم يكتب قصيدته من ضمن الصيغة التي يتبناها، واكثر هؤلاء شمولاً هو الروائي، لأنه يحتضن عالماً متكاملاً بكل تنوعاته وتنافراته وتناقضاته وشموليته.

إذن ما يهدد الرواية حقاً وفي الدرجة الأولى هو كاتبها! فالرواية بحاجة الى الروافد كلها: التاريخ. السياسة. الاقتصاد. الأدب. إعلم النفس. علم الاجتماع. الشعر. الموسيقى. الفنتازيا وغيرها، شرط أن تبقى رواية حقاً. (لا بالمعنى التقليدي للكلمة بالضرورة)..

• يقال ان رواية ما بعد الحرب اللبنانية في معظمها لم تتجاوز عموماً صفة الشهادة ما رأيك؟

- عبارة «عموماً» في سؤالك هي التي احب ان اتوقف عندها.

«عموماً» اكثر الكتابات في كل عصر عادي ورديء. من شعر ورواية ونثر. والابداع هو حالة الفرادة، وهو بالتالي نادر وقليل. ومن بين الاف الموسيقيين يخرج بيتهوفن واحد. ومن بين الاف المسرحيين في عصره يخرج شكسبير واحد. ومن بين الاف الشعراء في عصره يخرج تشوسر واحد. الحصى هي القاعدة. الماسة هي الشذوذ. الأصداف هي القاعدة. اللؤلؤة هي الشذوذ. العمل العظيم يولد في عصره وسط ركام الكتابات. الزمن يتولى بغرباله العظيم اكتشاف «القمحة - الأم» ويرمي بالقش الى رياح النسيان. هذا بوجه عام. اما بالنسبة الى الحرب اللبنانية بالذات، فانه من الطبيعي امام حدث تاريخي كهذا تناولت حرائقه وجوه حياتنا كافة، ان يمتد الحريق الى الرواية سلباً او ايجاباً. الفن الأصيل تصهره النار وتعيد تشكيله، والهجين يحترق ويتحول الى رماد في حساب الفن. وقد يلفح وهج الأحداث بعض الكتاب، فيصير الحدث اكبر من الفن، والتاريخ اكثر من الخلق الابداعي. هذا كله طبيعي وغير خطر. لكن الخطر حقاً، هو ان يقترف الكاتب ذلك واعياً ما يقدم عليه، مسخراً الرواية كأداة سياسية متجاوزاً «ضرورة الفن» التي تحتم عدم الخلط بين الأدب والخطب الايديولوجية. ان من يرتكب ذلك يخسر السياسة ولا يربح الفن. وحتى اكثر المتشددين من اليساريين ودعاة الالتزام نجدهم يغسلون ايديهم من دم الأدب حين يفتقر الى مقوماته كعمل فني ناجح. وها هو ماوتسي تونغ يصرخ حتى في ذروة مد الثورة الثقافية يومئذ، ويعترف: «الأعمال التي تنقصها القيمة الفنية تظل عديمة الجدوى من وجهة النظر السياسية حتى ولو كانت ذات صبغة تقدمية».

• الرواية العربية تعيش اليوم حالة تأرجح بين اللغة الكلاسيكية وبين لغة جديدة. لكن لا هي تجاوزت الكلاسيكية ولا هي بلورت جديداً. ما رأيك؟

- الرواية العربية في المعنى الفني للكلمة، هي فن ناشىء يحبو. عمره الزمني قصير وموجز، وما زال طفلاً بالنسبة الى عمر الرواية الأوروبية مثلاً وتقاليدها وعراقتها. وهكذا كان من الطبيعي ان تتأثر الرواية العربية بتيارين (يضم كل منهما تنوعات عديدة): تيار الكلاسيكية بمعاني الكلمة كلها (القصة التقليدية مبنى ومعنى من سردية وحبكة قصصية وعبرة خلقية.. الى آخره)، والقصة الحديثة على طريقة فرجينيا وولف وجيمس جويس وكافكا وفولكنر والان روب غرييه وسواهم. يخيل الي ان الانفتاح على روايات الشعوب الأخرى امر صحي جداً بالنسبة الى الكاتب العربي،

شرط عدم السقوط في التقليد الى درجة استيراد القوالب الجاهزة. فبعض مقلدي الرواية الكلاسيكية سقطوا في فخ التبسيط الذي لا يطيقه واقع عصرنا. وبالتالي لا تطيقه الرواية. وبعض مقلدي «الرواية الحديثة» سقطوا في اللفظية وتوهموا ان المقصود هو تفكيك اللغة وخلط مفهومي الزمان والمكان، مع ان المقصود باستمرار هو ذلك الزواج المتناغم بين المبنى والمعنى، مع الاقرار بأن اللغة ليست هدفاً بذاتها وانما هي وسيلة ووعاء. المبدعون العرب القلائل تجاوزوا هذه المزالق حيث انطلقوا من تربة الوعي بواقعهم، واستفادوا من تجارب الشعوب الأخرى لخلق نماذج عربية روائية متفردة. ولأنني اؤمن باستمرار ان مساوىء الحرية هي دوماً اقل بكثير من مساوىء كبحها، لذا ارى اطلاق يد الفنان العربي على الصعيد التجريبي وعدم تخويفه من مكرسات (تابو) في الفن الروائي وتركه يخطىء ويصيب ويتعلم.

ان ما يبدو لنا على السطح اليوم فوضى كتابية روائية هو في جوهره مخاض ثري وجميل. وكلما انفتحنا على المزيد من الأصوات الآتية من الخارج تزايدت فرصنا لالتقاط صوتنا الداخلي. اننا لن نفتش عن اتجاه توفيقي بين المدارس، لكننا سنفتش عن مدرستنا الخاصة التي لن نعرفها اذا لم نطلع على تجارب سوانا أولاً، واذا لم نمنح حق التجربة وحق الخطأ ثانياً. انني احترم فناناً تجريبياً قضى عمره راكضاً خلف اتجاه غامض باحثاً عن لغة يبلوره فيها، اكثر بكثير مما احترم كلاسيكياً التزم قواعد السلامة الموروثة وكتب رواية لا ينقصها شيء سوى... النبض. اي الابداع. فالفنان التجريبي يطلق على الأقل شرراً. واذا فشل هو في ايقادها ناراً فان سواه من الكتاب قد يلتقط الشرارة ويتابع الرحلة. التقليد درب امنة لكنها مسدودة. الخلق درب خطرة لكنها وحدها تقود الى غابات الدهشة. الابداع ليس عملية فردية، وانما عملية جماعية بمعنى تسليم المشعل من يد الى اخرى. والعبقري هو تتويج للرحلة بالوصول الى محطة دهشة ما، وواحة عطاء ما. ولكن يجب باستمرار ان لا ننسى الاف الفنانين المجهولين والمنسيين الذين استفاد العبقري من مجمل تجاربهم وكان شرياناً كبيراً لقطرات عطائهم التي نزفوها هنا وهناك، وصهراً شمولياً لها.

– ٥ –

من كل بحر موجة

● ... الفن يزدهر في ظل روح المغامرة .

– ألفرد نورث وايتهيد –

● نستطيع اكتشاف حقيقة الانسان من نوع اسئلته ، لا من أجوبته فقط . .

– فولتير –

● إنه صديق جيد ، فهو يطعنك في وجهك فقط ، لا في ظهرك! .

– ليونارد لوي ليفنسون –

● لدي ستة أصحاب علموني كل ما أعرف . إسماؤهم هي : « ماذا » ، « لماذا » ، « متى » ، « كيف » ، « أين » ، « من » .

– كيبلينغ –

حزيران ١٩٧٣

رفيف فتوح تستجوب

• الصداقة حاولت اغتيالي اكثر من مرة... وفشلت!

• فاتورة الشهرة تدفع سلفاً يا آنستي!..

الغرفة البيضاء غارقة في الفوضى.. فوضى محببة، منظمة.. وغادة المسافرة ابداً، حتى عبر الوقت، تحضر للرحيل الى اوروبا.. الى مدن الغربة.. والفرح، والحنان المثلج..

رنين الهاتف لا يهدأ، ورنين اسئلتي يحاصر الغجرية الهاربة من مكان الى آخر.. يلف حولها، وبين كلمتَيْ «لحظة.. دقيقة»، استطعت ان أسرق هذا الحديث..

• غادة السمان، بعد كتابك «رحيل المرافي القديمة» ماذا تنتظرين؟

وقالت الغجرية الهاربة:

- انتظر بزوغ مرفئي الجديد.. مرفئي الحقيقي الذي ليس رجلاً، ولا معطفاً من الفرو، ولا شاليهاً في سويسرا.. مرفأي هو اليقين.. وانا امرأة مزروعة بالشكوك والحيرة.. أبحث عن يقين نهائي. عن معرفة تبزغ في عمري كالرؤيا، تخرج من ضبابات أحزاني كما قمم الجبال تتضح فجأة.. أنتظر أرضاً جديدة تتشكل في زلزال حيرتي وبركان ضياعي، كما القارات تخرج من قاع بحار الصمت.. أنتظر ذات لحظة، أختنق فيها بدمع الفرح، وأشهد ثورة عمري وقلقي وألغاز أيامي تهدأ وتفسر، بينما الحقيقة، «حقيقة ما» تتضح لي، تضخ في عروقي فرحة الايمان وتمسح عن جبيني الاحساس باللاجدوى الذي كان يترصدني عند كل منعطف من منعطفات عمري..

- «شاعرة القصة» لقب اطلقه عليك الشاعر نزار قباني، لكنك حقا شاعرة، فلماذا

سجنت صوت الشعر بداخلك كل هذا الزمن.. وهل ستطلقين سراحه في يوم ما؟..

- لم أسجن صوت الشعر في داخلي، فالشعر ليس فقط كتابة قصيدة موزونة مقفاة. انك تستطيعين أن تري العالم بعين الشعر وتعبري عنه في قصة أو مقالة ويصير الشعر نكهة، أو ايقاعاً نائياً كالصدى، لكنه كثيف الحضور.. انك تستطيعين ان تعيشي (بشعر) وتحبي، وتبني عالمك (بشعر).. ومع ذلك، تنتابني أحيانا الشهية الى أن أصرخ بملء حنجرتي وبكل ابعاد جرحي، ويومها لن أملك الا أن أكتب شعراً... ومن يدري؟ قد يكون كتابي القادم ديواناً شعرياً من القصائد الكثيرة (السرية) التي تضمها عتمة أوراقي المنسية!.

الهاتف يعلو رنينه، وغادة بيد ترفع السماعة وبالاخرى تغلقها... وأطرح عليها هذا السؤال:

• هل بدأت بدفع فاتورة الشهرة؟

وترد على الفور:

- فاتورة الشهرة، يا آنستي، تدفع سلفا، وقد فعلت!.

• المعروف انك دمشقية، وفي بيروت عدد لا بأس به من الاديبات السوريات اللواتي تغنين بدمشق الى حد المتاجرة، وجعلن منها حائط مبكى دائماً.. اما انت، فقد احببت دمشق بصمت، وبصمت أخفيتها داخل صدرك.. هل هذه هي طريقتك في العشق الدائم؟.

- الحب لدي عالم خاص ينبثق فجأة وأجد نفسي شاردة فيه، مدهوشة ومستثارة باستمرار، كما «أليس في بلاد العجائب».. انه سقوط بطيء في هوة الصمت وأجدني أردد مع «أليس» (لا أدري هل كانت الهوة عميقة أم كان السقوط بطيئاً).. المهم ان علاقة الحب بالصمت وثيقة لدي.. وكلما أحببت بعنف أكثر كلما افترسني الصمت... يقال: أعمق البحار أقلها ضجيجاً... وأضيف أنا: أعمق البحار وأعمق قصص الحب أقلها ضجيجاً.. أكره تحويل الحب الى فواتير.. الى لافتات إعلان.. الى مؤسسة استثمار.. فليظل الحب في قممه الضبابية النائية، لا يعرف سره الا الليل والريح..

• أحسك تقطنين على جناح طائرة.. السفر رفيقك الدائم، أين خبأته في منع التجول.. وأين خبأت تلك الغجرية التي هي أنت؟

- حينما يثقل الزحام فوق صدري، أحلم بمدينة خالية.. مدينة كمدن الاساطير، كل أهلها تحجروا وبقيت وحدي أمتلكها وأمتلك ليل شوارعها وصمت ساحاتها.. ولكن

ذلك الحلم يشبه الكابوس.. أحس أن لصمتها المسحور نبضات شريرة مرعبة، فللموت رائحته وظلاله الراعشة المزرقة كأظافر الجثث.. وبدلت حلمي.. صرت أحلم بمدينة فيها « منع تجول » يسمح لي وحدي بالتجول فيها.. وتحقق الحلم، واذا به مأساةِ.. فمنع التجول حمل معه كل عذاب الصحو الممكن، وصار منظر الشوارع الخاوية التي يمزق صمتها رصاص مجهول كابوساً اخر.. وأصبت بمرض اعتقد أن الكثيرين سواي أصيبوا به، وأختار له اسم «كبت منع التجول»... ولما كنتُ - كما تقولين - غجرية تقطن جناح طائرة، فقد دفع زوجي (ثمن) هذا الكبت الغجري، وها أنا ألملم حقائبي وأحمل أحزاني الى لندن.. الى أخي هناك، والى شوارع لندن المزروعة بالضباب والدهشة.. أدفن هناك ذاكرتي، وربما غدي!.

● **بماذا تحلمين غادة بعد هذا المشوار المتعب مع الزمن... الحب.. الجنون.. والمطر؟؟**

- أحلم بمزيد من التعب مع الحب والزمن والجنون والمطر.. لا شيء يتعبني سوى الكف عن الركض والتعب.. الحياة المجنونة دائي ودوائي..

● **هناك بعض الكاتبات اللواتي انصرفن الى انجاب الاطفال وداهمهن القحط الفكري.. وانت مارست عملية انجاب طفل وانجاب كتاب، فكيف وافقت بين عملية الانجاب وهذه الامومة المزدوجة، ولمن كانت الغلبة؟.**

ابتسمت غادة، وأثنت على لقب « الامومة المزدوجة »، ثم قالت:

- صدق الكاتبة هو المحك الاساسي.. حين يكون الادب وسيلة الى الشهرة، تخدره قضايا الامومة والمركز الاجتماعي الزوجي، أما حين يكون الادب هوى في النفس وشرايين لا تملك الا أن تنبض في الكيان، حينئذ لا تملك الكاتبة الا أن تستمر بأي ثمن... ولذا كان الزمن هو المحك لصدق كل فنان..

من السهل على أية فتاة شبه جميلة وشبه موهوبة أن تصبح شبه مشهورة لفترة قصيرة.. القضية المهمة هي المثابرة.. العطاء.. الاستمرار.. لا الانطفاء عند أول « عريس » مثل فقاعة بيرة!.

● **هل اغتالتك الصداقة مرة؟**

- اغتالتني؟ لا.. ولكن الصداقة حاولت اغتيالي أكثر من مرة، وفشلت.. (وكل ضربة لا تميتني تزيدني قوة).. وأيضاً (الطعنات التي تصوب اليّ من الخلف تؤكد لي أنني أسير في المقدمة).. كانت لي يا آنستي صديقة قضيت ٨ سنوات أقنعها بأن تتخلص من كبتها الادبي وتنشر نتاجها وتكتب، وحين اقتنعت، بعد ٨ سنوات، كان أول مقال كتبته

هجوماً علي!

اغتالتني؟ لا.. الفنان الحقيقي كالقطط له سبعة أرواح.. لا.. بل هو كالميدوزا لا يقطع عضو منها الا وينبت مكانه مئة عضو.. الفنان ممكن جرحه وايلامه، وبصورة خاصة من قبل المقربين اليه، ولكن عظمة تماسكه مستمدة من ايمانه بفنه.. انه يتجاوز كل اغتيالات الصداقة، ورغم مقصلتها لا يملك الا أن يحب ويصادق.

• غادة، بما أنك على سفر، فهل لك ان تعطي كل بلد من البلدان التي زرتها صفة معينة.. مثلا: بيروت، دمشق، لندن، باريس، برلين، جنيف، تونس..

قالت

– بيروت: غانية متنكرة في زي راهبة. تافهة، لا لأنها غانية، ولكن لأنها غير مقتنعة بما تفعله.. انها باختصار تغطي وجهها بالثوب الذي تكشفه عن ساقيها، شعارها «تعالوا الي وأنا اريحكم شرط ان تدفعوا.. المهم أن تدفعوا»..

دمشق: اجتماعياً هي الام التي تأكل اولادها بينما هي تندبهم وتبكيهم.. خلال حياتهم تجلدهم بالجحود، وحين يرحلون عنها ممزقين تقيم لهم تماثيل من ياسمين..

لندن: مدينة الوحشة والغربة، حيث يلملم كل جراحه في شرنقة من ضباب ومطر وظلام.. ويتكوم في زاوية معتمة ما، ليموت سراً، ويفجعه في الصباح التالي انه لم يمت!.

باريس: راقصة عجوز تغني «كان يا ما كان»، ومتحف يتكدس الغبار فوق روائعه، وفوق أهداب زواره وعكازاتهم!.

برلين: ثلج.. ثلج.. ثلج.. برد.. اين معطفي، وقفازاتي، واين صدر حبيبي؟

جنيف: بجعة بيضاء في حديقة اسطورية حارسها فزاع طيور عجوز يروي للاطفال ملاحم اوروبية تحزنهم وتخيفهم، ثم يسقط الليل بسرعة.. فيركضون خلف بيوتهم الراكضة..

تونس: وطني العربي يطاردني حتى على تخوم أوروبا..

وتضيف:

– تبقى ملاحظة اخيرة: لا ادري لماذا اشبه المدن بالنساء.. ربما لان من صفات المرأة احتضان الاشياء.. والمدينة تحتضن الجميع رغم كل شيء.. تحتضن المتناقضات جميعا..

واحس فجأة بأن علي ان انهي الحديث، فأتمنى للغجرية المسافرة رحلة سعيدة، وأرحل قبل أن أكون مثل تونس!.

آب ١٩٧٣

عاطف السمرا يستجوب

• ما أكثر المحنطين الذين لا يعون واقعنا، ويعجزون عن ملاحقة ايقاع العصر.

• الأدب الجيد هو الذي يجد فيه كل قارئ ضالته، وهو الذي يرضي مستويات متعددة من الميول والأذواق.

• لست أنا الخارجة على القانون. القانون هو الخارج على القانون!

كنهر بلا عودة بلا توقف. كقطار في طريق الذهاب أبداً. كليل لا ظلام فيه. كمجموعة أضواء تبهر. كلوحة نسي الرسام الخط الأول فيها. كالحياة. كالاسرار. ككتاب فيه كل اللغة العربية وكل كتب اللغات الاجنبية. كخط يشير الى كل الاتجاهات. كغموض. كسحر. كمخيلة. ككل الأشياء التي تدور في أحلامنا. كالخيوط الشمسية. كالانفراج القمري قبل السقوط في براثن الاحتلال. كالاساطير المجموعة من أسطورة وأسطورة. كالتراث من سالف العصر والأوان يبحر في بيروت ودمشق وبغداد والقاهرة ولندن وباريس وفيينا وروما وكل الفضاء وكل الابحار.. كغادة السمان غادة السمان.. وهذا لقاء توضيح واستيضاح:

• في قرارة كل إنسان أشياء لا يستطيع أن يقولها أو يعبر عنها إنما يسترجعها بينه وبين نفسه في لحظات الانفراد في النفس أو ما يسمى بالوحدة... ما هي الأشياء التي تراجعينها على نفسك؟

- كلامك صحيح. لا بد لكل إنسان من الارتداد الى داخل ذاته - ولو مرة في العمر،

ولو أثناء الاحتضار - كما ترفع القلاع العتيقة جسورها وتقطع صلتها بتخدير العالم الخارجي لتعيد تحديد موقعها من نفسها ومن العالم... لا بد لكل إنسان من لحظة نادرة يواجه فيها وجهه الحقيقي، ويقف أمام مرآة الذات بلا أقنعة ولا تبريرات ولا لعبة « دوريان جراي »...

وفي هذه اللحظات النادرة، الدامعة، يقدم ذاته قرباناً على مذبح الحقيقة النـاري... انـه يبحر الى الـداخـل، الى داخـل ذاتـه، بعيـداً عن تخـدير إطـاراتـه (الزواج - الوجاهة الاجتماعية - الذكاء العملي - المؤسسات)، ليواجه أسئلة مروعـة عن حقيقتـه وحقيقـة وجوده ومعنـاه وعـلاقتـه بـالكون، ومعركتـه الانسانيـة الحقيقية المنسية في خضم معارك كثيرة جانبية يومية تافهة.

الانسان العادي قلما يقوم بهذا الابحار الخطر الى داخل الذات الحقيقة، بل هو لا يجرؤ على القيام بها وحيداً، ويستعين على ذلك بربان عصري يدعى الطبيب النفساني (ساحر القرية سابقاً، الكاهن في العصور الوسطى... له أسماء كثيرة أخرى على مر التاريخ). فالرحلة الى داخل الذات محفوفة بالمخاطر والمفاجآت والصدمات، والماهر مهارة « يوليسيس » وحده يعود منها دون أن يهوي الى قرارة بحر الجنون.

مأساة الفنان هي أنه « يحترف » هذه الرحلة! مأساة الفنان هي أن مهمته قول الأشياء التي لا تقال علناً. إنه لا يملك إلا الركض خلف الحقيقة في مغاور الرعب والجنون، ونبش الرماد على جمرها بأصابعه العارية وتقديمها الى الناس بأي ثمن، متى وجدها. إن الفنان إنسان ممدد باستمرار على أريكة الاعتراف، انه الطبيب والمريض في آن واحد. إنه «بروميثيوس» الساعي الى سرقة النار المقدسة ـ المعرفة ـ للعودة بها الى البشر أياً كان العقاب. انه «سيزيف»، ومن أجل لحظة اكتشاف لا مانع لديه من أن يدفع الثمن ويقضي بقية الأبد وهو يدحرج باستمرار صخرة العجز البشري صاعداً بها قمة جبل الآلام. الفنان هو الذي يقول للناس علناً ما يكتشفه في لحظات انفراده بنفسه... إنه الملك لير الذي يسمل عينيه بيديه كي تتفتح عيون بصيرته!

وهكذا فعمري كله لحظة وحدة وانفراد، تقطعها « فواصل » صغيرة من « العزف التخديري »، ونتاجي كله هو الأشياء التي لا تقال، والتي يسِرّ بها الناس عادة الى ذواتهم، ويهمسون بها الى أنفسهم في العتمة وبخجل كما يرمى بأطفال الخطيئة سراً على أبواب الأديرة...

انني أحاول أن ازرع في ضوء الشمس ما ينبت في مغاور ذاتي السرية. ان الحقيقة

لا تخجلني، ما يخجلني هو خشية الطبيعة البشرية من مواجهتها.

● في فترة من الفترات اتجهت في كتاباتك الى الروحانيات، فهل أنت مؤمنة في قرارة نفسك أم هي رحلة الى عالم الاكتشافات؟

- أؤمن بأن هنالك «شيئاً ما» في هذا الكون ما زال العلم عاجزاً عن الاحاطة به. وأرفض كل التسميات الجاهزة لهذا «الشيء»، لأن هذه التسميات تتضمن تحديداً لكنهه، بل وتوظيفاً له لا يقنعني... أما كلمة «الروحانيات» فهي واسعة الشمول، وكل ما فعلته هو أنني كتبت عدة موضوعات عن التقمص والسحر وتحضير الارواح... في هذه الموضوعات لم أكن طرفاً. لم أكن مع أو ضد، كنت ببساطة أحاول أن أكتشف الحقيقة... ولم أصل الى جواب نهائي. يقال أن الايمان يسبق أحياناً المعرفة: أي أنك تحس بايمان ما ينبثق من قرارة نفسك كالنبع الجارف، وانطلاقاً من هذا الايمان تبدأ بعده الابحاث والاكتشافات الفكرية لاثباته للآخرين. مثل هذه المعجزات لا تحدث لي للأسف (ولذا أنا عاجزة عن الوقوع في الحب من أول نظرة مثلا). . انا اؤمن بالعقل، لا العقل الميكانيكي الآلي، وانما بالعقل الإنساني العاطفي المتقبل لكل اشارات رادار الحواس السادسة والسابعة والعاشرة. وكل الاشارات الغامضة. ولكن العقل اولاً. العقل كسيد ومحقق، وكمتقبل لوجهات نظر القلب والحدس وتراث اللاوعي الفولكلوري، على ان يظل هو الحكم الأخير. وهكذا فان ابحاثي القليلة في هذا المجال ما تزال في حاجة الى مزيد من التحقيق والقراءة والتفكير. ولكن لا مفر من الاقرار بوجود «اشياء» كثيرة ما يزال الانسان يجهلها عن نفسه وعن طاقاته الروحية. وغموض هذا الحقل أفسح المجال امام الدجالين لأستغلال ضباباته في اخفاء دجلهم واستغلالهم الرخيص المادي لأحاسيس الناس التي تدرك فطرياً وجود قوى لما يكشف العلم عنها كل شيء...

وفي الغرب تنشط في عصرنا الأبحاث لاكتشاف حقيقة ما يدعى بالتقمص والتخاطر Télépathie والحدس بالمستقبل (فيجنري)، وقد اجريت مقابلة مع استاذ جامعي اميركي يدعى البروفسور ستيفنسون اختصاصه التقمص وهو يطوف العالم للتحقيق في هذه الظاهرة على اسس علمية عقلانية مجردة، ولديه كتاب مذهل اسمه «١٨ حالة تقمص في العالم حققت فيها» منها حالة من لبنان حقق فيها، هي حالة الصبي عماد الأعور الذي ذهبت اليه برفقة الصديق غسان مكارم وقابلته بوحي من عقلي المزروع بألغام الشك... ولم اصل بعد الى يقين نهائي.

إن كثيراً من الذهب ينفق لاكتشاف مجاهل القمر والفضاءِ الخارجي. وأعتقد أنه من العدل أن تقسم هذه المبالغ مناصفة بين الطيران الى الفضاء الخارجي والغوص الى أعماق بحار الذات الانسانية لكشف مجاهلها الأكثر غموضاً. ومجراتها المدفونة في رحم الغيب.

انني ضد « الأبحاث الروحانية » كدجل، وانني مع دراستها درساً علمياً موضوعياً كجزء من اكتشاف الانسان لكل ما حوله، بما فيه ذاته. لقد درسنا الشجرة والبحر والسمكة والقمر، فلماذا لا ندرس الانسان؟! لقد درس العلم الحديث الانسان كما يدرس الشجرة: ككائن فيزيولوجي.

العصور القديمة والوسطى اهتمت بدراسة الانسان انسانياً، وحاولت سبر « معنى » وجوده، ولكن هذه الدراسات العميقة النادرة ضاعت وسط بحر من الدجل والسحر الأسود والخزعبلات، ولذا نجد الانسان المعاصر يتهيب من إعادة النظر في هذا التراث - ونفض المزيف والكاذب منه - ومن متابعة هذه الدراسات، وذلك خوفاً من ان يتهم البحاثة في هذا المجال بالدجل أو الجنون أو اللامعاصرة!

في الغرب هنالك موجة من محاولة اكتشاف المزيد عن الانسان: اننا نعرف خارطة الاعصاب في الجسد لكننا لا نزال نجهل كيف ولماذا تعمل أو ترفض أن تعمل أو يصيبها الخلل، بل ما هو « الخلل » أصلاً؟ الجنون، مثلا، كان تشخيصه في الماضي دخول « روح شريرة » في شخص ما. في كتاب « انفصام الشخصية » (السكيزوفرانيا) نجد البروفسور لينغ - وهو واحد من أكبر العلماء المعاصرين - يقول ان السكيزوفرانيا هي احتجاج الأقلية الواعية إنسانياً على عالم مجنون غير انساني، وان « المجانين » هم العقلاء الذين يرفضون التكيف مع عالم غير عاقل، ويهربون منه إلى عالم خاص يخلقونه داخل ذاتهم ويؤمنون به فيصير حقيقة.

ان مثل هذه الدراسات ليست مجرد رياضة فكرية كالشطرنج، وانما يمكن ان ينتج عنها تطبيقات كثيرة تزيد عالمنا انسانية، وتزيدنا وعياً بطاقاتنا، وبمعنى وجودنا، وبعلاقتنا مع الكون والآخرين...

عالم الروح، كالفن الحديث، ما أسهل الدجل في مجاله، وما اندر قمح الصدق في أكوام نخالته!

● **العقل الآلي الميكانيكي يرفض منطق العاطفة، أما العقل الانساني العاطفي المتقبل لكل اشارات رادار الحواس فهو أسير الصواعق العاطفية... أقصد ان أقول انه**

يمكن ان تخضعي لتجربة « الحب من أول نظرة » عكس ما تحاولين إيهامنا به؟

– الحب من أول نظرة احساس لم يمر « بمصفاة العقل » ومأساتي تحكم العقل بكل مشاعري بصورة رئيسية. هذا حتى إشعار آخر. ومع ذلك سيسرني ان تصدق نظرتك وأتعرض لتجربة لم يسبق لي السقوط في براثنها...

• هل هناك نية في لمس ما يمكن حدوثه، أو ما هي طريقة العيش بعد أكثر من مئة سنة خاصة وان هناك بعض الناس قد وضعوا أنفسهم في برادات حفظ إلى ما بعد مائة سنة؟

– أبدع ما في الانسان هو ذلك التوق إلى اكتشاف الأسرار: الماضي. المستقبل... من الأزل وإلى الأبد، منذ كان الانسان في كهف العصر الحجري وعيناه الثاقبتان تجولان في عتمة الكون. حين اخترع الانسان النار لم يكن يبحث عن موقد يطهو به طعامه، وإنما كان يبحث عن برق لا ينطفىء يضيء أسرار الكون حوله... وما زال.

الناس الذين وضعوا أنفسهم في البرادات كي يستيقظوا بعد مائة سنة ليروا ما يدور آنذاك هم سياح قارة المستقبل، ومهما فعلوا سيظلون سياحاً يرقبون ما يدور، عاجزين عن أن يكونوا طرفاً أو « فاعلا » في الأحداث...

فحين ينهضون بعد مئة عام من براداتهم، سيرون بعيونهم « العتيقة » ما يدور في العالم الجديد، وسيصعقهم ذلك لأنه حين يخترع الانسان آلة ما، أو يصل إلى اكتشاف علمي ما، فان الآلة ليست هي المهم، وانما التطور الانساني في داخل الناس الذي يرافق اختراع الآلة ويؤهلهم لامتلاكها وسيادتها. الذي يخترع البندقية ليس كالذي يستورد البندقية. الشعب الذي يخترع السيارة ويصنعها ليس كالشعب الذي يستوردها. ان من يخترع البندقية يرافق اختراعه لها وجود « تصور » البندقية في داخله.

وهكذا حين يخرج أحد أولئك الناس من براده سيكون مثل قرد في معمل ذري... سيخاف. سيذهل. ولكنه لن يفهم شيئاً مما يدور حوله لأنه لم يعايش الاختراع وبالتالي لم يتطور انسانياً على مستواه.

الشعراء منهم (المحفوظون في البرادات) سيتحولون إلى بكائين على أطلال الماضي وذكرياته... أتخيلهم يخرجون من نومهم « الثمين » الذي طال ألف عام لينتحروا في اليوم التالي... فنومهم في فراش التبريد ليس نوماً، وانما هو نوع من التحنيط العصري... انه تحنيط على الطريقة الاميركية بدلا من التحنيط على الطريقة الفرعونية (الأكثر جمالاً ومهابة وتفهماً للطبيعة البشرية، فالفراعنة يعِدون

محنطيهم بالحياة في العالم الآخر حيث تنتفي هذه التعقيدات العلمية المروعة والمتطلبات التي لن يقوى سكان معلبات الماضي على مواجهتها في المستقبل)... الثري الاميركي الذي يدفع نقوده كي يستيقظ بعد ألف عام سيكون مثل سردينة خرجت من إحدى المعلبات محاولة العودة إلى البحر والسباحة والتكيف في خضمه...

ما أكثر المحنطين بيننا الذين لا يعون واقعنا ونحس بهم عاجزين عن ملاحقة ايقاع العصر كما لو خرجوا للتو من براد التاريخ!

ان فكرة التقمص في منطقتنا، التي آمن بها عدد كبير من الفنانين الغربيين أمثال والت ويتمان، تحقق شهوة الانسان إلى الاستمرار وإلى تخطي الموت بصورة أكثر وعياً وذكاء وانسانية من الخلود على الطريقة الاميركية في البرادات...

تظل هنالك طريقة البروليتاريا في الخلود والتي تسحرني: انها نذر الذات للعمل من أجل خلاص الانسان، أي انسان في أي مكان، والايمان بأن الانسان مستمر في نهر الانسانية الذي تتجدد مياهه أبداً بأولادنا وأحفادنا، والذي نستطيع ان نخلد فيه بما نستطيع أن نحوله في مجراه...

• ما هو موقفك ككاتبة تعتمد في رواياتها وقائع وأحداثاً يجب اقناع القارىء بها وتخيلات الانسان أو بالأصح تطلعاته المبهورة بالاكتشافات العلمية؟

- أنا لست كاتبة في برج «المطلق» العاجي. أنا كاتبة في عصر معين ولي انتماءاتي: وطني، المرحلة التاريخية التي يمر بها، مجتمعي العربي الذي جذوري فيه شئت أم أبيت، مأزقه الذي هو مأزقي...

من هذا المنطلق أتطلع إلى عالمنا الضاج بالانتصارات العالمية والسقطات الانسانية في آن واحد. يرعبني ان الرقي العلمي لا يرافقه رقي انساني. يرعبني ان اختراع البارود لم يرافقه وعي انساني بفكرة العدالة، وهكذا تحول ذلك الاختراع إلى «خطيئة» انسانية يحاول مخترع البارود نوبل عبثاً التكفير عنها إلى ما بعد موته...

ان جائزة نوبل للسلام هي جرس انذار وتحذير قرعه المخترع في عالمنا الفاقد الذاكرة. انه يصرخ بنا قائلاً ان كل تقدم علمي لا يرافقه تقدم انساني على صعيد المثل يتحول إلى خطيئة وإلى سلاح موجه إلى صدر الانسان.

ان نبأ كل اكتشاف علمي جديد يملؤني بالغبطة التي يشوبها الألم الخائف... الغبطة لأن فرحة الاكتشاف، على أي صعيد، هي جزء من الطبيعة البشرية، والألم والخوف من أن يصير هذا الاختراع جزءاً من الأسلحة لاصطياد الشعوب الآمنة. فما دامت

الامبريالية تستخدم العلم العظيم لتحقيق مخططاتها الحقيرة اللا انسانية ، فان الاختراع الذي أصفق له اليوم قد يكون هو الذي سيقتل طفلي بعد أعوام! المطلوب «أنسنة» العلم.

● لماذا تكتبين؟

– أكتب لأني وحيدة وحزينة مثل نملة على البلاط تافهة ومعرضة للانسحاق. أكتب كي اسمع صوتي في قاع المدينة المرعب مثلما يغني خائف في الظلام. أكتب لأن المجهول الذي اسلمني إلى الدنيا بيد ، لن يلبث ان يلتقطني بيده الأخرى. أكتب لأحتج ، وأنا أعرف ان الاحتجاج كتابة على جدار دهاليز الوجود ، مثل ضربات سجين على جدار سجنه المنسي.. أكتب لأصير قبيلة. لأصنع سقفاً. لأكسر المظلات التي يحملها الآخرون واهمين انها تقيهم رعب مطر الدم والنار. أكتب لأمد جسراً. لأتخدر. لأصحو. لأتصعد. لأهوي. أكتب لأنني وأنا اتقلب على حافة شفرة الموت اشتهي ان انسج الحياة. أكتب لأنني واحدة من قافلة الساقطين في فخ الاستلاب – بكل معانيه – المحاربين على جبهتين: جبهة الموت المحتمة الهزيمة ، وجبهة الموت اليومي التي قد يكون فيها بعض الأمل...

أكتب لأن عذابات الانسانية تستيقظ أحياناً في داخلي ، تسكنني بعتمة ماضيها وحاضرها. أكتب لأكسر قضيباً – ولو واحداً – من غابة القضبان الحديدية التي تغطي تلك الكوة المطلة على أفق الحقيقة. أكتب لأطير إلى الفجر. أكتب لأخرج من القمقم. ولأبحر إلى جذوري... أكتب كي أولد حقاً ، لا تلك الولادة الغبية اللاإرادية – حين ركلني رحم أمي قاذفاً بي إلى العالم – بل لأقذف بنفسي عن سابق تصميم وتصور إلى رحم الحقيقة. اكتب لأني عباس بن فرناس ، وأعرف ان جناحي سوف ينكسر وان طموح التحليق لدى الفكر أكبر من طاقاته ، والمهم انني قبل ان انطفىء وأرحل سأعرف أكثر مما عرفت يوم وصلت. أكتب كي احترق بدلاً من أن اتعفن. أكتب لأتعرى حين أشاء ، ولأصير سلحفاة حين أشاء. أكتب لأنني احتضر منذ وعيت معنى الحياة.

● العالم الذي نعيشه هو عالم جنس أم مثاليات أم ماديات؟

– مزيج من التراب والأثير والنار هو الانسان. انه كائن عجيب نادر ، ساقاه مغروستان في مستنقع المادة ، ورأسه يحلق في عوالم المثاليات ، وجسده يلتهب في فراش النشوة الجسدية. انه كائن قادر على تلقي كل انواع اللذات: لذة الرأس. والجسد. والقلب...

وآلامها أيضاً! المهم هو حفظ التوازن بين هذه اللذات. فالغرق في الجنس يجعله كئيباً وهزلياً وممطوطاً مثل كابوس يستنفد طاقتك حتى على الهرب.

والغرق في المثاليات يجعل صاحبها مثل منطاد كبير يحلق لكن يكفي منقار طائر المفاجآت لثقبه واسقاطه من حالق.

والغرق في الماديات يحول الانسان إلى عجل كبير ينتحر باستغلال حواسه الخمس فقط التي تملكها بقية حيوانات الطبيعة...

والدول كالبشر. ان أي افراط في الاهتمام بناحية من نواحي الفعالية الانسانية الطبيعية دون الأخرى يؤدي إلى الدمار. وعالمنا اليوم ليس عالماً واحداً: انه عالم الغرب، عالم الدول المرفهة مادياً الساقطة في فخ الخواء الروحي، وعالم الشرق والشعوب المكافحة والنامية اينما وجدت، انه عالم الروحانيات المتخلف علمياً الثري انسانياً.

المهم هو حفظ التوازن قبل أن ينفجر رأس الكرة الأرضية. فعصرنا رجل ثمل نسي عنوانه وضيع توازنه ووقف يتلهى بآلة فليبرز جهنمية فيها قنبلة موقوتة لا ندري متى وقتت عقاربها.

• على أية قواعد تقوم قصصك: هل هي نتيجة الاحساس التلقائي أو بناء لخط معين؟

- قصصي لا تقوم على أية قواعد، بل على نسف كل القواعد والمواصفات المتوارثة حول القصة التقليدية. انني حينما أكتب اتدفق كنهر جديد يحفر مجراه الخاص ويبحث بنفسه عن بحر الابداع الانساني ليصب فيه. انها دونما شك - خصوصاً لحظة الكتابة - حصيلة احساس تلقائي يتلاحق في انفجارات يحرض بعضها بعضاً، ولكن هذا الاحساس التلقائي ليس مجرد شعور آني عائم في فراغ الضجر.

... ان ساعات بل وأعوام من التفكير والرصد والتخطيط والاطلاع على ابداع الآخرين تسبقه. وهكذا فإن الفن هو العفوية المخططة. ان اللاوعي لدى الكاتب يصير مخزناً فكرياً مليئاً بالتخطيط المسبق، ويتحد ذلك مع عفوية العطاء وجنون لحظة الابداع.

• هل كتاباتك تعبر عن الأشياء التي تودين قولها؟

- في مقدمته لمعجم الأدباء يقول الأصفهاني: «اني رأيت انه لا يكتب انسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن. لو زيد كذا لكان يستحسن. لو قدم هذا

لكان أفضل. ولو ترك هذا لكان أجمل. وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر... » هذا القول للأصفهاني يلخص زاوية هامة من معركة الفنان لأجل قول ما يود قوله.

هنالك معركته مع « استيلاء النقص على ذاته البشرية ». وهنالك معركته مع « السلطة الرسمية الزمنية » التي يتصادف ان تكون حاكمة في عصره وقد لا تتفق آراؤه وشعاراتها المعلنة. هنالك ايضاً تلك الهوة بين الفكر واللغة، وعدم التطابق بين الصورة في ذهن الفنان وارتسامها على شاشة اللغة. وهنالك شهية الصمت التي تنتاب الكاتب بين آن وآخر، واحساسه بلا جدوى أي شيء أمام الموت. انني أكافح بكل ما أملك من طاقة ضد هذه الجبهات، وضد « الخبث الصغير » الذي أواجهه أحياناً من الذين كانوا أحبائي ثم لسبب ما تحولوا إلى محترفين لدس القضبان في عجلات مركبة عطائي.

تظل المعركة الأساسية مع الفكر واللغة لخلق شيء جديد. المعركة مع السلطة جانبية. أنني أكتب بصدق وإخلاص كل ما أريد قوله، واحتفظ بغلف كبير يضم أجمل ما كتبت - ومنع أو رفض نشره لأسباب مختلفة - حيث أجمع مقالاتي الممنوعة والمرفوضة، واعتقد ان في كتاب برتراند راسل « مقالات غير معروفة » مثلا يحتذى. وسوف انشر مقالاتي المرفوضة على طول عشر سنوات في كتاب. ويخيل إلي ان انتاج الأديب العربي الممنوع والسري والمرفوض هو الأكثر والأهم من كل ما نشر!

أما المعركة مع « الخبث الصغير » الذي يمارسه بعض « اعزاء » الفنان والمحيطون به بقصد أو دونما قصد، ومحاولة اعتقاله وخنق انفاسه باسم الحب. فهي معركة يخرج منها الفنان الأصيل منتصراً دائماً.

فالفرس البري يكسر أمامه كل شارات المرور خصوصاً الشارات التالية « طريق مسدودة »، « قف »، « ممنوع المرور »، « لا تسرع »... ان ما يحز في نفسي أحياناً هو أن بعض الذين أحببت بصدق حاولوا عبثاً فصم شخصيتي إلى « انثى » و « كاتبة »، وحاولوا عن سابق تصميم وتصور اغتيال « الكاتبة » دون أن يعوا الوحدة العضوية بينهما وانهما كالتوأم السيامي الملتصق، موت أحدهما هو مصرع الآخر الأكيد.

• كيف نوفق بين نظرية الذين يكتبون ما يتعارض مع سلوكهم وما يقال من أن القصة تكون أكثر ابداعاً إذا كانت تعبر عن الواقع وكانت أكثر التصاقاً بنفسية واحساس الكاتب؟

– بصراحة: لا أدري. ما أزال حائرة أمام هذه القضية ولم أصل إلى جواب نهائي. منذ عشرة أعوام كنت اؤمن بضرورة التطابق بين ابداع الفنان وسلوكه الخارجي. كنت اؤمن بأن من يخلق الابداع، أي الجمال والكمال والحب والحق – بالمعنى الاغريقي للابداع – لا بد وان يكون هو نفسه جميل النفس مليئاً بالحب والعطاء. وعام ١٩٦٦ بينما كنت ما أزال أعد الماجستير في الجامعة الاميركية اكتشفت ناقداً يدعى راسكين واعتنقت نظريته الأدبية التي تقول بأن أي «صنايعي» أو عامل يدوي يحتاج إلى قدرة معينة كي يتحكم في عضلاته بدقة ومهارة اثناء العمل... وإذا كان هذا شأن العامل اليدوي، فأية مقدرة عقلية وخلقية يجب ان تتوافر «لصانع» عمل فني سوف يخلد أجيالاً؟ ويرى راسكين ان ابداع أي أثر فني يحتاج إلى توازن كافة قوى المبدع الحيوية وانسجامها، ويتطلب قدرة مدهشة على التحكم في مرونة تفكيره بالاضافة إلى صلابة عزمه. ثم ان نشوة البذل المطهرة التي ترافق كل عملية خلق – والتي تشبه نشوة النسر حين يحرك جناحيه الجبارين خفقة أثر خفقة – هذه النشوة تغسل أدران النفس وتسمو بالفنان إلى حالة من السمو الروحي والخلقي. ولذا لا يعقل ان يكون المبدع انساناً سيئاً أو شريراً أو حقوداً. ان راسكين يؤكد ان طبيعة العمل الفني الرفيع تستوجب من منتجه الاعتياد على التحكم في حواسه وإرادته بالاضافة إلى وعيه بالطريق السوي مما لا بد وان يقوده إلى كمال خلقي نبيل... هكذا آمنت في «مرحلتي الرومانتيكية»...

ثم رحلت إلى لندن وأقمت هناك فترة، وبالصدفة صادقت فناناً معاصراً كبيراً له قيمته العالمية. كنت شديدة الاعجاب بنتاجه، وصدمت إلى أبعد مدى بشخصيته. كنت عاجزة عن تصديق ان هذا الانسان التافه المهلهل الممارس لأنواع الشذوذ كافة هو نفسه ذلك المبدع العبقري!

وأعدت النظر في نظرية «راسكين». وعدت إلى تاريخ الأدب استلهم العبر من قصص حياة المبدعين. تذكرت الشاعر الرائع كولريدج الذي كان يتعاطى الأفيون. وأوسكار وايلد الذي كان يتعاطى الشذوذ .وادجار آلن بو وبودلير وبايرون وفان كوخ وجان جينيه وغيرهم كثير. . . ان واقع الأدب يدلنا على أن العباقرة لم يكونوا اناساً «فاضلين» بالمعنى التقليدي أو السائد في عصرهم. . .

وبدأت أرى القضية عبر منظار جديد... أوسكار وايلد، مثلا، الفنان العظيم الذي حوكم منذ قرون بتهمة «الشذوذ» وشهر به في عصره، لو عاش اليوم في بريطانيا

لاعتبر إنساناً سوياً بعد أن صار الشذوذ اليوم مشروعاً. (وليس من حقنا أن ندين أخلاق الشعوب الأخرى، فالأخلاق والعادات هي شيء نسبي ووليدة البيئة لا المطلق. ففي بلاد الاسكيمو، مثلاً، تنص التقاليد على أن يقدم صاحب البيت زوجته لضيفه، وإذا رفض الضيف امتلاك جسدها اعتبر رفضه اهانة للبيت!).

انني أتساءل: استخفاف عبقري ما بقانون أخلاقي معين في زمن معين، ألا يمكن أن يكون نتيجة كون الفنان يسبق عصره بمراحل، ويتجاوز - في ما يتجاوز - كثيراً من القيم السائدة التي يعي أنها سوف تتبدل بعد زمن ما؟! هذا من جهة، ثم إن الفنان إنسان مرهف، وبالتالي قد تبدو ردود فعله غير مفهومة لنا، وقد يبدو سلوكه للناس العاديين مستهجناً. فان كوخ مثلاً، الذي قطع اذنه ليقول لحبيبته العاهرة «أحبك»، قالها على طريقته! ونحن نجد سلوكه قريباً من الجنون، لكن من يدري، ربما كان هو يجد سلوك الناس العاديين الذين يدعون الحب في غاية الرخص. كلهم يدعي أنه مستعد «للموت» من أجل حبيبته ولكن القلائل مستعدون «للعيش» معها على الأقل، ولا أحد مستعد للتضحية ولو - باذنه - من أجلها. ان النظرة الاخلاقية التقليدية قاصرة عن استيعاب سلوك العباقرة ودوافعهم. وصحيح أنني أفضل مبدعين أمثال شكسبير، الذي كان عظيماً في حياته وفي فنه، لكنني لا أستطيع أن أمنع نفسي من الاعتراف بعبقريات كثيرة قد أرفض سلوكها الشخصي. وانني ما زلت حائرة: هل أخلاقنا نحن مزيفة وهشة، وقيمنا تافهة، وأولئك العباقرة يعرفون ذلك قبل سواهم ولا يأبهون بالتالي لمقاييس عصرنا، أم أن علينا أن نتقبل السقوط الشخصي الانساني للكتاب ما داموا مبدعين على صعيد نتاجهم ونتفهمه كأي «أمر واقع» مؤسف آخر؟

• تتكلمين عن «صدمة». أليس لك أنت، كفنانة مبدعة، نزوات معينة يمكن أن نسميها في بعض الحالات، أو من خلال نظريات ووقائع معينة، شاذة؟

- ربما...

• هناك عدة أنواع من القراء هم الناقد الذي يحلل،وقارئ التسلية الذي يقرأ لمجرد القراءة،والقارئ الذي يتأثر ويتكيف بالأدوار التي يرسمها الكاتب... فالى من تتوجهين من هؤلاء؟

- الأدب الجيد هو الذي يجد فيه كل قارىء ضالته... وهو الذي يرضي مستويات متعددة من الميول والأذواق. شكسبير العظيم يرضي كل قارىء. الباحث عن التسلية يجد في مسرحياته النابضة بالمفاجآت والاحداث متعته. والناقد يجد فيها كنزاً لا ينضب

من التجديد الفني. والبحاثة يجد فيها خلفية ثقافية مدهشة. وحتى الاطفال يستطيعون قراءة مسرحياته والاستمتاع بها، وأول مرة اكتشفت شكسبير كنت في الثامنة من عمري حين قرأته مبسطاً في مكتبة كامل كيلاني التي حولت مسرحياته الى حكايات للاطفال. الادب العظيم هو الذي يستطيع أن يمد جسراً الى كل قلب إنساني متجاوزاً كل « مخافر الحدود » السياسية والفكرية...

وحين أكتب، أطمح الى أن يجد كل إنسان في سطوري واحة صغيرة تريحه ان كان باحثاً عن تسلية، أو مرآة جهنمية تكشف له عن أعماقه الدامية الممزقة دونما أقنعة ان كان باحثاً عن حقيقة، أو متعة فكرية مضيئة للناقد البحاثة. انني أكتب لكل عين تقرأ سطوري، وأفجر كلماتي نبعاً لكل من يشرب.

• تبدين في كتاباتك دائماً كخارجة على القانون حتى أصبح يخيل للقارئ .. أنك تكتبين وقاموس المصطلحات والمفردات الأدبية في سلة المهملات في حجرة مكتبك؟

- لست أنا الخارجة على القانون، ولكن القانون هو الخارج على القانون!

القانون الموضوع هو الخارج على القانون الطبيعي للابداع، (أي اللاقانون)! فالابداع هو اكتشاف الجديد ومزيد من الحقيقة التي كانت مجهولة. والقانون الموضوع يستنبط الماضي دون أن يستوحي شرر المستقبل.

أنا خارجة على القانون بقدر ما يرفض الزلزال تأشيرة الدخول الى أرض ما، وبقدر ما يجهل البرق « الاتيكيت » وأصول مخاطبة الناس بغير الرعد. أنا خارجة على الترويض والتدجين، ولأني عقدت قراني على الموت منذ زمن بعيد، لم يبق هنالكُ ما أخشاه. انني في جنة أو جحيم العطاء حواء الأولى. انني أتجول بحرية وآكل ما أشاء من التفاح والعلقم دونما آراء مسبقة أو مخاوف متوارثة... وسأقرر أنا ما هو سمي، وقد أستوحي أساطير الأولين ولكنها لن تستعبدني. أريد أن أكون « أنا » ولو لثانية أحترق خلالها كما تحترق الشهب حين تضيىء ولن أرتضي وجوداً رتيباً لقطار يمشي على السكة الحديدية المنصوبة له سلفاً والتي سار عليها العشرات قبله ولا أحد يحيد عنها. الإبداع ليس قطاراً، ولا يحتمل سلفية السكك الحديدية والطرق المعبدة، انه أعصار يجتاح كل شيء، إعصار يعيد خلق خريطة الأرض لأنه يحرق الماضي الرث ويجلو عن الماضي ذي الجذور الضاربة في العمق،الصدأ والنسيان ويغسله بالدمع والمطر،ويعيده للناس حقيقياً وإنسانياً وأشد صلابة. انني لا أرمي بشيء في سلة المهملات. كل العالم وكل القيم هي بالنسبة الي سلة مهملات كبيرة أغربلها، وأنتقي منها القليل الذي يستحق العودة الى

القلوب والعقول...

• الاسلوب الشعري هو أحد القسمات المميزة في كتابتك. فبمن من الشعراء الاجانب قد تأثرت؟

- وأنا أحاول الرد على سؤالك هذا، أشعر بضياع عجوز في التسعين يسألونها عن أول حب... لا ريب في أنني أعجبت بنتاج الكثيرين من الشعراء وبالتالي تأثرت بهم وأنا أدري أو لا أدري! لا أدري بمن تأثرت، لكنني أستطيع أن أذكر لك بعض الشعراء الاجانب الذين أعود اليهم من وقت الى آخر لاقرأ كلماتهم وأفهمها من جديد. هنالك مارلو ووايلد وجوتيه وشكسبير وادغار آلن بو واليوت ورامبو وتشوسر ودانتي وبراونغ وشيللي وكيتس وبايرون ووردثوورت وناظم حكمت وطاغور ولوركا ودرايدون ودون وهيريك ووالت ويتمان وييتس وغيرهم كثير... انني، كما ترى، مغرمة بالشعر الى حد الايمان بنظرية ت.س. اليوت التي ترى في الشعر خلاصة المعرفة الانسانية وعصارتها.

• ظلت القصة العربية حبيسة النظرة العذرية لليلى العامرية مرحلة طويلة. بعض الكاتبات، ومن أجل المعاصرة فقط، جعلن ليلى العامرية ترتدي الميني والماكسي والشورت وتضع «الباروكة» والرموش الاصطناعية، ومع ذلك ورغم التعابير القاسية الظاهرة في كتابتهن، فليلى العامرية لا تزال، تحت الثياب الحديثة، ليلى العامرية القديمة. ومن هنا تجيء أهمية كتابتك كونك لم تمارسي عملية التزييف، وقمت بتقديم النموذج الذي نراه ينبض بالواقعية بلا رتوش في قصصك. فما هو رأيك في عملية وضع ليلى العامرية في بيت الطاعة، وبالعكس؟

- لقد حاولت، في كل ما كتبت، تدمير فكرة «بيت الطاعة» في العلاقة بين ليلى العامرية وقيس. حاولت الخروج بالعلاقة بينهما من الدهاليز السرية المعتمة الى الشمس. من علاقات «العقد النفسية»، وعلاقات «السجان والسجين» الى علاقة الند والصديق ورفيق الدرب... حاولت أن أنقذ «الشاطر حسن» من تسلق جدائل ليلى العامرية ليرقى الى مخدعها، وأردت أن تكون الصلة بين قيس وليلى جسراً من التفاهم المضيء واللقاء الانساني الناتج عن المشاركة خارج مخادع ألف ليلة. أردت ألا يكون بين ليلى وقيس سيد وعبد. حاربت فكرة «الرجل - الوثن»، و«الرجل - الإله» وبالتالي طالبت بتحرير الرجل من طلبات ليلى العامرية غير الواقعية، فهي تطالب الرجل بأن يكون إلها قوياً كزفس، حكيماً وعادلاً كجوبيتر. وترفض أن تتفهم أخطاءه ونقاط ضعفه ولحظات سقوطه الناتجة عن طبيعته البشرية المشابهة لطبيعتها...

لقد كان منطلقي الأساسي هو ضرورة تعليم ليلى العامرية ،لأنه ما جدوى الميني - جوب إذا كانت المرأة ما تزال ترتدي معه خلاخيلها؟! لقد خرجت ليلى العامرية من بيت الطاعة نهائياً . خرجت سراً أو علناً . . . انها غالباً ما تتسلل منه ليلاً لتضيع ولتسفح رحيقها على إسفلت الأزقة المعتمة ، وعلى المقاعد الخلفية للسيارات . . .

وأنا ضد كافة أشكال الزيف والتهرب من مواجهة منطق العصر والواقع . فلتخرج ليلى من « بيت الطاعة » نهاراً ، وليكف وجودها عن أن يكون خطيئة . . .

ولتكن الخطيئة أية محاولة لمنعها عن حقها في ممارسة وجودها كإنسانة وكمواطنة وكأنثى. لتكن لها حريتها ، فالوجه الثاني لعملة الحرية هو المسؤولية.

● الروائيات الجديدات، لو صح التعبير، انهالت عليهن سياط النقد من كل صوب واتجاه، وأكثرهن يقلدنك، وأنت متهمة بالسكوت عن عملية ضربهن، فلماذا لم تتكلمي عنهن سلباً أو ايجاباً؟

- سؤالك في حد ذاته يتضمن تهمتين للكاتبات اللواتي نشرن نتاجهن مؤخراً . قلت فيه : الاديبات «لو صح التعبير ». اذن أنت لست مؤمناً بهن أو أنت في مرحلة الشك. والتهمة الثانية هي « التقليد ». قلت « أكثرهن يقلدنك ». إذن، أنت أصلاً لست معجباً بهن وتجدهن مقلدات وتريد مني أن أقرك على بذور رأيك المزروعة تحت تربة السؤال ، أقول لك : لا أحد يستطيع ضرب موهبة أصيلة . ان الدفاع عن قضية خاسرة لا يبعث الحياة فيها وإنما يجعل موتها أكثر دوياً ، هذا كل ما في الأمر . كما أن الموهبة الاصلية لا شيء يستطيع ضربها ،واي ضربة تزيدها ضراوة . الموهبة كالميدوزا (المخلوقة الاسطورة)، كلما قطعت عضواً فيها تضاعف وتكاثر. الهجوم للفنان الناشىء مثل الشارة الحمراء أمام عيني الثور . . . تهيجه ولا تقتله . لا أحد يستطيع قتل فنان مبدع . المهم ألا يكون قد أجهض موهبته حتى قبل أن يبدأ!

في الحقيقة لم يخطر ببالي أصلاً أن من واجبي الدفاع عنهن لمجرد أنني امرأة وهن نساء . . . فأنا أعتقد أن الموهبة لا علاقة لها بالذكورة والانوثة .

● كيف استطعت أن تخرجي من عنق الزجاجة دون أن تخلعي حذاءك وتواصلي الكتابة وتجاوزي نفسك باستمرار؟ مثل هذه التجربة لا بد وأن تقدم للذين يكتبون عجائز وشبانا!

- لم أخرج من عنق الزجاجة ، وإنما تعلمت أن أعيش في عنق الزجاجة وأن أنتج. اكتشفت أن كل الذين أعطوا هم الذين تعذبوا ، ووعوا أنهم أسرى عنق الزجاجة ،

ورفضوا التخدير وقرروا أن يكتبوا عن وطن الحرية كلما ازداد عنق الزجاجة إطباقاً عليهم. اكتشفت أن بخار الحزن والدمع المتكاثف في عنق الزجاجة هو أبدع اللوحات التي تزين المتاحف، وأن أحلى كلمات الشعر هي صرخات الاستغاثة والرفض والحب المحكوم بالحرمان والتحدي، صرخات الملايين في عنق الزجاجة التي تتجسد في حنجرة شاعر... زجاجة داخل أخرى داخل أخرى كالعلب الصينية. ليس المهم أن أخرج منها، المهم أن أحافظ على وعيي فيها، وأن أرفض - رغم كل عذاب - منطق المساومة والهرب الفردي. أما أن نكسر كلنا مأزقنا العربي، أو نظل جميعاً في الداخل نتابع المعركة. ان الاستلاب الفردي الذي تعرضت له شخصياً على أكثر من صعيد ليس حادثة «نادرة مفردة» وإنما هو جزء من الاستلاب الذي يتعرض له الفرد العربي على أكثر من صعيد، بالاضافة الى الاستلاب الذي أواجهه كأنثى. وليس خلاصي في أن أعيش في أوروبا وحيدة مثل قطة شوارع مسعورة، الخلاص في العودة الى عنق الزجاجة وتدميرها لا الانزلاق منها. لقد خضت معركة من أجل تحرر الانسان العربي - وتحرر المرأة جزء منها - وليس مهماً أن أفقد حبيباً، المهم أن أغير مفاهيم مغلوطة وقيماً سائدة تدمر إنسانية الكثير من سواي.

في عنق الزجاجة أحببت. من عنق الزجاجة كتبت، ومن هنا أرد على أسئلتك وسأظل معتصمة هنا حتى يخرج المارد من القمقم - الزجاجة. ونغادرها جميعاً، أنا وقافلة المعذبين...

• دائماً تكتبين من صالات الترانزيت ومن حجرات الفنادق... هل الكتابة من أرض المطار هي التي جعلت أسلوبك يتميز ويصبح في حدة الطلقات الضوئية!

- أوه يا صديقي! ألا ترى معي أن وجودنا الفاني على وجه الأرض ما هو إلا وجود مسافر في صالة الترانزيت؟ ألا ترى معي أن هذه الدنيا بأكملها ليست سوى قاعة انتظار كبيرة، يحل فيها المسافر قادماً من حيث لا يدري... ويقضي ساعات فيها، يحب ويضحك ويقاتل ويبكي ويرقص ويكتب الاشعار ويشتري بعض مقاعد الصالة، ثم فجأة ينادون اسمه، ولا يملك إلا أن يطيع مهما كانت أهمية ما يفعله، ويمضي مع طائرة أخرى تذهب به الى حيث لا يدري... يصعد إليها عارياً إلا من كفن أبيض، ويشيعه محبوه من نوافذ صالة الترانزيت باكين أو شامتين ثم ينسونه، ويصعد هو صاغراً الى الطائرة، ولا يفاجئه بأن مقعده تابوت مفتوح، يتمدد فيه باستسلام أو باحتجاج، لكنه يتمدد، وليست هنالك أحزمة نجاة يربطها حوله، ولا تعليمات انقاذ يقرأها!!.

أوه يا عاطف!.. ان حدة الطلقات الضوئية في اسلوبي ليست سوى شارات استغاثة تطلقها سفينتي التي تعرف أنها غارقة لا مفر... مبحرة في العتمة وغارقة لا مفر. ورغم ايماني بأنه لا نجاة، اطلق شاراتي الضوئية بكل وجع القلب الذي وقع في الحب، في صالة الترانزيت، بانسان آخر غارق مثله...

اني أضيئ بشراسة لأنني أحترق بسرعة وبجدة وأعي احتراقي... لأنه لا مفر!

١١ / ٥ / ١٩٧٦

عبد الله الشيتي يستجوب

• بأرض الوطن ألتصق كأية بنفسجة صغيرة.

• هاربة أنت من الحرب وعائدة الى الحرب، بين الفرار والعودة، أين تقف غادة السمان في هذه الظروف الدامية؟

- أقف مغسولة بالدم والرعب والنجوم السوداء، وقلبي مغارة تتوق دهاليزها لشمس السلام والمحبة، في حلقي المذبوح صرخة: أوقفوا شلال الدم.. وفي دمي الغجري شهوة الى ركوب طائرة المجهول الى حيث لا أدري.. ينبت لي جناحان شفافان كأحلامي، لأرحل بعيداً بعيداً الى بيتي في صالات الترانزيت بالمطارات النائية، في أرصفة الضباب والرماد والغربة، في ليالي الجمر بقارات منسية.. ولكن.. ولكن جذوري هناك في أرض الزلزال.. وأنا بنت هذا الوطن العربي بكل مآسيه وسقطاته وعظمته قدري ان أعيش ذلك كله، وأن أرفع صوتي الخافت كشهقة في وجه أصوات المدافع والدمار منادية على (بضاعة) الفنانين المرفوضة في زمننا الرديء: المحبة. الاحتكام الى العقل والكلمة. رفض العنف وتجنب النزيف البشري اللامجدي.

• حين «أعلنت عليهم الحب»، كتابك الاخير، كانوا يعلنون الحرب على كل شيء... هل كنتِ تتصورين أن اعلانك سيهزم اعلانهم.. ام أن صرختك ضاعت في واد سحيق؟

- اعلنت عليهم الحب فزرعوا الشوك في حلقي. اعلنت عليهم السلام فدقوا مساميرهم في صوتي. أعلنت عليهم الغفران فرجموني بحجارة من سجيل ثم عادوا لمتابعة لعبة التنس بقنبلة يدوية.

وكنت أعرف منذ البداية أن طبول الحرب في عصرنا تهزم مزمار الصفاء والمحبة لكنني لا أملك الا أن أتابع عزفي المنفرد على عود المحبة،مثل شاعر جوال عاري القدمين لا يملك الا ان ينشد حتى في المقبرة!

ولكن صرختي وصرخة الفنانين أمثالي، الحالمين بفجر الضحك والسلام والخبز والحرية ليست ذات مفعول آني. أنها ليست كحبة «أسبرو» تداوي صداع التاريخ فوراً.. ولكنها كماء السماء الذي تختزنه الأرض في جوفها عاما بعد عام وثانية بعد ثانية وذات يوم ستتفجر ينابيع المحبة.. بعد قرون؟ ربما.

ليس الفنان مرابياً جشعاً كشيلوك (بطل مسرحية شكسبير تاجر البندقية)، انه لا يكتب أعماله في دفتر شيكات مطالباً «بنك العصر» بالدفع فوراً، ولكنه يمنح عصره والعصور اللاحقة مجاناً وكل ما يطلبه بالمقابل هو أن يأخذوا.. إنه يعرف سلفاً أن تابوته النسيان وذكراه طيور مهاجرة، ولكن يكفيه أن يضيف ولو لمسة حنان واحدة على وجه كرتنا الارضية المثخنة الخدين بجراح الابرياء.

• في معظم سفراتـك الينـا أو الى بلـدان أخرى، تحف بـك عـادة مظـاهر وطقوس احتفالية وهالات من الاضواء. هذه المرة جئت سراً كما لو انك متنكرة.. زاهدة في كل شيء؟

قادمة أنا من جرح النار وقد أحرق أهدابي صقيع الرعب. قادمة أنا من جبال الصوان التي تقدح شرراً تحت جثث أبنائها القتلى. قادمة أنا من مدينة الوجع التي تحتضر أو تولـد. لقـد قتلتني كـل رصـاصـة أطلقـت عـلى بريء ومـت آلاف المرات ثم خرجت من رمادي لأكتب. لقد تيتمت مع كل طفل فقد أبويه. صرت ثكلى مع كل ام فقدت أبناءها.

تمزقت أعضائي وتناثرت في ليل الجنون الناري مع كل متفجرة وصاروخ.. وطار رأسي وعام فوق الليل الحزين مقطوعاً، وتدحرج على أرصفة بيروت المتوحشة. قلبي مرهق مثل بجعة تطير فوق غابة محترقة... وروحي مضطربة كلهبة شمعة في بيت للخطيئة.. أحاول أن ألملم نفسي وجسدي من كوم الاشلاء لأظل قادرة على أن أنشد للحب في المدينة التي أعطت العرب كثيراً، ولما سقطت رجمها الكثيرون بيد حاملين خطاياهم باليد الأخرى... الحب الذي أحاطني به أصدقائي الكثر في الكويت تعاملت معه كنحلة، وامتصصت رحيقه بعيداً عن الاضواء والديكورات.. فالاضواء تؤلم الجرح حتى في غرفة العمليات.. وصحيح أنني لم آكل على موائدهم، لكنني اكلت في وليمة محبتهم وسكنـت الى حنـان قلوبهم.. وتلقيـت حبهم ورعـايتهم عـلى طريقـتي.. ودونما ضوضاء هذه المرة.. فأذناي قد مزقتها جلبة الرصاص، وأنا بحاجة الان الى همس الامواج الحميم أكثر من حوار الحلبات الاجتماعية. وحينما ترتدي بيروت أضواءها من

جديد ، سأرتدي أنا أيضاً أضواء الصخب وأعود الى أصدقائي جنية الليل الساحر!..
حين تمل الجميع ببيروت قسوت عليها أنا ، أما اليوم وقد أغمد الجميع سكاكينهم في جنبها الذي طالما شربوا منه لبنه ، لا أملك الا أن أصلي بصمت وأقول لها :
لا تغفري لهم لأنهم يعلمون ما يفعلون!...

● في حزيران « ٦٧ » كتبت مقالك الشهير يومها « أحمل عاري الى لندن » والآن كتبت « كوابيس بيروت » والتصقت بجرح الوطن. ما الفرق بين العار والجرح؟

- العار طعنة عدو خارجي استحضرها تخلفنا ، والجرح طعنة حبيب استحضرها سوء تصرفنا .. بأرض الوطن التصق كأية بنفسجة صغيرة ، ومعه أبدأ في زمن الصواعق كما في زمن الالعاب النارية..

● هل تعبت الفنانة المشردة فيك.. ام انسلخت عنك؟

- اه كيف اسلخها عني؟ كيف أمنع مطر الالوان من التدفق في داخلي؟ كيف أسكت ذلك الصوت الصارخ في أعماقي كصهيل فرس أبيض على شاطىء بحر مجنون الصخب؟.. كيف أقص أجنحة نزواتي الطفلة والشريرة في آن معاً؟.. كيف أغادر صدفة المفاجأة لأسكن قصر الرتابة؟.

٢٣ / ٥ / ١٩٧٦

الفاتح ميكا يستجوب

• اكتب للباحثين عن شمعة ولمسة حنان.

لا يهم متى وأين كان اللقاء وفي أي زاوية من زوايا بيروت التي تعشق الهذيان.. قد يكون في سيارة أجرة.. في باص تفوح منه رائحة العرق كنبات في بحيرة مغلقة.. في منزل.. في قارعة الطريق ووجوه الناس كقشرة الموز. لا يهم.

وانما كان لقاء سريعاً.. توهجت فيه غادة.. العينان الواسعتان كغابة استوائية.. والوجه السوري الممتلىء بتفاصيل الغموض.. الوجه الحزن.. الحزن الطافح بالشمس.. والرحيل والغروب.. كتاب.. قهوة.. بحر.. ومرافىء.

• يقول رامبو: لقد كتبت عن اشكال الصمت والليالي ودونت ما لا يعبر عنه.. لقد ثبت جزئياً الطيش.. كما يقول سارتر بأن مهمة الكاتب الوحيدة اليوم هي ان تكون نوعاً من الشهادة الموجزة على موت الانسان..

فغادة السمان عندما تنفرد الى نفسها.. وتواجه الصمت المطلق لمن تكتب..؟

- لا أود أن أناقشك في رامبو أو سارتر..

وانما انا شخصياً اكتب للباحثين عن شمعة.. ولمسة حنان، اكتب لقافلة المكافحين من اجل غد أفضل.. العاملين على نشر سحب الفرح والعدالة على وجه كرتنا الارضية البائس الدامي.

• اخر كتاب في يد غادة الان - كتاب اسمه «اعلنت عليك الحب».

- انه محاولة لالقاء القبض على بعض لحظات الحب الهاربة بكل ما فيها من عذوبة وغصات وتوهج وعتمات.. الكتاب تعبير عن عشق كوني شاسع من خلال حكاية حب لرجل واحد هو في آن جميع الرجال الرائعين المجهولين الذين كان يمكن أن أحبهم لو عرفتهم..

• يقول فرويد عالم النفس النمساوي ان تيار الانفعالات التي تقود الى الابداع هي

نفسها التي تقود الى الجنون.. فما هو الفاصل بين الابداع والجنون..؟

- رفيع جداً هو الخط الفاصل بين تخوم العبقرية والجنون فالجنون اسم تطلقه الاكثرية التي تسمي نفسها (عاقلة) على الاقلية ذات السلوك غير المتعارف عليه والملقبة بالمجانين..

الفنان يركض خلف نار المعرفة.. ونار المعرفة تحرق من لا يعرف كيف يحيط بها.. وربما كان المجانين اولئك الذين واجهوا لحظة (الحقيقة المطلقة).. فصعقتهم.. واتلفت قدرتهم على التواصل مع العالم الخارجي المليء بالزيف والاقنعة.

الفاصل الاساسي برأيي بين الابداع والجنون هو ان الفنان قادر على الابحار الى شطآن الحقيقة.. والعودة منها.. دون ان يفقد القدرة على التواصل مع العالم الخارجي او ينسى لغته..

اما المجانين فهم الذين يرحلون عنا ولا يعودون ابداً... يخلفون لنا جسدهم وهذيانهم... ونجهل أي عالم سحري من العذاب والاشباح والتهاويل يعيشون... وأحياناً يعجز الفنان عن العودة.. ولذا نجد عدداً كبيراً من العباقرة وقد أصيبوا بالجنون في أواخر حياتهم.

انا شخصياً احترم المجانين.. واجدهم اكثر عقلاً من (العاقلين).. أليس المجنون هو ذلك الرافض للتكيف مع عالمنا (المجنون)..؟

● لقد مر الانسان العربي باكبر حدثين سياسيين في تاريخه الحديث.. هزيمة حزيران ٦٧ وانتصار تشرين الثاني ٧٣.. ما هو تقييمك لموقف الاديب العربي في هاتين المرحلتين وفي المرحلة القادمة من الكفاح البطولي ضد العدو الاسرائيلي..؟

- موقف الأديب العربي من كفاح أمته هو نفسه موقف الفنان (الحقيقي لا الرسمي) في كل زمان ومكان.. فالفنان الأصيل لا يمكن أن يقف خارج الحياة.. المهم آن لا يقسر الفنان نفسه على كتابة أي حرف لمجرد أن النقاد يريدون منه ذلك.. أو لأن الموجة تستدعي ذلك. والذين ركبوا الموجة السياسية تحول أدبهم الى ترداد ببغائي للشعارات والى بيانات رسمية قد تكون جيدة الاتجاه والوعي السياسي لكنها خالية من تلك الشرارة التي تميز الفن عن الشعارات.. المهم أن يترك الفنان (والنقاد) الأشياء تتفاعل وتنضج في الأعماق دون اجهاضها قبل الأوان..لكي تأتي مكتملة ومبدعة لا خطابية وفجة ومباشرة.

● ماذا يعني الحب لغادة السمان..؟ ضياع؟ متعة؟ وجود؟

- الحب يبدأ متعة.. ينمو ليصير وجوداً.. وينتهي غالباً الى ضياع.. ولكن تراه حقاً

ينتهي الى ضياع؟. وهل تضيع السحب بعد ان تمطر ويكف المطر عن الهطول؟ ام تختزنها الأرض في جوفها لمواسم القحط..؟ وهل تضيع أشعة الشمس اليومية في لحظة الغروب؟. ام تختزنها عروق الصخور والغابات والرمال ومسامات كائنات الطبيعة.؟ وهل يضيع الحب بعد ان يرحل.. ام يظل حياً في اعماق اعماقنا كما يظل ضوء النجوم راكضاً في الكون الشاسع دونما توقف؟...

١١ / ٨ / ١٩٧٥

آمال ناضر تستجوب

• الفنان ملعون حتى يموت،
ثم يزينون جثته بالنياشين.

• هل لديك طريقة معينة في الكتابة؟ ما هي الحالة التي تعيشينها اثناءها؟ ما هي الاجواء التي ترتاحين اليها؟

– في البداية كان الامر لا يخلو من الطقوس الخارجية الرومانسية، كان يحلو لي ايقاد البخور والكتابة ليلاً بعد ان تنحسر المدينة عني الى مغاور النوم... كانت رائحة الياسمين في ليل دمشق المسحور، والموسيقى «البيتهوفنية» ديكوري المفضل..

مع الزمن تبدلت اشياء كثيرة. ربما لم تتبدل وانما اصبح الاقتراب من الجوهر مباشراً ودونما حاجة لقفازات الطقوس.

حالياً استطيع الكتابة من اي مكان.. على جناح طائرة يحترق تحت الشمس، او من مقعد مغبر في قاعة ترانزيت، او في الباص او غرفة في فندق يزعق تلفزيونها. لم يعد للديكور الخارجي اثر في عملية الكتابة، كل الزخرفات الرومانسية من تغريد الطيور في الوادي الى اشعال البخور في مكتبة لها مناخ المعبد. كل هذه لم تعد تعني لي شيئاً. المهم ان يكون الحبر والورق متوفرين، كنت اعشق الحبر الاخضر، والورق المسطر، الآن، لا فرق لدي المهم ان يلتهب الداخل وان تشتعل تلك الارض الداخلية الغامضة.

ولكنني مع الزمن تعلمت ضرورة التنظيم في العمل الفني... تعلمت ضرورة (تفريغ) ساعات يومية محددة للكتابة، سواء كنت في مزاج خلاق ام لا! فقد يكون الابداع الهاماً يأتي كالزلزال دون ان يضرب لنا موعداً، ولكن من الضروري التفرغ لاستقبال الالهام حين يأتي، واحتضان بذرة الابداع حين ينتشر في سحب القلب رعد العطاء الغامض...

• للفنان حدس غريب. ما هو مستقبل الفنان في العالم العربي؟

- حين صدر كتابي «ليل الغرباء» صيف عام ١٩٦٦ هاجمه البعض بصفته مغرقاً في التشاؤم وحزيناً مثل غروب ليلة هزيمة في ساحة حرب مغسولة بالاوجاع... وبعد صدور كتابي بأشهر كانت هزيمة ١٩٦٧.

وحين صدر كتابي «بيروت ٧٥» في مطلع هذا العام، انتقد البعض كثرة الموت فيه والنهايات (الشكسبيرية) لابطاله، ولم تمض شهور على صدوره حتى انفجرت الاحداث الاخيرة في بيروت وشهدت المدينة مناخ العنف والقتل الذي رسمته روايتي...

هذا ليس (نبوءة) على طريقة العرافين، بل ان الفنان هو اكثر (الكومبيوترات) حساسية في الكون. انه يلتقط، كهارب، ما حوله ومن حوله، وفي مرايا اعماقه الغامضة تتشابك العصور وتتركب وتتلاحق لترتسم على شاشة عطائه صورة صادقة عما سيكون. هي بمثابة جرس انذار يقرع في حياة اولئك المشغولين بالتفاصيل اليومية والروتينية عن التساؤل: الى اين؟ وماذا بعد؟

الفنان الحقيقي هو عراف الجماهير الذي ترتسم في اعماله رؤيا مستقبلية لها كما في كرة الساحرة العتيقة.

تسألينني عن مستقبل الفنان في العالم العربي؟. اقول لك: كمستقبله في كل عصر وفي كل بلد... ملعون حتى يموت... ثم تكرم جثته جيداً في حفلة تأبينية... يتلقى الضربات طيلة حياته، ثم تعلق الاوسمة على جثته بعد مماته... هذا مصير الفنانين الحقيقيين في كل عصر اذا رفضوا منطق التدجين والقطيع والاقنعة والمعاطف الواقية والمظلات...

● اين تبدأ وحدتك؟ متى تصرخين؟ ما هي الهموم اليومية التي ترهقك وتعيش معك باستمرار؟

ما هو الخوف الابدي الذي يلاحقك؟ لا بل ما هي الرغبات التي تجتاحك في بعض اللحظات؟

- وحدتي هي المسافة بين لحظة ولادتي ولحظة موتي، بين لحظة سقوطي في سجن الولادة، ولحظة يطلق الموت سراحي...

وحدتي هي عشيقي الوحيد، والحب الذي اتوهمه احياناً سلاحاً ضد الغربة، اجده غالباً مرآة تعكس مدى عمق هذه الغربة الضاربة جذورها حتى قاع الصمت.

انا وحيدة ما دمت حين احتضر ساحتضر وحدي ولن يحتضر حبيبي معي... وقد يبكي، ولكن دورنا ليس واحداً: انا سأموت وهو سيبكي ولكن لن نموت معاً!

وحدتي هي المسافة بين جرحي وصرختي التي لا تستوعبها حنجرتي البشرية...

الهموم اليومية لا ترهقني، واراها على حقيقتها: مجرد الهاء يومي عن موتنا اليومي... مجرد تفاصيل صغيرة نضيع في غمرتها مخاوفنا الشاسعة امام اسرار الموت والوجود.

خوفي الكبير هو ان لا يكون الموت نوماً بلا احلام، وان يكون مثقلاً بالكوابيس التي لا نملك لها شيئاً.

رغباتي؟ تجتاحني نزوات لا حدود لها، منها ركوب حوت يبحر بي الى اعماق البحر واسراره، ومنها القدرة على مخاطبة كائنات الطبيعة كلها بما فيها الطير والشجر والحجر واستنطاقها... نزواتي غزيرة وكريمة والواقع اليومي بخيل!

● **ما هي اللحظات التي كانت حاسمة في بناء مستقبلك؟**

اللحظات التي كانت حاسمة في بناء مستقبلي هي لحظات لم اتوقف عندها ولم الحظ خلالها انني اتخذت اي قرار. انها لحظات عفوية متدفقة كسيل بلا مجرى، انها امتداد لحقيقتي دونما قسر ودونما لبس او ابهام...

٢٩ / ١ / ٧٧

عبد الله الحكم يستجوب

• أنا اعرابية عمرها ٢٠٠٠ سنة.

« بين الموت والحياة اقف، واشعر بسلام غامض يلف روحي: السلام نفسه، الذي يحس به المجانين.. سلام ما وراء الالم.. هذا ما احس به حين اجلس لاكتب، ولأدون « كوابيس بيروت »... »

من هي بيروت التي يهجم عليها الغروب كئيباً بالنسبة لغادة السمان؟

هل هي الحلم والمحطة والفقراء البسطاء.. ام هي بيروت تجار الصواريخ ومطر القنابل؟

« وعرفت لماذا قتل ذلك الانسان النبيل.. ولم اقل شيئا.. تلك عواطف لن يفهمها ولا يقوى على منحها سوى الفقراء البسطاء.. »

الفقراء البسطاء الذين يستشهدون من اجل « بيروت النقية الغاضبة اياً كان الثمن ».. وأي ثمن يدفع اكثر من الحياة... ويتبدد السلام الغامض الذي لف روح غادة فجأة، فلقد اضاعت الحقيبة البرتقالية.. ودخلت الملالة ثانية وبقيت تنصت للحوار بحثاً عن تلك الحقيبة التي « لا تحوي مجوهرات او نقوداً وانما.. ». ولعل امرأة اخرى كانت تنصت الى هذا الحوار « على الموجة المحرمة، وتتساءل عن سر الحقيبة وتشتم، لانها كادت تموت بالقصف، والملالات مشغولة بالبحث عن الحقائب بدلاً من انقاذ البشر ».

وتتساءل غادة « كيف اقنعها بأن (مخطوطة الرواية) هي كالطفل: « كائن حي!.. » ينتظر الولادة على « الخط الفاصل بين الموت والحياة ».

وتتم الولادة.. « كوابيس بيروت » لتهديها غادة الى: عمال المطبعة.. « الكادحون المجهولون دوغا ضوضاء كسواهم من الابطال الحقيقيين الذين يعيشون ويموتون بصمت ويصنعون تاريخنا بصمود الانبياء ».

وقبل « كوابيس بيروت » التي عايشت فيها الاحداث الدامية في لبنان اصدرت

رواية بعنوان « بيروت ٧٥ » وخمس مجموعات قصصية « عيناك قدري » و « لا بحر في بيروت » و « ليل الغرباء » و « رحيل المرافىء القديمة » و « حب » اضافة الى « اعلنت عليك الحب ». غادة السمان ماذا اعطت وماذا اخذت عبر كل هذا وكيف تنظر الى قضية المرأة والادب « والاخرون ».

● **غادة السمان في رحلتها عبر المرافىء اين هي الان؟**

– وما زلت اعي اننا لا نجد المرفأ جاهزاً بانتظارنا ، المرفأ نحن نصنعه ، المرفأ الحقيقي ليس مغارة من الياقوت والمرجان تنتظرك في شوارع البحر وتطلع عليك مع ضوء القمر..

المرفأ الحقيقي « نجدله » بسواعدنا واشجار وطننا ودمنا ، نبنيه بصمود النمل وطموح النسر.. والمرفأ الحقيقي ليس « املاكاً خاصة » انه ارض الفرح الجماعي ، حين تذوب « الانا » في « نحن »..

الجحيم هو « الاخرون ».. هذا ما يقوله سارتر ، اقول له: المرفأ هو « الاخرون ».. بمعنى ان « الآخرون » هم ملايين العرب البسطاء الذين يناضلون من اجل حقهم في ان تسود القيم الانسانية. ان انتمائي الى كفاحهم هو المرفأ ، ولولا ذلك لظل البحر مرفأي والريح سقفي والامواج جدراني والصدفة مغارتي والضياع سفينتي والتأنق اللغوي صيدي.

● **ماذا اعطت غادة وماذا اخذت؟**

– قد يكون بوسع النقاد كتابة « محاضر ابداعية » حول نتاج الكتاب ،وتجبير « فواتير » وحسابات الاخذ والعطاء.. ماذا اعطى الفنان وماذا اخذ وماذا اغتصب وماذا سرق منه.. ماذا منح الاخرين وماذا منحوه..

بالنسبة الي لا استطيع رؤية الامر من هذه الزاوية. انا لم اعط. انا لم آخذ. انا لم افعل شيئاً سوى انني كنت احيا بصدق واكتب بصدق وهذا هو « الفعل » الوحيد الذي اتقنه لانني امارس ذاتي حين امارسه.. اريد ان اعترف لك: لم اشعر أبداً بأنني اعطي. لقد احسست دوماً بأنني احيا وان الاخذ والعطاء إسمان لشيء واحد هو تحقيق الذات باخلاص ، ولذا فأنا لم اشعر ابدا بالزهو الذي يحسه الذين يتوهمون انهم يمنون على الكون بعطائهم ، كما انني لم اشعر ايضا بذلك « الشعور بالذنب » الذي يداهم الذين يتصورون ان انقاذ الكون مناط بهم وحدهم. انا ذرة كونية من ملايين ذرات هذا العالم الشاسع.. انا ابنة الحياة ، الوفية للحقيقة في ذاتها دونما خوف من الرقابات الخارجية

والداخلية المصطنعة.. والارض لا تحتفظ بفواتير وحسابات حينما تأخذ الى صدرها قطرات المطر، وتمتصها دون حساب والنجم لا يسجل كم (فولط كهرباء) يمنحنا من ضيائه كل ليلة..

ان «تكون» يعني ان تأخذ وتعطي في كل ثانية في عملية متكاملة لا تتجزأ كالتوأم السيامي.. ان تكون يعني ان «تمارس» ذلك لا ان «تحصيه».

● الحب، المرأة، الرجل، ما هو العمق الذي طرحت به فيما يسمى بالادب النسوي العربي؟

- في نظري، لا يوجد ما يسمى بـ«الادب النسوي العربي»، هنالك ادب او «لا ادب». هنالك نتاج مبدع ونتاج فاشل. وحينما يولد العمل الادبي لا نسأل: ولد ام بنت، وانما نسأل: مبدع ام غير مبدع..

وهنالك اعمال ادبية فاشلة كتبها رجال وهنالك اعمال ادبية فاشلة كتبتها نساء. الفروق الجسدية بين الفاشلين لا تهم هنا، المهم ان اعمالهم كانت فاشلة..

وهكذا وبعد تطوير بسيط للسؤال، استطيع القول ان قضايا الحب، المرأة، الرجل قد طرحت بعمق جيد في بعض الاعمال الادبية العربية الناجحة (التي كتب بعضها «حريم او «زلم» لا يهم)..

فالاديب والاديبة العرب المبدعون، قد وعوا ببساطة العلاقة الرئيسة بين حل قضايا المرأة والرجل والثورة، ووجدوا في الثورة الحل الحقيقي والوحيد لذلك كله.. ولاحظ اكثرهم مثلاً انه لا يوجد هنالك شيء منفصل عن التخلف العربي اسمه «قضية المرأة» وان حلها ما هو الا جزء من الحل الكبير للتخلص من الاخطبوط المأساوي التخلفي الذي سقطنا في براثنه..

ان وعي الاديب العربي بالعلاقةالأخطبوطية لمختلف نواحي التخلف اي علاقة التخلف العاطفي بالتخلف السياسي وغير ذلك من القضايا المتشابكة ما يزال يفوق وعي بعض السياسيين العرب.. ومن هنا ارحب بوصول الفنانين الحقيقيين الى السلطة واعتقد في الوقت ذاته ان السياسي الناجح هو فنان كبير لانه قادر لا على تشخيص الداء فحسب،بل وعلى علاجه بشكل عملي وفعال وسريع يختصر المراحل قدر الامكان.. ومن هنا ايضاً اعتقد ان الثائر الحقيقي هو فنان عظيم لانه يحاول تبديل الكون بأداة قد تكون اكثر فعالية من الابجدية وحدها او ملازمة لها.

● مرت فترة انتشرت فيها موجة سميت بـ«أدب نسائي» ثم عادت وانحسرت لماذا؟

- ليست وحدها موجة « الادب النسائي » التي انتشرت وانحسرت، هنالك موجات أدبية كثيرة اخرى شارك الرجال في صنعها وفي ممارستها كموجة « الادب الحزيراني » وغيرها.. وهي بمجملها ظواهر اجتماعية تتخذ تعبيرا موقتا زائفا وبالتالي تنطفىء مع انتفاء الريح التي نفخت بالوناتها وفي النهاية يذهب الزبد جفاء، والادب الجيد وحده يبقى.

الذي جعل الاضواء تتركز على ظاهرة الادب الذي تكتبه بعض النساء،ويشجعه بعض الرجال،ويصدقه بعض الناس بعض الوقت،هو الكبت العربي التاريخي عند المرأة والرجل معاً.. ذلك سلاح ذو حدين.. بعبارة اخرى، اذا استغلت الاديبة سلاح الانوثة في الترويج لادبها، فذلك قادر على تسليط الاضواء عليها بسرعة اكبر وبالتالي أيضا (كشفها) بسرعة اكبر، ومن هنا نلحظ ان عدداً كبيراً من الاديبات اللواتي اشتهرن في فترة ما، نكاد اليوم لا نذكر اسماءهن، ونلحظ ايضاً ان فترة عطائهن و (شهرتهن) كانت قصيرة، كففن بعدها عن الكتابة - بعد تأمين الزوج والعلف اليومي - او كف بعدها القراء عن القراءة لهن.

لكن ذلك لم يحدث فقط « للادب الذي تكتبه بعض النساء »، ذلك ايضاً مصير عدد كبير من الادباء الرجال الذين يستعملون العلاقات الاجتماعية او النفوذ او النقود للترويج لادبهم.. واستغلال المرأة لانوثتها في هذا المجال هو صورة عن استغلال الرجل لنفوذه او نقوده او صداقاته في هذا المجال..

يظل الزمن هو الناقد العظيم والغربال الأول للأدب الحقيقي الذي لا يدخل الانسان ملكوته إلا عارياً من طقوس الألعاب الاجتماعية كلها.. وعبر ثقب الابرة..

• دمشق، بيروت، بغداد، ماذا تعني هذه المدن بالنسبة لك؟

- دمشق طفولتي وأمي وجرحي.. دمشق التي هجرتها منذ عام ١٩٦٤ دون ان أهجرها.. كان مجتمعها فوق طاقتي على الاحتمال، او كانت ثورتي فوق طاقتها على القبول، اصطدمنا.. وهجرتها ولم أهجرها.. سيظل قلبي ينبض تحت اصغر قطعة حصى في قاسيون وستحرق جثتي بعد أن أموت ليهطل رمادها مطراً ملوناً في اللاذقية مدينة أمي، ودمشق مدينة أبي..

- بيروت؟ بيروت الحلم اولا، ثم المحطة، ثم بيروت العربية، بيروت الكادحين، بيروت الثورة، بيروت المخدوعة المهجورة، بيروت النقية الغاضبة اياً كان الثمن..

- وبغداد..

ذلك الحلم، وكلما الصقت وجهي به غادرني، وكلما عرفته اكتشفت كم اجهله.. بغداد تحتاج الى عمر كي تعرفها، والى عمر كي تنساها.

• هل ان علاقة الانسان بالاماكن مشابهة كعلاقته باشيائه وادواته الحميمة؟

- الأماكن؟

ما الأماكن؟

تشف حينا فتصير جلدك.. هذه الجدران تكف عن ان تكون جدراناً وتصير وعاء لروحك.. تلك الشوارع تصير شرايينك فيها يسري نسغك.. ذلك المكان الذي كدحت فيه، انه ليس مصنعا او جدرانا ميتة، انه امتداد لجسدك، انه تجسيد حي لروحك.. تلك الشوارع التي نزفت فيها اشواق اعماقك، تلك الساحات التي طالما صفرت فيها الرياح كما يصفر ليل الغربة في خلاياك.. هذه كلها، اماكن؟

وتلك الاجساد المسكونة بالغربة والوحشة والنأي، تلك التي تجالسها في المقاهي، تحاورها في المنتديات الادبية، هذه كلها، بشر؟.. وحينما تحس ان التماثيل اكثر صدقاً من البشر، وحينما تحس أن للأشجار سواعد تحييك، تصير زوايا الشوارع اكثر حناناً من السواعد، والدرج العتيق اكثر رقة من الهمس، الا يصير الجدار صديقاً والركن رفيقاً وهمس الخشب نبضاً انسانياً؟؟

• ماذا يعني التنقل بالنسبة لك؟

- لو كنت معي هذه اللحظة لشاهدتها، تلك السفينة الراكضة في البحر، بيضاء كطيور الحلم، وسريعة العدو كالاحصنة البرية، وتطلق صرخات استغاثتها الكئيبة وهي تتابع عدوها اللامتناهي من الافق والى الافق.. تتنقل.. تتنقل.. تتنقل.. وهكذا انا، امرأة المحطات. لي مرافىء الالتزام،لي مرافىء الوعي، لي مرافىء العقل،ولكن لي ايضاً الشوارع المفروشة بالثلوج والغربة والضباب والغرباء.. انا المرأة المرصودة للركض كجناح طائرة اعترف لك ايضاً بأن التنقل ليس الا صورة عن بحث روحي المضطربة عما لا ادريه.. اسمع يا صديقي لست انا التي اتنقل.. في اعماقي شهية الى الايمان والركوع، لكنني كذلك الاعرابي الذي التهم إلهه التمري، لا املك الا أن أرى الواقع المعاش.. وكل ما حولي يتنقل.. كل ما حولي يدور.. كل ما حولي يقهقه ويبدل مواقعه.. ووسط هذا الدوار المروع امسك برأسي ولا اصرخ لانني نسيت منذ زمن بعيد البكاء والشهقة وأحاول ان اقف صلبة كشجرة في الريح وأقول لغادة: ايتها المرأة، ليس قطارك هو الذي يركض، انها المحطات التي فقدت رشدها وصارت تركض فوق سككها الحديدية..

وتشكو البرد وصوت الحديد المثلج الحيادي..

● ولبنان باحداثه الدامية.. ماذا اعطاك وماذا حصل منك؟

- لبنان مجرد قطر عربي آخر ترتسم على شاشته عذابات الفرد العربي وطموحه.. عذاباته في عالم من التخلف والقهر والحرمان والكبت، وطموحه الى الوحدة والحرية والعدالة.. كل ما في الامر ان الانفجار في لبنان كان له دوي كبير.. لكن ما حدث ليس مفاجأة.. كانت المفاجأة هي الا يحدث ما حدث.

كل هذا الصخب والعنف ما هو الا ردة فعل ضد المخططات التي تستهدف قمع صوت الحق في صدر لبنان... ماذا اعطتني؟ ماذا أخذت مني؟ لا يهم.. عمري كله امنحه لاجل لحظة صدق واحدة، واذا اصطاد قناص جسدي من اجل ما اؤمن به، فذلك معناه انني «أخذت» الفرصة بتحقيق ما أؤمن به.

● دور المرأة في هذه المرحلة؟

- المرأة فرد من افراد مجتمعنا العربي، وتفجير طاقاتها جزء من معركتنا لاجل تفجير طاقات الانسان العربي وتحريره، من هنا أرى ان دور المرأة العربية كدور الرجل وان تحقيق ذلك لا يتم الا عبر الثورة الشاملة التي تعتق الفرد من قيوده ذكراً كان ام انثى، من هنا فأنا لا انادي بحقوق المرأة، بل انادي بحقوق الرجل، ومن حق الرجل على شريكته في الوطن والثورة،ان تحمل المسؤولية وتساهم في تحقيق وجود الفرد العربي. لعب دور كبير:ليس مهماً ان يكون الدور صغيراً أو كبيرا، المهم ان تحقق ذاتها حقاً، ولكن عزل المرأة عن الادوار القيادية في اكثر البلاد العربية الثورية امر يلفت النظر ويفتح الجراح.

● ومن وجهة نظرك كأديبة، اين تضعين الأدباء العرب في خارطة الواقع العربي؟

- لن اذكر الاسماء فأنا لا أريد أن أتملق احداً.. ولكنني أؤمن بأن الفنان العربي المبدع وعى مأزق الانسان العربي المسحوق والمناضل وعبر عنه وعاشه وأوحى في اعماله بدرب الحل..

● من تكون غادة السمان؟.

- أنا أعرابية عمري ٢٠٠٠ سنة، حاولوا وأدي في الصحراء وفشلوا، قتلوني عدة مرات، وكنت دوماً انهض من رمادي لأطير.. وأكتب..

شباط (فبراير) ١٩٧٧

فتحي العريبي يستجوب

• أنا مع علاقات صحية تنمو تحت الشمس.

• من أنت؟.. وماذا؟
وماذا تريدين من الكتابة؟

– أنا.. أنا لمسة حنان ولسعة أفعى تستطيع أن تستخرج من أعماقي النبيذ أو الخل.. ذلك يتوقف على: من؟.. كيف؟.. لماذا؟.

ماذا أريد من الكتابة؟.. بل انني أحياناً أتساءل: ماذا تريد الكتابة مني؟.. تلك الرغبة البيضاء الشفافة التي تقرع أبوابي ونوافذي وتمزق ستائري وتنتزعني من دفء النوم ورحمة الخدر، وتفرض علي عذاب الصحو باستمرار.. باستمرار.. تلك الرغبة البيضاء الشفافة التي تسطو على روحي وتسخرها، وتمتلكني برقة وقسوة حد الشفرة. تسيطر على زمني.. ترمي من النوافذ بعطوري وثيابي وتطرد كل أصدقائي وكالمنومة أتبعها الى هيكلها الورقي وحين تمسني عصاها السحرية يستحيل دمي حبراً وأنزف على جدران معبدها.. ويستحيل نزفي سطوراً.. ويستمر ذلك الى ما لا نهاية.. وتسألني: ماذا أريد من الكتابة؟ بل ماذا تريد هي مني؟.. وحتام أظل أسيرة ذلك الجنون العذب، وذلك الركض على قوس قزح في محاولة لالقاء القبض على نجم ما؟.

• هل هناك ثمة شيء اسمه أدب المرأة؟

– سيظل ثمة شيء اسمه أدب المرأة ما دام ثمة نقاد يقفون أمام الأثر الادبي كما تقف (الداية) أمام المولود الجديد، وهمها الأول أن تعلن: «بنت أم صبي».

• أتعتقدين أن سلوك مصطفى وشاعريته في «بيروت ٧٥» سلوك مريض أم أنك تعتقدين فعلاً بنظرته الى أمور الحياة والموت.

– أحببت سؤالك هذا.. ربما للمرة الأولى أواجه من يحاول اكتشاف وجهي الحقيقي داخل ملامح أحد «أبطالي».. عادة يكون الاهتمام مركزاً على «بطلاتي» والبحث

عني يتم غالباً في حقل البطلات « النساء ».. ولكن أبطالي الذكور يعكسون وجهي بقدر ما تعكس (مدام بوفاري) وجه (فلوبير).

وتقديراً لسؤالك، أعترف لك بما لا يحب كاتب أن يوضحه (لأنه غالباً لا يعرف الجواب بوضوح)..

مصطفى المرهف الشاعري المواقف رغم الانياب التي تتهدده يعكس موقفي من الاشياء في فترة من فترات حياتي.. أما نظرته الى أمور الحياة والموت فهي لا تلخص تماماً نظرتي الحالية اليها.

• كيف تبدو بيروت في نظر كل من: -

- السواح الاجانب!
- الجواسيس!
- المغامرين!
- رعايا الاقطار العربية
- اللبنانيين!
- الفلسطينيين!
- الاسرائيليين...!

- تبدو بيروت في نظر السواح الأجانب غابة صغيرة من الاسمنت والغواني، خسرت أصالتها العربية وبصمات تراثها، ولم تربح بركات الآلة والتكنولوجيا.

في نظر الجواسيس: مكان مثالي للعمل في أمان الديمقراطية المزيفة.

في نظر المغامرين: هونغ كونغ البحر المتوسط.

في نظر رعايا الأقطار العربية: حقل من الألغام مزروع بالورود... الاصطناعية.

في نظر اللبنانيين: مركب يغرق لكنهم يتوهمونه غواصة.

في نظر الفلسطينيين: جسر من جسور العودة ترابه من جمر.

لكنها في نظر الاسرائيليين: فندق بلا أبواب تديره غانية، وتسعيرة أكثر ما فيه معروفة الثمن.

• هل تؤمنين بعلاقات بين الرجل والمرأة في الهواء الطلق؟

- في الهواء الطلق وتحت الشمس تنمو أشياء الحياة الجميلة كلها: الأزهار والطيور والفراشات والاغاني العذبة.

في الامكنة المخنوقة كالتوابيت ينمو الموت والصدأ والديدان والانين المكبوت.

وحين تنمو العلاقة بين الرجل والمرأة داخل تابوت السرية المظلمة، يكون الالم توأم العلاقة ففي الظلام يتخبطان، دون أن يميز أحدهما وجه الآخر حقاً.. وفي تابوت اللعنة والسرية يتقزم الحب ويصير عذاباً متبادلاً.. ولا يدري أيهما.. أيحب صاحبه حقاً أم يحب صورته في أوهامه، ولا يدري من هو بالضبط صاحبه وماذا يريد كل منهما من الآخر..

فقط حين تنمو العلاقة تحت الشمس.. شمس الوضوح والصدق، ينمو معها الامل في خلق علاقة إنسانية بناءة وايجابية.. أو على الاقل مؤلمة الى حد محتمل ومفهوم بما يكفي لينجو الانسان بنفسه منها قبل فوات الاوان، أو ليقتنع بها وينعم في بركتها.

العلاقة التي تنمو في الظلام تتحول الى تهديم متبادل باسم الحب.. والعلاقات التي تنمو في الهواء الطلق لديها الفرصة لتكون مركباً الى شاطىء الامان، أو أنها لا تكون على الاطلاق.

● **بصراحة ما هو - الجنس - الاشتهاء؟ والفرق بين اللذة والغيبوبة؟**

- الجنس: وعاء فارغ لا يمتلىء بغير الحب.

الاشتهاء: فخ تنصبه الطبيعة وتحصي نتائجه نظرية مالتوس.

والفرق بين اللذة والغيبوبة: كالفرق بين نوم المخدر ونوم الطفل.

● **كيف تتصورين حياتك بدون رجل؟**

- لا.. أتصور.. حياتي.. بدون.. رجل.

ذلك التصور غير ممكن.. ألا ترى أن ذلك يلغي وجود أبي وبالتالي يلغيني أنا أيضاً.

● **هل يتعرض الرجل هو الآخر لما يسمى «سن اليأس؟»**

- سن اليأس ليست سناً معينة. إنها «طور نفسي» معين يتعرض له المراهقون والشبان من الجنسين.. «سن اليأس النفسية» ليست أيضاً مرضاً فردياً، بل إنها تجتاح الشعوب بصورة وباء روحي فتاك.

هذا ما حدث للعرب بعد هزيمة ١٩٦٧ مثلاً وفي مراحل أخرى من تاريخهم.. وحين ينتشر وباء كهذا، فلا علاج له إلاّ هرمون العمل والصبر ولا صيدلية تبيع أدويته غير صيدلية الايمان.

● **نحن نعرفك في ليبيا فماذا تعرفين عنا؟**

- أعرف الكثير، وكلمّا ازددت معرفة بليبيا، كلما ازددت معرفة بجهلي، ومع ذلك تظل

معرفتي بليبيا تقطن في أعماقي، لأنها جزء من معرفتي بدمشق مسقط رأسي ولأنني كعربية أشارك العرب في كل أقطارهم سموهم وسقطاتهم نزفهم وأعيادهم.

● **هل لديك أقوال أخرى!! أقصد ماذا تقولين للفتاة الليبية؟**

- أقول لها: قضية المرأة ليست ضد الرجل، بل ضد عدوهما المشترك، وأنت مع الرجل في خندق واحد لأجل تحقيق الوحدة العربية والعدالة والخير والحق وغيرها من تطلعات جماهيرنا العربية.

٢٣ / ٥ / ١٩٧٧

سلوى البنا تستجوب

• الحرية شرط اساسي للالتزام
• انا بودليرية أحب تجربة الأشياء

الذي يقرأ كتاباتها يتصورها امرأة متمردة حادة الطباع، وحينما يفكر بلقائها يحار كيف يبدأ حوارها، فالصراع بين الفكر والمشاعر لا يترك لك خيطاً تمسك به لبدء الحديث. فالكاتبة التي عشقت الحرف وخلقت منه صوراً نابضة حية احاطت شخصيتها بهالة من الغموض وكما تعددت الاراء في كتاباتها كذلك تعددت الاراء في شخصيتها، ولكن الحقيقة نكتشفها من خلال حوار طويل، وبلا رتوش.

امرأة رقيقة تركت شعرها الاسود الطويل يتهدل في فوضى حول كتفيها تبتسم من خلف نظارة سوداء وترحب بك ببساطة وتقول:

ليس من عادتي اجراء حوار شفهي، وهذه من المرات النادرة.

• غادة السمان متى بدأت رحلة القلم؟

- لا اذكر نفسي الا وانا اكتب، منذ طفولتي وانا اشعر بالغربة، حتى وانا بين أقرب الناس الي لا يزايلني الاحساس بالغربة. ففي اعماقي رقعة نائية ومعزولة كالمساحات التي في القطب او الغابات الاستوائية. وانطلاقاً من الاحساس بالغربة كتبت، وكما يحاور الطفل دميته كنت اكتب حواراً لنفسي. وقد تطورت كتابتي مع تطوري وانتقلت من مرحلة الكتابة الذاتية «المفرطة بالذاتية» الى مرحلة الانفتاح على غربة الاخرين وآلامهم ورؤية الخيوط المشتركة بين الامي والامهم كانسانة عربية، وواصلت الطريق حتى «كوابيس بيروت».

• ولكن في كوابيس بيروت اتهمك بعض النقاد بالذاتية ايضا فماذا تقولين؟

- «كوابيس بيروت» تصور لمرحلة عربية لا كوابيس انثى خائفة. وكما وصفها البعض بأنها عمل ذاتي، فهناك اقلام كتبت انها عمل فني موضوعي، وغير ذاتي. وفي رأيي ان اي

كتاب يصدر، تختلف دائماً الاراء حوله. وهذه ظاهرة صحية وطبيعية ولو حدث العكس، لكان هنالك خلل ما.

• وماذا تقولين في كوابيس بيروت؟

- غادة لا تقول شيئاً عن كوابيس بيروت. لقد كتبت وقلت كل ما أرغب في قوله وانتهى الامر بالنسبة الي مع اخر نقطة في الكتاب - عبارة تمت - مع اشارة استفهام.

وعادة عندما انتهي من كتاب اعتبره بدأ حياته المستقلة عني في قلوب الناس والنقاد بينما اكون قد انصرفت الى العمل الذي يليه كما هي حالي الان.

• حالياً ماذا تكتبين؟

- لاول مرة أوزع نفسي بين ثلاثة كتب او لنقل ثلاثة اعمال ادبية. وقد انتهيت من العمل الأول وأعيد النظر فيه وهو بعنوان «إعتقال لحظة هاربة».

في العمل الأول استوحيت الفكرة من هذه السمكة المتحجرة التي ترينها على الجدار والتي يزيد عمرها عن ٧٠ مليون سنة، فهذه السمكة هي لحظة هاربة كأي شيء حي، والطبيعة نجحت في اعتقالها. الفن يحاول محاكاة الطبيعة هنا في محاولته القاء القبض على اللحظات الهاربة كلحظات الحب والالم والمرض والولادة، وحتى الموت.

بهذا المعنى وانطلاقاً من هذا الشعور تمر في حياة كل إنسان لحظات خلود صغيرة.. لحظات من الخارج تبدو عادية ومألوفة، لكن الإنسان حينما يحياها يشعر اثناءها بأنه خالد.

هذا النوع من اللحظات يشعر به غالباً العشاق، ولا أعني عشق امرأة لرجل فقط وانما العشق بابعاده الانسانية الشعورية.. العشق لقضية والعشق لفكرة والعشق للاله الحاضر في كل ذرات الكون.

وانطلاقاً من هذا المفهوم حاولت اعتقال بعض هذه اللحظات كما البحر اعتقل هذه السمكة وحجرها الى الأبد.

• وهل تقتصر لحظات الاعتقال هذه على اللحظات الحلوة؟ أم أنها تعتقل اللحظات ذات المذاق الخاص، سواء أكانت حلوة أم مرة؟

- هنالك لحظات مرة كما قلت، ولكنها ذات مذاق خاص، وتسبح في شرايين الذكرى باستمرار كنقاط مضيئة، كما تضيء القطارات الهاربة في ليل شاسع!

• وماذا عن السباحة في بحيرة الشيطان؟

- انها كتابات لا تلتزم بأي من المفاهيم السائدة لا حول قواعد القصة فحسب، بل حول الموضوعات أيضاً.

أول قصة مثلاً، هي تجربة مع مادة «إل. اس. دي» وقد تناولت منها جرعة تكفي لأعيش التجربة، وبحيث لا يغمى علي. وقد سجلت هذه التجربة ابتداء من اول لحظة وسجلت حتى أدق أحاسيسي في اثناء سريان مفعولها في شراييني. وكما ترين، فأنا بودليرية «نسبة الى بودلير» بمعنى ان علي أن أجرب كل شيء في الحياة ولو كان خطراً، وأيضاً ولو لمرة واحدة وذلك لأحس انني أنا امتلك التجربة وليست هي التي تمتلكني، حتى التجربة الخطرة أوظفها لإغناء فني. وأعرف جيداً أنني أحب فني الى الحد الذي يشكل درعاً واقياً لانسانة ضد الانزلاق النهائي في أي تجربة. وقد نشرت هذه القصة - المحاولة - في مجلة الاسبوع العربي تحت عنوان «اول محاولة من نوعها في العربية»..

بقية الكتاب، محاولة لاكتشاف الكون والذات عبر حواس موجودة في الانسان هي غير الحواس الخمس المتعارف عليها أي أنني أؤمن بأن لدى الانسان آلاف الحواس التي خدرتها الحياة العصرية والمجتمعات الاستهلاكية، منها ما هو معروف وشائع لدى الناس كظاهرة التخاطر. أنا أؤمن بأن لدى الانسان مجموعة من الحواس المعطلة التي يستطيع تنميتها واكتشاف الكثير من خلالها.

وهذا النوع من الكتابات منتشر بكثرة في الأدب الغربي كنوع من صرخة احتجاج على المجتمعات الصناعية الالية الاستهلاكية، مع ان العرب أقرب اليه بما في تراثهم الحضاري من روحانية وبعد عن القشور ورغبة في الالتصاق بالجوهر بأي سبيل.

وتتابع غادة السمان حديثها بعد ان تجيب على الهاتف، ربما للمرة العاشرة خلال دقائق.. تقول:

هناك كتب غريبة كثيرة تتكلم عن محاولة الانسان لاكتشاف حقائق الوجود عن غير طريق العلم، أي عن طريق معرفة كامنة في الذات الانسانية. وبما أنني لم انته من كتابة «السباحة في بحيرة الشيطان» فأنني لا أستطيع أن أقول على التحديد ما سيكون عليه الكتاب.

كل ما قلته مشاعر غامضة تنتاب كل فنان قبل البدء بعمل ما. واثناء الكتابة ينمو العمل تحت اصابعك كحقل يتفجر فيه الربيع فجأة. وتصبح الصفحات البيض عالماً متكاملاً من الجبال والانهار والنجوم والصرخات والاصوات والبشر الذين يركضون

فوق اظافرك وانت تكتبين. يتعلقون بالقلم ويفرضون وجهة نظرهم وتصبحين مجرد أداة لهذا العالم المروع الذي يفاجئك. وحين أكتب شيئاً جديداً ينتابني دائماً الشعور

بأنني صياد ذاهب الى غابة غامضة وهو لا يدري بالضبط ما الذي سيصطاده، لكنه يعرف وهو راكض إلى الغابة بيدين لا تقبضان إلا على الدهشة والصدق. انه سيعود بصيد ما قد لا يعرف هو اسمه.. بطائر غريب ربما لم يَرِ في أحلامه هو شخصياً.

● ويتوقف شلال الكلمات الدافئة عبر صوت الكاتبة الذي يتفاعل أيضا مع نبض الحروف.. وتصمت قليلا وهي ترشف القهوة..

● ولكن العمل الثالث وهو منشورات غادة السمان ليس عملا ادبياً.. هل بدأت غادة تحترف التجارة الى جانب الكلمة؟

– منشورات غادة السمان يمكن ان يكون مشروعاً تجارياً جيداً اذا لم أفسده انا بتدخلي، والجانب المتعلق بالارقام سيتولاه غيري.. والا فستقع كارثة. وكبداية ستطبع الدار اعمالي انا. وهذا سيكون كافياً لتغطية نفقاتها المادية كما في «منشورات نزار قباني»، ولكن كمرحلة ثانية لدى طموح في ان تلعب هذه الدار دوراً على صعيد نشر الكتب غير الرابحة تجارياً، ولكن ذات القيمة الفنية والفكرية التي أعتقد أن قارئنا العربي بحاجة للاطلاع عليها. وبما انني من النوع الذي لا يخطط اكثر من ٢٤ ساعة أستطيع ان أقول إن هذا الكلام هو ضمن إطار التمني، لأني بالنتيجة فنانة بسلوكي ومزاجيتي.. وقد أؤسس دار النشر وأهرب منها.

● غادة السمان رغم انك في كتاباتك تقودين ثورة ضد اشياء كثيرة لكنك بعيدة عن الالتزام.. لماذا؟

– انا ضد الالتزام الذي يفرض عليَّ من الخارج، فأنا كفنانة عاجزة عن الانتماء التقليدي، ولكنني أيضا كفنانة لا أملك الا الالتزام بقضايا الأمة التي لا وجود لي كإنسانة وكفنانة، إذا لم تكن جذوري متمكنة في تربتها. وكما انه لا يمكن لشجرة ان تنبت جذورها في الفراغ.. كذلك لا يستطيع أي فنان الهجرة عن قضايا وطنه وأمته. انا في منأى عن الالتزام بالمعنى الذي ساد مؤخراً، أي الالتزام الاحادي النظرة الذي يضيق أفق الفنان. والالتزام بنظري رافد من روافد الابداع، وكي يظل كذلك يظل شرطه الأساسي الحرية.

● الادب العربي يفتقد المرأة الكاتبة. والى جانب غادة السمان برزت اسماء أديبات اخريات: ليلى بعلبكي مثلاً. ثم انطفأت هذه الاسماء، كيف تفسرين هذه الظاهرة؟

ـ في نظري، ليس بالضرورة أن يكون انقطاع بعض الكاتبات عن الكتابة بطاقة نعوة للادب النسائي. وما دام الأديب حياً، ليس من حقنا اطلاق أي حكم نهائي عليه. الانقطاع فترة ربما كان دليل أصالة وصدق.

غوته استغرقت منه كتابة «فاوست» اربعين سنة.

● ولكن هذا ليس مبرراً كافياً لعدم الانتاج؟

ـ لا زلت اقول إننا قد نفاجأ بشيء كعمل كبير يصدر عن اديباتنا. وكل صامت هو بحالة كتابة حتى يثبت العكس. وانا لدي هوس في العدالة، واعتقد انه ليس باستطاعة كل الفنانين ان يكتبوا عن الحدث وهو ساخن. هناك من يحتاج الى فترة زمنية بين الحدث وانتاجه.

وقد تقولين ان حضورهن في هذه المرحلة الحرجة هو واجب قومي. ولكن بنظري الواجب القومي الحقيقي للفنان هو ان يبدع. واذا كان بوسع الفنان ان يصمت عشر سنوات ليخرج بعدها بعمل مبدع فهذا افضل من ان يثرثر عشر سنوات بزبد يذهب جفاء ولا ينفع الناس.

وتصمت غادة السمان قليلاً.. تقول وقد اكتست ملامح وجهها الاسمر بشيء من الاسى سرعان ما تبدده ابتسامة عريضة:

ـ علمتني الحياة شخصياً ان أبحث عن الاعذار لكل انسان حتى يثبت بما لا يدع مجالاً للشك انني على خطأ.

● لم تعط رأيك حول افتقاد الادب لاقلام نسائية؟

ـ في رأيي ان لدينا كاتبات بعضهن موهوبات، وبعضهن غير موهوبات. كذلك لدينا صحفيات بعضهن ناجحات وبعضهن غير ناجحات، أي كما الرجال.

المرأة في السنوات العشر الاخيرة اعطت اسماء كثيرة في مجال القصة والصحافة اسماء واعدة تبشر.. واكثرهن فتيات مكافحات معيشياً، ومنهن سيدات متزوجات بالاضافة الى همومهن البيتية التي تشكل عبئاً جسدياً وارهاقاً.

● وما رأيك بالمرأة كأديبة وكاتبة؟

ـ المرأة الكاتبة لا تفوق الرجل العربي تفاهة، وانما تماثله بسموها وسقطاتها إن لم أقل أنها تبذل مجهوداً أكبر لمواجهة نظرة الشك والسخرية التي توجه لكل أديبة صاعدة. ربما يمر الزمن وتتلقى مئات الطعنات، فإما أن يتم تطويبها كأديبة أو كشهيدة. وأتوقع أن تشهد السبعينات ظهور مواهب وأسماء جديدة تنمو وتنطلق.

احس ان نهر العطاء على صعيد المرأة لا يخيب أملي لأن روافده كثيرة ومليئة بالحماس.

• غادة السمان الكاتبة المعروفة مرت بتجارب كثيرة مرة وحلوة.. ما هي في رأيك المشاكل.. أو العقبات التي تقف في وجه الكاتبة العربية؟ أو بمعنى اخر معاناتها على هذا الدرب؟

- المرأة الكاتبة قبل ان تحقق طموحها الادبي عليها ان تكون مستعدة لأن تقتل اجتماعياً أكثر من مرة، وأن تنهض باستمرار من رمادها لتتابع الطريق من أجل ما تؤمن به.

• اخيراً هل نستطيع أن نقول بأن غادة السمان انسانة سعيدة؟ وهل هي تشعر بالرضى عما انجزت حتى الان؟

- كلمة سعيدة، غير موجودة في قاموسي. انني افتش عن المعرفة وعن الطريقة المثلى للالتحام بقافلة المتألمين مثلي.. ملايين العرب المسحوقين اجتماعياً أو أقتصادياً أو سياسياً، أو جميع هذه العوامل مجتمعة بمد جسور لعالمهم حتى تنتفي غربتي من جهة وتتحقق أمنيتي بأن أكون ولو شمعة في درب الخلاص.

بالنسبة لإحساسي بالرضى، فهذا طبعاً غير وارد. انني لا أحشو فراشي بما كتبته حتى الان، ثم أنام فوقه مرتاحة، وإنما اشعر باستمرار بأن كل حرف أقوله يذكرني بملايين الأحرف التي أتمنى لو أعرف كيف اقولها..

والحقيقة التي لم تقلها غادة السمان انها انسانة معطاءة، وان الرقعة النائية في أعماقها مليئة بالكثير.. وتتدفق بالكثير.. وهذا هو سر استمرارها.

١٣ / ٢ / ١٩٧٨

زينب حمود تستجوب

• أكره الهرب من مواجهة أسباب الشر الحقيقية، واتهام قوى ما وراء الطبيعة بأنها المسؤول!

غادة السمان الروائية والناشرة، واحدة من فارضي ركائز الرواية العربية، الحديثة، التي نبتت بذورها من هذه الأرض وتلك الينابيع الدفاقة. فاذا قرأت احدى رواياتها، خلت نفسك أمام واقع المجتمع المتجسد في كل مشاكله وأحداثه، وأدوار مسرحياته اليومية التي تمثل على مدرج هذا الوطن المسكين. تكتب، وتكتب حتى يخيل الينا، أننا لسنا أمام رواية بقدر ما نحن في مواجهة رسومات ناطقة مستفزة، باستمرار دفاقة من الافكار النابضة المتمردة على هذا المجتمع الملوث بألف فتيل من المتفجرات المبيدة، لاختزان عميق صارخ مركز على جميع الجوانب الانسانية التي تتجلى بها هذه الانسانة. فالحرب لم تترك في خلدها مساماً إلا وفتحته أين منها مسام التفجير الانساني في كوابيس بيروت. ولعل عبر حوارنا معها يمكننا أن نكتشف جوانب غادة السمان الادبية...

• طفولة غادة السمان.

– كطفولة أية فتاة دمشقية يسكنها طموح شاسع. كطفولة أية زهرة برية، تنبت في العاصفة، وتتعلم كيف يصير البرق شريانها لتتغذى به، وبالرغم من الريح التي تحاول اقتلاعها، تصر على أن تمد جذورها في تربة وطنها دون أن تفقد القدرة على الانتشار في المسافة بين الجرح والحلم.

• تفتح عبقريتك الادبية.

– وأنا مراهقة، نزلت لأسبح داخل محبرة، فغرقت في المحبرة وما زلت.

في ليل التحدي الطويل، والكلمات متحفزة داخل غمد الصمت، تولد الصرخة

الشرسة: يا وطني.. يا نحن.. يا أنا.. وتتوحد.. فيتحول النزف من شلال الى سطور.

• بمن تأثرت في بداية مرحلتك الادبية.

- تأثرت برجل نبيل كان صديقي واسمه المرحوم الدكتور أحمد السمان، تصادف أنه كان أبي.

كان رجلاً عصامياً علمني أن أكون دوماً امرأة عاملة، وهكذا امتلكت المسؤولية قبل ان امتلك الحرية.

• حاليا بمن تتأثرين.

- بكل شهقة خرساء في صدر متألم. بكل لحظة ظلم تقع في مكان ما من وطني. بشروق الشمس. بموت القمر. بالرعد. بتتابع الفصول. أتاثر بكل ما يحيط بي في هذا الكون العظيم من مظاهر انسانية وطبيعية. أنا شاشة ممدودة في ركن صغير من أفق هذا الكون، وكل ما يدور حولي يرتسم في أعماقي واتلقاه سلباً أو إيجاباً.

• هل أنت رومنطيقية.

- نعم ولا.

أنا رومنطيقية بمعنى أنني أحلم. لكنني باستمرار أعمل لأجل تحقيق أحلامي.

• الواقع بنظرك هل هو تجريد أم تجسيد.

- انه تجسيد التجريد.

• الموت هل هو انبعاث جديد في عالم آخر.

- أي موت؟ وأية حياة. الميتات الانسانية النبيلة تؤدي الى تكاثر الشهيد وتحوله الى قبيلة... بعض العظماء يتحولون بعد موتهم الى نقاط مضيئة تسبح داخل شراييننا، وتصير حناجرنا ملكاً لصرخاتهم.

ليس هنالك موت واحد. لكل انسان موته، وكنه هذا الموت يتوقف على السؤال التالي:

كيف كانت حياته؟ بعض الرجال يبدعون حياتهم الحقيقية حين يحسنون اختيار موتهم العظيم. وإذا كان من بعث بعد الموت، فإن هذا البعث يكون في نفوس الناس الذين قد نموت لأجل أن يستمروا وتستمر قيمهم، ويستمر الاطفال في الضحك لرغيف غير مدمى بأصابع الآباء الممزقة.

• الحياة هل هي سرداب مظلم أم شعاع منير..

- ستظل الحياة سرداباً مظلماً ما دام هنالك من يصر على سرقة شمس الفقراء والكادحين، وما دام المسروق يبارك سارقه.

● « البومة » أحياناً نراها مجسدة في كل شيء يتعلق بك ما هو السبب؟

- كره الناس للبوم ناتج عن أفكار متوارثة لا عن موقف عملي. وأنا أرفض النظرة السلفية، والافكار المتوارثة التي لا مبرر لها غير انتقالها الينا بشكل آلي تقليدي. أرفض ذلك في البشر وفي كائنات الطبيعة، ولعلي أعبر عن رفضي هذا في كل ما أفعله أو أقوله أو أحبه. أحب البوم لأن الجميع تعارفوا على كرهه دون أن يسألوا أنفسهم ولو لمرة: لماذا؟

الناس يتشاءمون من البوم وأنا أتشاءم من الناس، وأعتقد أن من حق البوم أن يتشاءم هو من البشر ولديه أسباب موضوعية لذلك فهم يكرهونه ويقتلونه ويبيدونه!!.

● هل تتعلق بحدث معين في حياتك؟ ولماذا جعلت منها شعاراً لمنشوراتك.

- انها تتعلق بموقفي العقلاني العام من الأشياء: انني أكره الهرب من مواجهة أسباب الشر الحقيقية في هذا العالم، ولا أرمي بها على قوى ما وراء الطبيعة ورموزها التي يفترض أنها شريرة كالبوم. حين يجوع الفلاح فهذا معناه أنه لا يتقن أساليب الزراعة أو أن الاقطاعي يسرقه، ولكن البومة التي مرت بحقله ليست هي المسؤولة عن جوعه. من مصلحة الاقطاعي طبعا أن يستمر الفلاح في الاعتقاد أن البومة هي سبب جوعه وان غضب الله هو سبب فقره.. الى آخره... الى آخره... هذا طبعاً ينسحب على معتقداتنا كلها، وعلى الذين لديهم مصلحة من (تغطيسنا) في بحر الغيبيات كالتشاؤم والتفاؤل. أنا أتفاءل بالعمل وأتشاءم من التهرب منه تحت أي ستار: التقاليد. العادات. المفاهيم السائدة المهترئة وسواها...

● رأيك.. بالزواج.. بالجنس.

- الزواج مؤسسة بحاجة الى تطوير أو نسف. الجنس مذهل دائماً: مذهل لروعته في حالة الحب، ومذهل لبشاعته اللزجة في حالة الشهوة العابرة.

● برجك.. عطرك.. لونك.

- ليست لدي أبراج. أنا امرأة البراري المكشوفة للضوء والصدق والريح، وليس لدي جدار أختبيء خلفه أو أتكيء عليه أو أعدم أمامه، فكيف يكون لي برج؟

عطري؟ رائحة شاطيء (الطابيات) في اللاذقية مدينة أمي... تأتيني رائحته باستمرار كندف النجوم في عتمة الغربة. حين أكون وحيدة وبائسة، أغمض عيني،

وألصق بأذني صدفة كما كنت أفعل هناك وأنا طفلة، واستمع الى صوت الأسماك الملونة وأسماك القرش أيضاً.. (اكتشفت الآن أنني لم أعد بحاجة حتى الى صدفة. ألصقي يدك على أذنك تفاجأين بأن الصوت ذاته يولد. انه ليس صوت الصدفة. انه صوت أعماقك يهب من الداخل مشحوناً بتلك الرائحة الحنون الموجعة رائحة البحر القادم عبر زمن جميل).

لوني؟ لون الغضب في عيني مناضل شريف وصادق، يعمل من أجل إثراء العالم بالفرح، لا من أجل ثرائه فقط.

• لماذا أنت مصرة دائماً أن تكتبي اسم غادة السمان فقط. وليس غادة الداعوق.

- لأن (الداعوق) هو اسم زوجي لا اسمي أنا، وزوجي لا يشاركني كتابة قصصي، فلماذا أوقعها باسمه؟ ثم، ألم يخطر ببالك أنه قد لا يرضى عن ذلك؟!.

• لماذا تحولت من كاتبة الى ناشرة.

- لم أتحول من كاتبة إلى ناشرة، كل ما في الأمر أن النقود التي كان يكسبها ناشري تحولت إلى (جيبي) أنا. لا أعتقد أن من واجب الفنان أن يكون فقيراً (كما كان متعارفاً عليه في العصور الوسطى). المال يعني الحرية، يعني السفر، يعني الكتب الجميلة، يعني القدرة على شراء موسيقى بيتهوفن وسيبيليوس وبرامز وجريك وتشايكوفسكي.. وأنا لست خجلة من عشقي للموسيقى والكتب والسفر.

• «كوابيس بيروت» رأي غادة السمان بهذا الكتاب.

- ان مجرد كتابتي له رأي (عملي) به.

• أثناء الحوادث الناس تركوا منازلهم. وأنت بقيت «صامدة». لماذا لم تتركي منزلك؟

- لأن الزمن علمني أنني أنتمي الى هذه الأرض العربية بكل عذاباتها وتناقضاتها وغليانها، وتجربة العيش في أوروبا أكدت لي أنه لا حياة لي خارج تربتي ولا غذاء لحروفي إلا عبر جذوري المغمدة في أرض وطني. الهرب مستحيل من الوطن ما دام الوطن هو الذي يقطننا ولسنا نحن الذين نقطنه. وصحيح أنني لم أترك منزلي، لكن منزلي هو الذي تركني حين عانق صاروخاً واحترقا معاً!.. الآن أقطن بيتاً يقع البحر على شاطئه. أقطن مدينة يقع الزلزال على أطرافها. أقطن وطناً يقطن الغموض أرصفته. لكنه وطني.

• هل هذا تحدي للحرب؟

- هذا ليس تحدياً، بل هو ببساطة مجرد ممارسة لوجودي. أنا أؤمن بعروبة لبنان وبوحدته، وأجد في بقائي ممارسة لهذا اليقين.

● فلسفتك في الحياة.

- ليس هنالك خلاص فردي. ان خلاص الذات لا بد وأن يمر عبر عالم الآخرين. لا توجد حرية في مجتمع مستعبد. لا يوجد فرح في مجتمع بائس. الالتحام بالجماعة ليس واجباً قومياً فحسب، بل هو أيضاً ضرورة ذاتية!

● هل الدين بنظرك مشكلة من مشاكل عصرنا، وسبب الصراع الدائر بين الاطراف؟

- الدين؟ لا. تجاره؟ طبعاً.

والمؤسف أن فئات كثيرة من شعبنا العربي العظيم،ما تزال ساقطة في فخ الولاءات العشائرية والدينية لأشخاص يستغلون ما لله من أثر في النفوس،ليسرقوا من تلك النفوس كل الحقوق التي منحها الله إياها.

● حدثينا عن قصة زواجك، سيدة غادة.

- لا أشعر برغبة في ذلك، كي لا أسبب لك الضجر، فزواجي مستقر وجيد، وبالتالي ليست هنالك قصة مثيرة. يا زينب، الناس يتحدثون عن طلاقهم فقط!.. وليس لدي حكاية كهذه.

● هل الحب بنظرك تملك؟

- نعم، الحب غير الناضج تملك، الحب الحقيقي رغبة صادقة في أن يكون المحبوب سعيداً بالوسيلة التي يختارها هو لنفسه... لا نحن. -

● هل الزواج بنظرك نهاية مرحلة الحب. أم بدايتها؟

- الزواج نهاية المرحلة البنفسجية للحب، وبداية لمرحلة الأشعة فوق البنفسجية للحب (أي التي لا تُرى، لكنها قد تقتل!).

● يقال أنك مميزة جداً بالنسبة لاختيارك لأنواع الثياب وحتى صورك.. هل هذا صحيح؟

- نعم أنا مميزة جداً في اختياراتي كلها. ما يقال عن ثيابي وصوري ينسحب على أمور أخرى أكثر أهمية. أنا مميزة جداً في اختياراتي السياسية والفكرية والوجدانية. أنا مميزة في اختياراتي لأصدقائي وكتبي وغاباتي وكهوفي.

قد يبدو ذلك للوهلة الأولى نوعاً من المزاجية الحادة، ولكن اختياراتي تخضع في

الحقيقة لضوابط ذهنية ولقيم انسانية وفكرية واعتبارات عاطفية مفرطة في الحساسية. ولكنني لا أقدم شروحاً لأحد، ولذا أبدو من الخارج مجرد مزاجية أخرى؟

• هل تعتقدين أن المرأة استطاعت أن تضاهي الرجل في الميدان الأدبي مثلاً؟

- من الصعب جداً جرِّي الى أي تهجم على الرجل حتى في معرض مدح المرأة. أعتقد أنه ليس مهماً من يضاهي الآخر في الميدان الأدبي. المهم أن ينتج العرب أدباً مبدعاً أياً كان كاتبه.

٢٤ / ٢ / ١٩٧٩

نورا حلواني تستجوب

• المرأة التي لا تدمع أبداً: حين أفقد رجلاً، أربح جرحاً!

• كيف تأثير الفصول الأربعة على حياتك، وما مدى العلاقة بينك وبين الجبارين الأزرقين البحر والسماء؟

- يصرخ صوت في وجهك يا سيدتي وتنكشف الحقيقة الموجعة لعينيك. يهترىء قرص الشمس وتنمو فوقه التجاعيد. وتتدفق منه انهيارات الرماد مثل منجم مهجور. تظلم الغرفة فجأة، غرفة القلب، ويتفجر برق الوعي بما كان ويصرخ الرعد مهدداً بما سيكون، وترتجفين برداً: آه كم هو خاو هذا العالم من الحنان والحب.. انه الشتاء يا سيدتي. انه الشتاء الحقيقي.. وليس ضروريا أن « يصرخ » في وجهك. قد يهمس. وقد لا يقول شيئاً، لكنك تلتقطين كهارب مناخه الملوث انسانياً، وفجأة تتقصف أغصان الضوء في السماء وتنطلق السحب السود من صدرك لتغطي وجه الكون.. تحسين بالثلج فوق أهدابك المكسرة وشفاهك المزرقة وحلقك يصير مغارة ملح وصقيع.

أما هو، فليس (هو) بالضرورة. (هو) يمثل كل ما يشكل اعتداء على (انسانيتك) وعلى (مواطنيتك) وحقك في الحرية والحياة والعطاء والأخذ. هذا هو « الفصل الخامس » وهو الأكثر اهمية لدي من « الفصول الأربعة » كلها.. انه فصل الأعماق، الفصل الكوني، فصل مناخ القلب ومناخ الوطن.. هذا الفصل الخامس يضم الفصول الأربعة جميعاً... انه ربيعك حين تقدرين على انضاج برعم فوق كومة رماد كانت قصراً احترق من قصور أحلامك... بل لنقل كانت « كوخ حلم »!... انه الربيع حينما تحمل الريح اليك كلمة عذبة كرائحة زهر الليمون وتزدهرين فجأة وتنبت الأزهار على ذراعيك وتستحيل اصابعك شموعاً مضيئة. واذا كانت الطبيعة ترحم الكرة الأرضية فتجعل الفصول الأربعة تتعاقب عليها مرة كل عام، فان القلب لا يرحم صاحبه،

وتتعاقب عليه الفصول كلها في أقل من يوم واحد.. وينتهي به الأمر احياناً مكوماً مكدوداً في قعر زجاجة من ماء النار شربها بأكملها، يصرخ من قاعها وحيداً ويركض في قاعها وحيدا ويضرب زجاجها برأسه عبثاً في محاولة للخروج من بئر غربته، وفي الصباح ينسى كم ضرب زجاج العزلة برأسه، وحين يصحو يتوهم ما شربه هو سبب وجع رأسه!..

فلنعد الى الفصول الأربعة الأخرى التي احاول باستمرار الاستمتاع بوضوح مواعيد قدومها التي لا تخيب..

في الشتاء انسحب الى وكري وأعمل كالنملة، في الربيع اخلع جلدي وأجدده، وافتح نوافذ قلبي وأنظف أركانه من بقايا ما كان.. أنظف زجاج نوافذه وأرمم ما تكسر،وقد انسج له ستائر جديدة من أجنحة فراشة فرحة مفاجئة، وأغير مصباحه الكابي الحزين بعينين قد تطلان فجأة على حياتي وتتحول (النجفة) التقليدية الصدئة الى نجمة مرشوقة في المرآة، وتصير فرشاة الاسنان الرتيبة نايا والسرير ورقة شجر خضراء..

أما في الصيف فأستحيل كائنا بحريا. أصير موجة لا تمسك، وأصير صخرة لا مبالاة في ضوء القمر، وأصير سمكة ملونة وأطارد الأسماك واعضها وأخمش وجه الصخور وأزين شعري بإكليل من أعشاب البحر ثم أمتطي سلحفاة بحرية وأتوج نفسي ملكة العشاق كلهم من طيور بحرية ونجوم بحر، وأظل أراقص حصان بحر اسطوري حتى الفجر واذا مت في ذروة جنوني البحري تنبت فوق صفحة الموج الهائج بنفسجة صغيرة لونها غير بنفسجي!

في الخريف أتقمص جسدي البشري البائس من جديد، لكنني أدخل في مناخ روحي أثيري.. واشتاق الى الجبال العالية، والغابات، والصمت، والأزهار البرية الصغيرة الصامتة كالأسماك وكالجرح العميق!... في الخريف تعود الي شياطيني المهاجرة، ويتململ في روحي ذلك الوجع الغامض (المبني للمجهول)، وتسبقني الى أوراقي (لا النافية للجنس!)، وأبدأ من جديد رحلة التحول من كائن بحري الى كائن شيطاني ويصير جسدي مجرد انتنات لحمية مرهفة الحساسية مسخرة لرصد الكون الصغير (المجموعة الشمسية) والكون الكبير (المجموعة البشرية - اي الانسان!)..

علاقتي مع الجبارين الأزرقين البحر والسماء، هي علاقة جنسية، لأنها علاقة ادمان محموم لا يخلو من الذل المستسلم الراضي بقهره.. واعتقد ان السبب في هذه العلاقة يرجع

الى طفولتي كفتاة نشأت جزئياً في قرية وكانت الأرض بجسدَها الترابي حبيبها الأول!

• متى تحلو لك الممارسات التالية: السفر، البكاء، القهقهة، الصمت، الحب، السهر، صرف المال؟

- الممارسات التالية لا أمارسها قط «كممارسات» وانما «اكونها». انني لا «اقترفها» وانما «أصيرها»..

السفر لا أمارسه، حين أسافر اكون أنا الرحيل.وما أفعله هو مجرد تعبير صادق عن وضعي الداخلي. أصير انا بطاقة السفر وأنا الحقيبة وأنا صفير القطارات وأنا أرصفة المحطات وأنا جراح المطارات المغبرة الفجر وأنا غربة صالات الترانزيت.. واذا قلبت صفحات جواز سفري، لحظتها تجدين اسمي «رحيل» لا «غادة»!

البكاء لا يمارس الا بصورة دموع. وبهذا المعنى انا امرأة لا تبكي ابداً.. احياناً أصير أنا البكاء، وأستحيل شهقة راكضة في الشوارع المظلمة الخاوية وقد يسمعني شخص ما ويقول لأسرته: انه صوت الريح! يخيل الي احياناً ان عويل الريح هو البكاء الراكض في الشوارع على قدمين لا مرئيتين!

القهقهة: ليست أنا. لا تتقمصني. جسدي لا يتلاءم معها. القهقهة صوت الأواني الصينية الضخمة الفاخرة والخاوية... وأنا نبتة صبير صغيرة!..

الصمت: انه لحظة الهية، لحظة الصدق المطلق والاكتفاء المطلق وهو لذلك مخيف جبار وجليل.. كلنا نحاول ان ننمو من الضوضاء الى الصمت.. من كيمياء الحروف الأبجدية وطبخاتها اللامتناهية الى بساطة لحظة الصدق المطلق واليقين المطلق التي تنصهر في محرقها الوهاج كل الكلمات الورقية الملونة والمذهبة، نحن غالباً نمارس (السكوت) ونتوهم انه (الصمت). يخيل الي ان الانبياء وحدهم والعباقرة يعرفون معنى الصمت دون ان تدمرهم العزلة المروعة في لحظة كهذه.. أنا شخصياً أطمح الى الالتحام بالصمت الصوفي، وحالياً ما زلت مجرد تلميذة في مدرسة السكوت!

الحب: بمعناه الشاسع الانساني الكوني هو دواء الخيبات كلها.. حينما يصير القلب اكبر من الخنجر، والجرح اكبر من قبضة الطعنة... وحين يكف الغفران عن أن يكون مرادفاً لل (لا مبالاة) ويصير مرادفاً (للتفهم).... أحاول باستمرار ان «اكون» الحب بهذا المعنى، وافشل غالباً، وأسقط منزلقة الى كهوف ألاعيب شد الحبل وقانون العرض والطلب وحكاية القطة والفأر وما ينتج عنها من مزايدات عاطفية وأكاذيب وارضاء للغرور والنرجسية وانتقام وضيع رداً على استفزاز وضيع، وكل الحقارات الصغيرة الأخرى..

السهر: انك لا تصيرين السهر حقاً الا لحظة يقظتك عند الفجر بعد نوم طويل عميق.. تصحين وقد طرد النوم بمكنسته السحرية كل آثار التبغ والشراب وظلال الليل... وترين بوضوح.. تستمعين بوضوح... (تسهرين) فجراً بوضوح... واذا كان الناس يحبون السهر كلحظات تفجير لحقيقتهم بعيداً عن اقنعة طاولات العمل، فان توقيت السهر الحقيقي هو بعد النوم لا قبله!... وبهذا المعنى انجح في ان اكون السهر مرات كثيرة، خصوصاً بعد ليلة انجح فيها بالقاء القبض على النوم وسوقه مخفورا الى فراشي ليمارس مهمته في تنظيف حواسي واعدادي.. للسهر!..

صرف المال: هذا هو الشيء الأول الذي نمارسه ولا نكونه، أن «نكون» المال نفي لإمكانية صرفه، أمارس صرف المال كلما توفر لدي «رأس المال» - بالإذن من ماركس - لكنني لا أمارس الاستدانة أبداً حتى ولو اضطررت لممارسة الفقر!..

• يقال ان غادة السمان لم تحب احداً كحبها لفن غادة السمان، فما مدى صحة هذا القول؟

هذا امر مروع اذا كان صحيحاً! ويخيل الي أن فيه الكثير من الصحة..

ففي لحظات اللقاء الحلوة العفوية، يخيل الي أن امرأة اخرى تخرج من داخلي لتجلس على المقعد المقابل وتدون ببرود محايد كل ما يدوربيني وبين الذين اعايشهم من أقرباء ورفاق وأصدقاء...

وفي لحظات الفراق الموجعة حقاً، يخرج صوت من داخلي يقول بالبرود المحايد نفسه: حسناً أيتها المرأة، لقد فقدت رجلاً ولكنك ربحت جرحاً!.. والجرح مجرد دهليز نازف نمضي عبره لنطل على الأعماق..

..الجرح نافذة يفتحها الفنان ولو في صدره ليرى بمزيد من الوضوح حقائق النفس البشرية ..

أحياناً، حينما يغدر صديق بي، تنتابني فرحة وحشية عارمة تختلط بالألم الوحشي الكبير... ثم يأتي ذلك الصوت البارد المحايد في داخلي ليقول: لم يحدث شيء.. لقد فقدت صديقاً ولكنك تعلمت عشرات الايقاعات على أرغن الألم.. هذا هو الأهم بالنسبة اليك كفنانة..

وأحياناً، حينما اغدر أنا بصديق، يأتي ذلك الصوت المحايد من داخلي ليقول (دون ان يجبني أنا او يكرهه هو): كان لا مفر من ذلك من اجل استمرار عملك.. وأصرخ بها احياناً: ولكنني أنا اتعذب، وتجيب هي ببساطة: هذه تفاصيل جانبية صبيانية لا مبرر

للخوض فيها.. هاتي قلمك وجرحك واتبعيني..

دوماً أقول: سيقتلني الفراق!.. ودوماً يقتلني الفراق.. ودوماً انهض من رمادي لأستمر..

انها ليست لعبة الجلاد والضحية ببساطة كالأسود والأبيض. الأمر اكثر تعقيداً من ذلك. والأدوار تختلط والعذاب يتعاقب ويتلون ويتخذ له عشرات الصيحات والأصوات والمناقير ويتقمص عشرات الطيور الخرافية وأسراب الرخ والديناصورات ويرحل عبر عشرات الزلازل والعصور والأكوان والعناصر والأهوال والصحو لينصهر ثم يتبلور في ما بعد بصورة حرف صغير يطبع ويقرأه الناس احياناً ويدوسه النسيان غالباً...

• ما هو تعليقك على قول الكاتبة الايطالية « باسكال كامبانيني »: ان معظم الذين يتبجحون بأنهم يقرأون نساءهم كما يقرأون في كتاب، ولا يعرفون من هذا الكتاب سوى مقدمته وفهرسه؟ فهل هذا صحيح؟

- هذا صحيح ولكنه غير دقيق. انه مجرد نظرة جزئية أنثوية غاضبة لحقيقة اكثر شمولا. انني أرى الأمور بمنظار أوسع لأفق اكثر رحابة يتعلق بالطبيعة البشرية ككل (دونما تمييز بين ذكر وأنثى)...

انني أحور عبارة الكاتبة على الوجه التالي: « ان جميع الذين يتبجحون بأنهم يقرأون نساءهم ورجالهم وأنفسهم كما يقرأون في كتاب لا يعرفون من هذا الكتاب لا مقدمته ولا فهرسه وهم عاجزون عن قراءة حتى عنوانه لأنهم يجهلون القراءة والكتابة ويجهلون أبجدية الكون الأولى الأساسية: كل انسان جزيرة غير مكتشفة لم يكتشفها قارب، ولم يطل عليها حتى صاحبها من عل الا في ما ندر.. ويجهلون الحرف الأول لقراءة النفس البشرية: « اعرف نفسك ».

صيف ١٩٧٩

كمال حسن بخيت يستجوب

• الأسرة ليست عقبة في وجه الانتاج. الا اذا بقيت مؤسسة متخلفة مرصودة للهدر.

• هل استطعت حقاً في « كوابيس بيروت » ان تعبري عن شعورك الحقيقي تجاه الحرب الدائرة في لبنان؟

- لم اقصد في « كوابيس بيروت » مجرد التعبير عما تسميه « شعوري الحقيقي تجاه الحرب الدائرة في لبنان ». لقد قصدت كتابة عمل فني يبقى.

• لماذا القصة إذن دون الأشكال الأدبية الأخرى؟

- لأنها كانت (الجسد) الأنسب لتقمص افكار العمل.

• هل قلت ما تريدين قوله؟

- لا. ولذا ما زلت أتابع الكتابة. في « كوابيس بيروت » قلت كل ما أريد قوله في زمن كتابتها ومكانه. هنالك دوماً مخلوقات جديدة تتناسل داخل الدورة الدموية للكاتب وتطلق أصواتها في أذنيه ولا تهدأ إلا اذا تابع الكتابة... أو تكون قد كفت عن التكاثر وانطفأت نقاطهاالمضيئة في شرايينه، فيكف حينئذ عن الكتابة ويعتبر انه أدى قسطه للعلى وجاء دور (النوم) والكف عن اطلاق صرخة جديدة.

• كيف تنظرين الى أدب المرأة في العالم وفي الوطن العربي ثانياً؟

- لا أنظر الى (أدب المرأة) لأنني أرفض هذا النمط من (النقد الرجالي) للأدب.

• أنت متهمة بانتاج اسلوب التداعي النفسي في الكتابة. فهل هو مبدأ بالنسبة لك كمبدعة، أم هو عملية جري وراء ما انتجته امرأة اخرى هي فارجينيا وولف؟

- فارجينيا وولف ليست (امرأة اخرى). إنها مبدعة وكاتبة خالدة وتاء التأنيث في

اسمها لا تعني شيئاً لابداعها. هذا أولاً. ثم ان ما تسميه اسلوب التداعي النفسي ليس « ما انتجته امرأة اخرى » على حد تعبيرك، وانما هو تيار أدبي ليس حكراً لأحد كُتّابه وقد أبدعه معها آخرون منهم جيمس جويس ومارسيل بروست وغيرهما. واذا فرضنا جدلاً انني انتهج اسلوب التداعي النفسي، فذلك أيضاً لا يعني انني (متهمة) بانتهاج اسلوب التداعي النفسي، لأن هذا النهج ليس (تهمة)، كما انه ليس (فضيلة) بحد ذاتها. المهم باستمرار عندي ذلك الزواج المبدع بين الشكل والمضمون. وهكذا فالشكل عندي ليس نقطة الانطلاق وأنا حرة في الكتابة بالأساليب كلها واختيار ما يلائم الفكرة. الاسلوب ليس سيداً. إنه مجرد أداة اختارها أو أنبذها أو أبتكر جديداً في مجالها.

• لماذا الكتابة تحت ظلال الحرب؟

- ولماذا لا؟ وهل تبقّى من يفضل الكتابة « تحت ظلال الزيزفون »؟... الكتابة فعل مقاومة، ومن الطبيعي ان يزدهر أصيلها في ظل القصف، وان يكون هنالك عناق بين البندقية، وبين بوصلة الطلقة: القلم. بدون فكر، تصير الطلقات كلها مبتلة بالتشتت، ويصير سهلاً على عملاء البشاعة الخلط بين القتلة والشهداء.

• كما اعرف - انت اخترت الالتزام بالحياة العامة، الكتابة - الصحافة... ومع ذلك أنت متزوجة وأم لولد وربة بيت - ما التناقض؟ ما التناغم بين الاثنين؟

- لو طرحنا مثل هذا السؤال على رجل، لاعتبرنا الأمر نكتة. بعبارة أخرى، هل تتوقع من أي رجل متمتع بقواه العقلية أن يعتزل الحياة والعمل حين يتزوج او يرزق بطفل؟ أنا مواطن يعمل، من حقي ان اعيش حياتي الخاصة كما أشاء، أتزوج، وأرزق بولد، وأن اقوم وأسرتي الصغيرة بتدبير شؤوننا المنزلية، ولكن لماذا يكون عليَّ ان اتحول من مواطن منتج فعال الى آلة تفريخ لمجرد انني تزوجت؟ الخطأ ليس في سلوكي. الخطأ في نظرتنا الهزلية الى مفهوم الأسرة، تلك النظرة التي تعطل طاقات المرأة - نصف المجتمع -.

بقليل من النظام والتعاون، وبكثير من تجاوز تقاليد التدبير المنزلي وتعقيدات المطبخ العربي المتوارث من عصور التخلف، وببعض الاهتمام بدور الحضانة لأطفال المرأة العاملة، تتابع المواطنة اداء واجباتها القومية دونما هدر للوقت والطاقات... الأسرة ليست عقبة في وجه الانتاج إلا اذا اصرينا على ان نجعل منها مؤسسة متخلفة مرصودة للهدر والنعاس، والتثاؤب.

أنا ما زلت أعمل بعد الزواج كما قبله لأنني لم أسمع بعد عن مواطن قدم استقالته

من العمل لأنه مقدم على الزواج!!... المطلوب مساعدة المرأة العاملة بعد زواجها وتطوير مؤسسة الأسرة، لا إعـادة الزوجـة الى العصور الوسطـى وحرمـانهـا من حـق التفكير والحياة والعمل والصراع والكفاح... إن تربية الأطفال عملية تستغرق حوالى ١٥ سنـة من عمر المرأة، فلماذا نحكم عـلى بقيـة عمرهـا بـالإعـدام؟.. ونخسر طـاقـاتها بتبليدها طيلة هذه الأعوام، بحيث تجد المرأة نفسها بعد ذهاب أولادها الى الجامعة وحيدة بلا عمل، وتتحول الى عبء نفسي على زوجها الذي يكون خلال تلك الفترة قد بنى حياته العملية ومستقبله...

هنالك تناغم جميل بين حياة الأسرة والعمل. لقد جعلني انجاب طفل ازداد التصاقاً بالتراب العربي وازداد معايشة لمشاكل الجيل الطالع... ومنحني (وكري) البيتي الهادىء مكاناً للعمل والقراءة والتفكير... إن كل زواج غير تقليدي هو إضافة الى ازدهار أطرافه.

● **ما معنى ان يكون الانسان نجماً معروفاً؟**

- معناه ان يكون شخصاً مشبوهاً ومن واجبه الإجابة على مختلف أنواع التهم!...

١٧ / ٣ / ١٩٨٠

مصطفى ناصر يستجوب

- لا أكتب كما الرجل، بل كما الانسان.
- بين القصة والقصيدة خيط حرير تهزه ريح الابداع.
- لنتعاون على انقاذ نصف مجتمعنا من الشلل وهدر الطاقات.

● غادة تركب على حصان الكلمة، وتتمشى بين هموم المرأة العربية وانكسارية الواقع العربي، حتى تصل، وحصانها يصهل، الى الافق.

هناك.. لا تحلم غادة، ولا تتفرج، وانما تبكي، وتحاول القبض على الأفق..

وهذه المرأة لا يكون تعاملها مع الافق كتعامل البدوي العطشان مع السراب.. كلا.. وانما يتفجر بكاؤها، واصطيادها في الشكل الاسمى للكلمة، فاذا عينها على الشعر، وقلبها على الشعر.. رغم انها تكتب القصة القصيرة بنجاح فني مذهل..

● انت أول من كسرت - ومنذ كتابك الأول - ذلك الجدار الكثيف من تفوق الذكر وضعف الانثى. الآن، هل ما زلت تعتقدين بقول المتنبي:

وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال

- لقد كنت دوما اعتقد بذلك. وبالاحرى كنت احدس ذلك حتى قبل ان اعيه بشكل محاكمات عقلية.. وحكاية (تفوق الذكر وضعف الانثى) لم تكن في أي يوم هاجساً من هواجسي. وقد عزز هذا الشعور منذ طفولتي أسلوب والدي في تربيتي دونما تميز بيني وبين اخي الذكر. وهكذا، لم أشعر في أي يوم بأن هدفي هو كسر ذلك الجدار، لأنني ببساطة لم احس به في داخلي، وكنت ارى وجوده الخارجي مصطنعاً، وأنا دوماً اتعامل

مع جوهر الأمور ولبابها، بدلاً من الاصطدام بقشور هذا الجوهر واقنعته.

وهكذا كان هدفي دوماً ان اكتب كما يكتب (الانسان) لا كما يكتب (الرجال). وكان هدفي ان اقترب من الحقيقة، لا من الحقيقة في نماذج من كتابات بشر اخرين تصادف انهم ذكور، وأنني انثى. ولأنني غير معنية بحكاية (تفوق الذكر) نشأت ممتلئة بالود نحوه. لا بالغيرة المبطنة بالحقد، ولا اشعر بأن الصلة بين المرأة والرجل تصادمية، وانما اجد لها هدفاً سامياً هو تحقيق تعاون مثمر لما فيه خير وطننا العربي. وانا لا أرمي على الرجل مسؤولية عذابات المرأة العربية، وانما اذهب واياه الى جذور هذا الواقع المر لنتعاون على انقاذ نصف مجتمعنا من الشلل وهدر الطاقات.

• قرأنا لك قصة (الساعتان والغراب) في مجموعة (رحيل المرافىء القديمة). نذكر انه كان لديك في هذه القصة هاجس سياسي. هل السياسة بالنسبة لك هاجس، وكيف؟

– انا كاتبة قصة ولست منظرة سياسية. هاجسي انساني بحت، لكنه احياناً يرتسم في مرآة حدث سياسي، كما يمكن ان يرتسم في مرآة حدث اجتماعي او جنسي. نقطة الانطلاق الاولى لدي، هي ان الفن الذي لا ينبع من الحياة، يحمل في داخله بذور موته. وبما ان قضايا السياسة والعواطف والجنس وغيرها ليست خارج قضايا الحياة، فمن البدهي ان تكون لها خطوط تقاطع مع الفن. من هنا فأنا لا اتحاشى السياسة او الحب او الجنس، وانما ايضا لا اذهب اليها، وانما أتركها تتدفق من ابطال قصصي الذين انتزعهم من واقعنا العربي، ولا استطيع ان اقسر ابطال قصصي على الصمت عما يؤرقهم من هموم سياسية او اقتصادية او غيرها والا لخسرت الفن. فالكاتب الذي يلصق العبارات على افواه ابطاله، لا يخرج بنماذج حية انسانية، وانما بدمى متحركة.

اذن هاجسي الاساسي هو فني وادبي، ولو كان هاجسي الاساسي سياسياً لانتسبت الى حزب ما او تنظيم ما، ولعملت مباشرة في هذا الحقل دونما تمويه ادبي، وهو أمر لم يحدث قط. لم انتسب في أي يوم الى حزب سياسي او تنظيم معين، وانما وعيت منذ البداية انتسابي الى حزب الفن والعطاء الروائي، لكن ذلك لا ينفي طبعاً وجود خطوط التزام داخلي في اعماقي، خطوطه عريضة لكنها تتجه باستمرار نحو تحقيق العدالة والحرية للانسان. وهذا هدف الكتّاب منذ فجر التاريخ.. اذن، انا كاهنة في محراب الكلمة، وليس لدي طموح سياسي بالمعنى الضيق. طموحي انساني شاسع.

• عن (كوابيس بيروت)، ما مقدار النبوءة، وما مقدار الواقع فيها؟

– تريد الصدق؟ لا اعرف.

فالكاتب هو اخر من يعلم (لا الزوج كما هو شائع!). فلنقل انني اعلم، ولا اعلم!..
يوم كتبت روايتي (بيروت ٧٥)، كانت الرواية تحمل نبوءة بانفجار بيروت على لسان العرافة التي تقول (أرى دماً.. كثيراً من الدم.. كثيراً من الدم) وعلى لسان غيرها من الابطال. كانت الرواية بمجملها نبوءة، وللاسف تحققت، وكتب عنها الدكتور غالي شكري مقالاً نقدياً وصفها فيه بأنها (اسطورة النبوءة).

والان حين اعود الى ذاكرتي، والى زمن كتابتها ارى بوضوح أنني لم اتعمد قول ذلك. لأكن اكثر تحديداً. يوم ٩ تشرين اول ١٩٧٤ حين بدأت كتابة الرواية، لم يكن في ذهني قط التحذير من حرب اهلية، او التحذير من انفجار بيروت، والدليل موجود في كتابي.. ختم الذاكرة بالشمع الاحمر - صفحة ٧٠ - مقال بعنوان (بحزن غابة تحترق اقول) وفيه اتحدث عن عملي على انجاز رواية لا اعرف شيئاً عنها غير ان أبطالها يقفزون على وجهي حينما انام، ويلاحقونني حينما اصحو ويركضون على اصابعي حينما اكتب كي انصت الى صرخاتهم الغامضة واسجلها على الورق.
هل يعني ذلك ان الكاتب غير مسؤول عما يسطره؟..

لا. بل معناه ان الكاتب ليس عرافاً ولا يتعمد ذلك. ولا يحاول بصورة واعية اطلاق النبوءة وانما يحاول احتضان الواقع والالتصاق بسكاكينه حتى النزف. ويحاول ايصال دورته الدموية، بالدورة الدموية الكبيرة لجماهير شعبه، ليزداد فهماً للطبيعة البشرية ولاسرار هذا الكون المذهل، ولينصت الى ايقاع الحقيقة في حالتها الديناميكية وفصولها المختلفة ووجوهها المتعددة.. وهذا يقوده الى غابة الاسرار حيث قد يضيء البرق لثانية يرى فيها ملامح المنعطف التالي للدرب..

وهكذا فإن التربة الاساسية التي اتعامل معها هي الواقع لا النبوءة، لكنني اتعامل مع الواقع كمادة حية، تزخر بالبشر والاصوات والاحداث، وبالتالي ببعض الاطلالات التي لا مفر منها على مؤشرات بوصلة هذا الواقع، وعقاربه التي تشير الى الصحو او العاصفة. وصفارات الانذار الغامضة التي تنطلق داخل رؤوسنا احياناً. وهكذا فأنا أعرف ما اقصد ان اكتبه، لكنني لا اعرف ما سيكون مكتوباً بعد ان انجز كتابته!..
وهكذا، يوم كتبت «كوابيس بيروت» قلت فيها ما كنت اود قوله قبل كتابتها، لكنني ايضاً قلت أشياء أخرى، كثيرة مختزنة في اللاوعي وغامضة حتى لحظة كتابتها... ومن هنا فأنا لا أعرف بالضبط مقدار الواقع والنبوءة فيها، لكنني اعرف جيداً مقدار الصدق والأخلاص في كتابتها.

• تكتبين القصة والرواية وعينك على الشعر.نعرف انك كتبت الشعر في (اعلنت عليك الحب) و(اعتقال لحظة هاربة).ما الفرق في رأيك في التكنيك والرؤيا بين كتابة القصة وكتابة الشعر؟

- لن اثير ضجرك والقراء، بأن اتلو على مسامعك من جديد النظريات النقدية التقليدية التي تميز بين القصة والشعر والتي نجدها في أي كتاب نقدي. سأقول لك شيئاً اخر، له طعم الاعتراف. نعم عيني على الشعر وقلبي على الشعر، وكل جميل ومرهف وعذب في هذه الدنيا هو شعر بطريقة ما.. صوت قطرات المطر على النوافذ هو شعر السحب. صوت الريح في الصحاري هو شعر الافق. صوت تدفق الينابيع هو شعر السراب الحالم، الصوت الصامت لتفجر ازهار الربيع،هو شعر الصخور والبراري. أحب الشعر في القصة وفي السلوك البشري.وأحب أن يتدفق الشعر من كل ما تطالعه عيني أو تمسه يدي، وأرفض القيود الجامدة بين مختلف مجالات الكتابة، وأرى أن من حق الابداع ان يبدع باستمرار إطاره الجديد. القصة التي اكتبها ليست تقليدية، و «عينها على الشعر» على حد تعبيرك. ولكنني درست (أصول) كتابة القصة التقليدية كي يكون من حقي فيما بعد ان أكسرها أو أن أضيف إليها بنداً جديداً. نعم. الفرق بين كتابة القصة وكتابة القصيدة قائم وموجود، لكنه ليس حجراً صلداً، وانما هو خيط من حرير تهزه ريح الابداع، فيسمح للشعر بدخول القصة، ويسمح أحياناً لحكاية ما بأن تكون قصيدة.

• كيف تعامل معك النقد؟ هل شعرت يوماً بحاجة اليه، ام تحسين بأنه اصبح اليوم فائض قيمة؟

- لقد تعامل معي النقد العربي بشكل حضاري، وانا فخورة بذلك.. لا اعني ان النقد كان (موالياً) لي، وما اكثر الكتابات التي طالما هاجمتني بقسوة وشراسة، واحياناً دونما وجه حق.ما اعنيه، هو ان النقد العربي وعى وجودي، وهو سواء امتدحني او هاجمني، او كان محايداً موضوعياً وحاول قراءتي ضمن هذا الاطار، الا انه في هذه الحالات كلها اعترف بوجودي، وهذا فضل احمده له. هنالك كتاب ماتوا دون ان يلحظهم نقاد بلدهم سلباً او ايجاباً ثم اكتشفت الاجيال التالية انهم كانوا كباراً..

أنا محظوظة لأنني وجدت من يهاجمني ومن يدافع عني في عصري ذاته. وهذه شهادة لصالح النقد العربي المواكب لكتابه، احبهم أو كرههم، انه على الاقل قرأهم...

• ماذا تريدين من الكتابة؟

- وهل يسأل الانسان قدره عما يريده منه؟. هل تسأل قلبك لماذا ينبض؟ وهل تسأل رئتك لماذا تتنفس؟ وهل تسأل النورس لماذا يطير فوق البحار؟ وهل تسأل السنونو لماذا يهاجر؟ وهل تسأل العنفوان لماذا ينبض بالحب؟.. وهل تسأل الخيول الوحشية لماذا تركض في البراري؟.. وهل.. وهل؟

٢٠ / ٦ / ١٩٨٠

عبده قيصر وازن يستجوب

• اكتب لأخرج من زمن الشرنقة الى زمن الفراشة.

تفاجئك غادة السمان في انها لا تريد بل ولا تحب ان تكتمل. كأنما بايقاع الزمن. او بايقاع الفصول. تحس وكأن كل عمل لها بداية جديدة. نافذة جديدة تطل على سهل خصب، ملون، واسع. انها صفات المبدع بامتياز: في الا يتوقف عند محطة نهائية او يرحل في قطار ابدي.

• كنت المرأة الوحيدة التي شاركت مؤخراً في زيارة الاتحاد السوفياتي مع عدد من الأدباء اللبنانيين. أخبرينا عن زيارتك هذه، عن أهدافها ونتائجها.

– لم اكن المرأة الوحيدة، (ولم اكن الرجل الوحيد)، وانما كنت مدعوة كعضو من اعضاء الوفد، الى جانب توفيق يوسف عواد واحمد ابو سعد وحسين مروة.

فوجئنا هناك بأن بعض اعمالنا مترجم الى اللغة الروسية. لقد ترجموا رواية توفيق يوسف عواد «طواحين بيروت» وطبعوا ٥٠ ألف نسخة (طبعة اولى) فذهبنا لزيارة «منشورات بروجرس» القيمة على ذلك، وحين طلب الاستاذ عواد نسخة من الترجمة الروسية ليطلع عليها (كأي فضولي آخر!) اعتذروا منه فقد بيعت النسخ بأكملها!.. هذه الحادثة الجميلة اكدت لي قدرة الأدب العربي على اقتحام آفاق العالمية،إذا توافرت له السبل والترجمات واذا أحسنا الانتقاء.

بالنسبة إلي شخصياً، فقد فوجئت في معهد الاستشراق بأحد الاساتذة يقدم نفسه الينا: «انا الدكتور فلاديمير شاغال مترجم غادة السمان!». ووجدته قد ترجم لي قصتي «الساعتان والغراب» وهو الآن يقوم بنقل «كوابيس بيروت» الى اللغة الروسية.

كانت هذه مفاجآت جميلة لقيناها في موسكو، بالاضافة الى زيارتنا الرائعة الى لينينغراد حيث شاهدت مدينة من اجمل المدن الأوروبية وأغناها فنياً، وجمالا طبيعياً أخاذاً.. وفي أحد متاحفها «ليرميتاج» كنت أحار، هل اتأمل الكنوز الفنية المدهشة

على الجدران ، ام اتطلع عبر النافذة الى نهر « نيفا » لأتأمل قطع الجليد البيضاء القادمة من بحيرة « لادوجار » تسبح فوق زرقته راكضة كالبجع ، والناس على شاطئه يستمتعون بحمام شمسي .

لقد كان استقبالهم لنا في موسكو رائعاً وسررت بالمكانة التي يحتلها لديهم الأدب العربي . وقد أبدت (السماء) حماسة خاصة لنا،فقد اشرقت الشمس طوال مدة اقامتنا في موسكو،ثم رافقتنا بالقطار في مقصورة سرية الى لينينغراد وتابعت تقديم حنانها الدافىء، رغم ان الدليلة مارينا اخبرتنا ليلة وصولنا عن الثلج الذي تساقط قبلها بساعات!!.. لقد حملنا اليهم الشمس، وحملوا الينا التقدير والمحبة، وملايين القراء (الممكنين).

● ظاهرة ملفتة افتتحتها انت في عالم الأدب وهي الأعمال الأدبية غير الكاملة. لِمَ « الاعمال غير الكاملة »؟.

- أكره تسمية « الأعمال الكاملة » المتعارف عليها ، مهما كان مبدعاً . و (لكل شيء اذا ما تم نقصان).

ثم انها « الأعمال غير الكاملة » لأنها تضم مختارات من أعمالي غير المنشورة في كتبي ، ولا تضم كل حرف كتبته . وهي « الأعمال غير الكاملة » لأنني ما زلت انبض توقاً الى كتابة الأفضل ، ويخيل الي ان عبارة « الأعمال الكاملة » تنطبق على الذين اكتملت حياتهم بالموت ، وذلك حظ لم يباركني بعد!..

● انت غزيرة الانتاج، غزيرة الكتابة، تقتحمين الكلمات اقتحاماً، تطوعين اللغة، تفتتينها. كيف تحللين ظاهرة الغزارة الأدبية عندك، وإلامَ تعود انطلاقاً من مفهومك للكتابة؟

- حينما اكتب ، اشعر انني اخرج من زمن الشرنقة الى زمن الفراشة. اخرج من الصخرة وادخل في الريح. اخرج من القيلولة وادخل في الجرح..

حينما اكتب ، استعيد صورتي الحقيقية ووجهي الحقيقي. واستخرج من تحت ثيابي جناحي السريين المطويين باتقان (كي لا تقصهما لي ساحرات القرية وثرثاراتها) ، وافردهما على طول الأفق واطير.. اطير بعيداً ، وفي ذلك الطيران الليلي المتوحد اكتشف مقالع الابجدية الملونة ، واسبح في بحيرات الشيطان ، واستعيد الفرح المقموع في معسكرات التهذيب الاجتماعي المزيف ومعتقلات الطقوس التقليدية.

الكتابة بالنسبة الي هي الحياة في ابهى صورها ، وهي النفس البشرية مقطرة في محبرة.. الكتابة صارت جلادي وخلاصي في آن معاً.

• ما رأيك بالحركة القصصية الحديثة في لبنان، وبخاصة قصة ما بعد الحرب، وأين تصنفين نفسك منها؟

- بالنسبة الى الفنان الحرب قائمة باستمرار... الفنان هو دوماً بحالة حرب مع قوى التخلف، وهو باستمرار بحالة حرب، وصحيح ان القصف المدفعي توقف لكن القصف النفسي ما زال قائماً. وهو يعي كهارب الحرب السرية ويقاسي منها دائماً... وفي مراحل الحرب العلنية تتضاعف معاناة الفنان، ولكن ذلك لا ينفي حربه المستمرة التي كانت قائمة منذ قرر أن يكتب والتي ستظل قائمة ما دامت الكلمة لديه فعل حب وصدق لا فعل تزلف وتهريج. بهذا المعنى فان كل عمل أدبي جيد يحمل بذور حربه الخاصة، ولذا فأنا لا أميل كثيراً الى النظرة الأكاديمية التي تتخذ من بعض الاحداث التاريخية منظاراً أوحد للتقويم الأدبي. هذا بوجه عام، أما اين أصنف نفسي فأقول لك ببساطة: مهمتي أنا ان اكتب، ومهمة الناقد ان يصنف وينقد، فلماذا تريد مني ان أقوم عنه بعمله؟...

• كتبت القصة، وكتبت الرواية. أية تجربة وجدتها أقرب إليك من الناحية الرؤيوية أو المضمونية ومن الناحية الشكلية، وكيف تنظرين الى السمات الفارقة بينهما؟

- القصة القصيرة تغطي في نظري لحظات قصيرة زمنياً، بالغة التوتر. إنها بهذا المعنى تشبه لحظة إضاءة البرق، إنها ومضة لكنها تكشف لك رغم قصرها البالغ عن المرئيات كلها... وكلما كان الفنان أكثر مهارة، استطاع ضمن هذا الاطار أن يفجر مكامن النفس البشرية دون ان يخل بفنية القصة. هذه هي القصة القصيرة كما أراها انا. بعبارة أخرى، أحب دوماً التمييز بين «القصة القصيرة» وبين التلخيص الانشائي لرواية طويلة تحت شعار قصة قصيرة. فالقصة القصيرة ليست كذلك لمجرد حجمها (أي لأسباب شكلية) لكنها قصة قصيرة لأسباب رؤيوية ومضمونية... (هذا لا يمنعني من الاستمتاع بقصص قصيرة كتبها مبدعون دون ان يتوافر لها هذا الشرط. ففي ما يكتبه أي مبدع تجد دائماً زاوية ما تحبها وتتعلم منها).

وهكذا فان مفهومي الخاص للقصة القصيرة يجعلني لا أحمل هيكلها فوق ما تطيق كي لا أسقط في (التبسيطية والتسطيح)...

بهذا المعنى الرواية اكثر شمولاً ورحابة، وهيكلها الجبار يتطلب عملاً دؤوباً ومستمراً، ويتطلب جلداً وطول نفس. الرواية قادرة على خلق مناخات ملحمية جبارة إنسانياً كما السمفونية، وكما رسوم مايكل انجلو في سقف كنيسة السيستينا (الفاتيكان)، لا كما في لوحة واحدة مفردة (وهو ما تفعله القصة القصيرة).

إذن الفرق ليس في (كميـة) الموهبـة ولا (نوعيتهـا). إنها ببساطـة - القصـة والرواية - يختلفان من حيث أصولها غير الجامدة ولا المتحجرة ولا النهائية والابدية والسرمدية، ولكن الحائزة على حد أدنى من الضوابط والأصول التي لا بد منها لكل فن كنقطة انطلاق على الأقل.

لنبسط الأمور ولنقل: القصة القصيرة أغنية. والرواية سيمفونية. والمهم باستمرار هو الابداع، فأغنية مبدعة خير من سيمفونية عادية أو رديئة.

● في أدبك تشابك بين المثالية الواقعية. بين الوعي واللاوعي. بين الحب والشهوة الجارفة، حتى ليبدو عالمك مزيجاً من ألوان متناثرة، ورؤى متناثرة تتعايش عندك، تتناغم. كيف تفسرين هذه الظاهرة؟ إلام تعود، وبم ترتبط؟

- هذه الظاهرة تعود الى واقع الحياة وترتبط بالطبيعة البشرية. في الطبيعة، تتتابع الفصول بروتينية دونما تبديل. دوماً يأتي الربيع بعد الشتاء، والصيف بعد الربيع، والخريف بعد الصيف وهكذا... في الطبيعة البشرية لا تجري الأمور على نحو واحد... في الطبيعة البشرية تمتزج العناصر ويأتي فصل الحزن على حين غرة، ويتبعه فصل العنف او فصل الاستسلام او فصل انكسار الروح او فصل الفراق أو فصل ولادة جديدة، وتتوالى فصول الطبيعة البشرية على نحو ما، يطمح الفنان باستمرار الى تفسير بعض ظواهره او على الأقل تصوير هذه الظواهر ومحاولة احتوائها بالكلمة... هذه الألوان المتناثرة والرؤى المتناثرة وبقع الوعي المضيئة وظلال الوعي، هذه كلها ما هي إلا من بعض فتات زجاج القلب حين ينكسر، أو حين تنكسر الشمس فيه متحولة الى قوس قزح بملايين الألوان.

أنا يا عزيزي لا أخترع شيئاً... إنني نملة في بلاط الطبيعة البشرية تحاول ان تتعلم المزيد.

٢٢ / ٦ / ١٩٨٠

عبد الغني طليس يستجوب

• الصدق يسبب دوماً ألماً أقل من الألم الذي يسببه تزييف الحقائق.

• أدافع عن الحياة بالكتابة!

تعلن عليها الحب، هذه الدمشقية التي تخبىء بين أصابعها فرح الغوطة وزهرها وهواءها الاخضر. تعلن عليها الحب، وتفاجئك العصافير تفلت من شعرها وعينيها وثيابها.

غادة السمان، الحضور النادر واللغة التي تنبض وتشتعل وترقص. تدخل الى كتبها بالامان وتخرج بالامان الذي من القلق: كيف تجلس غادة في هذه المعادلة، تأخذك الحيرة. غادة صديقة المهبوب. صديقة الغيمة. صديقة الورد الذي ينكسر، والشجر الذي يموت على اقدامه.

كتابان، او ثلاثة، لا فرق، سيصدر لها جديداً، هي، هنا، تحكي عن جنون الكتابة:

• غادة السمان الحبلى دائماً بالكتب، والواقفة على نار الكلام بشوق من يأكل عسلاً او يسهر على النبيذ. ماذا تريدين من هذا التدفق كله؟

- أريد أن اعترف لك بسر صغير. لست حبلى (دائماً) بالكتب. احياناً أنا حبلى بالعقم والصمت. كلمة (دائما) هي مأساتي لانني عاجزة عن تحقيقها. تمر بي سنوات من الصمت، أعجز خلالها عن كتابة حرف واحد. وتمر بي سنوات من التفجر غير الصامت، أكتب خلالها كأنني سأموت غداً. فعل الكتابة مثل حالة الحب. لا تعرف متى يقرع الحب أبواب روحك. لا تعرف متى يستولي على دهاليزك وسراديبك ويطرد منها شهواتك كلها ولا يبقى سواه.

وكالحب لا تدري متى يغادرك، متى ينحسر عن شطآنك مخلفاً لاصدافك حرقة مالحة

حزينة. لا تدري متى ينطفىء في داخلك مثل لهبة هجرت مصباحها. لا تدري متى يغيب عن عروقك مثل دورة دموية انسحبت من جسد وخلفته هامداً ومزرقاً بالخيبة.

أعامل الكتابة كما الحب. لا احاول استحضار الحب. طبول العالم كلها لا تناديه. انه يختار توقيته حين لا نتوقعه وحيث لا ننتظره. وحين يحضر لا يعلن عن وجوده، لكنك تعرف انه قد وصل، وانه (هو). كل ما أفعله هو (الاستسلام الايجابي)!

وهكذا حين تأتي شهية الكتابة أمنحها ذاتي بكليتي كما تمنح ذاتك للحب، دونما مساومات او تحفظات أو مخاوف.

المهم باستمرار هو أن يكون الكاتب مستعداً لاستقبال جنون الكتابة، بصدق، ودونما اقنعة، ودونما مواعيد مؤجلة، لان الكلمة لا تقرع الباب مرتين، واذا لم يحتضنها لحظة وصولها، فقدها الى الابد.

• بعض كتبك الاخيرة جاء نقدها في الصحف والمجلات الثقافية متفاجئاً بالدهشة من جانب، وخائفاً عليك من جانب اخر من الوقوع في شرك الانتشار العريض الذي لا تشكين من قلته.

علام استند الخائفون عليك في خوفهم، وماذا تقولين لهم؟

– افترض دوماً حسن النية، ومن هذا المنطلق افترض انهم يخافون علي من الكثرة الكمية على حساب النوعية. أقول لهم: خافوا علي. خافوا اكثر. احتضنوني بخوفكم كالشرنقة، فالخوف مرادف للحب، وله دفء خاص يحلو لي. اقول لهم: الفنان نبع لا يعترف بالتقنين. الكتابة كالآبار الارتوازية تنفجر وتعلو دون ان تملك لجنونها دفعاً.

انني اتفجر هذه الأيام كتابة. اراقص الكلمات وحين أتعب أرفعها عن الورقة وأنام تحتها بعد ان التحف بها. حين أجوع اقضم طرف فاصلة أو آكل نقطة شهية كالرغيف. إنني اسهر واثرثر مع (كان واخواتها)، وأحب (الأفعال الناقصة)، واتشاجر مع (الأفعال المتعدية)، وحين تمرض (ان واخواتها) اشتري مركباً وآخذها معي في اجازة نقاهة.. وأشفق على.. لا النافية للجنس من منفاها.

(حروف الجر) لا تجرني إلى الخوف.. ولا اجد في هذه الابجدية الجميلة ما هو (زائد)، حتى (ما) بعد (اذا).

ان علاقتي بكل ما افعله هي علاقة حب شرسة. واعيش هذه الايام جنوناً كتابياً، لكنني ايضاً احس بغصة لأنني اعرف ان ذلك لا يدوم. وان فصول نزواتي محتومة كما الفصول الأربعة. وان فصل الضجر قادم لا ريب، كما حل بي ذات مرحلة.

• آخر ما صدر لك من كتب؟

- «كتابات غير ملتزمة» هو عنوان كتابي الاخير الذي صدر هذا الاسبوع.

بعد شهرين يصدر «الحب من الوريد الى الوريد» وهو الجزء قبل الاخير من سلسلة «الاعمال غير الكاملة». وسيتلوه «القبيلة تستجوب القتيلة». بعد هذا كله، يخيل الي ان فصل الضجر قادم لا محالة. ربما كان في جوهره فصل الالم حتى العجز عن الانين. فصل الحزن الثقيل مثل صخرة صمت جاثمة في القلب. هذا كله اعرفه، وسبق أن عايشته واعرف انني سأعايشه، كما يعرف المريض المزمن أن نوبة الالم قادمة...

• بين أديباتنا العربيات، لغادة السمان لغة خاصة، وحالات خاصة، وعالم خاص. هل تشرحين أسرارك؟

- هل تشرحها لي أنت؟ ليتك تفعل. أنا الساقطة في شرك العاصفة، كيف التقط أنفاسي لارصدها؟ أنا أميرة الانهيارات في مملكة الزلازل، كيف تريد مني أن أمسك بعداد (ريختر) واحدثك بدقة عن عنف الزلزال؟

أنا يا صديقي تلك الريشة في قلب الاعصار، اتطاير واتفتت كل لحظة وألملم أشلائي الادمية والشيطانية لاتطاير من جديد. كيف أصف لك من الخارج عالم الاعصار؟... أسراري؟ انك كمن يسأل الفراشة لماذا تثقب شرنقتها وتخرج منها... ان هذا الامر يحدث لها... وكفى. انك كمن تسأل العصافير المهاجرة عن أسرار ذلك الترحال الغامض الذي يسوقها عبر القارات.. انها تطير، وهذا كل ما تعرفه!

• غادة السمان تسكن في كل الامكنة: في السفر، بين الغرباء. في الوطن، بين الاهل، وقد تسكن ذات يوم محطة في الافق. هل تخططين لكل أنواع السكن هذه، أم تذهبين حيثما تشاء الريح؟

- كل شيء يا صديقي حولنا هو بحالة رحيل. كل شيء يركب قطاره ويمضي...

الصداقة تركب القطار وتمضي. الحب. الفرح. انه عالم من القطارات والسكك المتقاطعة والمحطات الحزينة المغبرة الماطرة...

وأنا وسط هذا الرحيل كله ولدت ونشأت: صوت القطارات المسافرة اغنية أمي، مناديل الوداع على أرصفة القطارات أوراقي، الحقائب المتناثرة بيوتي...

أحياناً يخيل الي ان رحيلي في جوهره هو رحيل الى وتد ما... الى يقين ما... الى التصاق ما... كأني حين أرحل، أفتش عن المحطات الثابتة... وأحياناً أشعر بأنني تلك الراكبة الأزلية التي نسيت كيف ولماذا استقلت القطار أول مرة، لكنها أدمنته وانتهى

الأمر، ونسيت هل كانت يومئذ تفتش عن حبيبها الضائع في شبكة كلمات متقاطعة جهنمية سطورها من السكك الحديدية، أم كانت تريد القاء نظرة على الجانب الآخر للقمر، أم كانت تريد قراءة تلك السطور الغامضة التي يخلفها دخان القطارات على وجه السماء... آه لم أعد أدري!...

• لم تقل امرأة شرقية ما قلته في الحب، في الرجل، في الجنس. كيف اخترقت الحواجز الشرقية الكثيرة حول هذه المواضيع؟ وهل عانيت بقدر ما نظن، ام أن ظننا أكبر؟...

□ لقد اخترقت مفاهيم (التابو) التي تسور الحب والجنس في حياتنا لانني وجدتها مكرسة للزيف والرياء الاجتماعي. وأنا بطبعي ارفض التدجين، وارفض اسطبل القيم السائدة، اذا لم تكن ذات جذور حقيقية في اعماق الانسان.

الحب حقيقة أساسية في حياة المرأة كما الرجل. أنا لم اخترع اليد لكنني مزقت القفاز. أنا لم اخترع الجنس لكنني أعلنت الحب ببساطة طفل لا يخفي شهيته أمام الفراشات الملونة. كم عانيت؟ لا اعرف بالضبط، لكنني كنت سأعاني اكثر لو حاولت تزييف حقيقتي والحقيقة البشرية.

ان الصدق يسبب دوماً ألماً أقل من الالم الذي يسببه تزييف الحقائق. ان مساوىء اعلان الحقيقة العارية أقل من مساوىء كبحها وتزييفها وتسويرها داخل تمثيليات اجتماعية مملة لا تقنع المتفرجين ولا الممثلين.

• العالم ينهار، ومعه ثمة قيم ابداعية تنهار، تدخل مرحلة العصب الميت: في الكتابة الموضة تأخذ مطرحاً. في الموسيقى ايضاً، وفي معظم الفنون الاخرى. هل تدافعين عن الكتابة؟

- أدافع عن الحياة. ثمة قيم ابداعية تنهار باستمرار،لكن الحياة ضد الفراغ. وتأتي قيم اخرى تنبثق عن الاولى وتحل محلها. نعم، في الكتابة (الموضة) تأخذ مطرحاً. في الموسيقى. في معظم الفنون. لكن ذلك يحدث باستمرار في كل زمان ومكان. اني ادافع عن حق الجيل الطالع في اكتشاف قيمه واستنباط ابداعه. ادافع عن حقه في التمرد وادافع حتى عن حقه في الخطأ.

أنا لست متشائمة. أرى الفوضى والانهيارات والبشاعة، لكن برغم ابداع واحد ينمو هو خير عزاء.

فالابداع زهرة نادرة، تنمو وسط الهشيم والرعب والقسوة، وتنمو في المناخات

كلها. وحينما اقرأ ما يكتبه جيل جديد طالع، احاول ان اقرأ بعين جديدة دون أن أقيس نتاجه وفقاً لفرامانات نقدية او نظرة مسبقة. هنالك جيل من الشعراء والكتاب الشبان يتفجر حيوية وعطاء وتجديداً، واعتقد ان مرحلة المخاض هذه ستنجلي عن اكثر من وردة سوداء نادرة.

● **بماذا تشعرين هذه اللحظة؟**

- أشعر بالدهشة. فقد كنت في طريقي الى البحر حين قررت القاء نظرة على الاسئلة قبل خروجي. وكانت نظرة فابتسامة فكتابة اجوبة...

وأشعر بالخواء، كمن فارق ضيفاً عزيزاً، فقد انتهى حوارنا!



هــذا هــو الكتاب الثاني عشر في سلسلــة «الاعمـال غير الكاملة» لـ «غـادة السمان» وتضم السلسلة كتابات لم يسبق نشرها في كتبها.

وقد صدر من هذه السلسلة حتى الآن: «زمن الحب الآخر»، «الجسد حقيبة سفر»، «السباحة في بحيرة الشيطان»، «ختم الذاكرة بالشمع الأحمر»، «اعتقال لحظة هاربة»، «مواطنة متلبسة بالقراءة»، «الرغيف ينبـض كالقلب»، «ع غ تتفرس»، «صفار انذار داخل رأسي»، «كتابات غير ملتزمة»، «الحب من الوريد الى الوريد».

منشورات غادة السمان